جامعة الموصل

كلية الآداب



العلاقات السلجوقية - الفاطمية
((447-567هـ / 1055-1171م))
((دراسة سياسية))

محمد علي حميد الحديدي

رسالة ماجستير

التاريخ / التاريخ الإسلامي

بإشراف

الأستاذ المساعد

الدكتورة ميسون هاشم مجيد

1430هـ

2009م

العلاقات السلجوقية - الفاطمية

((447 - 567 هـ / 1055 - 1171 م))

((دراسة سياسية))

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رسالة تقدم بها

محمـد علـي حميـد الحديـدي

إلى

مجلس كلية الآداب في جامعة الموصل

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير

في

التاريخ الإسلامي

بإشراف

الأستاذ المساعد

الدكتورة ميسون هاشم مجيد

1430 هـ

2009 م



University of Mosul
College of Arts

The Fatimi – Saljo Relations
(447-567 A.H. – 1055-1171 A.D.)
A Political Study

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Mohammed Ali Hameed Alhadeedi

M.A. / Thesis
History / Islamic History

Supervised By
Assist. Prof.
Dr . Maysoon Hashim Majeed

1430 A. H. **2009 A .D.**

The fatimi – Saljo Relations

((447 - 567 A.H. – 1055 – 1171 A.D.))

A Political Study

A thesis by

Mohammed Ali Hameed Alhadeedi

Submitted to

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

The council of the College of Arts / University of Mosul

In partial fulfillments of the requirements of master Degree

in Islamic History

Supervised by

Assist. Prof.

Dr. Maysoon Hashim Majeed

1430 A.H. **2009 A.D.**

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثبْت المحتويات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit



المقدمة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

أولا . نطاق البحث

إن للعلاقات التي تربط اي أمة من الأمم بعضها ببعض دوراً هاماً في سير أحداث تلك الأمة ، وذلك لأنها في حقيقة الأمر تمثل الأسباب الرئيسة التي أدت إلى حوادث تأُريخية معينة وانعكاسات هذه الحوادث على مستقبلها. وهذا بالضبط ما حدث للأمة الإسلامية عَبْرَ عصورها المتتالية .

لذا من الصعب لأي باحث في شتى فروع التأريخ الإسلامي السياسي إن يغض الطرف عن العلاقات التي كانت بين الخلفاء العباسيين في العراق والخلفاء الفاطميين في مصر ، وما نتج عن هذه العلاقات من نتائج وتبعات خطيرة ، أسهمت بشكل فعّال في أضعاف كلا الطرفين على حد سواء ، إذ بدأت عوامل الخلل والتداعي تدبُّ في أوصال كلتا الخلافتين فقد أصبحت الخلافة العباسية فريسة سهلة للقوى الإسلامية القادمة من بلاد المشرق الإسلامي فسيطر عليها البويهيون ومن بعدهم السلاجقة ، أما الخلافة الفاطمية فقد أصبحت أوضاعها الداخلية في غاية الارتباك وبدأت تفقد سيطرتها على الأقاليم والمدن التي كانت خاضعة لها .

وكانت هذه العلاقة العدائية هي الأساس التي بنيت عليها فيما بعد العلاقات السلجوقية – الفاطمية في بدايات القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، والتي امتازت منذ البدء بالعداء الشديد والصريح بحيث سعى كل منهما للانقضاض على خصمه والقضاء عليه ما أمكن ذلك .

كما أن العلاقات السلجوقية – الفاطمية العدائية امتازت بالجدية والندية وخاصة قبل دخول الصليبيين إلى بلاد الشام ، إذ بدأت المؤامرات تحاك منذ دخول السلاجقة بغداد عام 447 هـ / 1055م ، استغل الفاطميون ذلك للقضاء على الخلافة العباسية والنفوذ السلجوقي معاً ، وذلك عن طريق تأييد القائد التركي المتمرد أبي الحارث البساسيري وإمداده بالسلاح والأموال والرجال ، وكانت هذه الخطوة رداً على تصريحات السلطان السلجوقي طغرلبك ، الذي أعلن في رسالته إلى الخليفة العباسي القائم بأمر الله ((422 – 467 هـ / 1030 – 1075 م)) في عام 447 هـ / 1055 م عن نيته في التوجه إلى مصر للقضاء على الخلافة الفاطمية فيها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد فشل ثورة أبي الحارث البساسيري في نقل الخلافة للفاطميين وإنهاء الوجود السلجوقي اتجهت العلاقات السلجوقية – الفاطمية إلى المزيد من التطرف والعدائية بعد أن دخل السلاجقة مناطق النفوذ الفاطمي في بلاد الشام في عهد السلطان السلجوقي ألب أرسلان ((455 – 465 هـ / 1063 – 1072 م)) ، الذي بدأ بتنفيذ خطته القاضية بتصفية النفوذ الفاطمي في عموم العالم الإسلامي وإعادته للخلافة العباسية غير إن الظروف المحيطة بالمنطقة آنذاك وأطماع الإمبراطورية البيزنطية حالت دون تحقيق ذلك .

بلغت العلاقات السلجوقية – الفاطمية في عهد السلطان السلجوقي ملكشاه بن ألب أرسلان ((465 – 485 هـ / 1072 – 1092 م)) قمة العدائية والتطرف حيث تمكن هذا السلطان من إحكام قبضته على جميع مناطق نفوذه في العالم الإسلامي ، بل وحتى المناطق التي كانت خاضعة للنفوذ الفاطمي وخاصة في بلاد الشام .

وعلى الرغم من ضعف الدولة السلجوقية بعد وفاة السلطان ملكشاه عام 485 هـ / 1092 م فإن الفاطميين لم يتمكنوا من استعادة نفوذهم الضائع في هذه المنطقة لذلك فإنهم وجدوا في دخول الصليبيين إلى بلاد الشام عام 490 هـ / 1097 م فرصة مؤتيه للانقضاض على خصمهم المتمثل بالسلاجقة الذين تمكنوا من السيطرة على الكثير من مناطق النفوذ الفاطمي ، وكان الفاطميون كسائر القوى السياسية الإسلامية آنذاك لم تتفهم طبيعة الحركة الصليبية ولم تعرف أهدافها الحقيقية حيث ظنوا أنها مثل الحملات العسكرية التي كان يشنها البيزنطيون بين الحين والأخرى على بلاد الشام ، لذلك حاولوا عقد تحالف عسكري معهم من أجل القضاء على النفوذ السلجوقي في هذه المنطقة الحيوية من العالم الإسلامي ، في حين وجد الصليبيون في الفاطميين خيرَ معين لهم في تنفيذ مخططاتهم ، ولم يفق الفاطميون في مصر من سباتهم ، ولم يتعرفوا على حقيقة الأهداف للحركة الصليبية إلا بعد فوات الأوان وتوغل هذه الجموع الغازية في بلاد الشام واستيلائهم على بيت المقدس عام 492 هـ / 1099 م.

بدأت العلاقات السلجوقية – الفاطمية بالتحسن ، وبصورة أدق علاقة الأتابكيات التي تأسست على أنقاض أملاك الدولة السلجوقية في بلاد الشام بعد أن شعر المسلمون في كل من مصر وبلاد الشام بأنهم أمام تحدٍ خطير يهدد وجودهم في هذه المنطقة الحيوية التي تقع في قلب العالم الإسلامي ، لذلك بدأت جهودهم بالتوحد في سبيل مواجهة التحديات الخطيرة والمتمثلة بالصليبيين حيث شهدت تلك الفترة قيام تعاون عسكري بين كل من الفاطميين في مصر وأتابكية دمشق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجد الفاطميون أنفسهم أمام تحدٍ حقيقي وخطير إذ بدأت أطماع بلدوين ملك بيت المقدس تصل إلى الديار المصرية ، استعان الفاطميون بالأمير نور الدين محمود ((الملك العادل)) ، الذي كان نجمه قد سطع في الدفاع عن المسلمين ، فنجح قائده أسد الدين شيركوه في التصدي للإطماع الصليبية في الديار المصرية .

يشتمل نطاق البحث على أربعة فصول ، أما الفصل الأول فقد قسم إلى ثلاث أقسام الأول منهما تناولَ انتشار الدعوة الإسماعيلية وقيام الدولة الفاطمية ، والدولة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي ، ودخول الفاطميين مصر ، وبلاد الشام ، إما القسم الثاني فقد تناول أصل السلاجقة ، وقيام الدولة السلجوقية ، ودخولهم بغداد عام 447 هـ / 1055 م . في حين خصص القسم الثالث لنشوء العلاقة بين السلاجقة والفاطميين ، وانتشار الدعوة الفاطمية في العراق ، وموقف الأمراء البويهيين منها ، وحركة أبي الحارث البساسيري .

أما الفصل الثاني فينقسم إلى أربعة أقسام ، خصص الأول منهما لدراسة العلاقات السلجوقية – الفاطمية في عهد السلطان طغرلبك ، أما القسم الثاني فقد خصص لدراسة العلاقات السلجوقية – الفاطمية في عهد السلطان ألب أرسلان ((455 – 465 هـ / 1063 – 1073 م)) ، والقسم الثالث فيتناولَ العلاقات السلجوقية – الفاطمية في عهد السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان ((465 – 485 هـ / 1072 – 1092 م)) ، في حين خصص القسم الرابع العلاقات السلجوقية – الفاطمية بعد وفاة السلطان ملكشاه ((485- 492 هـ / 1092- 1099 م))

وخصص الفصل الثالث للعلاقات السلجوقية – الفاطمية بعد قيام الحروب الصليبية ، وقسم أيضا إلى أربعة أقسام ، خصص الأول منهما لدراسة أوضاع كل من السلاجقة والفاطميين قبيل الحروب الصليبية ، أما الثاني فقد تناول موقف كل من السلاجقة والفاطميين من حصار الصليبيين لمدينة إنطاكية عام 490 هـ / 1097 م وسقوطها بأيدي الصليبيين ، والثالث فقد تناول وأوضاع بيت المقدس ، وسقوطها بأيدي الصليبيين عام 492 هـ / 1099 م ، وموقف هذه القوى من سقوط بيت المقدس بأيدي الصليبيين ، في حين خصص الرابع منه للعلاقات السلجوقية – الفاطمية بعد قيام مملكة بيت المقدس الصليبية .

وتناول الفصل الرابع العلاقات السلجوقية – الفاطمية ، بعد قيام الإمارات المستقلة عن الدولة السلجوقية إلى نهاية الخلافة الفاطمية ، وقسم هذا الفصل إلى قسمين ، الأول تناول أوضاع الخلافة الفاطمية السياسية ، وأوضاع بلاد الشام وقيام الدولة الزنكية ، وظهور الأمير

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نور الدين محمود وتوحيد الجبهة الإسلامية في بلاد الشام ، وضم مدينة دمشق عام 549 هـ / 1154 م ، والعلاقات التي ربطت الأمير نور الدين بالفاطميين ، والحملة النورية الأولى والثانية والثالثة على مصر ، ومقتل الوزير الفاطمي شاور السعدي ، وتولي أسد الدين شيركوه الوزارة الفاطمية .

في حين خصص القسم الثاني لتولي صلاح الدين الأيوبي منصب الوزارة الفاطمية وموقف الأمير نور الدين محمود من تولي صلاح الدين الأيوبي الوزارة ، ومؤامرة مؤتمن الخلافة وواقعة السودان ، والحملة الصليبية – البيزنطية المشتركة على مصر وحصار مدينة دمياط عام 565 هـ / 1169 م ، كما تناول محاولة الأمير نور الدين محمود الأولى لإقامة الخطبة العباسية في مصر عام 565 هـ / 1169 م ، والإجراءات التي قام بها الأمير صلاح الدين لإلغاء الخلافة الفاطمية ، ونهاية الخلافة الفاطمية في مصر عام 567 هـ / 1171 م .

ثانياً . نظرة في المصادر والمراجع

1 . المصادر الأولية

أ . كتب التواريخ العامة

يأتي في مقدمتها كتاب ((الكامل في التأريخ)) للمؤرخ عز الدين ابن الأثير ((ت 630هـ / 1232 م)) الذي يعد من أهم كتب التواريخ العامة نظرا لما يحتويه من معلومات وروايات تأريخية مهمة ساعدت على رسم صورة واضحة المعالم لتلك الحقبة التأريخية الهامة ، فضلا عن أنه عاش في كنف دولة الأتابكية في الموصل ، بل أنه يعد من أبرز رجالاتها ، كما أنه عاصر الأحداث ، واعتمد على مؤرخي هذه المنطقة في تدوين كتابه ((الكامل في التأريخ)) .

أما كتاب((مرآة الزمان في تأريخ الأعيان)) ، ((الحوادث الخاصة بتاريخ السلاجقة)) لسبط ابن الجوزي ((ت 654 هـ / 1256 م)) ، فقد قدم معلومات هامة جداً عن ثورة أبي الحارث البساسيري على الخلافة العباسية واتصاله بالفاطميين ، كما قدم معلومات هامة عن سياسة السلطان السلجوقي طغرلبك لقمع هذه الثورة ، ومحاولته دخول بلاد الشام للانتقام من الفاطميين لمساعدتهم للبساسيري في ثورته على الخلافة العباسية ، كما أمدنا بمعلومات هامة عن إقامة الخليفة العباسي القائم بأمر الله في مدينة حديثة .

وكتاب ((تأريخ ابن الفرات)) لابن الفرات ((ت 807 هـ / 1404 م)) الذي يعد من أهم المصادر التأريخية التي تتحدث عن الحملات النورية الثلاث على

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مصر ، والإجراءات التي اتخذها الأمير صلاح الدين الأيوبي في سبيل إلغاء الخلافة الفاطمية في مصر وإقامة الخطبة العباسية فيها .

ب . كتب تواريخ المدن

يأتي في طليعتها كتاب ((ذيل تأريخ دمشق)) لابن القلانسي ((ت 555 هـ / 1160م)) الذي يعد من أهم المصادر التأريخية المعاصرة لتلك الحقبة ، كما أن ابن القلانسي من سكان مدينة دمشق بل يعد من أبرز رجالاتها السياسيين إذ تولى رئاسة دمشق مرتين فأتاح له ذلك المنصب أن يطلع على الوثائق الرسمية ذات الاتصال المباشر بالتقلبات السياسية في كل من بلاد الشام ومصر ، كما أنه قدم لنا معلومات تأريخية قيمة تصب في صلب الدراسة مما أسهم في أغناء البحث .

وكتاب ((زبدة الحلب في تأريخ حلب)) لابن العديم ((ت 660 هـ / 1261 م)) الذي يعد من المصادر التي لا غنى عنها لدراسة أوضاع بلاد الشام السياسية حيث تناول الكيانات السياسية التي قامت في بلاد الشام ، والعلاقات السياسية التي ربطت هذه الكيانات بالخلافة الفاطمية في مصر ، فضلا عن سياسة الفاطميين في بلاد الشام .

ج . كتب التواريخ المحلية

يأتي في مقدمتها كتاب ((أخبار الدول المنقطعة)) لابن ظافر ((ت 613 هـ / 1216 م)) الذي يعد من أهم المصادر التأريخية التي ركزت على قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي ، والصعوبات التي واجهتها هناك ، وانتقالها إلى مصر ، وسياستها في بلاد الشام ، وطغيان نفوذ وزرائها على خلفائها ، وبعض الأزمات التي لحقت بها .

كما تبرز أهمية كتاب ((التأريخ الباهر في الدولة الأتابكية)) لابن الأثير الذي أمدنا بمعلومات قيمة ونادرة وخاصة فيما يتعلق بسياسة الأمير نور الدين محمود تجاه الصليبيين والفاطميين ، كما أنه يقدم شرحاً وافياً ودقيقاً عن حملات الأمير أسد الدين شيركوه الثلاث على مصر والمعارك التي خاضها هناك .

وكتاب ((الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية)) لأبي شامة ((ت 665 هـ / 1266 م)) الذي يعد من أهم المصادر التأريخية التي تتكلم عن الدولتين النورية والصلاحية ومن الناحيتين العسكرية والسياسية ، كما أنه أمدنا بمعلومات قيمة عن جهود الأمير نور الدين محمود في التصدي لإطماع الصليبيين في الديار المصرية وإرساله الحملات العسكرية المتتالية إلى هناك ، وبين التقارب الشديد الذي حصل بينه وبين الفاطميين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذين بدوا يعتمدونَ عليه في التصدي لإطماع الصليبيين في بلادهم ، والإجراءات التي اتخذها الأمير صلاح الدين لإلغاء الخلافة الفاطمية في مصر .

ومن أهم المصادر التي اعتمدها البحث أيضا كتاب ((اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا)) لتقي الدين المقريزي ((ت 845 هـ / 1340 م)) الذي استوعب جميع ما أورده المؤرخون الذين أرخوا للخلافة الفاطمية في مؤلفاتهم ، لذلك تميز كتابه بتقديم معلومات هامة عن تأريخ هذه الخلافة خاصة فيما يتعلق بأوضاعها الداخلية وعلاقاتها الخارجية بالخلافة العباسية والسلاجقة .

د . كتب الجغرافية

يأتي في طليعتها كتاب ((معجم البلدان)) لياقوت الحموي ((ت 626 هـ / 1228 م)) الذي يعد من أهم كتب الجغرافية ، حيث يقدم لنا معلومات مهمة عن المدن والمواقع والأماكن والحصون التي ورد ذكرها في هذه الدراسة .

وكتاب ((المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار)) للمقريزي الذي يقدم وصفاً شاملاً لجغرافية مصر من حيث مدنها وأعمالها وقراها وبعض الأماكن التي فيها ، فضلا عن تطرقه في بعض الأحيان إلى تأريخ الدولة الفاطمية والأزمات الاقتصادية التي حلّت بمصر في عهد هذه الدولة .

هـ . كتب التراجم والسير

يأتي في مقدمتها كتاب ((النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية)) لبهاء الدين ابن شداد ((ت 632 هـ / 1235 م)) وتأتي أهمية هذا الكتاب في أنه أمدنا بمعلومات قيمة لحملات أسد الدين شيركوه الثلاث على مصر ، كما يتضمن هذا الكتاب وصفاً دقيقاً للأحداث والمعارك التي خاضها أسد الدين وابن أخيه صلاح الدين في مصر ، كما أنه يُعدُّ من أهم وأدق المصادر التي تتحدث عن الإجراءات التي اتخذها صلاح الدين لإلغاء الخلافة الفاطمية في مصر .

و . المصادر الصليبية المعاصرة لتلك الحقبة

وفي طليعتها كتاب ((تأريخ الحروب الصليبية الأعمال المنجزة فيما وراء البحار)) للمؤرخ الصليبي وليم الصوري ((ت 581 هـ / 1185 م)) ، ترجمة سهيل زكار ، حيث

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يعد هذا الكتاب من المصادر الصليبية المعاصرة لتلك الحقبة التي تتحدث عن انقسام العالم الإسلامي سياسياً ومذهبياً ، ومحاولة الفاطميين الاستفادة من دخول الصليبيين إلى بلاد الشام للقضاء على النفوذ السلجوقي هناك ، وخاصة إن هذا المؤرخ كان من كبار رجالات مملكة بيت المقدس الصليبية ، كما أنه تولى عدة سفارات بهذه المملكة .

2 . المراجع الثانوية العربية والمعربة

تكمن أهمية المراجع الثانوية ((العربية – المعربة)) في إنها تغني البحث بالتحليلات والاستنتاجات ، ومن أبرز هذه المراجع كتاب ((تاريخ الدولة الفاطمية)) لحسن إبراهيم حسن الذي يعطي صورة شاملة عن قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب العربي ، والأسباب التي دفعتها إلى توجه أنظارها إلى مصر لتكون مقراً لدولتها وحاضرة لخلافتها .

وكتاب ((الحياة السياسية في بلاد الشام خلال العصر الفاطمي)) لخاشع المعاضيدي ، الذي تناول حقبة الحكم الفاطمي لبلاد الشام والتحديات والمعوقات التي واجهت هذا الحكم ، كما تناولَ دخول السلاجقة لبلاد الشام والمعارك التي قامت بين الوزير الفاطمي بدر الجمالي والقائد السلجوقي أتسز بن أوق الخوارزمي على مناطق النفوذ في هذه البلاد ، كما تناول الصراعات التي حدثت بين السلاجقة أنفسهم ، ودخول الصليبيين إلى بلاد الشام واستيلائهم على أغلب مناطق النفوذ الفاطمي فيها .

وكتاب ((نظم الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق خلال القرن الخامس الهجري)) لفاضل الخالدي ، حيث تناول أوضاع الخلافة العباسية في العراق خلال القرن الخامس الهجري ومدى الضعف التي وصلت إليه ، كما تناول سيطرة السلاجقة على مقدرات الخلافة العباسية ، وثورة البساسيري واتصاله بالفاطميين .

كما اعتمد البحث على مجموعة كبيرة من المراجع الحديثة مثل ((دولة السلاجقة)) لعلي محمد الصلابي ، و((الحركة الصليبية)) لسعيد عبد الفتاح عاشور ، و((تأريخ بلاد الشام في عهد الأتابكة والأيوبيين)) لاحسان عباس .

كما تمَّ الاعتماد على مجموعة من الرسائل الجامعة ، مثل أطروحة الماجستير لعبد السلام محمد يونس القزاز الموسومة ((الخليفة العباسي القائم بأمر الله 422 – 467 هـ / 1030 – 1074 م)) لكونها دراسة شاملة عن التحديات والأزمات التي واجهت الخلافة العباسية في عهد هذا الخليفة ومن أبرزها دخول السلاجقة ، وثورة أبي الحارث البساسيري .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأطروحة الدكتوراه ميسون هاشم مجيد الموسومة ((أوضاع بلاد الشام قبيل الغزو الصليبي 460 - 490 هـ / 1067 - 1097 م)) التي قدمت صورة واضحة المعالم للاضطرابات التي عصفت ببلاد الشام قبيل الغزو الصليبي ، والتي كانت من أبرزها الصراع السلجوقي - الفاطمي ، والصراع بين أبناء البيت السلجوقي .

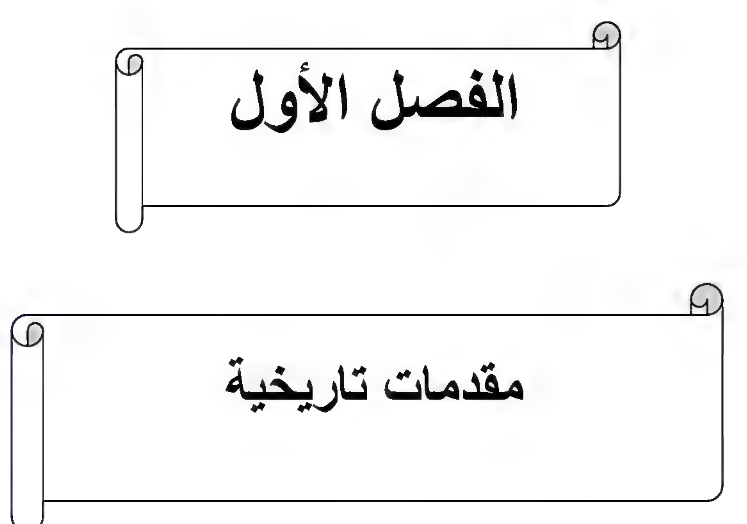
وأطروحة الماجستير لأكرم عبد الرزاق عبود وحيد الموسومة ((مصر والغزو الصليبي دراسة سياسية 490 - 567 هـ / 1096 - 1171 م)) التي تميزت بالموضوعية والدقة وخاصة فيما يتعلق بموقف الفاطميين من الحملة الصليبية الأولى ، والتي أغنت البحث .

كما تمَّ الاعتماد على مجموعة واسعة من البحوث المنشورة بالدوريات ومن أبرزها بحث لعبد الجبار ناجي ((ثورة البساسيري في بغداد 447 - 451 هـ / 1055 - 1059 م)) والتي أغنت البحث بالتحليلات والاستنتاجات فيما يتعلق بأسباب ثورة البساسيري فضلا عن أسباب فشلها .

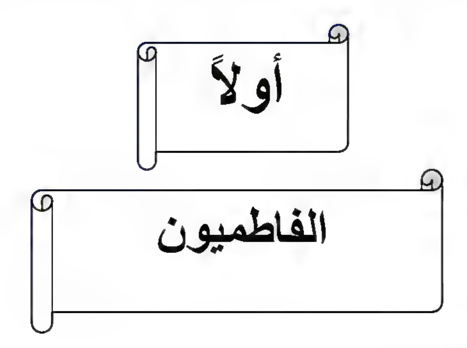
وبحث ((دخول الترك الغز إلى بلاد الشام في النصف الثاني من القرن الحادي عشر)) لشاكر مصطفى ، الذي أوضح الأسباب الرئيسة التي دفعت السلاجقة إلى دخول بلاد الشام ، وتأسيس مناطق نفوذ لهم في هذه المنطقة .

وأخيراً اسأل الله ربَّ العرش العظيم العليم الحكيم القبول ، ولهُ الحمد والمِنّة في الأولى والآخرة انه على ذلك لقدير .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit



All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit



أولاً

الفاطميون

1 - قيام الدولة الفاطمية

وقد واجهت الخلافة العباسية الحركات العلوية بكل حزم وقوة ، ولهذا السبب فضلا عن عدة أسباب أخرى اتخذت الدعوة العلوية منذ النصف الأول من القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي الطابع السري ، وأصبحت دعوة سرية تقية وخوفا على حياة الأئمة أصحاب هذه الدعوة من بطش السلطات العباسية بهم . (1)

غير إن هذه الدعوة أخذت بالانقسام وظهرت منها عدة فرق ودعت كل فرقة من هذه الفرق إلى إمامة احد العلويين ، حيث رأت فيه انه أحق من غيرهِ في تولي الإمامة وقد عملت هذه الفرق على نشر آرائها في عموم أرجاء العالم الإسلامي من أجل كسب التأييد لهذه الآراء . (2)

ونجحت إحدى هذه الفرق ؛ وهي الإسماعيلية (3) في ذلك نجاحاً كبيراً حيث

---

(1) **حسن** : تأريخ الدولة الفاطمية ، ص 33 – 34 ؛ **الشيال** : تأريخ مصر الإسلامية ، 1 / 194

(2) **حلمي** : نظام الخلافة في الفكر الإسلامي ، ص 264– 269 ؛ **كاهن** : تأريخ العرب والشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى بداية الإمبراطورية العثمانية ، 1/ 257– 257 ؛ **العبادي** : الدولة الإسلامية تاريخها وحضارتها ، ص 67– 68 ؛ **حسن:** مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي إلى الفتح العثماني ، ص 105 – 106 .

(3) **الإسماعيلية** : سُميت بهذه الاسم نسبة إلى إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق ، الذي توفي في حياة والده في المدينة المنورة ، عام 145هـ / 762م . غير أن إتباعه أنكروا موته ، وقالوا إن الإمام بعد جعفر الصادق ابنه إسماعيل ، وعللوا وفاته بقولهم ؛ إنما اظهر موته تقية وغيبة ، حتى لا تقصده السلطات العباسية بالقتل ؛ لذلك سموا بالإسماعيلية انظر : **النوبختي** ، : فرق الشيعة ، ص 57 – 58 ؛ **البغدادي** : الفرق بين الفرق ، ص 53 ؛ **ابن حزم الأندلسي:** الفصل في الملل و الأهواء و النحل ، 2 / 298 ؛ **الشهرستاني** : في الملل والأهواء والنحل ، 1 / 170– 171 .

للمزيد من التفاصيل عن الإسماعيلية وعقائدهم انظر : **النشار:** نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، الجزء الثاني نشأة التشيع وتطوره ، ص 273 – 377 ؛ **لويس** : أصول الإسماعيلية ، ص 97 – 207 ؛ **حسن** : تاريخ الإسلام ، 3 / 200 – 213 ، **غالب** : تأريخ الدعوة الإسماعيلية ، ص 130 – 147 ؛ كاهن : تاريخ العرب 1/ 256 – 262 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمكنت من نشر الدعوة الإسماعيلية في إرجاء العالم الإسلامي ، وخصوصا في البعيدة عن مركز الخلافة العباسية ، مثل بلاد المغرب الإسلامي ومصر والبحرين وخراسان وفارس وغيرها . (1)

إذ استطاع الداعي أبو القاسم الحسن بن فرج بن حوشب الكوفي ، الملقب (المنصور باليمن) (2) من نشر الدعوة الإسماعيلية هناك ، منذ عام 268 هـ / 883 م ونجح في ذلك نجاحاً باهراً انتشرت على أثره الدعوة هناك ، حيث ظهر أمرها وعظم شأنها ، فقام ابن حوشب ببناء حصن له في لاعة (3) وشكل جيشاً خاصاً به ، وتمكن بمساعدة هذا الجيش من السيطرة على العديد من مدن اليمن حيث فرض سيطرته على صنعاء ، وبدأ يبعث دعاة الإسماعيلية إلى مختلف نواحي اليمن واليمامة والبحرين والسند والهند ومصر والمغرب .(4)

وقد وقع اختيار ابن حوشب على الداعي أبي عبد الله الحسين بن احمد بن محمد بن زكريا الكوفي ، المعروف بأبي عبدالله الشيعي (5) ليكون داعي الإسماعيلية في بلاد المغرب الإسلامي ؛ من أجل نشر الدعوة الإسماعيلية هناك وخاصة بين صفوف قبائل البربر . (6)

التقى أبو عبد الله الصنعاني بقسم من حجاج قبيلة كتامة (من قبائل البربر التي تسكن في بلاد المغرب العربي) في مكة المكرمة في أثناء موسم الحج ، ونجح في استمالتهم إلى

---

(1) **حسن** : المعز لدين الله ، ص 69 ؛ **لينبول**: سيرة القاهرة ، ص 113 – 114 .

(2) **القاضي النعمان** : افتتاح الدعوة ، ص 2 – 3 ؛ **الأنطاكي**: صلة كتاب سعيد بن بطريق المسمى التاريخ المجموع على التحقيق و التصديق ، أو المعروف بتأريخ يحيى بن سعيد ، ص 105 ؛ **ابن الأثير** : الكامل في التاريخ ، 8 / 30 .

(3) **لاعة** : مدينة في جبل صبر المتصل بوادي بكيل ، من نواحي اليمن انظر : **البكري الأندلسي** : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، 4/ 1147 ؛ **ياقوت الحموي** : معجم البلدان ، 5 / 7 .

(4) **القاضي النعمان** : افتتاح الدعوة ، ص 18 ؛ **ابن خلدون**: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، 4 / 31 – 32 .

(5) اختلف المؤرخون حول أصل أبي عبد الله الصنعاني ؛ إذ يذكر **ابن الأثير** انه من أهل صنعاء انظر : الكامل 8 / 31 ؛ بينما يذكر **القاضي النعمان** ، الذي عاصر تلك الفترة تقريبا ، انه من أهل الكوفة وان لقب (الصنعاني) أطلق عليه بعد دخوله بلاد المغرب العربي ، حيث كانوا الأغالبة يدعون عليه من على المنابر ، بقولهم (اللهم إن هذا الكافر الصنعاني ... كافر لنعمتك .... مبدل لدينك ... مخالف لكتابك ...) انظر : افتتاح الدعوة ، ص 33 .

(6) **ابن عذاري المراكشي** : البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، 1 / 124 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدعوة الإسماعيلية . وبعد انتهاء موسم الحج طلب منهم السماح له بمرافقتهم في طريقهم حتى الأراضي المصرية . (1)

استطاع أبو عبد الله الصنعاني بفضل ذكائه من كسب قلوب حجاج كتامة في طريقهم إلى ديارهم إذ تعلقوا به بعد ما شاهدوا من زهده وعبادته ، فطلبوا منه عدم المكوث في مصر والذهاب معهم إلى ديارهم في بلاد المغرب . فوافق على ذلك ودخل معهم إلى ديار كتامة في بلاد المغرب في ربيع الأول عام 280 هـ / 893 م . (2)

وقد بالغ أهل كتامة في إكرام أبي عبد الله الصنعاني لدى دخوله ديارهم وأحلوه من أنفسهم محل الإجلال والإكرام ، وبلغ منزلة رفيعة في قلوبهم حتى إنهم تنافسوا بالقرعة على شرف استضافته في منازلهم . (3)

اتخذ أبو عبد الله من فج الأخيار (4) دار هجرة فأتته البربر من كل مكان ، فعظم أمره ؛ ولم يلبث الصنعاني أن كشف عن نواياه الحقيقية لرجال كتامة إذ قال لهم : (أنا صاحب البذر الذي ذكر لكم أبو سفيان والحلواني [وهما من دعاة الإسماعيلية في بلاد المغرب قبل دخول الصنعاني] ...) . فازدادت محبتهم له ، وتعظيمهم لأمره . (5)

أصبح فج الأخيار مركز حركة أبي عبد الله الصنعاني ومجمع أنصاره من البربر ممّا أثارَ حفيظة بعض زعماء ورؤساء القبائل الذين رأوا فيه تهديداً حقيقياً لزعامتهم ومصالحهم في مناطق نفوذهم ؛ فبدأت مرحلة جديدة بين أبي عبد الله الصنعاني وبين زعماء بعض القبائل اشتعلت فيها حرب ضروس بين أنصار أبي عبد الله وزعماء القبائل استطاع فيها أبو عبد الله الخروج منها منتصراً وذلك بفضل شجاعة أنصاره وقوة عزيمتهم في الدفاع عن دعوتهم بل إن الموقف انقلب من الدفاع إلى الهجوم ، حيث أستطاع أبو عبد الله وأنصاره من إلحاق

---

(1) **الأنطاكي** : تأريخ يحيى ، ص 105 ؛ **ابن عذاري** : البيان المغرب ، 1 / 124 – 125 .

(2) **ابن ظافر** : أخبار الدول المنقطعة ، ص 6 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 8 / 32 ؛ **المقريزي** : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط و الآثار ، المعروف بالخطط المقريزية ، 1 / 349 – 340 .

(3) **القاضي النعمان** : افتتاح الدعوة ، ص 40 – 41 ، **ابن الأثير** : الكامل ، 8 / 32 .

(4) **فج الأخيار** : هو موضع في جبل أيجكان في ارض كتامة في بلاد المغرب ، على مقربة من مدينة قسنطينة ، يعرف بمناعته ، وتسكنه قبائل من كتامة ، فلما دخل أبو عبد الله بلاد المغرب أقام فيه ، وسماه دار الهجرة . انظرا : **البكري الأندلسي** : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص 63 .

(5) **المقريزي** : أتعاظ الحنفا بإخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، 1 / 142 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الهزائم المتكررة بخصومه من الزعماء ، فاستقام له بعد ذلك أمـر البربـر وعامـة كتامـة وتمكن من فرض سيطرته على الكثير من مدن بلاد المغرب . (1)

إلا إن هذه الظروف أوجدت خصماً جديداً لأبي عبد الله الصنعاني والذين لم يحسـبوا له حساباً في بادئ الأمر إلا وهم الأغالبة (2) حكام أفريقية ، الذين رأوا في الصنعاني ودعوته خطراً حقيقياً يهدد مناطق نفوذهم في بلاد المغرب . فحاول الأمير إبراهيم بن أحمـد (261 – 289 هـ / 874 – 901 م) إن يستدرك الموقف وأن يستخدم السياسة ليجـذب الصـنعاني إلى جانبه ؛ فأرسل إليه رسالة يعده ويتوعده ، فلم يُجِبْهُ أبو عبد الله إلـى طلبـه ، بـل ورد عليه برسالة تدل على قوته وجرأته وثقته بإتباعه المؤمنين بدعوتـه ، كمـا انـه استصـغر شأن الأغالبة والمؤيدين لهم في بلاد المغرب . (3)

وبعد أن رفض الصنعاني العروض التي قدمها له الأغالبـة بـدأت بـين الطـرفين سلسلة من المعارك الطاحنة للسيطرة على بلاد المغرب ، حيث اخذ الأغالبة يرسلون حملاتهم العسكرية الواحدة تلو الأخرى لمحاربة أبي عبد الله وإتباعه ؛ وكانت أولـى هـذه الحمـلات عام 287 هـ / 900 م ، إلا إن النصر كان فيها حليف أبي عبد الله و إتباعه . (4)

---

(1) **الأنطاكي** : تاريخ يحيى ، ص 105 – 106 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 8 / 33 – 34 ؛ **ابـن عـذاري** : البيان المغرب ، 1 / 128 – 129 .

(2) **الأغالبة** : نسبة إلى الأمير إبراهيم بن الأغلب بن سالم التميمي ، ت (196 هـ / 811 م) . الـذي استطاع أن يؤسس إمارة وراثية في افريقية عـام 184 هـ / 800 م . وقـد أدّت هـذهِ الإمـارة دوراً كبيراً في بلاد المغرب الإسلامي ، كما تمكنت من فتح عدد من جـزر البحـر المتوسـط ، ومـن أبرزهـا جزيرة صقلية ، إذ كانت تمتلك أسطولا بحرياً كبيراً ؛ وقد استمرت هذه الإمارة في حكم بلاد المغرب إلى إن تمكن أبو عبد الله الصنعاني من القضاء عليها عام 296 هـ / 909 م . **الرقيق القيرواني** : تأريخ افريقيـة والمغرب ، ص 212 – 223 ؛ **ابن الآبار** : الحلة السيراء ، 1 / 93.

للمزيد من التفاصيل حول هذه الإمارة انظر : المعاضـيدي : تـاريخ الـدويلات العربيـة ، ص 197 – 214 ؛ **حسن** : تاريخ الإسلام ، 3 / 171 – 180 .

(3) ورد نص هاتين الرسالتين في عدة مصادر إسلامية ، ولكـن بصـورة مختلفـة انظـرا : **القاضـي النعمان** : افتتاح الدعوة ، ص 56 – 58 ؛ **ابن الخطيب** : تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط ، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام ، ص 38 – 39 .

(4) **الأنطاكي** : تأريخ يحيى ، ص 106 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واستمرت الحرب سجالاً بين الطرفين ، ففي عام 289 هـ / 902 م تمكن جيش الأغالبة بقيادة الأمير محمد بن أبي العباس بن إبراهيم الأغلبي ، الملقب بالأحول (1) من إلحاق هزيمة نكراء بأتباع أبي عبد الله ؛ ولم يكتفِ الأمير محمد بذلك بل تبعهم وألحق بهم هزيمة ثانية ، إلا أنه اضطر في النهاية إلى التوقف عن مطاردتهم بسبب تساقط الثلوج بكثافة في تلك السنة . (2)

غير إن الظروف أصبحت تصب في مصلحة أبي عبد الله و إتباعه ، فقد اضطربت أمور الأغالبة بعد اغتيال الأمير أبي العباس عام 290 هـ / 903 م . (3) وولاية ابنه الأمير زيادة الله (290 - 296 هـ / 903 - 909 م) الذي عرف عنه (أنه عكَفَ على شرب القهوة ، وسماع الأغاني ، والخلاعة ، وأهمل الاهتمام بابي عبد الله ...) . (4) كما أنه أقدم على قتل أخيه محمد بن أبي العباس (الأحول) ، وبقية إخوته وعمومته . (5)

وبهذا فقد سهل زيادة الله الطريق أمام أبي عبد الله الصنعاني لفرض سيطرته المطلقة على بلاد المغرب الإسلامي ، فقد أزال الحاجز الذي كان في طريق سيطرة أبي عبد الله على مناطق النفوذ الأغلبي في بلاد المغرب .

وبالفعل فقد أحسن أبو عبد الله استغلال هذه الظروف التي يمر بها الأغلبة وأخذ يستولي على مناطق نفوذهم حيث بدأت تسقط بيده مدن المغرب تباعاً ؛ وفي مدينة الأربس (6) جرت المعركة الحاسمة بين الطرفين والتي كانت السبب الرئيس في انهيار الإمارة الأغلبية ؛ إذ تمكن أبو عبد الله وجيشه الكبير من إلحاق هزيمة ساحقة بجيش الأغلبة

---

(1) **الأحول** : لقب أُطْلِقَ عليه ليس لأنه أحول ؛ وإنما كان يكسر عينه إذا أدام النظر إلى الأشياء ؛ لذلك أطلق عليه هذه اللقب ؛ وقد كان فارساً شجاعاً ، وقائداً كبيراً . **القاضي النعمان** : افتتاح الدعوة ، ص 138 .

(2) **ابن الأثير** : الكامل ، 8 / 34 .

(3) **ابن أبي دينار** : المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس ، ص 53 .

(4) **الأنطاكي** : تأريخ يحيى ، ص 106 .

(5) **الأنطاكي** : تأريخ يحيى ، ص 106 .

(6) **الأربس أو لربس** : مدينة مسورة لها ربض كبير ، وتعرف أيضا ببلد (العنبر) ، تبعد عن مدينة القيروان مسيرة ثلاثة أيام . **البكري** : المغرب في ذكر ، ص 46 ؛ **الإدريسي** : نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، 1 / 292 ؛ **ياقوت الحموي** : معجم البلدان ، 1 / 136 ؛ **الحميري** : الروض المعطار في أخبار الأقطار ، ص 24 - 25 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذي تفرق على أثرها في أنحاء البلاد ، ودخل أبو عبد الله المدينة في 24 من شهر جمادى الأخر عام 296 هـ / 909 م . وقد انتقم من أهالي المدينة ، وأباح المدينة . **(1)**

وفي شهر رجب عام 296 هـ / 909 م وصلت قوات أبي عبد الله إلى مدينة رقادة **(2)** التي كانت تعد آخر معاقل الأغالبة في بلاد المغرب الإسلامي ؛ فخرج شيوخ القيروان وفقهاؤها للترحيب به ، فسلموا على أبي عبد الله ، وأعلنوا طاعتهم له ، وسألوه الأمان ، فأمنهم وساروا في موكبه إلى أن دخل مدينة رقادة فنزل في احد قصورها المشهورة وقسم أحياء المدينة على زعماء قبيلة كتامة ، في حين عسكرة قواته حول المدينة . **(3)**

وبدخول أبي عبد الله مدينة رقادة ، يكون قد أزال العقبة الرئيسة في قيام الدولة الفاطمية ، وتحقيق حلم العلويين في أقامة خلافتهم ، بعد أن قضى خمسة عشر عاماً من دخوله أرض المغرب العربي ، والتي أصبحت مهيئة لاستقبال الإمام عبيد الله المهدي . **(4)**

---

(1) مؤلف مجهول : العيون والحقائق في أخبار الحقائق ، ج4 / ق1 ، ص 218 ؛ **البكري الأندلسي** : المغرب في ذكر ، ص 46 ؛ **ابن الخطيب** : تاريخ المغرب ، ص 42 .

(2) رقادة : مدينة تبعد عن مدينة القيروان أربعة أميال ، ويذكر إن الأمير إبراهيم بن احمد الأغلبي هو الذي أمر ببنائها وجعلها دار مملكته . انظر : **البكري الأندلسي** : المغرب في ذكر ، ص 27- 28 ؛ **ياقوت الحموي** : معجم البلدان ، 3 / 55 – 56 ؛ **القزويني** : آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ،ص 199 .

(3) ابن عذاري : البيان المغرب ، 1 / 150 .

(4) عبيد الله المهدي : هو عبيد الله بن محمد عبيد الله بن محمد بن جعفر بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق . غير إن المؤرخين اختلفوا في حقيقة هذا النسب انظر : **القرطبي** : صلة تاريخ الطبري ، ص 51 ؛ **ابن النديم** : الفهرست ، ص 323 – 325 ؛ **الهمذاني** : تكملة تأريخ الطبري ، ص 205 ؛ **الجويني** : تاريخ جهانكشاى ، ص 158 – 159 ؛ **القلقشندي** : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص 145 ؛ **ابن عنبة** : عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ، ص 235 – 236 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 1 / 112 – 113 ؛ الخطط المقريزية ،1 / 348 – 349 ؛ **القرماني** : أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، عالم الكتب (بيروت – د / ت) ص 189 – 190 .

للمزيد من التفاصيل حول نسب الفاطميين انظر : حسن : تأريخ الدولة الفاطمية ، ص 57 – 79 ؛ **العقاد**: فاطمة الزهراء و الفاطميون ، ص 94 – 120 ؛ **عنان**: الحاكم بأمر الله و أسراء الدعوة الفاطمية ، ، ص 47 – 75 ؛ **حتي** : تأريخ العرب مطول ، 3 / 732 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان أبو عبد الله قد أنفذ الرسل إلى المهدي في سلمية من أرض حمص ، في أثناء حروبه مع الأغالبة يدعوه للحضور إلى افريقية . (1) فرحب عبيد الله المهدي بهذه الفكرة وخاصة بعد النجاحات الكبيرة التي حققتها الدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب ، فضلا عن خوفه من الخلافة العباسية ، والتي أوعزت بالبحث عن صاحب هذه الدعوة في بلاد الشام ومصر وشمال أفريقيا ؛ إلا إن عبيد الله المهدي أستطاع الهرب من بلاد الشام والتوجه نحو مصر ، حيث دخلها بزي التجار ، لكن عامل مصر تمكن من التعرف على شخصيته الحقيقية وألقى القبض عليه ، إلا انه أطلق سراحه بعد أن بذل له عبيد الله المهدي الأموال الكثيرة وبعد تمكن عبيد الله من رشوة عامل مصر واصل مسيرَتهُ صوب بلاد المغرب الإسلامي حيث تمكن من دخول مدينة سجلماسة (2) لكن والي المدينة اليسع بن مدرار قبض عليه وعلى أبنهِ أبي القاسم وأودعهم في سجن المدينة . (3)

وبعد أن تمكن الصنعاني من القضاء على الأغالبة اخذ يعمل على إقرار الأمور في أفريقية ، ويعد العدة لغزو سجلماسة لإنقاذ عبيد الله المهدي من سجنها ؛ فجهز حملة عسكرية كبيرة في منتصف شهر رمضان من عام 296 هـ / 909 م ، أي بعد شهرين من دخوله مدينة رقادة . (4) فسار على رأس هذه الحملة الكبيرة ، حيث لم تكن بلاد المغرب قد شهدت مثلها منذ زمن طويل ، وخاصة من ناحية ضخامة أعداد هذا الجيش الجرار ؛ إذ يصف ابن عذاري ، بقوله : (كالدبى (5) المنتشر) . (6)

---

(1) **القرطبي** : صلة تأريخ الطبري ، 24 ، **المقريزي** : الخطط المقريزية ، 1 / 350 .

(2) **سجلماسة** : مدينة في جنوب بلاد المغرب ، في طرف بلاد السودان . انظرا : **المقدسي** : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص 231 ؛ **ياقوت الحموي** : معجم البلدان ، 3 / 192 ؛ **أبن بطوطة** : رحلة أبن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ص 606 .

(3) **الأنطاكي** : تاريخ يحيى ، ص 107 ، **أبن ظافر** : أخبار الدول ، ص 7 ، ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 1 / 144 – 145؛ **جوليان** ، شارل أندريه : تاريخ أفريقيا الشمالية ، 2 / 74 .

للمزيد من التفاصيل عن هذه الرحلة انظر : العبادي : تأريخ المغرب العربي ، 2 / 587 – 594 ؛ **تأمر** : المعز لدين الله الفاطمي ، ص 23 – 32 .

(4) **القاضي** النعمان : افتتاح الدعوة ، ص 275 – 276 ؛ **أبن ظافر** : أخبار الدول ، ص 7.

(5) **الدُبى** : أي الجراد قبل أن يطير ، **الجوهري** : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، 6/ 2450 ؛ **الميداني** : مجمع الأمثال ، 1 / 172 ، 2 / 65 ؛ **الدميري** : من حياة الحيوان الكبرى ، 1/ 334 ، 2/ 582 ؛ **ابن منظور** : لسان العرب ، 3 / 220 .

(6) البيان المغرب ، 1 / 152 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فكان من الطبيعي أن تبدأ القبائل ، والمدن المنتشرة على طوال الطريق إلـــى مدينـــة سجلماسة ، بإعلان طاعتها ، وولائها لأبي عبد الله الصنعاني . (1)

وصل أبو عبد الله مع جيشه الكبير إلى مدينـــة سجلماســـة فـــي شـــهر ذي الحجـــة عام 296 هــ / 909 م فاستسلمت المدينة بعد يوم واحد من المقاومة ، إذ لـــم تكـــن تمتلـــك من القوة ما تستطيع به مواجهة جيش أبي عبد الله الكبير ، ففضل أميرها اليسع بـــن مـــدرار الهرب ، فهرب مع بعض أهل بيته من المدينة في الليل ، فدخلها الصنعاني ، وتوجـــه نحـــو سجنها لكي يخلص سيده عبيد الله المهدي وولده أبـــا القاســـم . وعنـــدما رأى أبـــو عبـــد الله سيده المهدي خرَّ باكياً أمامه من شدة الفرح بمقابلته . (2) كما أمـــر جيشـــه بالانتقـــام مـــن أهالي المدينة بسبب إقدامهم على سجن عبيد الله وولده أبي القاسم ، فنهبت المدينـــة وأحرقـــت على أيدي جيش الصنعاني . (3)

أقام أبو عبد الله مع سيده عبيد الله المهدي وولده أبي القاسم في مدينة سجلماسة مـــدة أربعين يوماً أقر خلالها الأمور فيها ، وأعدَّ العدة للعودة إلى مدينة رقادة ، كمـــا ســـلم الأمـــر إلى عبيد الله المهدي وولده ، وذلك في شهر صفر عام 297 هــ / 910 م . فســـار المهـــدي وولده والداعي أبو عبد الله وأتباعهم في موكب كبير إلى افريقية ، يتقدم هذا الموكب عبيد الله المهدي . فوصلوها يوم الخميس 20 من ربيع الأخر عام 297 هــ / 910 م . وقـــد أســـتقبله أهالي مدينة القيروان وشيوخها وفقهاؤها في احتفال كبير ، ونزل عبيد الله المهدي في إحـــدى قصور مدينة رقادة . (4)

وفي يوم الجمعة 21 من ربيع الأخر عام 297 هــ / 910 م أمر عبيد الله المهـــدي أن يذكر آسمه في الخطبة في كل من مدينة رقادة والقيروان ، وأن يكون لقبـــه (خليفـــة الله) و (المهدي بالله أمير المؤمنين) . (5)

---

(1) **القاضي النعمان** : افتتاح الدعوة ، ص 276 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 8 / 48 .

(2) **القاضـــي النعمـــان** : افتتـــاح الـــدعوة ، ص 279 ؛ **الأنطـــاكي** : تـــأريخ يحيـــى ، ص 107 ؛ **ابـــن عـــذاري** : البيـــان المغـــرب ، 1 / 153 ؛ **المقريـــزي** : اتعـــاظ الحنفـــا ، 1 / 350 ؛ **أبـــن أبـــي دينار** : المؤنس ، ص 55 .

(3) **ابن عذاري** : البيان المغرب ، 1 / 153 .

(4) **القاضي النعمان** : افتتاح الدعوة ، ص 281 ؛ **الإنطاكي** : تاريخ يحيى ، ص 107 ؛ **الذهبي** : تـــاريخ الإسلام ووفيات المشاهير و الأعلام ، حوادث و وفيات 291 – 300 هــ ، ص 28 .

(5) **القاضي النعمان** : افتتاح الدعوة ، ص 293 ؛ **ابن الأثير** : الكامـــل ، 8 / 49 ؛ **المقريـــزي** : الخطـــط المقريزية ، 1 / 350 ؛ اتعاظ الحنفا ، 1 / 148 – 149 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبذلك قامت الدولة الفاطمية في بلاد المغرب بشكل رسمي بعد الجهد الذي بذله الداعي أبو عبد الله ، والذي استغرق نحو خمسة عشر عاماً يدعو إلى الدعوة الإسماعيلية (الفاطمية) ، ويعمل على القضاء على المعوقات والتحديات كافة التي قد تقف في طريق قيام هذه الدولة .

2 - الدولة الفاطمية في المغرب العربي

قضت الدولة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي قرابة السبعين عاماً ، تولى الخلافة الفاطمية في هذه المدة أربعة من الخلفاء ، (297 - 365 هـ / 910-975 م). **(1)** وقد بذل كل واحد من هؤلاء جهوداً كبيرة في سبيل تثبيت دعائم هذه الدولة الجديدة ، وتقوية مركزها ، ومدّ سلطانها إلى إنحاء بلاد المغرب كافة ، والقضاء على كل الحركات المعارضة لدولتهم الفتية . **(2)**

فبعد أن نجح الداعي أبو عبد الله الصنعاني في إقامة الدولة الفاطمية والقضاء على كل العقبات التي كانت تقف في طريق قيام هذه الدولة ؛ رأى عبيد الله المهدي أن الوقت قد حان للتخلص من هذا الداعي ونفوذه على بلاد المغرب بشكل عام وقبيلة كتامة بشكل خاص إذ رأى فيه خطراً حقيقياً على هيبة الدولة وسلطانه ، فعمل بعد سنة واحدة فقط من إعلان خلافته في المغرب على تدبير مؤامرة لاغتيال الداعي أبي عبد الله وأخيه العباس وذلك في عام 298 هـ / 911 م . **(3)**

---

(1) الشيال : تأريخ مصر الإسلامية ، 1/ 201 ؛ **لينبول** ، ستانلي لين : الدول الإسلامية ، ق1 ، ص 135 ؛ **زامباور** : معجم الأنساب و الأسرات الحاكمة في التأريخ الإسلامي ، ص 144 . **انظر الملحق رقم (1)** .

(2) انظر : **جوليان** : تأريخ إفريقيا الشمالية ، 2 / 75 - 76 ؛ **تأمر** ، عارف : القائم و المنصور الفاطميان أمام ثورة الخوارج ، الطبعة الأولى ، دار الأفاق الجديدة (بيروت - 1982 م) ص 5 - 46 .

(3) أختلف المؤرخون حول الأسباب التي دعت عبيد الله المهدي للتخلص من الداعي أبي عبد الله وأخيه العباس في عام 298 هـ / 911 م انظر : **القاضي النعمان** : افتتاح الدعوة ، ص 306 - 316 : كتاب المجالس و المسايرات ، ص 83 - 84 ؛ **الأنطاكي** : تاريخ يحيى ، ص 108 - 109 ؛ **الهمذاني** : تكملة تاريخ الطبري ، ص 205 ؛ **ابن ظافر** : أخبار الدول ، ص 8 - 10 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 8 / 50 - 53 ؛ **ابن عذاري** : البيان المغرب ، 1 / 164 - 165 ؛ **الذهبي** : تاريخ الإسلام (حوادث 291 - 300 هـ) ، ص 28 - 29 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلى الرغم من اختلاف المؤرخين حول أسباب أقدام عبيد الله على التخلص من أبي الله الصنعاني في عام 298 هـ / 911 م ، إلا أنه يمكن القول أن عبيد الله أراد التخلص من صاحب الفضل عليه في الوصول إلى عرش الخلافة .

غير إن قتل الداعي أبي عبد الله الصنعاني وأخيه العباس اثأر موجة من الاضطرابات عصفت بالبلاد وخاصة في مدينة القيروان ، حيث أثارت هذه الاضطرابات قبيلة كتامة حليفة الفاطميين وعصب جيشهم الرئيس ، إذ كانت قبيلة كتامة قد تعلقت بالداعي كثيراً وكان لقتله أثراً ساًء في نفوس رجالها ، فاشتبكوا مع أهالي مدينة القيروان ، غير إن عبيد الله المهدي تمكن من السيطرة على هذه الاشتباكات ، وإخمادها . **(1)**

كما عهد عبيد الله المهدي إلى ولده أبي القاسم بالخلافة من بعده ، وقيادة الجيش الذي خرج لإخضاع قبيلة كتامة وأصحاب الداعي ، الذين أعلنوا تمردهم على خلافة المهدي وزعموا أن أبا عبد الله الصنعاني لم يمت ، وأقاموا طفلاً وادعوا أنه المهدي الذي دعا إليه أبو عبد الله ؛ غير أن أبا القاسم تمكن من إخضاع قبيلة كتامة وأصحاب الداعي من جديد بعد أن ألحق بهم هزيمة ساحقة ، كما تمكن من قتل الطفل الذي نصبوه . **(2)**

كما رأى عبيد الله أنه يجب أن يبني مدينة جديدة تكون عاصمة لدولته ؛ فقام ببناء مدينة جديدة على شاطئ البحر مباشرة بالقرب من مدينة تونس عام 303 هـ / 915 م وأسماها المهدية . **(3)**

ويعلل العبادي سبب بناء المهدية إلى شعور الفاطميين بالحاجة إلى مكان حصين يحتمون فيه إذا ما تغيرت نفوس رعاياهم ، خصوصاً وان مدينة رقادة كانت تقع في وسط سهل فسيح لا يفي بالأغراض الدفاعية اللازمة ، كما أن المهدي رأى أن النفوذ الفاطمي في الداخل لازال ضعيفاً ، وأنه لابد من أن يعتمد على أسطوله القوي لحماية العاصمة وتموينها من جهة البحر إبان الأزمات . **(4)**

---

(1) القاضي النعمان : افتتاح الدعوة ، ص 320 – 323 ؛ **الأنطاكي** : تأريخ يحيى ، ص 109 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 1 / 150 .

(2) مؤلف مجهول : العيون والحدائق ، ج4 / ق1 ، ص 243 ؛ **ابن عذاري** : البيان المغرب ، 1 / 166 ؛ **ابن خلدون** : تاريخ ابن خلدون ، 4 / 37 – 38 .

(3) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، 1 / 152– 153 .

(4) في تأريخ المغرب والأندلس ، دار النهضة العربية (بيروت – 1978 م) ص 180 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد أن استقرت أوضاع الدولة الفاطمية في بلاد المغرب أخذ عبيد الله المهدي يعمل على تثبيت سلطته وتوسيع دائرة نفوذه في بلاد المغرب الأدنى والأوسط و الأقصى . (1)

وهكذا قامت الدولة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي بفضل جهود كل من الداعي أبي عبد الله الصنعاني الذي مهد الطريق لقيام هذه الدولة . في حين ثبت عبيد الله المهدي دعائم هذه الدولة وعمل على توسيع دائرة نفوذها وسلطتها في أنحاء بلاد المغرب .

3 - دخول الفاطميين مصر ، وبلاد الشام

بدأت الخلافة العباسية بالضعف منذ العصر العباسي الثاني نتيجة تدخل القادة الأتراك وسيطرتهم على دفة الحكم ، واستبدادهم بالسلطة ، حتى أصبح الخلفاء العباسيون كالبيادق على رقعة الشطرنج يحركها القادة الأتراك كيفما يشاؤون . (2)

فكان من الطبيعي أن أخذت سلطة الخلافة العباسية بالضعف ، وبالتالي فقد تمزقت وحدة البلاد ، وظهرت على مسرح الأحداث كيانات سياسية جديدة أخذت على عاتقها إدارة تلك البلاد التي تقع تحت حكمها ، والدفاع عنها ضد أي عدو خارجي ، وخاصة بعد أن عجزت السلطة المركزية في بغداد عن أدارة تلك المناطق أو الدفاع عنها ، فسيطر الحمدانيون على الموصل وشمال بلاد الشام ، والإخشيديون على مصر وبلاد الشام والحجاز . (3)

فاستطاع أبو بكر محمد بن طغج (الإخشيد) (4) بفضل جهوده المتميزة سواء كانت

---

(1) **الإنطاكي** : تأريخ يحيى ، ص 109 – 110 ؛ **ابن عذاري** : البيان المغرب ، 1 / 168 –169 ؛ **ابن خلدون** : تاريخ ابن خلدون ، 4 / 38 – 40 ؛ **الناصري** : الاستقصا لإخبار المغرب الأقصى ص 182 – 188 .

(2) انظر : **السامرائي** : تأريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي (132 – 656 هـ / 479 – 1258 م) ، ص 101 – 108 .

(3) **حسن** : المعز لدين الله ، ص 76 – 77 .

للمزيد من التفاصيل حول هذه الكيانات انظر : المعاضيدي : تأريخ الدويلات العربية و الإسلامية ؛ **حسن** : تاريخ الإسلام .

(4) **الإخشيد** : لقب ملوك فرغانة ، ويعني بالعربية (ملك الملوك) ، وقد أطلق عليه الخليفة العباسي الراضي بالله (322– 329هـ) هذا اللقب نظرا لجهوده المتميزة في خدمة الخلافة العباسية ، ولان نسب أبي بكر محمد بن طغج يرجع إلى هذه سلالة ملوك فرغانة . انظر : **الكندي** : ولاة مصر ، ص 306 ؛ **الهمذاني** : تكملة تأريخ الطبري ، ص 358 ؛ **ابن خلكان** : وفيات الأعيان ، 3 / 30 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سياسية أم عسكرية من تأسيس إمارة وراثية في مصر عام 323 هـ / 935 م ، وعندما توفي عام 334 هـ / 945 م آلت الوصاية على ولده (أنوجور) (1) إلى كافور الإخشيدي (2) الذي استبد بالسلطة في مصر زهاء إحدى وعشرين عاماً (3)

ويصف المؤرخون عهد كافور الإخشيدي بأنه كان عهداً أسود توالت فيه المصائب على الديار المصرية والشامية . (4)

توفي كافور في عام 357 هـ / 968 م . فاجتمع رجال الدولة على تولية أبي الفوارس أحمد بن علي أبي الحسن بن الإخشيد الولاية ، الذي كان يبلغ من العمر أحد عشر عاماً ، فعينوا الحسن بن عبيد الله بن طغج والي الشام وصيا عليه . (5)

وهكذا ساعد اضطراب أمور مصر السياسية والاقتصادية والصحية في عهد كافور الإخشيدي الخليفة الفاطمي المعز لدين الله على العمل على تحقيق أحلامه وطموحاته في فرض سيطرته على الديار المصرية ومن ثم بلاد الشام والحجاز . (6)

تولى الخلافة الفاطمية ، أبو تميم معد (المعز لدين الله) بعهد من أبيه المنصور عام 341 هـ / 952 م . وقد أمتاز هذا الرجل بالشجاعة ، والذكاء ، حيث قال عنه ابن أبي

---

(1) **أنوجور** : وتعني بالعربية محمود . انظرا : **القلقشندى** : مآثر الأناقة في معالم الخلافة ، 1 / 306 .

(2) **كافور الإخشيدي** : هو الأستاذ أبو المسك كافور بن عبد الله الإخشيدي ، كان عبداً أسود اشتراه أبو بكر الإخشيد في عام 312 هـ / 924 م بثمانيةَ عشرَ ديناراً ، فرباه واعتقه ، ثم رقاه حتى جعله من كبار القواد لما رأى من حزمه ، وذكائه ، وحسن التدبير ، حتى جعله أتابكاً لولديه ؛ وعندما توفي الإخشيد تولى تدبير دولته . انظر : **ابن خلكان** : وفيات الأعيان ، 2 / 283 ؛ **ابن تغري بردى** : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، 4 / 1 – 2 .

(3) **السيوطي** : حسن المحاضرة في تأريخ مصر والقاهرة ، 1 / 597 .

(4) انظر : **الأنطاكي** : تاريخ يحيى ، ص 130 ؛ **سبط بن الجوزي** : مرآة الزمان في تأريخ الأعيان ، الحقبة 345 – 447 هـ ، ص 142 ؛ **ابن خلكان** : وفيات الأعيان ، 2 / 385 ؛ **المقريزي** : الخطط المقريزية ، 1 / 239 – 230 .

(5) **أيليا برشينايا** : تأريخ أيليا برشينايا ، ص 199 ؛ ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة ، 4 / 9 – 10 .

(6) **للمزيد من التفاصيل عن أوضاع مصر قبيل السيطرة الفاطمية انظر** : **سرور** : الدولة الفاطمية في مصر ، سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة في عهدها ، ص 50 – 58 ؛ **شلبي** : موسوعة التاريخ الإسلامي ، الطبعة الثامنة ، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة – 1990 م) 5 / 108 – 125 ؛ **عنان** : الحاكم بأمر الله ، ص 18 – 24 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دينار : (كان عالماً ، فاضلاً ، جواداً ، سمحاً ، شجاعاً جارياً على منهج أبيه ، من حسن السيرة ، وإنصاف الرعية) . (1) كما وصفه المقري التلمساني بقوله : (... المعز أعظم خلفاء العبيديين ، وكان سلطانه قد عم جميع طول المغرب من أول الديار المصرية إلى البحر المحيط) . (2) كما وصفه لينبول بأنه : (كان رجلاً نزيها ، ذكيا ، وسياسياً بارعاً متضلعاً في شؤون السياسة) . (3)

وضع المعز لدين الله نصب عينيه حلم آبائه وأجداده في إقامة خلافتهم في المشرق ، والقضاء على سلطان العباسيين في عموم الديار المصرية ، وتوطيد نفوذهم فيها واتخاذها مركزاً لانطلاقهم إلى بلاد الشام والحجاز ، حيث مهد دعوتهم ؛ فأرسل المعز لدين الله عسكره إلى الواحات المصرية الغربية ، إلا إن الجيش المصري تمكن من التصدي لهم وألحقَ بهم خسائر فادحة . (4)

ساعدت الأوضاع التي يعيشها العالم الإسلامي آنذاك المعز الفاطمي على تحقيق حلمه في الاستيلاء على مصر ؛ فقد استقرت الأوضاع الداخلية للفاطميين في بلاد المغرب منذ عهد أبيه المنصور ، بينما وقعت الخلافة العباسية فريسة سهلة بيد البويهيين إذ أستبد هؤلاء بالسلطة منذ دخولهم بغداد عام 334 هـ / 945 م . فقد أشار البيروني إلى استبداد هؤلاء بالسلطة ، بقوله : (أن الدولة والملك قد انتقلا من آل العباس إلى آل بويه ، والذي بقى في أيدي الدولة العباسية ، إنما هو أمر ديني اعتقادي لا ملكي دنيوي) . (5) كما أن المعز كان على اطلاع تام بأخبار الخلافة العباسية ؛ وأصاب كبد الحقيقة حين وصف حال العباسيين مع البويهيين الديلم ، بأنهم كانوا مع الأتراك أكثر نفوذاً ، وأعظم سلطاناً مما أصبحوا عليه مع البويهيين ، الذين تسلطوا على ما بأيديهم ، ولم يبقَ لهم شيئاً من النفوذ وملكوهم ، وأذلوهم ، وتغلبوا على ما بأيديهم ، وصاروا عيلة عندهم . (6)

---

(1) المؤنس ، ص 63 .

(2) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، 2 / 345 .

(3) سيرة القاهرة ، ص 115 .

(4) **علي الحموي** ، أبو الفضل محمد بن علي : التأريخ المنصوري تلخيص الكشف و البيان في حوادث الزمان ، (مخطوطة مصورة) ، عنى بنشره بطرس غريازنيوج ، أكاديمية العلوم للاتحاد السوفيتي ، دار النشر للآداب الشرقية (موسكو – 1963 م) ص 132 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 27 .

(5) **البيروني** : الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ص 132 .

(6) **القاضي النعمان** : المجالس والمسايرات ، ص 197 ؛ **حسن** : المعز لدين الله ، ص 77 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بدأ المعز لدين الله يعمل على تمهيد الطريق للاستيلاء على الديار المصرية ، وذلك عن طريق نشر الدعوة الفاطمية في هذه الديار أولاً ، مستغلاً ما ساد فيها من الاضطرابات حيث لم يكد يستقل كافور الإخشيدي بحكم مصر ، وما يليها من البلاد في عام 355 هـ / 966 م حتى أنقسم الجند على أنفسهم إلى فريقين : فريق الإخشيدية وفريق الكافورية فاستغل المعز الفاطمي هذا الانقسام ، وأرسل رسله إلى كافور يدعوه إلى الدخول في طاعته والاعتراف بسيادته على مصر ؛ فرحب بهم كافور ولاطفهم ؛ إلا أنه لم يعطهم أي رد حاسم على مطالبهم ، في حين أستطاع الدعاة الفاطميون أن يأخذوا البيعة للخليفة المعز لدين الله الفاطمي من كثير من رجال بلاطه ، وكبار موظفي دولته . **(1)**

وعندما تُوفي كافور الإخشيد عام 357 هـ / 968 م اضطربت الأحوال السياسية في مصر، فاجتمع رجال الدولة على تولية أبي الفوارس أحمد بن علي أبي الحسن بن الإخشيد ولم يكن تجاوز الحادية عشرة من عمره فعينوا الحسن بن عبيد الله بن طغج (اخو الإخشيد) والي الشام وصياً عليه . **(2)**

غير أن الحسن بن عبيد الله لم يبقَ بمصر طويلاً فقد عاد إلى بلاد الشام بعد أن حاول الاستبداد بالأمور ، وترك مصر مسرحاً للفوضى مدة خمسة أشهر ، غير أن وزير كافور الإخشيدي أبا الفضل جعفر بن الفرات أستقل بتدبير أمور ولاية مصر ، وقبض على طائفة من كبار الموظفين وذوي الرأي وصادرَ أموالهم وأملاكهم . **(3)**

ولم يكن في وسع الوزير آبن الفرات أن يصلح شيئا مما أنتشر بمصر من فوضى سياسية واقتصادية في أواخر عهد الإخشيديين ، وأن يخفف المصائب عنها ، بل ساءت في أيامه أوضاع الحكومة المالية حيث حل الوباء والقحط في البلاد جراء انخفاض نهر النيل وفقدت الحكومة هيبتها ، وعلى الأخص حين عجزت عن دفع رواتب الجند ، وجمع الضرائب فاندلعت تمردات الجند ضده . **(4)** مما حمل كثيراً من أولى الرأي في مصر إلى مكاتبة المعز الفاطمي يطلبون منه القدوم إلى الديار المصرية لإنقاذها من الفوضى التي انتشرت فيها منذ تولي كافور الحكم ، ووعدوه المساعدة والنصر على شرط أن يملك البلاد بغير حرب . **(5)**

---

(1) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، 2 / 27 .

(2) أيليا برشينايا : تأريخ أيليا برشينايا ، ص 119 ؛ **ابن تغري بردي** : النجوم الزاهرة ، 4 / 9 – 10 .

(3) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 3 / 427 .

(4) ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة ، 4 / 23 – 24 .

(5) الأنطاكي : تاريخ يحيى ، ص 129 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عندها أدرك المعز لدين الله أن الفرصة قد حانت للاستيلاء على مصر ، ولاسيما أن الظروف الاقتصادية والاجتماعية المتردية التي سادت مصر ستساعده على تحقيق ذلك ؛ وكان قد شرع قبيل وفاة كافور الإخشيدي بإنشاء الطرق ، وحفر الآبار في طريق مصر وأقامت المعسكرات على رأس كل مرحلة ، وذلك عام 356 هـ / 967 م . **(1)** ثم شرع بعد ذلك بالدعاية لحملته العسكرية على مصر وبالتحديد في قبيلة كتامة ، من أجل كسب تأييدها وإشراكها في تنفيذ ذلك . **(2)**

ولما وصلت الأخبار بوفاة كافور الإخشيدي عام 357 هـ / 968 م ، واضطراب أوضاع مصر السياسية بعد وفاته ، أخذ المعز الفاطمي في إعداد الأموال اللازمة لتجهيز حملته العسكرية على مصر، كما بعث إلى دعاته في الديار المصرية أعلاماً ، وأمرهم أن يوزعوها على الجند الذين يؤيدون بيعته ، لينشروها إذا ما اقتربت عساكره من الديار المصرية . **(3)**

وعهد المعز لدين الله الفاطمي إلى قائده المشهور جوهر الصقلي بقيادة هذه الحملة العسكرية الضخمة سار جوهر الصقلي على رأس جيشه في الرابع عشر من شهر ربيع الأول عام 358 هـ / 969 م ، فخرج المعز لدين الله وأولاده وحاشيته ، وأهل دولته لوداعهٍ ؛ فسار جوهر حتى وصل مدينة برقة ، فقدم له صاحبها فروض الطاعة ، واحتفل بلقائه ؛ حيث كان المعز قد كتب إليه أن يترجل للقائد جوهر ، ويقبل يده عند لقائه ؛ ففعل ما أمر به المعز عند لقائه بجوهر . **(4)** ثم مضى جوهر في سيره قاصداً مدينة الإسكندرية التي دخلها من غير مقاومة تذكر ، حيث استطاع بفضل حنكته وتجاربه أن يظهر للمصريين عطفه ، ووده ، ولاسيما بعد أن أدرك حسن نية الأهالي نحوه ، فأمر جنده بعدم التعرض لهم بسوء ، وأجزل لهم الأموال ، فرضى الفريقان عنه وعن سياسته . **(5)**

عاد الوفد ومعه عهد الأمان إلى مدينة الفسطاط ؛ فركب الوزير بن الفرات ومعه وجهاء القوم ، ولما قرأ على الناس العهد ، تحاوروا وتناظروا فيه فامتنع القوم عن قبول

---

(1) ابن أبي دينار : المؤنس ، ص 64 .

(2) القاضي النعمان : المجالس والمسايرات ، ص 138 – 136 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 1 / 172 .

(3) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، 1 / 173 – 178 .

(4) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 1 / 194 .

(5) حسن : المعز لدين الله ، ص 85 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك ورجعوا عن الصلح . **(1)**

بعد أن رفض أهالي الفسطاط عقد الصلح مع جوهر بدأ الجند (الإخشيدية – الكافورية) الاستعدادات اللازمة لمواجهة القوات الفاطمية ، فولوا نحرير شويزان **(2)** قيادتهم وسلموه الإمارة ، فسار نحرير على رأس الجند إلى مدينة الجيزة ، ونزلوا بها ، وتولوا حراسة الجسور المودية إلى مدينة الفسطاط . **(3)**

وعندما علم جوهر بذلك سار هو الآخر على رأس جيشه صوب الجيزة ، فوصلها في منصف شعبان عام 358 هـ / 969 م ، واستولت قواته على منية شلقان **(4)** ممّا اجبر قسم غير قليل من الجند المصريين إلى العبور بمراكبهم إلى جوهر الصقلي ، وتسليم أنفسهم لطلب الأمان منه ، بينما بقى القسم الأخر منهم مرابطين على الجانب الآخر من مدينة الفسطاط من أجل حمايتها ؛ إلا إن أحد قادة جوهر ويدعى جعفر بن فلاح الكتامي تمكن من العبور مع قسم من القوات الفاطمية إلى هذه الجهة من الفسطاط ، وأوقع بالإخشيدية والكافورية وقتل عدداً كبيراً منهم ، فاضطر الباقون إلى الانسحاب ، وأتجه القسم الأكبر منهم إلى بلاد الشام بعد أن فقدوا الكثير من زعمائهم . **(5)**

وعندما علم أهل الفسطاط بهزيمة الإخشيدية والكافورية أرادوا تجديد الصلح وطلب الأمان من جديد ، فخرج الناس يريدون الشريف أبا جعفر مسلم الحسيني ، ودخلت النساء عليه وطلبن منه مكاتبة جوهر الصقلي في إعادة الأمان ؛ فكتب إليه يهنئه بالنصر والفتح ويسأله الأمان من جديد ، فوافق جوهر على منحهم الأمان مرة ثانية ، وأرسل إليه مع صاحب شرطة الفسطاط رسولاً ، ومعه بند أبيض عليه أسم المعز لدين الله ، وطيف به على الناس يؤمنهم ، ويحرم عليهم أعمال السلب و النهب ؛ فهدأت المدينة وسكن الناس ، وعاد الأمن وفتحت الأسواق من جديد . **(6)**

---

(1) الأنطاكي : تأريخ يحيى ،ص 132 ؛ **ابن خلكان** ، 1 / 194 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 1 / 182 .

(2) نحرير شويزان : من كبار رجال الدولة الإخشيدية . انظر : **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 1 / 189 .

(3) الأنطاكي : تأريخ يحيى ، ص 132 ؛ **أبن تغري بردى** : النجوم الزاهرة ، 4 / 30 .

(4) منية شلقان : قرية كبيرة عامرة بالقرب من مدينة الفسطاط . انظر : **الإدريسي** : نزهة المشتاق ، 1 / 330 .

(5) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، 1 / 183 ؛ **ابن تغري بردى** : النجوم الزاهرة ، 4 / 31 .

(6) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 1 / 194 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم شرعت القوات الفاطمية بقيادة جوهر الصقلي بدخول المدينــة ، فعبـروا الجسـر إليها ، فدخلها جوهر الصقلي يوم الثلاثاء السابع عشر من شعبان عـام 358 هـــ / 969 م ونزل في الموضع الذي اختط فيه مدينة القاهرة ، كما أنه أختط موضع القصر فيهــا ؛ ولمــا أصبح المصريون حضروا إليه لكي يهنئوه فوجدوه قد حفر أساس القصر في تلك الليلة ، ولم يكن في ذلك الموضع أية عمارة من قبل . (1)

وبعث جوهر الصقلي بالبشــارة إلــى مــولاه المعــز لــدين الله ، يبشــره بــالفتح والنصر كما أنفذ إليه أيضا مع البشارة رؤوس القتلى مــن أعدائه ؛ فلما وصلت البشارة إلــى المعز الفاطمي بفتح مصر ، سر سروراً عظيماً ، وأنشد محمد بن هاني الأندلســي (شــاعر بلاطه) قصيدة جاء في مطلعها :

تقولُ بنو العباس : هل فتحتْ مصر فَقُــلْ لبني العباسِ : قد قضِي الأَمر . (2)

بعد أن شرع جوهر بوضع أساس مدينة القاهرة (3) التي أصبحت فــي مــا بعــد حاضرة الخلافة الفاطمية ، أمر بحذف الدعوة العباسية من على المنــابر المصــرية ، كــذلك أمر بإزالة السواد (شعار العباسيين) ، والبس الخطباء الثياب البيض (شــعار الفــاطميين) كما أمر بالدعاء عقب الخطبة بـــ : (اللهم صل على محمد المصطفى ، وعلــي المرتضــى وعلى فاطمة البتول ، وعلى الحسن و الحسين سبطي الرسول ، الــذين أذهــب الله [**سبحانه وتعالى**] عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، اللهم صلَ على الأئمة الطاهرين آباء أمير المؤمنين) . (4)

كما أمر بضرب السكة الحمراء (الدينار الفاطمي) ، والتي كتب على أحد وجهيهــا عبارة (دعاء الإمام معد بتوحيد الإله الصمد) ، وفي السطر الثاني من الوجه نفسه (المعــز لدين الله أمير المؤمنين) ، وفي السطر الأخير (بسم الله ، ضرب هذا الدينار بمصــر ســنة ثمان وخمسين وثلاثمائة) ، وعلى الوجه الثاني (لا اله إلا الله محمــد رســول الله ، أرســله بالهدى ودين الحق ليظهرَهُ على الدين كله ولو كره المشركون . على أفضل الوصيين وزيــر

---

(1) **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 1 / 184 .

(2) **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 1 / 184 ؛ **ابن تغري بردى** : النجوم الزاهرة ، 4 / 31 .

(3) **للمزيد من التفاصيل حول بناء مدينة القاهرة انظر** : **عنان** ، محمد : مصر الإسلامية ، وتاريخ الخطط المصرية ، الطبعة الثانية ، لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة – 1969 م) ص 18 – 34 .

(4) **ابن خلكان** : وفيات الأعيان ، 1 / 195 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خير المرسلين) . (1) كما أمر بأن يؤذن في جميع المساجد في مصر (بحيَّ على خير العمل) ؛ وعلى الرغم من جميع هذه التغييرات إلا أنه أبقى الموظفين المصريين في وظائفهم لكنه أشرك مع كل موظف مصري موظفاً آخر من المغاربة ، فأصبحَ في كلّ ديوان موظفان أحدُهما مصري والآخر مغربي . (2)

وبهذه الصورة فقد زالت الدولة الإخشيدية ، وانقطعت الخطبة العباسية من الديار المصرية عام 358 هـ / 969 م ، التي أصبحت ولاية تابعة للدولة الفاطمية التي أصبحت تمتد من المحيط الأطلسي غرباً إلى البحر الأحمر شرقاً .

بعد أن أتمَّ الفاطميون سيطرتهم على مصر ، بدأوا بالتحرك باتجاه بلاد الشام لما لذلك من ضرورة سياسية وعسكرية ، ولنشر الدعوة الفاطمية فيها . (3) وهناك عدة دوافع جعلت الفاطميين يسعون إلى السيطرة على بلاد الشام ؛ إذ إنهم خشوا من انتقام العباسيين بسبب سيطرتهم على مصر ، كما أن جوهر الصقلي كان يدرك تماماً أن بلاد الشام هي خط الدفاع الأول عن مصر، لأن الخلافة العباسية لن تقف مكتوفة الأيدي إزاء ذلك فقامت بالتقرب من القرامطة والتآمر معهم ضد الفاطميين ، ومن جهة أخرى فان السيطرة على بلاد الشام سيجعل الأسطول الفاطمي الضخم قادراً على التحكم في معظم السواحل الشامية والإفريقية التي تشرف على البحر المتوسط . (4)

كما أن استيلاء الفاطميين على بلاد الشام كان الهدف منه القضاء على القرامطة الذين بدوا يناوئون سادتهم الفاطميين ؛ وقد أدرك المعز لدين الله زوال نفوذه عليهم ، وازدياد نفوذ منافسيه من أبناء أبي سعيد الجنابي (5) كما أن المعز استاء كثيراً من استيلاء القرامطة

---

(1) **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 1 / 187 .

(2) **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 1 / 189 – 190 .

(3) **سرور** : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص 117 ؛ **المعاضيدي** : الحياة السياسية في بلاد الشام ، ص 22

(4) **حسن** : المعز لدين الله ، ص 92.

(5) **أبو سعيد الجنابي** : هو الحسن بن أحمد أبو سعيد الجنابي ، القرمطي المعروف بالأعصم ، واصله من الفرس ولد في الإحساء عام 278 هـ ، أصبح فيما بعد كبير القرامطة في البحرين ، كما تمكن من الاستيلاء على أغلب بلاد الشام ، كما ألحق الهزائم المتتالية بجيش المعز لدين الله الفاطمي ، بحيث تمكن في أحدى هذه المعارك من قتل قائده جعفر بن فلاح الكتامي ، كما حاصر مصر عدة شهور ، قبل مجيء المعز لدين الله إليها ، ويظهر طاعة الخليفة العباسي الطائع لله ، وكان شاعراً ، مات في مدينة الرملة عام 366 هـ . انظر : **أبن عساكر** : تاريخ دمشق الكبير ، 15 / 5 ؛ **الذهبي** : العبر في خبر من غبر ، 2 / 123 ؛ **الصفدي** : الوافي بالوفيات ، 11 / 373 – 374 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على مدينة دمشق عام 357 هـ / 968 م بعد أن كان القرامطة لا يحاربون إلا بأمر من الفاطميين ؛ فكان فتح بلاد الشام يعد نوعاً من التحدي للقرامطة ، كما أن جوهراً كان يذكر دائما إن سيده المعز لدين الله يبغض كل من يقف في وجه الحجاج ، ويقطع عليهم الطريق في أثناء توجههم لأداء فريضة الحج ، لذلك فقد كانت رغبة الفاطميين في الاستيلاء على بلاد الشام أن يحققوا للمسلمين عامة والمصريين خاصة ، ما عجز عنه الخلفاء العباسيون من القضاء على القرامطة . (1) فضلا عن ذلك فقد كانوا يسعون للوصول إلى الأماكن المقدسة في كل من المدينة المنورة حيث قبر الحبيب المصطفى ، رسول الرحمة (**عليه أفضل الصلاة ، وأتم التسليم**) ، ومكة المكرمة حيث بيت الله (**عز وجل**) الحرام ، أن تصبح تحت نفوذهم ، فيضيفون بذلك إلى الخلافة الفاطمية صبغة دينية أكبر بوصف أنها حامية الحرمين الشريفين فتكسب بذلك أحقيتها في خلافة المسلمين ، وبلقب (أمير المؤمنين) . (2)

وكانت بلاد الشام تابعة للدولة الإخشيدية ، فلما آلت مصر إلى الفاطميين كان من الطبيعي أن يستولي هؤلاء على هذه البلاد التابعة لها ، لذلك سعى الفاطميون للاستيلاء على بلاد الشام لاتخاذها مركزاً لتوجيه حملاتهم ضد الخلافة العباسية في العراق هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فانه كان من الضروري أن يظل نفوذ مصر قوياً في بلاد الحجاز كما كان أيام الإخشيديين . (3)

وسواء أكانَ الاستيلاء على بلاد الشام تحدياً للعباسيين أم القرامطة أم البيزنطيين ، أم هو ميراث آلَ إليهم عن طريق الإخشيديين ، فان جوهر الصقلي لما أيقن باستقرار الحكم الفاطمي في الأراضي المصرية ، وجّهَ جيشاً كبيراً إلى بلاد الشام بقيادة قائده جعفر بن فلاح الذي كان له الدور البارز في تحطيم الدفاعات الإخشيدية في مدينة الفسطاط ؛ فسار جعفر بن فلاح على رأس جيشه إلى بلاد الشام في أواخر عام 359 هـ / 969 م ؛ فلما وصلت أنباء هذه الحملة إلى الإخشيديين في بلاد الشام أخذوا يعدون أنفسهم لصدَ هذه الحملة ، فخرج الحسن بن عبيد الله نائب الإخشيديين في بلاد الشام من مدينة دمشق قاصداً مدينة الرملة بعد أن ترك قائداً له يدعى شمولاً الإخشيدي نائباً له على دمشق ؛ وعندما وصل الحسن بقواته إلى الرملة ، وردت إليها الأنباء بمسير القرامطة فاضطر الحسن لمحاربتهم قبل أن يستعد لملاقاة الفاطميين فحلت به الهزيمة على يد القرامطة ، وسقطت مدينة الرملة بأيديهم ، مما

---

(1) **حسن** : تأريخ الدولة الفاطمية ، ص 152 .

(2) **ابن خلدون** : مقدمة ، ص 205 .

(3) **حسن** : المعز لدين الله ، ص 93.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اجبر الحسن إلى عقد صلح معهم تعهد بموجبه بدفع مبلغ من المال قدره ثلاثمائة إلف دينار سنوياً للقرامطة . وبعد أن تخلص الحسن بن عبيد الله من خطرهم أعد عدته لملاقاة جعفر بن فلاح وقواته فأرسل إلى عمله شمولاً في دمشق ، والصباحي والي بيت المقدس ، إلا إن الاثنين لم يستجيبا لندائه ، حيث كان شمولٌ حاقداً على الحسن بن عبيد الله بن طغج ، مما أضطره إلى مواجهة القوات الفاطمية وحَدَهُ . (1)

أما جعفر بن فلاح فما أن بلغ مدينة الرملة حتى أخذ يدعو ولاة الشام إلى طاعة الخليفة الفاطمي المعز لدين الله ، ويعدهم بالإحسان ؛ فاستجاب له قسمٌ منهم ، فاضطر الحسن ابن عبيد الله أن يواجه ضغط القوات الفاطمية وحده ، فاستطاع جعفر بن فلاح من إنزال الهزيمة بقوات الحسن بعد المعركة التي دارت بينهما ، وتمكن من أسر الحسن مع معظم جنوده ، فبعثه جعفر بن فلاح إلى الفسطاط أسيراً ؛ ثم أرسله جوهر بعد ذلك إلى المعز لدين الله في بلاد المغرب . (2)

أخذ جعفر يواصل عملياته العسكرية في بلاد الشام فاتجه إلى طبرية بعد أن استخلف ابنه على الرملة ؛ وعندما وصل إلى طبرية بنى معسكره أمام الجسر الذي يشرف على المدينة ، فأدرك والي المدينة الاخشيدي بأنه لا طاقة له على محاربة الفاطميين فسلم المدينة لجعفر بن فلاح ، وأقيمت الخطبة للمعز لدين الله الفاطمي . (3)

فلما وصلت الأخبار إلى دمشق باستيلاء القوات الفاطمية على طبرية خاف أهالي دمشق على أنفسهم ومدينتهم من عبث المغاربة (جند الفاطميين) ، فأرسلوا إلى جعفر بن فلاح جماعة من كبار مشايخها ، يطلبون منه الأمان والموادعة ، إلا ان جعفراً لم يحسن استقبالهم فاضطروا إلى العودة إلى المدينة بعد أن نهبت المغاربة أموالهم ؛ وقد أستاء أهالي مدينة دمشق كثيراً من هذا الأمر وأصروا على مواجهتهم . (4)

---

(1) **الأنطاكي** : تأريخ يحيى ، ص 138 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 8 / 591 ؛ **الدواداري** : كنز الدرر وجامع الغرر ، الجزء السادس بعنوان (الدرر المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية) ، ص 122 – 123 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 1 / 245 .

(2) **ابن الأثير** : الكامل ، 8 / 591 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 1 / 192 .

(3) **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 1 / 192 ؛ **النخيلي** : فتح الفاطميين للشام ، ص 138 – 140 .

(4) **الدواداري** : الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية ، ص 125 – 127 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 1 / 193 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استطاعت القوات الفاطمية التي نزلت بظاهر مدينة دمشق من إلحاق الهزيمة بأهالي دمشق ، الذين رفضوا الاستسلام لهم ، وتمكنت من دخول المدينة بعد مقاومة كبيرة من أهلها ؛ وأقيمت الخطبة للمعز الفاطمي فيها في شهر محرم عام 359 هـ / 969 م . **(1)**

بعد أن تمكن جعفر من الاستيلاء على مدينة دمشق أعتقد أن الأمر قد أستقر فيها للفاطميين فتركها وعاد إلى الرملة ، فأستغل أهل دمشق فرصة غيابه عن المدينة وثاروا بزعامة الشريف أبي القاسم ابن أبي يعلي الهاشمي الذي جمع حوله الأحداث **(2)** كما تمكن من كسب تأييد عامة الناس الذين كانوا ساخطين على القوات الفاطمية التي دخلت المدينة بحد السيف ؛ فقطع الشريف الخطبة للمعز لدين الله ، وأعادها للخليفة العباسي المطيع لله (334 – 363 هـ / 946 – 973 م) ، ولبس السواد ، فلما علم جعفر بعصيان أهل دمشق عاد مسرعاً إليها للقضاء على هذا العصيان . **(3)**

بعد أن عاد جعفر إلى دمشق بدأ بقتال المتمردين الذين لم يتمكنوا من الصمود طويلاً أمام جند المغاربة المتمرسين على القتال ، فانهزموا إلى داخل المدينة ، فلما علم أهل المدينة بانهزامهم ، وعجزهم عن صدهم ، أرسلوا بعض وجهاء القوم من أجل مفاوضة جعفر ابن فلاح في عقد الصلح ، وطلب الأمان من جديد ، وإصلاح مدينتهم التي أصابها الخراب والدمار على أيدي جنوده وأعادتها إلى ما كانت عليه قبل قدومه ، لكن جند جعفر تمكنوا من القبض على أعضاء هذا الوفد قبل وصولهم إلى جعفر ، فسلبوهم ثيابهم وأموالهم ، بل أنهم أقدموا على قتل بعضهم ، وجرحوا الآخرين . **(4)**

واصل جعفر بن فلاح سياسته في إخضاع أهل دمشق وتمكن من تحقيق ذلك بعد قتال شديد الحق فيه جنده الكثير من الأذى بأهل دمشق مما أجبرهم على إرسال وفد ثالث من

---

(1) ابن ظافر : إخبار الدول ، ص 24 .

(2) الأحداث : الحدث لغةً الفتى أي الشاب ، واصطلاحاً :– أولئك الشباب العاملون تحت أمرة صاحب الأحداث ، والذي كان عبارة عن موظف إداري – قضائي . وأول ظهور لهذه الفئة كان في مدينة البصرة في بداية القرن 2هـ / 8 م ، وكانت لهم واجبات محدودة ، ثم تحول الأحداث بمرور الزمن إلى أمن داخلي محلي ومسلح ، مهمته حراسة الأمراء ، ذلك في منتصف القرن 3 هـ / 9 م ، ثم تحول إلى حزب شعبي منظم ، ومسلح كان عمله السياسي ، والحربي في بلاد الشام واضحاً . انظر : **عبيد** ، طه خضر : دور الأحداث في العراق وبلاد الشام في القرنين 2 – 4 هـ / 8 – 9 م ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، الجزء الثاني – المجلد الثاني والخمسون ، سنة 2005 م ، ص 197 .

(3) ابن الأثير : الكامل ، 8 / 591 ؛ **ابن تغري بردى** : النجوم الزاهرة ، 4 / 33 .

(4) الدواداري : الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية ، ص 127 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 194/1 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مقدميهم لمقابلته ، وطلب الأمان منه ، فأعطاهم الأمان بعد أن بذل هـذا الوفـد الكثيـر مـن الجهد ، وأستقر الرأي بينهم على أن يدخل هو ورجاله للصلاة في جامع دمشق ؛ فلما كان يوم الجمعة ، دخل هو وأصحابه وصلى فيه ، وأقيمت الخطبـة للخليفـة الفـاطمي مـن جديـد وانقطعت عن الخليفة العباسي في شهر محرم عام 360هـ / 970 م . **(1)**

رأى جعفر بن فلاح بعد ذلك أنه لا يستطيع توطيد النفوذ الفاطمي في بلاد الشـام إلا بالقضاء على زعماء المدينة الذين أخذوا يعارضون النفوذ الفاطمي فيها ، فأرسل جنـده فـي طلبهم فتمكنوا من إلقاء القبض على بعضهم ، فأمر جعفر بضرب أعناقهم ، وصلب جثـثهم وتعليق رؤوسهم على أبواب المدينة . **(2)**

أما مدينتا حمص وحلب اللتان كانتاً بيد الحمدانيين آنذاك ، فقـد دخلتـا فـي طاعـة الفاطميين ، حيث قطعت الخطبة فيهما لبني العباس وأقيمت للمعز لدين الله الفاطمـي وذلـك في شهر ربيع الأول عام 360هـ / 970م ، فأرسل إليهما جوهر الصقلي من مصر الأمـوال والهدايا والخلع الفاطمية . **(3)**

استمر جعفر بن فلاح في نشر النفوذ الفاطمي في بلاد الشام حتى ملك الساحل أجمعه كما يذكر ابن ظافر . **(4)** وبهذه الصورة تمت الحملة الفاطمية على بلاد الشام والتـي بـدأت بالخروج من مصر ، فكانت مدينة الرملة أولى المدن الشامية التي سقطت في يد جعفر، والتي انتهى خط سيرها عند مدينة أنطاكية ومشارف الأسكندرونه ماراً بطبرية ودمشق . **(5)**

لكن سرعان ما تعرض النفوذ الفاطمي في بلاد الشام لتحديات كبيرة وخطيرة عملـت على زعزعته في هذه المنطقة ، وتمثل ذلك في خطر الروم البيزنطيين الذين بقوا يهددون من حين لأخر منطقة الثغور والمدن الشمالية والساحلية لبلاد الشام ، أما الخطر الثاني فقد كـان من جانب قرامطة البحرين والذي كان يعد من أشد الأخطار التـي هـددت النفـوذ الفـاطمي هناك . **(6)**

---

(1) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، 1 / 194 .
(2) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، 1 / 195 – 196 .
(3) ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة ، 4 / 58 .
(4) أخبار الدول ، ص 24 .
(5) النخيلي : فتح الفاطميين ، ص 135 .
(6) للمزيد من التفاصيل حول هذه الإخطار التي تعرض لها النفوذ الفاطمي في بلاد الشام انظر : سرور : النفوذ الفاطمي في بلاد الشام ، ص 21 – 58 ؛ **المعاضيدي** : الحياة السياسية ، ص 33 – 78 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لما أيقن المعز لدين الله الفاطمي أن دعائم ملكه قد توطدت في مصر وبلاد الشام عول على الرحيل إلى الديار المصرية ، لاتخاذ مدينة القاهرة عاصمة لدولته وحاضرة لخلافته فخرج من مدينة المنصورية في شوال عام 361 هـ / 972 م ونزل في قرية بالقرب من القيروان تدعى سردانية ، فتبعه أهل بيته والكثير من أتباعه إلى هذا المكان كما انه جمع كل أمواله حتى يقال إن الدنانير سبكت وجعلت كهيئة الطواحين وحمل كل طاحونتين على جمل . **(1)** وعلى الرغم من أن ذلك قد يكون ضربا من المبالغة إلا أنها تشير بوضوح إلى حجم الكنوز التي كان يملكها الفاطميون في بلاد المغرب .

وفضلا عن ذلك فقد قام المعز الفاطمي بأخذ رفات آبائه وأجداده عبيد الله والقائم والمنصور في توابيت من خشب لدفنهم في مصر . **(2)**

وبعد أن استخلف المعز يوسف بلكين بن مناد الصنهاجي على أفريقية ، تابع سيره إلى مصر ماراً ببرقه ، ودخل الإسكندرية في شعبان عام 362 هـ / 973 م ، فاستقبله أعيان البلاد وعلى رأسهم القاضي أبو طاهر الذهلي (قاضي مصر) ، فلقيهم المعز لدين الله وأكرمهم وأحسن إليهم ، ثم غادر الإسكندرية قاصدا القاهرة في أواخر شعبان ، فوصلها في رمضان عام 362 هـ / 973 م ، ودخل القصر الشرقي (الذي كان قد بناه له جوهر الصقلي) ولما صعد المعز إلى إحدى ردهاته سجد لله تعالى وصلى ركعتين ، وفي اليوم التالي لوصوله جاءت إليه وجوه البلد والأشراف والعلماء والقضاة والشهود وسائر الرعية لتهنئته بوصوله والاحتفاء به . **(3)**

أصبحت الدولة الفاطمية تمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى البحر الأحمر شرقا ، ونافست القاهرة بغداد حاضرة الخلافة العباسية ، وكان لتلك المنافسة ابعد الأثر في الحضارة العربية الإسلامية . **(4)**

---

(1) ابن الأثير : الكامل ، 8 / 620 .

(2) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، حوادث 345 – 447 هـ ، ص ؛ **الجبرتي** : عجائب الآثار في تراجم والأخبار 1 / 48 ؛ **مشرفة** : نظم الحكم بمصر ، ص 48 .

(3) ابن الأثير : الكامل ، 8 / 622 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 1 / 203 – 204 .

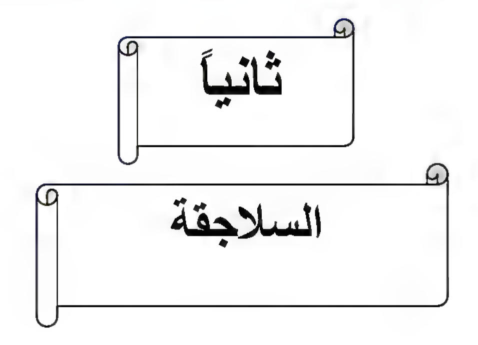
(4) حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص 147 .

للمزيد من التفاصيل عن طبيعة انتشار النفوذ الفاطمي في العالم الإسلامي انظر : سرور : النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ، ص 9 – 99 ؛ **ماجد** : سياسة الفاطميين في الخليج العربي مستمدة من السجلات المستنصرية ، وثائق فاطمية معاصرة ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد الثاني عشر ، سنة 1980 م ، ص 406 – 412 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد أن حلت القاهرة محل المنصورة وغدت عاصمة الدولة الفاطمية أصبحت على احتكاك مباشر بالخلافة العباسية في العراق، فسعى كلا الطرفين للقضاء على الأخر وإظهار مدى أحقيته في خلافة المسلمين ، مما أفسح المجال أمام الطامعين والمنافقين من أمراء الأطراف للعب دوراً بارزاً في هذا الصراع ، وخاصة بالنسبة للفاطميين ، إذ ضعف نفوذهم في بلاد المغرب وأستقل بولايتها بعض الأمراء ولم يأتِ القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي إلا وقد زال منها النفوذ الفاطمي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit



1 - السلاجقة

ينحدر السلاجقة إلى قبيلة (القنق) التركمانية ، التي تنتمي إلى مجموعة القبائل الأتراك المعروفة (بالغز) أو (التغرغز) ، وكان هؤلاء يسكنون أواسط أسيا ، حيث يقيمون في الصحراء الشاسعة التي تمتد من حدود الصين حتى شواطئ بحر قزوين ، لكنها أخذت تهاجر من مناطقها نتيجة الظروف الطبيعية القاسية لتلك المنطقة ، وقلة مراعيها ، فضلا عن الحروب والصراعات المستمرة فيما بينها ؛ فاتجهت إلى بلاد ما وراء النهر ، التي دخلتها على شكل موجات ، وذلك في غضون القرن الثاني والثالث والرابع الهجري / الثامن والتاسع والعاشر الميلادي . (1)

وجاءت تسميتهم بالسلاجقة نسبة إلى جدهم وزعيمهم سلجوق بن دقاق أو تقاق ، التي تعني (القوس من الحديد) ، كما عرف عن أبيه شجاعته وشهامته وحسن تدبيره ، لهذا أصبح مقدماً عليهم . وكان دقاق وقبيلته في خدمة أحد ملوك الترك الذي كان يدعى (بيغو) ، فلما مات أحب ملك الترك بيغو ، ولده سلجوق وقربه إليه وجعله (سباشي) التي تعني قائد الجيش ؛ فاستطاع سلجوق من خلال هذا المنصب ، فضلا عن شجاعته ورجاحة عقله وكرمه من أن يستميل إليه الكثير من الجند والقادة والعامة ؛ فأخذت زوجة ملك الترك تحرض زوجها على التخلص من سلجوق ، فلما علم بما تدبره زوجة الملك ضده رحل هو وأفراد قبيلته وأنصاره ودخلوا بلاد الإسلام ، وقد أدت مجاورة السلاجقة للسامانيين والخانيين ، والغزنويين إلى اعتناق الإسلام على المذهب السني الذي كان سائداً في تلك الحقبة في هذه المنطقة ، وأخذوا على عاتقهم حماية المنطقة والدفاع عنها ضد كفار الترك ، حيث

---

(1) **بارتولد** ، لام : تأريخ الترك في آسيا الوسطى ؛ **رايس** ، تامارلبوات : السلاجقة تاريخهم وحضارتهم ، ص 17- 21 ؛ **حسنين** ، عبد النعيم : دولة السلاجقة ، ؛ **حلمي** ، احمد كمال : السلاجقة في التأريخ و الحضارة ، ص 21 ؛

The New Encylopaedia Britannica , art , Seljuqs , Vol 16 , P 504 Knolwedge in Dept 1943 -1973

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان ملك الترك يأخذ الخراج من المسلمين في هذه المنطقة ، فحاربه سلجوق وأتباعه وتمكنوا من طرد عمال ملك الترك وبذلك صفت منطقة ما وراء النهر للمسلمين . (1)

بعد ذلك حصل تقارب بين السلاجقة والسامانيين نتيجة الخدمات الكبيرة التي قدمها السلاجقة للسامانيين أثناء نزاعهم مع القراخانيين حيث اشتركوا إلى جانب السامانيين في هذا النزاع ، مما جعل السامانيين يسمحون لهم بالمرور عبر أراضيهم للإقامة على مقربة من شاطئ نهر سيحون حيث اتخذ السلاجقة مدينة جند (2) مقرا لهم . (3)

توفي سلجوق بن دقاق وقد تجاوز عمره المائة عام ، وله من الأولاد ميكائيل وموسى ، وبيغو أرسلان المدعو إسرائيل الذي تولى قيادة السلاجقة بعد أبيه سلجوق (4) وقد جاءت الظروف لمصلحة السلاجقة فقد زالت الدولة السامانية في عام389 هـ / 998 م وآلت أملاكها إلى القرخانيين والغزنويين ، فاستفاد السلاجقة من هذا التوزيع السياسي الجديد فأخذوا يوسعون مناطق نفوذهم ، وخاصة بعد تزايد أعدادهم ، فأصبحوا ينتقلون مابين مدينة نور قرب بخارى في الشتاء ومدينة سغد قرب سمرقند في الصيف . (5)

استقر السلاجقة في هذه المدة مابين بخارى وسمرقند بسبب توافر المياه والكلأ والمرعى واخذوا يستعدون للقيام بدور أكثر أهمية في هذه المناطق ، واستطاعوا خلال سنوات قليلة من إعداد جيش كامل العدد والعدة (6) وقد ساعدهم على ذلك تمسكهم بتعاليم الدين الإسلامي وكثرة أعدادهم فضلا عن ولائهم المطلق لرؤسائهم وقادتهم ، حيث بقوا متحفظين بخصائص حياتهم القومية ، فقد كان قادتهم مختلطين بشعبهم يشتركون معهم في الجهاد

---

(1) **الحسيني** : زبدة التواريخ أخبار الأمراء والملوك السلجوقية ، ص 23 – 25 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 8 / 474 ؛ **ابن الطقطقي** : الفخري في الآداب السلطانية ، ص 292 ؛ **أبو الفدا** : المختصر في إخبار البشر ، 2 / 163 ؛ **بك** : محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) ، ص 412 .

(2) **مدينة جند** : مدينه كبيرة في بلاد تركستان بينها وبين مدينة خوارزم عشرة أيام ، تقع وراء نهر جيحون ، وأهلها مسلمون ينتحلون مذهب أبي حنيفة ، **ياقوت الحموي** : معجم البلدان ، 2 / 168 .

(3) **الحسيني** : زبدة التواريخ ، ص 24–25 ؛ ابن الأثير : الكامل ، 9 /474 .

(4) **الحسيني** : زبدة التواريخ ، ص 25 ؛ ابن الأثير : الكامل 9 / 474 ؛ **المقريزي** : كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ1 – ق1 ، ص31 .

(5) **الراوندي** : راحة الصدور وأية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية ، ص 145 .

(6) **حسنين** : دولة السلاجقة ، ص 22 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والانتصارات ، كما كانوا لا يتعالون على جندهم حتى إن ملابس القادة العسكريين لـم تكـن تختلف كثيرا عن ملابس جندهم . (1)

بدأ السلطان محمود الغزنوي (388 – 421 هـ / 998 – 1030 م) يغتاظ لأمـر السلاجقة بعد ما رآه من كثرة جنودهم وقوة شوكتهم فلجأ إلى الحيلة والدهاء للقبض علـى قائدهم إسرائيل ، ليتمكن من تشتيت شمل أتباعه وأنصاره ، فكتب إليه يستميله ويرغبه فـي لقائه وضرب له موعدا للقائه بالقرب من نهر جيحون ، حيث دبر محمود مـؤامرة للقـبض عليه وعلى من يأتي معه من زعماء السلاجقة وقادتهم ، فلما جاء إسـرائيل وبعـض رجالـه أمر السلطان محمود بالقبض عليهم ، وحملهم إلى الهند حيث سجنهم في قلعة كالنجر ، وقـد حاول السلاجقة إنقاذ زعيمهم إسرائيل ألا أنهم فشلوا في ذلك ، وظل إسرائيل في سجنه إلـى أن مات في سنة 422هـ / 1030 م . (2)

تولى قيادة السلاجقة بعد إسرائيل أخوهُ ميكائيل ، وكان قائـداً مـاهراً ومحنكـاً مـن طراز رفيع ففكر بنقل السلاجقة إلى أقاليم خراسان ، والعمل علـى تثبيـت أقـدامهم هنـاك أولاً ، والسعي للانقضاض على الغزنويين وأخذ الثأر منهم ثانياً ، وتكوين دولة قوية تسـتطيع أن تخلف الغزنويين في إقليمي خراسان وما وراء النهر . (3)

أرسل ميكائيل إلى السلطان محمود الغزنوي يلتمس منـه الإذن للسـلاجقة بـالمرور من الأراضي التي تقع تحت سلطانه والرحيل إلى خراسان والإقامة في المنطقة الواقعة بيـن مدينتي (نسا) و(بارود) فإذن لهم بالرحيل إلى خراسان ، فعبروا نهر جيحون ، واسـتقروا في الإقليم بحدود عام 416 هـ / 1025 م . (4)

ولما قويت شوكة السلاجقة في خراسان طلـب طغرلبـك مـن والـي نيسـابور أن يأذن لقومه بالإقامة بالقرب من هذه المدينة ، فخاف والي المدينة من أن تكـون هـذه مكيـدة للسيطرة على نيسابور فرفض ذلك وطلب من السلطان مسعود بن محمود الغزنوي (421 –

---

(1) **بارتولد** : الترك في أسيا الوسطى ، ص 107 .

(2) **الراوندي**: راحة الصدور ، ص 149 ؛ **ابن النظام الحسـيني** : العراضـة فـي الحكايـة السـلجوقية ، ص 22 – 31 .

(3) **حسنين** : دولة السلاجقة ، ص 25 .

(4) **الأصفهاني** : تأريخ دولة آل سلجوق ، ص 184 ؛ **الراوندي** : راحة الصدور ، ص 151 ؛ **مستوفي قزوين** : تأريخ كزيدة ، 435 – 436 ؛ **ابن النظام الحسيني** : العراضة ، ص 32 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

432هـ / 1030 – 1040م) المساعدة لدفع خطر السلاجقة عن المدينة ، فأسرع مسعود إلى مدينة نيسابور في عام 426 هـ / 1034 م ، وأشتبك معهم في معركة ، أنهزم فيها السلاجقة في بادئ الأمر إلا أنهم ثبتوا في أماكنهم واستطاعوا الانتصار على مسعود في نهاية الأمر انتصارا باهراً أجبر مسعود على عقد الصلح معهم ترك بمقتضاه جميع إقليم خراسان لهم ، ورحل إلى الهند . **(1)** وكان لهذا الصلح أثر كبير في دعم قوة السلاجقة نفوذهم ، حيث استفادوا من هذا النصر في دعم نفوذهم في خراسان ، ولم يبق أمامهم إلا أن يعلنوا قيام دولتهم في ربوع هذه البلاد . **(2)**

2 - قيام الدولة السلجوقية

بعد أن لاحظ السلطان مسعود الغزنوي ارتفاع شأن السلاجقة في إقليم خراسان ، عاد في عام 429 هـ / 1037 م من بلاد الهند إلى مدينة غزنة **(3)** وطلب من والي خراسان العمل على محاربة السلاجقة وإبعادهم عن خراسان ؛ غير إن والي خراسان انهزمَ أمامهم ، وكذلك الجيش الذي بعثه السلطان مسعود لمحاربتهم في العام نفسه ؛ وتمكن طغرلبك بعد انتصاره على والي خراسان والجيش الغزنوي من دخول نيسابور، فجلس على عرش السلطان مسعود ، ولقب نفسه بـ (السلطان المعظم ركن الدنيا والدين أبو طالب) . **(4)** وبذلك أعلن رسمياً عن قيام الدولة السلجوقية في نيسابور عام 429 هـ / 1037 م .

أخذ السلطان طغرلبك يعمل على ترسيخ دعائم الدولة السلجوقية ونشر نفوذها ، فشن الحملات العسكرية على مناطق الغزنويين في عام 430 هـ / 1038 م . **(5)** فصمم السلطان مسعود على التوجه إلى خراسان لتأديب السلاجقة وإسقاط دولتهم غير الشرعية إلا إن جهود مسعود باءت بالفشل ، إذ تمكن السلاجقة من إنزال هزيمة نكراء بقواته عند

---

(1) **الراوندي** : راحة الصدور ، ص 155 – 156 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 9 / 478 .

(2) **حسنين** : سلاجقة إيران والعراق ، ص 27 ؛ **السامرائي** : تاريخ الدولة العربية في العصر العباسي (132 – 656 هـ / 479 – 1258 م) ، ص 207 – 208 .

(3) **غزنة** : مدينة عظيمة وولاية واسعة في أطراف خراسان ، وهي الحد الفاصل بين خراسان والهند . انظر : **ياقوت الحموي** : معجم البلدان ، 4 / 201 ؛ **القزويني** : آثار البلاد ، ص 428 .

(4) **الحسيني** : زبدة التواريخ ، ص 37 – 41 ؛ **الراوندي** : راحة الصدور ، ص 157 – 158 ؛ **ابن النظام الحسيني** : العراضة ، ص 33 – 34 .

(5) **ابن الأثير** : الكامل ، 9 / 479 – 480 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دندانقان (1) في عام 431 هـ / 1039 م ، فعاد مسعود مدحوراً إلى غزنة ، بعد أن غنم السلاجقة من معسكره غنائم وفيرة ، بينما رجع طغرلبك إلى نيسابور متوجاً بالنصر . (2)

كما أتخذ طغرلبك سياسة أدت إلى تقوية شأن دولته ، فقد عهد إلى أفراد من أبناء أسرته بحكم ولايات الدولة وأمرهم بالعمل على توطيد الحكم السلجوقي بها ، وتوسيع رقعة هذه الولايات بالعمل على ضم الأراضي إليها . (3)

أراد طغرلبك بعد أن أرسى أركان دولته أن يعطيها صفة رسمية ، وان يصبغها بالصفة الشرعية ، وذلك عن طريق الحصول على موافقة الخليفة العباسي وبذلك يحصل على الشرعية في حكم الأقاليم والمناطق التي تقع تحت سيطرته ؛ فكتب في عام 432 هـ / 1040 م رسالة إلى الخليفة العباسي القائم بأمر الله (422 - 467 هـ /1030 - 1075 م) يظهر فيها ولاءَهُ للخلافة العباسية ؛ وفي نهاية الرسالة طلب من الخليفة العباسي الاعتراف بقيام دولته ، والحصول على الشرعية منه . (4)

وفي الوقت الذي تمكن طغرلبك من دخول مدينة الري عام 434 هـ / 1042 م واتخاذها عاصمة لدولته ومقرا لحكومته ، وصل مبعوث الخلافة العباسية يحمل معه رد الخلافة على طلبه ، فاستقبله طغرلبك أحسن استقبال ؛ فدعاه مبعوث الخلافة العباسية لزيارة مدينة بغداد ، إلا إن طغرلبك طلب إرجاء هذه الزيارة إلى وقت إلى آخر . (5)

3 - دخول السلاجقة بغداد عام 447 هـ / 1055 م

ضعفت الخلافة العباسية كثيراً نتيجة سيطرة البويهيين عليها ، فقد استبد هؤلاء ومنذ دخولهم بغداد في عام 334 هـ / 945 م بالسلطة دون الخليفة العباسي ؛ ويشير البيروني إلى هذا الاستبداد ، بقوله : (إن الدولة و الملك قد انتقلا من آل العباس إلى آل بويه والذي

---

(1) **داندانقان** : بلدة من نواحي مرو الشاهجان ، على بعد عشرة فراسخ منها ، وهي تقع بين سرخس و مرو . انظر : **ياقوت الحموي** : معجم البلدان ، 2 / 477 .

(2) **الحسيني** : زبدة التواريخ ، ص 42 - 45 ؛ **الراوندي** : راحة الصدور ، ص 162 - 164 ؛ **المقريزي** : كتاب السلوك ، ج1 - ق1 ، ص 32 ؛ **السامرائي** : تاريخ الدولة العربية ، ص 209 .

(3) **الفقي** : الحياة السياسية في بلاد الجبل ويزد في عهد الكاكوية الديالمة ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد الثامن عشر ، سنة 1981م ، ص 258 .

(4) **الراوندي** : راحة الصدور ، ص 166 - 167؛ **السامرائي** : تأريخ الدولة العربية ، ص 210 -211 .

(5) **ابن الجوزي** : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، 8 / 119 ؛ **الراوندي** : راحة الصدور ، ص 167.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بقى في أيدي الدولة العباسية ، أنما هو أمر ديني اعتقادي لا ملكي دنيوي) . (1) ويرجع سبب استبداد البويهيين بالسلطة في بغداد دون الخليفة العباسي إلى اعتقادهم بأن بني العباس قد اغتصبوا الخلافة العباسية من أبناء عمومتهم العلويين الذين كانوا أحق منهم في خلافة المسلمين ، ولهذا فلم يكن لديهم أي باعث ديني يحثهم على طاعة الخلفاء العباسيين . (2)

فاستبد البويهيون بالسلطة ، وازدادت الخلافة العباسية ضعفاً ، وقد انعكس ذلك على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وظهور فئة العيارين والشطار (3) الذين عبثوا بأمن العاصمة بغداد . (4) ونتيجة لهذه الظروف ، وفي محاولة من الخليفة القائم على إنقاذ الخلافة العباسية من أوضاعها المزرية التي تعيشها في ظل السيطرة البويهية ، فعمل على التقرب من السلاجقة ، لأنه رأى في السلطان طغرلبك الوحيد القادر على ردع البويهيين ؛ إلا إن الخليفة العباسي لم يوضح أهدافه بصورة مباشرة بل أنه مهد لطغرلبك بذلك ؛ إذ اقتصرت العلاقات بين الخليفة القائم وطغرلبك في بداية الأمر على تبادل الرسائل والهدايا ، والتي ما لبثت أن تطورت حتى أصبح الخليفة يفكر بصورة جدية في الاستعانة بهم لحماية الخلافة العباسية من النفوذ الفاطمي الذي أخذ ينتشر في العراق في عهد الإمارة البويهية . (5)

أدرك السلطان طغرلبك في أثناء تبادل الرسائل والهدايا مع الخليفة العباسي ميل الأخير للسلاجقة ، وان الفرصة سانحة لإعلان سيطرته على العراق ، والقضاء على الأمير الملك الرحيم (440 – 447 هـ / 1048 – 1055 م) وبقية أفراد الأسرة البويهية وخاصة أنه قد تمكن من أحكام سيطرته على خراسان وبلاد فارس ولم يبقَ له سوى العراق

---

(1) الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ص 132 .

(2) **أبن الأثير** : الكامل ، 8 / 452 .

(3) **العيّارون والشطار** : العيار، لغوياً : الكثير التجول والطواف الذي يترد بلا عمل ، يخلي نفسه وهواها ، والشاطر ، لغوياً : من أعيا أهله خبثاً ، ويقال شطر عن أهله بمعنى نزح عنهم وترك موافقتهم وأعياهم خبثاً ولؤماً ، والشطارة الانفصال والابتعاد ، والشاطر هو الذي عصا أباه أو ولى وعاش في الخلاعة وشطر فلان شطارة : أتصف بالدهاء والخباثة . أما العيارون والشطار اصطلاحا : فأولئك هم اللصوص من الصعاليك والزعار و الدعار والحرافيش وأصحاب المهن المحقرة ، وأشباههم من المعدمين والفقراء ، والعاطلين عن العمل ، والذين طحنهم الفقر وأعجزتهم البطالة ، بسبب سوء تدبير الزعماء وغفلتهم عن مصالح العباد ، وانهماكهم في الملذات ؛ فضاقوا ذرعاً بغياب القانون وغيبوبة السلطان ، وغباوة العسكر ، وأهل الدولة . انظر : **النجار** : الشطار والعيارون في التراث العربي ، ص 7 – 8 .

(4) **سبط بن الجوزي** : مرآة الزمان في تأريخ الأعيان الحقبة 345 – 447 هـ ، ص 369 .

(5) **الخالدي** : الحياة السياسية : ونظم الحكم في العراق ، ص 174 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فسار في محرم عام 447 هـ / 1055 م إلى همذان ، فلما وصلها أمر عماله في المناطق المجاورة بالعمل على تجهيز قواته بالمؤن وجميع ما تحتاج إليه ؛ وعندما وصل طغرلبك حلوان (1) انتشر جنوده في طريق خراسان ، فانزعج أهل بغداد من مسير طغرلبك إليهم فخرج الأتراك إلى ظاهر بغداد لمواجهة السلاجقة . (2)

حاول طغرلبك دخول بغداد بطريقة سلمية حتى لا يثير مشاعر أهلها ضِدَهُ ، وحتى لا يظهر بمظهر المعتدي على الخلافة العباسية ذات المكانة الدينية الرفيعة لدى المسلمين فيثير مشاعر السخط لدى عموم المسلمين نحوه ، لذلك أرسل رسولاً إلى الخليفة القائم بأمر الله يحمل كتاباً يتضمن الدعاء والثناء للخليفة ، وأنه قصد الحضرة الشريفة للتبرك بمشاهدتها والمسير بعد ذلك إلى الحج وعمارة طريقه ، والانتقال إلى قتال أهل الشام وإسقاط المستنصر بالله الفاطمي (427- 487هـ / 1035- 1094 م) صاحب مصر .(3)

إلا إن الخليفة العباسي لم يرد على كتابه مباشرة بل أرسل إلى الملك الرحيم ، الذي عاد إلى بغداد مسرعاً بعد أن علم بمسير طغرلبك إليها ، وأنه قد ترك له حرية التصرف مع السلطان طغرلبك ؛ فاتفق الأمير البويهي مع الخليفة على عودة الجند الأتراك إلى داخل بغداد ، كما أرسلوا إلى طغرلبك يعلنون فيها الطاعة والخطبة ؛ فأرسل طغرلبك رسوله إلى الخليفة العباسي يظهر الولاء والطاعة له ، ويعد الجند الأتراك بالإحسان ؛ فأقيمت الخطبة في بغداد في الثاني والعشرين من شهر رمضان عام 447 هـ / 1055 م ، غير أن طغرلبك لم يكتفِ بذلك بل أرسل إلى الخليفة القائم يستأذنه في دخول بغداد . فإذن له الخليفة بذلك . (4)

دخل السلطان طغرلبك بقواته بغداد في الخامس والعشرين من شهر رمضان عام 447 هـ / 1055 م ، فاستقبل أروع استقبال ، وأعترف به الخليفة سلطاناً على جميع

---

(1) **حلوان** : مدينة سهلية جبلية على سفح الجبل المطل على العراق حيث تقع بين مدينة همدان وبغداد ، تبعد عن الجبل نحو فرسخين وعن شهرزور أربعة فراسخ . انظر : **البكري الأندلسي** : معجم ما أستعجم ، 2 / 463 ؛ **القزويني** : آثار البلاد ، ص 358 ؛ **الحميري** : الروض المعطار ، ص 195 .

(2) **ابن الأثير** : الكامل ، 9 / 609 .

(3) **ابن الجوزي** : المنتظم ، 8 / 164 ؛ بك : محاضرات في تأريخ الأمم ، ص 417 ؛ **الدوسكي** : همدان من الفتح الإسلامي إلى سقوطها بيد المغول (22 - 618 هـ / 642 - 1221 م) ، ص 112 .

(4) **ابن العمراني** : الإنباء في تاريخ الخلفاء ، ص 189 - 190 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 9 / 609 - 610 ؛ **الأربلي** : خلاصة الذهب المسبوك ، مختصر سير الملوك ، ص 265 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البلاد التي يملكها . (1) ولقبه بـــ (ركن الدين ملك الإسلام و المســلمين ، برهـــان أميــر المؤمنين) . (2)

أراد طغرلبك بعد دخوله بغداد التفــرد بالســلطة والــتخلص مــن الملــك الــرحيم فأستغل طغرلبك ثورة أهل بغداد ضد السلاجقة للتخلص منه ، حيث أتهمه بأنه العقل المدبـــر لهذه الثورة ، فأرسل إلى الخليفة العباسي بعد أن تمكن من إخمادها . (3) يقول له : (أن كان هذا من الملك الرحيم فهو لا يقدر على الحضور إلينا ، وإن كان بريئا من هذا ، فلا غناء عن حضوره) . (4)

وعندما سمع الخليفة القائم بذلك ألزم الملك الرحيم أن يخرج إلى الســلطان طغرلبــك ومعـــه كبـار القـواد وأعطـاهم أمانـه ، فخرجـوا إليـه ، فقبض طغرلبـك علـى الملـك الـرحيم والقواد الذين معه . (5) فانزعج الخليفة القائم مـــن موقف طغرلبك ، وأرسل إليه رسالة جاء فيها : (إنهم إنما خرجوا إليك بأمر وأماني ، فان أطلقتهم ، وإلا فأنا أفارق بغداد) . وأوضح له بعد ذلك أنه قد خاب ظن الخليفة به (فإني إنما اخترتك واستدعيتك اعتقاداً مني أن تعظـيم الأوامر الشريفة يزداد ، وحرمة الحريم تعظم ، وارى الأمر بالضد) . (6)

استجاب السلطان طغرلبك لتهديد الخليفة العباسي القائم بأمر الله ، وأطلــق ســراح بعض الأمراء ، لكنه لم يطلق سراح الملك الرحيم ، بل أرسله أسيراً إلى أحد القـــلاع بمدينـــة الري . (7)

---

(1) **الراوندي** : راحة الصدور ، ص 169 ؛ **مستوفي القزويني** : تاريخ كزيدة ، ص 352 .

(2) **ابن العمراني** : الإنباء في تاريخ الخلفاء ، ص 190 .

(3) **للمزيد من التفاصيل حول أسباب هذه الثورة انظر : البرهاوي** : علاقة العلماء بالخلافة العباســية فــي العصر السيطرة السلجوقية 447هـــ / 1055م – 552هـــ / 1157م ، أطروحة ماجستير غير منشورة كلية الآداب – جامعة الموصل 2002 م ، ص 25 – 26 .

(4) **أبو الفدا** : المختصر ، 2 / 173 .

(5) **ابن الوردي** : تتمة المختصر في أخبار البشر ، أو المعروف بتأريخ ابن الوردي ، 1 / 536 .

(6) **ابن الأثير** : الكامل ، 9 / 613 .

(7) **الحسيني** : زبدة التواريخ ، ص 60 ؛ **مستوفي القزوينـــي** : تـــاريخ كزيـــدة ، ص 425 ؛ **الخطيـــب الموصلي** : غاية المرام في محاسن بغداد دار السلام ، ص 148 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثاً

نشوء العلاقة بين السلاجقة والفاطميين

1 - انتشار الدعوة الفاطمية في العراق ، وموقف الأمراء البويهيين منها

كان العراق محط أنظار الفاطميين ، وعلى الأخص منذ دخول البويهيين بغداد عام 334 هـ / 945 م ، واستبدادهم بالسلطة وتجريد الخليفة العباسي من كل امتيازاته السياسية والعسكرية ، ولم يكتفوا بذلك بل شاركوهم في مظاهر سيادتهم الدينية . (1)

فضلا عن ذلك فأن البويهيين كانوا يعدون العباسين مغتصبين للخلافة من أصحابها الشرعيين وهم العلويون لذلك بدأوا ينحازون للفاطميين ، وكانت هناك محاولة في عهد معز الدولة البويهي (334 - 356 هـ / 945 - 966 م) لنقل الخلافة للفاطميين إلا أنه أحجم عن ذلك لدوافع سياسية ، إذ يقول ابن الأثير بهذا الصدد : (أن معز الدولة استشار جماعة من خواص أصحابه في إخراج الخلافة من العباسيين والبيعة للمعز لدين الله العلوي [الفاطمي] ، أو لغيره من العلويين ، فكلهم أشار عليه بذلك ما عدا بعض خواصه ، فإنّه قال : ليس هذا برأي ، فإنك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك أنه ليس من أهل الخلافة ولو أمرتهم بقتله لقتلوه ، مستحلّين دمه ، ومتى أجلست بعض العلويين خليفة كان معك من يعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته ، فلو أمرهم بقتلك لفعلوه . فاعرض عن ذلك) . (2)

وعلى الرغم من ذلك ، فقد بقى البويهيون على اتصال بالفاطميين ، وسمحوا لدعاتهم بنشر عقائد مذهبهم في العراق وغيره من المناطق التي كانت خاضعة لنفوذهم . (3)

حرص البويهيون على الاحتفاظ بنفوذهم السياسي في العراق وفي الوقت نفسه حاولوا التقرب من الخلفاء الفاطميين حيث تبودلت الرسائل بين الخليفة الفاطمي العزيز بالله (365 - 386 هـ / 975 - 996 م) ، وعضد الدولة بن ركن الدولة البويهي (367 -

---

(1) **سرور** : النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، ص 78 .

(2) **ابن الأثير** : الكامل ، 8 / 452 .

(3) **سرور** : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص 170 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

372 هـ / 977 – 982 م) ؛ ففي عام 369 هـ / 978 م أرسل العزيز بالله رسالة إلى عضد الدولة بعد أن أعترف الأخير بإمامة الخليفة الفاطمي ، وما أن وصلت هذه الرسالة إلى الأمير البويهي حتى أرسل رده في كتاب يعترف فيه بفضل أهل البيت ، ويقر للعزيز بالله بأنه من أهل النبعة الطاهرة ، وأنه في طاعته . وخاطبه في هذه الكتاب بالحضرة الشريفة . **(1)**

كان العزيز بالله الفاطمي يراقب الإحداث والأوضاع في العراق وبلاد الشام بصورة دقيقة لينتهز أية فرصة لتحقيق أحلام الفاطميين وأطماعهم في التوسع والسيطرة على العراق ونشر الدعوة الفاطمية فيه ؛ فكان عليه أولا توسيع دائرة نفوذه في بلاد الشام ومن ثم يسهل عليه القضاء على الخلافة العباسية فاستغل تمرد أحد قواد الحمدانيين ويدعى (بكجور)**(2)** الذي أعلن ولاءَهُ للفاطميين لتحقيق أطماعه وأحلامه في السلطة ، حيث أرسلَ كتاباً إلى العزيز يحثه على الاستيلاء على مدينة حلب نظراً لأهميتها الجغرافية ، كما أوضح له أنها طريق الفاطميين إلى العراق (جلالة حلب وكثرة أرتفاعها ، وأنها دهليز العراق ، وإذا حصلت له كان ما بعدها في يده) . **(3)**

أحس العزيز بالله بأن الفرصة قد حانت لتحقيق أطماعه فأجاب بكجور من غير تردد ، وكتب إلى الأمير نزال والي طرابلس الفاطمي والى غيره من ولاة البلاد الشامية يأمرهم بتجهيز العساكر واللحاق ببكجور ، وأن يكونوا تحت تصرفه عند قتال الحمدانيين والاستيلاء على مدينة حلب ؛ غير أن بكجور فشل في الاستيلاء عليها ، حيث تمكن الحمدانيون من هزيمته وصده عن المدينة . **(4)**

وبذلك تم القضاء على مخطط العزيز بالله ، الذي كان يهدف من وراء تأييد بكجور انتزاع مدينة حلب من أيدي الحمدانيين ، وتمهيد الطريق لمد نفوذ الفاطميين صوب العراق .

---

(1) ابن ظافر : أخبار الدول ، ص 33 – 34 ؛ **ابن تغري بردى** : النجوم الزاهرة ، 4 / 124 – 125 .

(2) بكجور : هو أبو الفوارس التركي ، مولى قرعويه ، أحد غلمان سيف الدولة أبي الحسن بن حمدان ، فلما استفحل أمره قبض على مولاه قرعويه وحبسه في قلعة حلب ، واستبد بحكم حلب نحو ست سنوات ، قبل أن يتمكن أبو المعالي بن سيف الدولة الحمداني من أخذه منه صلحاً بعد أن وعده بإعطائه مدينة حمص دخل في حروب طاحنة مع الحمدانيين ، فقتل على يد الأمير سعد الدولة بن حمدان بالقرب من حلب عام 381 هـ / 991 م . انظر : **ابن القلانسي** : ذيل تاريخ دمشق ، ص 27 – 39 ؛ **ابن عساكر** : تاريخ دمشق ، 10 / 291 .

(3) ابن القلانسي : تأريخ أبي يعلي حمزة القلانسي ، أو المعروف بذيل تأريخ دمشق ، ص 33 – 34 .

(4) ابن القلانسي : ذيل تأريخ دمشق ، ص 34 – 36 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 9 / 85 – 86 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلى الرغم من فشل مخططات العزيز بالله فيما يتعلق بحلب إلا أنه أستمر في محاولته لمد نفوذه إلى العراق ، إذ أستطاع بفضل سياسته ، واهتمامه بأمر الدعوة الفاطمية وأنفاقه الأموال اللازمة لنشرها ، من كسب تأييد بعض الأمراء العرب في العراق ومنهم العقيليون **(1)** حكام الموصل حيث أعلن أبو الدرداء محمد بن المسيب العقيلي **(2)** (380 – 382 هـ / 990 – 992 م) في محرم عام 382 هـ / 992 م ولاءَهُ للفاطميين وخطب للعزيز بالله الفاطمي كما نقش أسمه على السكة والبنود . **(3)**

كما نجح الحاكم بأمر الله الفاطمي (386 – 411 هـ / 996 – 1020 م) في عام 401 هـ / 1010 م في استمالة أمير الموصل قرواش أبن المقلد العقيلي (معتمد الدولة) **(4)** ، (391 – 444 هـ / 1000 – 1052 م) فخرج عن طاعة الخليفة العباسي

---

(1) العقيليون : هم أحدى القبائل الكبيرة ، وواحدة من الفروع الخمسة من بني كعب ، المنسوبة لقبائل مضر في الجزيرة العربية ، وقد انتشرت هذه القبائل في كل من سورية والعراق ، واستطاعوا في القرن الرابع الهجري من أن يحكموا كلاً من الموصل وشمال سوريه ، وكانوا يدفعون الخراج للحمدانيين فلما انقرضت الدولة الحمدانية ، تمتع العقيليون باستقلالهم ، وقد حكموا الموصل من عام 380 هـ إلى عام 489هـ . انظر : **لينبول** : الدول الإسلامية ، ق1 – ص 239 .

للمزيد من التفاصيل عن العقيليين انظر : المعاضيدي : دولة بني عقيل في الموصل (380 – 489 هـ) ، ص 27 – 55 .

(2) أبو الدرداء محمد بن المسيب العقيلي : هو الأمير أبو الدرداء محمد بن المسيب بن رافع بن المقلد بن جعفر بن مهند العقيلي ، ويعد المؤسس الأول لدولة بني عقيل في الموصل ، إذ أستطاع أن يكسب ود الحمدانيين في الموصل ، وخاصة بعد الخدمات الكبيرة التي قدمه لهم أثناء محاربتهم للأمير الكردي باذ عام 379 هـ / ، تولى حكم مدينة الموصل عام 380 هـ / 990 م ، غير أنه لم يستمر طويلاً في حكم الموصل ، إذ تمكن الجيش البويهي من الاستيلاء عليها عام 382 هـ / 992 م ، توفي عام 386 هـ / 996 م . انظر : **المعاضيدي** : دولة بني عقيل ، ص 52 – 54 .

(3) ابن الأثير : الكامل ، 9 / 21 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 1 / 306 ؛ **ابن تغري بردى** : النجوم الزاهرة ، 4 / 120 – 121 ؛ **حسن** : تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ، ومصر ، وسوريه ، وبلاد العرب ، ص 228 .

(3) قرواش أبن المقلد العقيلي : وهو الابن الأكبر للأمير حسام الدولة أبي حسان العقيلي ، تولى الحكم بعد اغتيال والده في مدينة الأنبار عام 391 هـ / 1000 ، وانفرد بالحكم رغم منازعة عمه الحسن بن المسيب والذي طمع في الإمارة بعد مقتل أخيه ، وظل قرواش يلي إمارة بني عقيل ، وحكم البلاد التي خضعت له نحو خمسين عاماً ، لقبه الخليفة العباسي القادر بالله بـ (معتمد الدولة) ، وكان أديباً وشاعراً ، قتل في مستهل رجب عام 444 هـ / 1052 م بأمر من ابن أخيه قريش بن بدران . انظر : **الذهبي** : سير أعلام النبلاء ، 17 / 633 – 634 ؛ **المعاضيدي** : دولة بني عقيل ، ص 57 – 58 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القادر بالله (381 – 422 هـ / 991 – 1030 م) ، وخطب للحاكم الفاطمي ، كما قام قرواش أيضا بنشر الدعوة الفاطمية في الموصل والأنبار والمدائن والكوفة ، مما حمل العلويين والعباسيين المقيمين في بعض هذه الأماكن بالهروب إلى بغداد . (1)

أستاء الخليفة العباسي القادر بالله حين بلغه ما فعله قرواش العقيلي في مدينة الموصل وانتشار الدعوة الفاطمية في بلاده ، حيث رأى في ذلك تهديداً حقيقياً لخلافته ، فصمم على التصدي لهذا الخطر عن طريق تحريض الأمراء البويهيين ضده ، فأرسل القاضي أبا بكر الباقلاني (2) إلى الأمير بهاء الدولة البويهي (379 – 403 هـ / 989 – 1012 م) ليطلعه على حقيقة موقف قرواش من الخلافة العباسية . عندها رأى بهاء الدولة مدى خطورة انتشار النفوذ الفاطمي في العراق على دولته فبدأ يعمل على محاربة هذا النفوذ حيث كتب إلى عميد الجيوش أبو علي بن أستاذ هرمز يأمره بالمسير إلى حرب قرواش العقيلي وأعطاه مائة ألف دينار ليستعين بها على نفقات جنده ، كما أكرم القاضي أبا بكر الباقلاني حيث خلع عليه ، وولاه قضاء عمان وبعض المدن الساحلية . (3)

فلما علم قرواش العقيلي بمسير عميد الجيوش البويهي لمحاربته ، أوقف الدعوة الفاطمية في بلاده ، وقطع الخطبة للحاكم الفاطمي ، وأعادها للخليفة العباسي القادر بالله ، كما بعث إلى عميد الجيوش يعتذر له عما بدرَ منه تجاه الخلافة العباسية . (4)

أدرك الخليفة القادر بالله مدى خطورة انتشار الدعوة الفاطمية في العراق ، بعد ما تجلى له النجاح الذي حققته هذه الدعوة في بعض المناطق والمدن وخاصة في الموصل

---

(1) **ابن الأثير** : الكامل ، 9 / 223 ؛ أبو الفدا : المختصر ، 2 / 139 ؛ **حسن** : تأريخ الدولة الفاطمية في بلاد المغرب ، ص 228 ؛ **المعاضيدي**: دولة بني عقيل ، ص 85 .

(2) **القاضي أبا بكر الباقلاني** : هو أبو بكر محمد بن الطيب بن جعفر بن القاسم ، البصري ، المعروف بابن الباقلاني ، كان على مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري ، ومؤيدا اعتقاده ، كان من أعلام زمانه ، كما كان موصوفاً بجودة الاستنباط ، وسرعة الجواب ، لذلك ضرب المثل بذكائه ، له تصانيف كثيرة في الرد على الرافضة ، والمعتزلة ، والخوارج ، والجهمية ، والكرامية ، حتى لقب بـ (بسيف السنة ، ولسان الأمة المتكلم على لسان أهل الحديث) . أنظر : **ابن خلكان** : وفيات الأعيان ، 2 / 359 ؛ **الذهبي** : سير أعلام النبلاء ، 17 / 190 – 193 .

(3) **ابن الأثير** : الكامل ، 9 / 223 ؛ **ابن خلدون** : تاريخ ، 3 / 442 .

(4) **ابن الأثير** : الكامل ، 9 / 223 ؛ **أبو الفدا** : المختصر ، 2 / 140 ؛ **الذهبي** : دول الإسلام ، 1 / 213 ؛ **الحنبلي** : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، 3 / 160 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والأنبار والمدائن والكوفة ، فبدأ يعمل على مناهضة الدعوة الفاطمية ، فقام بالتشهير بالفاطميين ، والطعن في نسبهم ، والتقليل من شأنهم ؛ إذ عقد اجتماعاً في ربيع الآخر عام 402 هـ / 1011 م دعا إليه كبار الفقهاء ، والقضاة ، والشهود ، والإشراف ، وعدداً من العلويين ، وقد أصدر هؤلاء محضراً يتضمن الطعن في نسب الفاطميين ، والتشهير بعقائدهم ، وشرعية إمامتهم ، وأنهم ليسوا من آل البيت ، وقع عليه جميع الحاضرين وقرئت نسخة من هذا المحضر في بغداد ، كما عملت منه عدة نسخ أرسلت إلى مختلف الإطراف لتقرا فيها . **(1)**

كما أراد الخليفة أيضا أن يربط بين محاربته الدعوة الفاطمية وبين الفرق الدينية الأخرى التي شاع ذكرها وقتذاك في العراق وغيره من البلاد الإسلامية ، فعمل على مناهضة هذه المذاهب لصلتها بمبادئ الدعوة الفاطمية وبذلك تيسر له الاحتفاظ بوحدة البلاد ضد تلك التيارات والفرق المتصارعة . **(2)**

مختلف الأقاليم الإسلامية بضرورة محاربة هذه الفرق الدينية ، فاستجاب لدعوته السلطان الغزنوي محمود بن سبكتكين ، إذ أمر بقتل عدداً من أفراد المعتزلة ، والرافضة وغيرها من الفرق الأخرى التي كانت موجودة في خراسان ، فضلا عن أنه قام بنفي إعداد كبيرة منهم وأمر أيضا بلعنهم من على منابر المسلمين في هذه المنطقة . **(3)**

استمر الخليفة العباسي القادر بالله على هذا النهج ، إذ عقد اجتماعاً في دار الخلافة في يوم الخميس 20 رمضان عام 420 هـ / 1029 م ، حضره الإشراف والقضاة والشهود والفقهاء والوعاظ والزهاد ، فقرا عليهم كتاب الخليفة القادر بالله ؛ وقد تضمن هذا الكتاب جزء من أخبار **سيدنا المصطفى** ، **نبينا الكريم** (**صلى الله عليه وسلم**) ، ووفاته ، وما روي عنه (**عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم**) في أمور الدين وشرائعه ، وفضل أصحابه الكرام (**رضي الله عنهم**) ، كما تضمن الطعن في مذهب المعتزلة ، ومن قال بخلق القرآن الكريم وتفسيقه ، وختمه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأخذت في آخر الاجتماع تواقيع الحاضرين على هذا الكتاب . **(4)**

---

(1) ابن الأثير : الكامل ، 9 / 326 ؛ **الجويني** : تاريخ جهانكشاري ، ص 174 – 177 ؛ **أبو الفدا** : المختصر ، 2 / 142 – 143 ؛ **ابن خلدون** : تاريخ ، 3 / 442 .

(2) الخالدي : الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق ، ص 81 .

(3) ابن الجوزي : المنتظم ، 7 / 378 ؛ **الحنبلي** : شذرات الذهب ، 3 / 186 .

(4) ابن الجوزي : المنتظم ، 8 / 40 – 41 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما صنف كتاباً في الأصول ، ذكر فيه فضل الصحابة (**رضي الله عنهم**) ، وتكفير من قال بخلق القرآن الكريم ؛ وكان هذا الكتاب يقرا في كل جمعة في حلقة أصحاب الحديث ليسمعه الناس . **(1)**

كما حاول الخليفة القادر بالله إعادة ثقة العامة بالخلافة العباسية ، فأهتم بتقصي أخبارهم وأحوالهم . **(2)**

وعلى الرغم من كافة الجهود التي بذلها الخليفة العباسي القادر بالله للتصدي الدعوة الفاطمية فلم يقف تيار هذه الدعوة داخل أراضي الخلافة العباسية ، فقد أتيحت الفرصة لدعاة الفاطميين لمواصلة جهودهم في نشر الدعوة الفاطمية وذلك في مستهل القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، حيث ساد الاضطراب في العراق بسبب تنافس الأمراء البويهيين على السلطة ، وازدياد نفوذ القادة الأتراك في بغداد ، الذين أخذوا يتدخلون في تولية أمراء بني بويه وعزلهم ، بل وإجبارهم على أن يحلفوا الطاعة والولاء لهم ، وكان هؤلاء الأتراك ينزعون دائما إلى الخروج على حكامهم طمعاً في ابتزاز الأموال ، وقد قاموا بعدة محاولات ترمي إلى خلع جلال الدولة البويهي (416 - 435 هـ / 1025 - 1043 م) ، وتولية أخيه أبي كاليجار . **(3)**

وكانت الدولة الفاطمية تراقب عن كثف الأوضاع السياسية في العراق من أجل التدخل في شؤونه الداخلية ، فاستغل الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله (411 - 427 هـ / 1020 -1035 م) الفوضى السياسية التي عصفت ببغداد بسبب تنافس الأمراء البويهيين فيما بينهم على السلطة ، فضلا عن الخلافات ما بين الجند الأتراك ، ولتحقيق رغبته في نشر الدعوة الفاطمية في العراق وعموم بلاد المشرق . **(4)**

ففي عام 425 هـ / 1033 م أرسل الظاهر لإعزاز دين الله الكثير من الدعاة الفاطميين إلى بغداد ، مستغلاً الفوضى السياسية هناك ، فاستجاب له الكثير من الناس . **(5)**

---

(1) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، 15 / 128 .

(2) ابن الأزرق : تأريخ الفارقي ، ص 131 ؛ **ابن الكازروني** : مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس ، ص 199 .

(3) ابن الأثير : الكامل ، 9/ 366-368 ؛ **حسن** : تأريخ الإسلام ، 3 /64 ؛ **سرور** : النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، ص 88 .

(4) انظر : **ابن الأثير** : الكامل ، 9 / 350 ؛ **ابن تغري بردى** : النجوم الزاهرة ، 4 / 251 .

(5) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، 2 / 44 : الخطط المقريزية ، 1 / 355 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما نجحت الدعوة الفاطمية في العراق بفضل الجهود التي بذلها الداعي المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي (داعي الدعاة) ، الذي قام بنشر الدعوة للخليفة المستنصر بالله الفاطمي (427 - 487 هـ / 1035 - 1094 م) ، حيث أستطاع أن يجذب الكثير من الديلم إلى الدعوة الفاطمية ، بل أنه أستطاع أن يجذب إليها الأمير البويهي أبي كاليجار بن سلطان الدولة (435 - 440 هـ / 1043 - 1048 م) . **(1)**

شعر الخليفة العباسي القائم بأمر الله (422 - 467 هـ / 1030 - 1073 م) بالخطر الذي يمثله داعي الدعاة فطلب من الأمير البويهي أبي كاليجار في عام 435 هـ / 1043 م تسليمه هذا الداعي ، كما هدده بالاستعانة بالسلاجقة (الذين بدأ نجمهم يظهر بقوة في سماء هذه المنطقة) ، إذا استمر نشاط دعاة الفاطميين في كل من بلاد فارس والأهواز فاضطر الأمير البويهي وتحت إلحاح الخليفة العباسي إلى أن يبعث برسالة إلى الداعي المؤيد في الدين يحذره من مغبة بقائه في شيراز **(2)** ، ولم يكتفِ أبو كاليجار بإرسال هذه الرسالة بل أنه أرسل إليه وفداً من كبار رجاله ، فلما التقوا به في شيراز عبروا له عن أسف أبي كاليجار للمصاعب التي سيلاقيها إذا نفذ ما كلفه به من الرحيل عن هذه المدينة ، كما قدموا إليه كتاب الخليفة العباسي ، الذي يتضمن التهديد بالاستعانة بالسلطان طغرلبك ، جاء فيه (.. والقول إنه إن كانت دعوة تعزي إليهم في الأيام المتقدمة ، فلقد كانت في الخفاء والستر.. .. وإن أحدا ما جَسَر على مثل ما جَسَر عليه هذا الرجل [يقصد داعي الدعاة] من الوقوف في بعض مواقف إظهاره وإشهاره والتجرد لدفع معالم ذكرهم بالصلاة والخطبة وإزالة أسامينا بالكلية ، وأنه إذا سومح في بابه وأهمل تسليمه في يد صاحبنا ، فقد أخرجتمونا من عهدة الإيمان والعهود بيننا وبينكم ، وأحوجتمونا إلى استنصار من ينصرنا عليكم ....) . **(3)**

---

(1) الشيرازي : سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة ، ص 43 - 55 ؛ **حسين** : ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة ، ص 25 - 27 .

(2) شيراز : مدينة كبيرة في إقليم فارس ، تقع في وسط هذا الإقليم بينها وبين مدينة نيسابور مائتان وعشرون فرسخاً ، وهي أيضا تعتبر قصبة هذا الإقليم . انظر : **المقدسي** : أحسن التقاسيم ، 429 - 431 ؛ **ياقوت الحموي** : معجم البلدان ، 3 / 381 .

(3) الشيرازي : سيرة المؤيد في الدين ، ص ص 56 ، 64- 65 .

للمزيد من التفاصيل عن سياسة الفاطميين في العراق وموقف الخلفاء العباسيين منها انظر : **النعيمي** : الخلافة العباسية في ظل التسلط البويهي ، ص 188 - 217 ؛ **القزاز** ، عبد السلام محمد يونس : الخليفة العباسي القائم بأمر الله (422 - 467 هـ / 1030 - 1074 م) أطروحة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة الموصل - 1988 م ، ص 145 - 150 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نلاحظ من خلال سياسة البويهيين أن هدفهم من وراء التقرب من الخلفاء الفاطميين في مصر لم يكن عقائدياً بقدر ما كان سياسياً ، حيث أراد هؤلاء من خلال هذا التقارب أن يصبح في أيديهم سلاح الدعوة الفاطمية للضغط على الخلفاء العباسيين حتى لا يفكروا بالاستعانة بالقوي الإسلامية الموجودة في المشرق الإسلامي ؛ ومما يؤكد هذا الأمر سياسة الأمراء البويهيين أنفسهم مع الفاطميين التي توضح أهدافهم الحقيقية .

فنرى مثلاً أن تقارباً سريعاً حصل بين عضد الدولة البويهي والخليفة الفاطمي العزيز بالله ، إلا إن هذه العلاقة سرعان ما تبدلت بعد مدة قصيرة ، خاصة بعد أن شعر عضد الدولة بخطر الدعوة الفاطمية على نفوذه في كل من العراق وبلاد فارس ، كما أنه خاف أن يخرج الأمر عن زمام سيطرته وذلك لان الخلفاء العباسيين لم يكونوا ليسمحوا بانتشار النفوذ الفاطمي في دولتهم ، فضلا عن التنافس على منصب (أمرة الأمراء) من قبل أمراء الجند البويهيين ، ولكي يتخلص عضد الدولة من هذه المعضلة ويكسب الخليفة العباسي إلى جانبه أخذ يجهز قواته لغزو مصر ، وانتزاعها من أيدي الفاطميين ، حيث يذكر أبو المنصور البغدادي بأن عضد الدولة تأهب للمسير إلى مصر وكتب على أعلامه (بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد خاتم النبيين ، الطائع أمير المؤمنين أدخلوا مصر إن شاء الله أمنيين) . **(1)** غير إن هذه المحاولة لم تتم بسبب وفاة عضد الدولة عام 372 هـ / 982 م .

كما عمل الأمراء البويهيون على التقرب من الدعاة الفاطميين والعمل على حمايتهم إلا أنهم كانوا ينقلبون عليهم أذا ما تعرضت مناطق نفوذهم أو مصالحهم للخطر بسبب نشاط هؤلاء الدعاة ، بل ويسعون إلى إخراجهم منها ، هذا بالضبط ما حصل مع المؤيد في الدين الشيرازي (داعي الدعاة) مع الأمير البويهي أبي كاليجار . **(2)**

كما أن بعضاً من الأمراء البويهيين عملوا على التصدي للدعوة الفاطمية في العراق ومحاربتها أمثال الأمير البويهي بهاء الدولة الذي كتب إلى عميد الجيوش يأمره بالمسير إلى الموصل لمحاربة أميرها قرواش بن المقلد العقيلي الذي خرج على طاعة الخليفة العباسي القادر بالله في عام 401 هـ / 1010 م ، وخطب للحاكم بأمر الله الفاطمي . **(3)**

---

(1) الفرق بين الفرق ، ص 218 .

(2) **الشيرازي** : المؤيد في الدين ، ص ص 56 ، 64- 65 ، 73 – 74 ؛ **سرور** : النفوذ الفاطمي في بلاد الشام و العراق ، ص 94 – 96 ؛ **الخالدي** : الحياة السياسية ونظام الحكم في العراق ، ص 97 – 100 .

(3) **ابن الأثير** : الكامل ، 9 / 223 ؛ **أبو الفدا** : المختصر ، 2 / 139 – 140 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

2 - حركة أبي الحارث البساسيري

هو أبو الحارث أرسلان بن عبيد الله البساسيري ، ويذكر بعض المؤرخين أن نسب البساسيري يرجع إلى بلدة في بلاد فارس يقال لها بالفارسية (فسا) وبالعربية (بسا) **(1)** وأهل فارس ينسبون إليها البساسيري ، وكان سيد أرسلان تركي من أهالي هذه المدينة فنسب أبو الحارث أرسلان إليه وأشتهر بالبساسيري . **(2)**

أما عن حياته قبل قدومه بغداد فقد ذكر أنه كان مملوكاً لبعض تجار بسا ، من مدائن فارس فنسب إليها ، ثم صار لبهاء الدولة بن عضد الدولة ، الذي جلبه بدوره إلى بغداد وأدخله في الجيش البويهي . **(3)**

تمكن البساسيري من توسيع دائرة نفوذه ، وتعزيز مكانته كقائد عسكري خلال المدة الواقعة مابين عام 425 / 1033 م وعام 445 هـ / 1053 م ، إذ يذكر الخطيب البغدادي أن البساسيري : (قد عظم أمره ، واستفحل شأنه ، لعدم نظرائه من مقدمي الأتراك ... ... واستولى على البلاد ، وانتشر اسمه ، وتهيبته أمراء العرب والعجم ..) . **(4)**

كانت هناك جملة أمور ساعدت على تبلور ثورة أبي الحارث البساسيري ، وأدت إلى خروجه عن طاعة الخليفة العباسي القائم بأمر الله ، وانحيازه إلى جانب الفاطميين ، ودخوله في طاعة الخليفة الفاطمي المستنصر بالله .

فالأحداث السياسية والعسكرية التي شهدها العالم الإسلامي آنذاك ، فقد كان البويهيون في بغداد قد بدوا يعانون من ضعف داخلي وتدهور سياسي عام وذلك جراء تنافس الأمراء

---

(1) فسا أو بسا : هي من المدن القديمة في بلاد فارس ، بينها وبين مدينة شيراز أربع مراحل ، وهي تعد من أكبر مدن كورة داربجرد . انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، 4 / 260 - 261 ؛ الإدريسي : نزهة المشتاق ، 1 / 408 - 409 ؛ الحميري : الروض المعطار ، 442 - 443 .

(2) السمعاني : الأنساب ، 1 / 346 ؛ **ابن الأثير** : اللباب في تهذيب الأنساب ، 1 / 149 ؛ **ابن خلكان** : وفيات الأعيان ، 1 / 105 ؛ **الحنبلي** : شذرات الذهب ، 3 / 388 .

(3) ابن خلدون : تأريخ ، 4 / 493 ؛ **ناجي** : ثورة البساسيري في بغداد 447 - 451 هـ / 1055 - 1059 م ، مجلة كلية الآداب – جامعة البصرة ، العدد (5) ، السنة الرابعة 1971 م ، ص 43

The Encyclopaedia Of Islam , New Edition , Volume 1 , p 1073 , S . V " BASĀSĪRĪ , By M . Canard .

(4) تأريخ بغداد أو مدينة السلام ، 9 / 407 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البويهيين فيما بينهم على تولي السلطة في بغداد ، فادى ذلك الأمر إلى تدخل الجند في الأمور السياسية في العراق . (1)

كما شهدت هذه الحقبة ظهور قوى جديدة في بـــلاد المشـــرق الإســـلامي إلا وهـــم السلاجقة الذين أسسوا لأنفسهم دولة قوية لهم في خراسان بعد التقدم المذهل الذي حققوه على حساب الغزنويين واستيلائهم على الكثير من مناطق نفوذهم في خراسان . (2)

أما الدولة الفاطمية في مصر والتي كانت تعـيش تحـت حكـم الخليفـة الفـاطمي المستنصر بالله (427 – 487 هـ / 1035 – 1094 م) حقبـة فتعـد مـن أهـم الحقـب في حياتها من ناحية النفوذ ، والسيطرة السياسية على مناطق عديدة ، ومن ناحيـة الازدهـار التجاري و الصناعي ، كما شهدت الدعوة الفاطمية انتعاشاً ملموساً ، وبالتحديـد فـي مجـال الدعوة الفاطمية حيث الدعاة يجوبون مختلف الأقطار لنشر الدعوة الإسماعيلية . وكان العراق من بين تلك الأقطار التي نشطت فيها الدعوة الإسماعيلية ، وممّا يؤكد ذلك الرسـائل العديـدة التي أرسلها الخلفية الفاطمي والمؤيد في الدين (داعي الدعاة) إلى أمراء العرب في الجزيرة والعراق لكسب تأييدهم وضمهم للدعوة . (3) كما أستطاع المؤيد في الدين كسب تأييد بعـض الأمراء البويهيين مثل أبي كاليجار . (4)

كانت العلاقة بين الخليفة العباسي القائم بأمر الله والبساسـيري حسـنة فـي بدايـة الأمر ، حيث أوكل إليه الخليفة مسؤولية حفظ الأمن والنظام في بغداد ، لكفاءته ومقدرته ، إذ أصبح المتنفذ المطلق الصلاحية في شؤون العراق ، سواء كانت عسكرية أو سياسـية وحتـى الإدارية منها ، وذاعت شهرته حتى أصبح يعرف (بكافل الخلافة) . (5)

أدرك الخليفة القائم بأن البساسيري بدأ يشكل خطراً حقيقياً يهـدد الخلافـة العباسـية فـي بغداد لهذا بدأ يعمل على التخلص منه واستخدم في سبيل ذلك سياسة فيهـا الكثير مـن

---

(1) **الخالدي** : الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق ، ص 102 .

(2) **الأصفهاني** : تأريخ الدولة السلجوقية ، ص 184 – 187 ؛ **الحسيني** : زبدة التواريخ ، ص 27 – 57 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 9 / 504 – 511 ؛ **ابن العبري** : تأريخ مختصر الـدول ، ص 184 ؛ **مرتضى** : كلشن خلفا ، ص 100 .

(2) **ناجي** : ثورة البساسيري ، ص 49 – 50 .

(3) **الشيرازي** : سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة ، ص 43 – 55 ؛ **حسين** : ديوان المؤيد فـي الـدين داعي الدعاة ، ص 25 – 27 .

(5) **ابن خلدون** : تاريخ ، 3 / 264 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدهاء وبعد النظر ، وذلك عن طريق تقليد الوزارة لشخصية قوية وذكية ، وإطلاق يـده فـي الكثير من الأمور السياسية والإدارية ؛ فوجد في شخصية أبي القاسم علي بن الحسـن (ابـن المسلمة) **(1)** تلك الشخصية القوية والذكية بالوقت نفسه ، فعينه الخليفة القائم بأمر الله وزيراً له وأعطاه الكثير من الصلاحيات السياسية والإدارية ، كما منحه الكثير من الألقـاب الفخمـة مثل (رئيس الرؤساء) و (جمال الورا وشرف الوزراء) . **(2)**

إلا أن تعيين ابن المسلمة وزيرا أثار حفيظة البساسيري صـاحب السـلطة والنفـوذ المطلق حيث شعر بأن هذا التعين لم يكن أمر اعتباطياً بل ضربة ذكية موجهة ضدَهُ مباشـرة ومما يؤكد ذلك قول البساسيري للخليفة القائم بأمر الله في أحد المناسبات : (ما أشكو إلا مـن رئيس الرؤساء الذي خرب البلاد ، وأطمع الغز وكاتبهم) . **(3)**

إلا أن نقطة التحول في العلاقة بين الخليفة العباسي والبساسيري كانت عام 446 هـ / 1054 م حيث وصل كل من أبي الغنائم ، وأبي سعد اّبني المحلبان (أمراء واسط) وكانـاً حليفي أبي المعالي قريش بن بدران العقيلي **(4)** (444 – 453 هـــ / 1052 – 1061 م) الموصل ، سرا إلى بغداد ، فامتعض البساسيري من ذلك بسبب ما قام به حليفهم أبو المعـالي من الاستيلاء على مدينة الأنبار ، ونهب أموال البساسيري وأصحابه فيها ، وإقامة الخطبـة

---

(1) **أبو القاسم علي بن الحسن (ابن المسلمة)** : هو علي أبو القاسم بن الحسن بن الشيخ أبي الفـرج بـن المسلمة ، استكتبه الخليفة العباسي القائم بأمر الله ، ثم استوزره فـي عـام 443 هـــ / 1051 م ، وكـان من خيار الوزراء العادلين ، وكان قبل الوزارة أحد المعدلين ببغداد وممن له معرفة بالفقه ، ورواية الحـديث وكان ذو منزلة كبيرة . انظر : **ابن الجوزي** : المنتظم ، 8 / 200 ؛ **ابن الطقطقي** : الفخـري فـي الآداب السلطانية ، ص 295 ؛ **الذهبي** : سير أعلام النبلاء 18 / 216 – 217 .

(2) **ابن الجوزي** : المنتظم ، 8 / 200 ؛ **الذهبي** : سير أعلام النبلاء ، 18 / 216 – 217 .

(3) **ابن الأثير** : الكامل ، 9 / 602 .

(4) **أبو المعالي قريش بن بدران العقيلي** : يكنى بعلم الدين أبو المعالي ، تولى الحكم في مدينـة الموصـل بعد أن أمر بقتل عمه قرواش اّبن المقلد العقيلي في مستهل رجب عام 444 هــ / 1052 م ، وكـان قبـل ذلك يتولى حكم مدينة نصيبين منذ عام 425 هـ / 1033 م ، خلفاً لوالده أبي الفضل بدران بن المقلد ، وكان داهية بخيلاً ، سفاكاً للدماء ، مات في مدينة الموصل عام 451 هـ / 1059 م خوفاً مـن بطـش السـلطان طغرلبك بعد أن أحل دمه ، وقيل مات بالطاعون في أوائل عام 453 هـ / 1061 م فـي مدينـة نصـيبين . انظر : **ابن خلكان** : وفيات الأعيان ، 3 / 135 ؛ **سبط اّبـن الجـوزي** : مـرآة الزمـان ، ((حـوادث السلاجقة)) ، ص 70 – 71 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على منابرها للسلطان السلجوقي طغرلبك ، وكانت هذه المدينة من مناطق نفـوذ البساسـيري فعد استقبال الخليفة القائم لهؤلاء تحدياً واضحاً وصريحاً له ، فاظهر عـدم ارتياحـه ، وقـال للخليفة : (هؤلاء وصاحبهم كبسوا حلل أصحابي ، ونهبوا ، وفتحوا البثوق **(1)** ، وأسرفـوا في هلاك الناس) . **(2)** وأراد أن يلقي القبض عليهم لكنه لم يتمكن من تنفيذ ذلك . **(3)**

لذلك جاء رد البساسيري سريعاً على هذا الاستقبال ، وأتخذ عدة إجراءات أراد مـن خلالها الانتقام منه ، وكانت أولى هذه الإجراءات منع سفينة تابعة لبعض أقارب الوزير مـن المرور ما لم تدفع الرسوم المفروضة عليها ، كما أسقط مشاهراته **(4)** من دار الضرب ، بـل أسقط مشاهرات الخليفة العباسي وحاشيته أيضاً ، كما أنه حـاول هـدم دور بنـي المحلبـان (حلفاء أبي المعالي قريش بن بدران العقيلي) ، فضلا عن أنه أتهم الوزير بأنه هو من كاتبَ السلاجقة وأطمعهم في الاستيلاء على بغداد . **(5)**

توجه البساسيري بعد ذلك إلى مدينة الأنبار لمحاربة العقيلي ، فـأحرق فـي طريقـه ناحيتي (دمما) **(6)** و (الفلوجة) ، وعندما وصل إلى الأنبار ضرب عليها الحصار ونصب عليها المجانيق ، ورماها بالنفط ، فتمكن من دخولها قهراً ؛ فكان ذلك من أكبر العوامل التـي أدت إلى تبدل العلاقات بينه وبين الخليفة العباسي القائم بأمر الله . **(7)**

لم يقف الوزير ابن المسلمة مكتوف الأيدي أمام هذه الإجراءات بل استمر في خطتـه القاضية بالعمل على الكيد للبساسيري وأضعاف شأنه والحد من نفوذه ، وذلك عـن طريـق

---

(1) **البثوق** : جمع البثق ، والبثق هو آسم الموضع الذي حفره الماء ، والبثق أيضا كسر شط النهـر لينبثـق الماء منه . نظرا : **الأزهري** : تهذيب اللغة ، 9 / 84 .

(2) **ابن الأثير** : الكامل ، 9 / 601 .

(3) EL 2 : VOL . 1 , P 1073 , S. V. BASĀSĪRĪ , BY M . CANARD .

(4) **المشاهرات** : هي عبارة عن مبالغ من الأموال كانت تحمل إلى الخليفة العباسي ، وحاشـيته ، ووزيـره من دار الضرب في بغداد كل شهر . **الخالدي** : الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق ، ص 106 .

(5) **ابن الجوزي** : المنتظم ، 8 / 160 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 9 / 601 – 602 ؛ **أبو الفدا** : المختصر ، 2 / 173 ؛ **ابن خلدون** : تاريخ ، 3 / 457 .

(6) **دمما** : قرية كبيرة على نهر الفرات قرب بغداد عنـد الفلوجـة ، واليهـا ينسـب جماعـة مـن أهـل الحديث . نظرا : **ياقوت الحموي** : معجم البلدان ، 2 / 471 .

(7) **ابن الأثير** : الكامل ، 9 / 602 ، **ابن الوردي** : تاريخ ، 1 / 535 ؛ **ابن خلدون**: تأريخ ، 3 / 457 – 458 ؛ **سرور** : النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، ص 100 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تأليب الرأي العام ضده ؛ ففي عـام 447 هـ / 1055 م انتهـز الـوزير فرصـة غيـاب البساسيري عن بغداد ، فأثار جماعة من أهالي بغداد ، وطلب هؤلاء من الخليفة القائم أن يأذن لهم بأن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ، فأذن لهم . كما طلبوا أن يتقدم أصحاب الديوان بمساعدتهم ، فأجابهم الخليفة إلى طلبهم . فصدّ هؤلاء إحدى سفن البساسيري التي كانت تحمل جرار الخمور ، فقاموا بكسرها ، فلما بلغ ذلك البساسيري عظم عليه هذا الفعـل وعـده مـن تدبير الوزير ابن المسلمة . **(1)**

كما حاول الوزير استغلال موقف البساسيري من الخليفة القـائم بـأمر الله ، حيـث شهدت طائفة من الأتراك الذين كانوا مع البساسيري في مدينة واسط ، عزمه على نهـب دار الخلافة ، والقبض على الخليفة لدى عودته إلى بغداد **(2)** فانتهز الوزير هذه الشهادة وأخذ يثير الجند ضده ، وما لبث أن عبّـرَ هؤلاء عن غضبهم وسـخطهم علـى البساسـيري ، حيـث استأذنوا الخليفة في نهب دور البساسيري فأذن لهم بذلك ، فقصدوا دوره ونهبوها ومـن ثـم قاموا بحرقها . **(3)**

وبعد أن علم البساسيري ما حدث لممتلكاته في العاصمة ، ونفـور الخليفة القائم منـه فضلا عن وصول السلاجقة بقيـادة السلطان طغرلبك إلى مشارف بغداد ، واستدعاء الخليفـة للأمير البويهي الملك الـرحيم (440 – 447 هـ / 1048 – 1055 م) لمشـاورته فيمـا يفعلانه لمواجهة السلاجقة ، علم البساسيري عندئذ أنه أصبح شخصاً غيرَ مرغوب فيـه فـي بغداد بعد أن فقد أغلب نفوذه فيها ، فقرر الانسحاب والتوجه إلى أحد حلفائه من أجل تكـوين حلف ضد الخلافة العباسية والسلاجقة ، فسار إلى نور الدولة دبيس بن مزيد **(4)** حيث كـانت

---

(1) **ابن الجوزي** : المنتظم ، 8 / 162 ؛ **ابـن الأثيـر** : الكامـل ، 9 / 607 – 608 ؛ **ابـن الـوردي** : تاريخ ، 1 / 535 ؛ EL 2 : VOL . 1 , P 1073 , S. V. BASĀSĪRĪ , BY M . CANARD .

(2) **الخطيب البغدادي** : تاريخ بغداد ، 9 / 407 ؛ **ابن الجوزي** : المنتظم ، 8 / 163 .

(3) **ابن الأثير** : الكامل ، 9 / 608 ؛ **أبو الفدا** : المختصر ، 2 / 173 .

(4) **نور الدولة دبيس بن مزيد** : هو أبو الأغر نور الدولة دبيس بن مزيـد الأسـدي ، صـاحب الإمـارة المزيدية العربية في الحلة ، أنحاز إلى جانب البساسيري وتعاون معه للإطاحة بالخلافة العباسية ، توفي ليلـة الأحد العاشر من شوال عام 473 هـ / 1080 م ، وقيل عام 474 هـ / 1081 م ، وكانت إمارتـه سـبعاً وستين عاماً ، إذ تولى الإمارة في عام 408 هـ . انظر : **الشيرازي** : سيرة المؤيد في الدين ، ص ص 12 ، 124 ، 142 – 148 ؛ **ابـن الجـوزي** : المنـتظم ، 8 / 202 – 209 ؛ **القـزاز** : الخليفـة العباسـي القائم ، 200 – 201 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تربطه به علاقة مصاهرة غير أن دبيس فضل أن يدخل في طاعة السلاجقة على أن يكون في مواجهتهم ، لذلك حاول التقرب من السلطان طغرلبك ، فطلب طغرلبك منه أن يقوم أولاً بأبعاد البساسيري ، فلبى دبيس طلبه وقام بأبعاد البساسيري ، الذي توجه بدوره إلى الرحبة في بلاد الشام . (1)

ويبدو اختيار البساسيري لمدينة الرحبة في بلاد الشام لم يكن أمر اعتباطياً بل أنه أراد من ذلك أن يسهل مهمة اتصاله بالفاطميين أعداء العباسيين التقليديين ، حيث يشير العديد من المؤرخين إلى علاقة البساسيري بالفاطميين والتي أتخذها كل من الوزير بن مسلمة والخليفة القائم بأمر الله سلاحاً لإثارة الرأي العام ضده – كما أشرنا سابقا – إلا أننا يجب أن لا نبالغ في حجم هذه العلاقات ، فقد عرف عن البساسيري أنه رجل سلطة ونفوذ أكثر من كونه رجلاً عقائدياً ، فحينما كان صاحب السلطة والنفوذ في العراق لم تكن تربطه علاقة قوية بالفاطميين في مصر ، إلا أنه لما فقد أغلب نفوذه السياسي والعسكري في بغداد بسبب كيد الوزير ابن مسلمة (رئيس الرؤساء) ، ونفور الخليفة القائم بأمر الله منه ، ولم يستطعْ البقاء في بغداد ، دخل في علاقات وثيقة مع الفاطميين ، ويؤكد هذا الأمر ابن المنجب الصيرفي بقوله : (لما فسدت الحال بين أبي الحارث البساسيري وبين ابن مسلمة وزير الخليفة ببغداد ، وحمل الأتراك عليه وانحرف عنه الخليفة لم يمكنه المقام ببغداد فكاتب اليازوري (2)

---

(1) **ابن الأثير** : الكامل ، 9 / 613 ؛ **ابن خلدون** : تاريخ ، 3 /460 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 /78.

(2) **اليازوري** : هو الحسن بن علي بن عبد الرحمن اليازوري من يازور (وهي قرية من أعمال فلسطين) كان والده قاضي مدينة الرملة ، تولى الحسن الوزارة الفاطمية عام 443 هـ / 1051 م فجمع بذلك القضاء والوزارة ، وهو الذي دفع الخليفة الفاطمي إلى مساعدة البساسيري في ثورته على الخلافة العباسية ، وحاول معالجة بعض الأمور بسياسة فعندما سيطر السلطان طغرلبك على العراق بعد سيطرته على خراسان ، وأراد بعد ذلك السيطرة على بلاد الشام ، فخافه أهل مصر ، اخذ اليازوري في معالجة الوضع عن طريق السياسة حيث كتب إلى السلطان طغرلبك يخبره أنه في طاعته ، وأن البلاد بحكمه ، وأنه لا نية لديه بقتاله بل أنه متى أراد دخول مصر وصل بغير ممانع ، فتوهم طغرلبك بصحة ذلك . غير أن أعداء اليازوري وجدوا في ذلك سبيل في تحريض الخليفة الفاطمي عليه ، وأنه يكاتب أعداء الدولة ، ويستدعيهم إلى أخذ مملكته ، كما أكثروا عليه الأقاويل حتى أمر بالقبض عليه في محرم عام 450هـ / 1058 م ، وبعث الوزير الجديد أبو الفرج البابلي جماعة من الجند لقتله من دون علم الخليفة المستنصر ووالدته ، فقتل اليازوري في 22 محرم عام 450 هـ / 1058 م ورموا جثته في مزبلة ، وبعد ثلاثة أيام أمر المستنصر بالله بتكفينه وتجهيزه ودفنه ، فغسل وصلى عليه ودفن ، ثم دُفِنَ رأسه مع جسده في أخر الشهر . انظر : **العسقلاني** : رفع الإصر عن قضاة مصر ، ق1 ، ص 190 – 197 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يذكر رغبته في الانحياز إلى الدولة ...) . (1)

حاول البساسيري من خلال اختياره لمدينة الرحبة في بلاد الشام أن يسهل اتصاله بالفاطميين ليطلب منهم مساعدته في تكوين حلفٍ عسكري لمواجهة الخلافة العباسية والسلاجقة معاً ، فضلا عن أنه أراد أن يبتعد في الوقت نفسه عن السلاجقة لكي يضمن جانبه من أي هجوم سلجوقي عليه قبل أن يشرع في إعادة تشكيل صفوفه وتكوين جيش خاص به يتألف من فرسانه وقوات حلفائه ، والذي يؤكد ذلك عندما لم يقدم دبيس بن مزيد أية مساعدات سواء كانت عسكرية أو مادية أو معنوية ، فضلا عن طلب طغرلبك منه إبعاد البساسيري أضطر الأخير عندئذ إلى البحث عن حليف جديد فتوجه إلى الرحبة لتكوين حلف قوي مع الفاطميين ، والحقيقة الثانية أنه عندما توجه صوب الرحبة لم يكن بمفرده بل كان يرافقه عدد من فرسانه والموالين له ، إلا أن المؤرخين اختلفوا في عدد هؤلاء الرجال ، فيذكر كل من الخطيب البغدادي وابن الجوزي أن الكثير من الأتراك البغداديين قد لحقوا به بعد وصوله إلى الرحبة . (2) أما الصيرفي فيذكر أن ثلاثمائة فارس كانوا برفقته .(3) بينما يذكر ابن العديم أنه (وصل في قلة من الرجال) . (4)

كانت مدينة الرحبة آنذاك من أملاك الإمارة المرداسية (5) ، ولدى وصول البساسيري وأصحابه إلى المدينة خرج معز الدولة ثمال بن صالح بن مرداس (433 –

---

(1) الإشارة إلى من نال الوزارة ، ص 43 – 44 .

(2) تأريخ بغداد ، 9 / 407 ؛ المنتظم ، 8 / 163 .

(3) الإشارة إلى من ، ص 44.

(4) زبدة الحلب ، 1 / 270 .

(5) الإمارة المرداسية : وهي الإمارة التي أسسها أسد الدولة أبو علي صالح بن مرداس ، من بني كلاب في مدينة حلب عام 415 هـ / 1024 م ، وقد أدّت هذه الإمارة دوراً هاماً ومتميزاً في بلاد الشام ، وخاصة في محاربة الروم البيزنطيين ؛ وقد كانت علاقته بالفاطميين جيدة في بعض الفترات ، واستمرت هذه الإمارة إلى عام 472 هـ / 1079 م عندما تمكن مسلم بن قريش بن بدران العقيلي من الاستيلاء على مدينة حلب عاصمة بني مرداس ، وبذلك قضى على هذه الإمارة . أنظر : **ابن العديم** : زبدة حلب 1 / 227 – 297 ؛ **لينبول** : الدول الإسلامية ، ق1 ، ص 236 – 237 .

للمزيد من التفاصيل عن هذه الإمارة وعلاقاتها بدول الجوار انظر : عبد المولى : بنو مرداس الكلابيون في حلب وشمالي الشام وسياستهم الخارجية مع دولتي الفواطم و الروم (415 – 472هـ / 1025 – 1080م) دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية – 1985 م) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

449 هـ / 1042 – 1058م) ، والذي كان تابعاً في تلك الفترة للفاطميين ، لاستقباله ومعه الهدايا والخلع الثمينة . (1)

إن انتقال البساسيري إلى الرحبة ساعد على تقوية حركته ، وذلك عن طريق الدخول في مفاوضات مع الفاطميين ومع الخليفة الفاطمي ، حيث (كاتب المستنصر بالله صاحب مصر يذكر له كونه في طاعته وإخلاصه في موالاته ، وعزمه على إقامة الدعوة له في العراق ، وانه قادر على ذلك ، وغير عاجز عنه) . (2)

وأرسل أيضا إلى المؤيد في الدين (داعي الدعاة) رسالة يدعو فيها الفاطميين إلى نصرته ، والتمس منهم أن يمدوه بالمال السلاح ، وقد جاء في هذه الرسالة (فإن أخذتم بأيدينا ، أخذنا لكم البلاد ، وإن قلدتمونا نجاد نصركم ، وإنجادكم ، فتحاً من جهتكم الأغوار والإنجاد) . (3)

أنتهز الفاطميون فرصة سخط البساسيري على الخلافة العباسية ، والذي كان يعد من أبرز قادتها العسكريين قبل ذلك ، لتحقيق أطماعهم وأحلامهم في السيطرة على العراق والقضاء على الخلافة العباسية فيه ؛ فأخذ رجال الدولة الفاطمية وعلى رأسهم الوزير الفاطمي أبو محمد اليازوري بتجهيز الأموال والخلع والأسلحة لمساعدة البساسيري وأعوانه في حركتهم (4) كما عهد إلى المؤيد في الدين بحمل هذه الأشياء إلى البساسيري في الرحبة غير أن المؤيد في الدين رفض أن يقوم بهذه المهمة في بادئ الأمر حيث علم ما يبيته له الوزير الفاطمي ، ألا وهو إقصاؤهُ عن مصر بعد النجاحات التي حققها المؤيد ؛ غير انه أضطر في النهاية إلى القيام بهذه المهمة بعد أن أخبره الوزير بأن الخليفة المستنصر بالله الفاطمي وهو الذي انتدبه لهذا الأمر الخطير . (5)

أشترط المؤيد قبل رحيله عن مصر أن لا يعاقب ، وألا يوجه إليه اللوم إذا فشل في أداء مهمته ، فوافق الخليفة الفاطمي على شرطه ، واستدعاه ليخلع عليه خلع الوزارة ، فاعتذر

---

(1) **ابن العديم** : زبدة الحلب ، 1 / 270 ؛ **الشيرازي** : سيرة المؤيد في الدين ، ص 42 ؛ **عبد المولى** : بنو مرداس ، ص 105 – 106 .
(2) **ابن القلانسي** : ذيل تأريخ دمشق ، ص 87 .
(3) **الشيرازي** : سيرة المؤيد في الدين ، ص 56 .
(4) **الصيرفي** : الإشارة إلى من ، ص 44 ؛ **المقريزي** ، اتعاظ الحنفا ، 2 / 78 ؛ **العسقلاني** : رفع الإصر عن قضاة ، ق1 ، ص 195 .
(5) **الشيرازي** : سيرة المؤيد في الدين ، ص 97 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المؤيد عن ذلك ، وآثرَ أن يبقى في زِي العلماء وأهل التقوى . (1)

خرج المؤيد في موكب الإمدادات ، و ذكر ابن تغري بردى حجم هذه الإمدادات بقوله : (من مال خمسمائة ألف دينار ، ومن الثياب ما قيمته مثل ذلك ، وخمسمائة فرس وعشرة ألاف قوس ، ومن السيوف ألوف ، ومن الرماح والنشاب شيء كثير) . (2)

وكان الوزير الفاطمي اليازوري قد طلب من المؤيد أن يجند ثلاثة ألاف رجل من العرب الكلبيين في طريقه في بلاد الشام وأن يسير بهم إلى الرحبة ، كما أمره وحذره من الاتصال بالأمير ثمال بن صالح صاحب حلب ؛ غير أن المؤيد عندما وصل مدينة دمشق لم يستصوب رأي الوزير الفاطمي بشأن الكلبيين ، بل أنه عول كثيرا على الأمير ثمال ، حيث كتب إليه شارحا مهمته التي جاء من أجلها إلى دمشق ، وطلب منه مساعدته في انجازها . (3)

التقى الأمير ثمال بالمؤيد في الدين في الروستان (4) وكان لهذا اللقاء أثر كبير في إزالة الخلاف الذي كان قائما بين الأمير المرداسي والفاطميين ، كما سلم المؤيد كل ما حمله معه من أموال وخلع وأسلحة لتكون في عهدته وحمايته ، فاطمأن كل منهما للآخر ، وأظهر الأمير ثمال رغبته في خدمة الفاطميين ، وانجاز المهمة التي قدم من أجلها المؤيد من مصر . (5)

وعند وصول الأمير ثمال ومعه المؤيد في الدين إلى معرة النعمان (6) قدم إليهما وفدٌ كبيرٌ من كبار القادة في جيش البساسيري ، حيث جاءوا لمقابلة المؤيد بعد أن طال

---

(1) **حسين** : ديوان المؤيد في الدين ، ص 41 .

(2) النجوم الزاهرة ، 5 / 12 .

(3) **الشيرازي** : سيرة المؤيد في الدين ، ص 101 ؛ **الخالدي** ، الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق ، 113 .

(4) **الروستان** : وتعرف أيضا باسم الرستن ، وهي بليدة قديمة تقع على نهر العاصي ، بين حماة وحمص . انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، 2 / 402 ؛ **الصلابي** : دولة السلاجقة ، ص 57 .

(5) **حسين** : ديوان المؤيد في الدين ، ص 42 ؛ **عبد المولى** : بنو مرداس ، ص 107 – 108 .

(6) **معرة النعمان** : مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماة ، تبعد عن مدينة حلب خمسة أيام . انظر : **ياقوت الحموي** : معجم البلدان ، 5 / 156 ؛ **الإدريسي** : نزهة المشتاق ، 2 / 652 ؛ **الحميري** : الروض المعطار ، ص 555 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

انتظارهم في مدينة الرحبة ، وظنوا أن ما وعدهم به الفاطميون إنما تغرير بهم ، فلما رأى الوفد ما مع المؤيد أطمأنت قلوبهم ، ورحلوا بصحبة الأمير ثمال والمؤيد إلى مدينة حلب وقبل أن يدخلوها خلع المؤيد على الأمير ثمال الخلع الفاطمية النفيسة ، ودعاه إلى تجديد البيعة للمستنصر بالله الفاطمي ، فأجابه الأمير إلى ذلك . ثم تأهبوا جميعاً إلى السفر إلى الرحبة وبينما كان المؤيد يستعد للمسير وَرَدَ إليه خطاب من الأمير نصر الدولة بن مروان (1) حاكم ديار بكر وميافارقين ، أظهر فيه رغبته في معاونته والدخول في طاعة الخلافة الفاطمية فرحب المؤيد بذلك ، ودعاه إلى إقامة الخطبة للخليفة الفاطمي في بلاده وقد شجع هذا الأمر المؤيد على مراسلة الأمراء العرب يدعوهم إلى نصرته وتأييده ، ويحذرهم من مغبة الخضوع للسلاجقة . (2)

رحل المؤيد عن مدينة حلب قاصداً الرحبة ، وبصحبته الأمير ثمال المرداسي على رأس الجند ، وعندما علم البساسيري بخروج المؤيد ، وان الموكب في طريقه إليه أسرع في الخروج مع جيشه لاستقباله ، فاستقبله بالقرب من الرحبة ، وكان المؤيد قد طلب سابقا من قادة البساسيري الذين قابلهم في معرة النعمان أن يبلغوا البساسيري وأصحابه بقرب المسير إليهم ، كما حثهم على طاعة الخليفة الفاطمي ، فلما وصل المؤيد رحبوا به جميعيا أحسن ترحيب ، وبعد أن أستقبله البساسيري وجنده من الأعراب والأكراد والتركمان ، أخذ المؤيد يوزع عليهم الخلع الفاطمية ، ويمنحهم الأموال ، وما لبثوا أن حلفوا أمامه بالبيعة للخليفة الفاطمي المستنصر بالله ، ثم خلع على أبي الحارث البساسيري في احتفال كبير ، وقرأ عهده على الناس . (3)

كان كل من قريش بن بدران العقيلي أمير الموصل ، و دبيس بن مزيد أمير الحلة قد دخلاً في طاعة السلطان السلجوقي طغرلبك ، بعد دخوله بغداد عام 447 هـ / 1055 م

---

(1) **الأمير نصر الدولة بن مروان** : هو أبو نصر أحمد بن مروان بن دوستك ، الكردي الحميدي ، والملقب بـ (نصر الدولة) أمير ميافارقين ، وديار بكر ، تولى حكم هذه المناطق بعد مقتل أخيه الأمير أبو سعيد منصور بن مروان في قلعة الهتاخ ليلة الخميس الخامس من جمادى الأولى عام 401 هـ / 1010 م ، وكان عالي الهمة ، حسن السياسية ، كثير الحزم عادلاً ، توفي في التاسع والعشرين من شوال عام 453 هـ / 1061 م ، فتملك بعده أبنه نظام الدين أبو القاسم نصر . انظر : **ابن خلكان** : وفيات الأعيان ، 1 / 97 – 98 ؛ **الذهبي** : سير أعلام النبلاء ، 18 / 117 – 120 .

(2) **الشيرازي** : سيرة المؤيد في الدين ، ص 42 .

(3) **الشيرازي** : سيرة المؤيد في الدين ، ص 121 – 124 ؛ انظر : **نص العهد في الملحق رقم (2)** .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خوفاً على بلادهم من النهب أو العبث على أيدي جند السلاجقة . (1)

غير أن الأمير دبيس لم يكن يطمأن لوعود السلطان طغرلبك فاستغل المؤيد في الدين هذا الأمر ، وكتب إليه يطلب منه اللحاق به في مدينة الرحبة ، فلما قدم دبيس إليه استطاع أن يقنعه بضرورة مؤازرة البساسيري في ثورته ، والوقوف معه ، والمسير إلى معه إلى العراق إلا إن دبيس كانت له شروطه في انضمامه إلى جيش البساسيري ، وكانت هذه الشروط تنطوي أغلبها على أمور مادية ، وتحقيق لإطماعه في الخلع والأموال والولاية . فوافق المؤيد على جميع هذه الشروط ، وحصل على عهد من الخليفة الفاطمي لابن مزيد ، ولقبه فيه (بالأمير سلطان ملوك العرب سيف الخلافة ، صفي أمير المؤمنين .... رفعاً بك إلى أعلا درج الاصطفاء .... وإن يقلدك الزعامة على عرب العراق ممن يقتضى أن يكون أنت عليه زعيماً ...وأن يجعل إليك النظر في ذلك من حد شرقي الفرات إلى أقصى ما يفتح الله تعالى لأمير المؤمنين من البلاد ...) . (2)

بعد أن أستكمل البساسيري الاستعدادات العسكرية والسياسية ، سار على رأس جيشه وبصحبته الأمير نور الدولة دبيس بن مزيد ، كما وصلت في هذه الأثناء الإمدادات العسكرية من دمشق ، وقوامها الكلبيون الذين رفضوا في بادئ الأمر المسير مع جيش البساسيري إلا إذا انفصل جند العرب عن جند الأتراك والأكراد ، لكن المؤيد بفضل دهائه ، وما أنفقه عليهم من أموال أستطاع أن يصرفهم عن عزمهم ، فمضوا مع بقية جيش نحو العراق . (3)

وفي عام 448 هـ / 1056 م حدثت في مدينة سنجار شمال العراق ، أول مواجهة عسكرية بين البساسيري وحلفائه من جهة ، وبين السلاجقة وحلفائهم من جهة أخرى ، حيث دارت معركة عنيفة في هذه المدينة انتصر فيها البساسيري و دبيس انتصارا ساحقا على قوات الأمير قتلمش ابن عم السلطان طغرلبك وقريش بن بدران ، وقَتَلَ منهم أعداداً كبيرة . (4) ويشير الصيرفي إلى نتيجة المعركة ، بقوله : (فبعث طغرلبك ألفين وخمسمائة

---

(1) **سبط بن الجوزي** : مرآة الزمان في تأريخ الأعيان ((الحوادث الخاصة بتأريخ السلاجقة بين السنوات 448 – 480 هـ / 1056 – 1086 م)) ، ص 4 .

(2) **الشيرازي** : سيرة المؤيد في الدين ، ص 128 .

(3) **الشيرازي** : سيرة المؤيد في الدين ، ص 129 - 130 .

(4) **الشيرازي** : سيرة المؤيد في الدين ، ص 134 – 135 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 9 / 625 ؛ **سبط بن الجوزي** : مرآة الزمان ((حوادث السلاجقة)) ، ص 11 – 12 ؛ **ابن كثير** : البداية والنهاية ، 12 / 69 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فارس إلى سنجار فكانت الوقعة المشهورة التي ظفر بها البساسيري ، ولم يفلت من هذه العـــدة إلا مائتا فارس أو دونهما) . (1)

كما لقى قتلمش بعد هزيمته العنت من أهل سنجار ، بحيث تمادوا في إلحاق الأذى به وبأصحابه ، أما قريش بن بدران فانه جرح في أثناء المعركة ، ولجأ وهو جريح إلـــى دبـــيس الذي أعطاه خلعة كانت قد أرسلت إليه من مصر ، فلبسها ثم أنحاز إلـــى جانـــب البساســـيري وسار بصحبتهم إلى مدينة الموصل ، حيث أقاموا الخطبة فيهـــا للخليفـــة المستنصـــر بـــالله الفاطمي . فأرسل الخليفة الفاطمي الخلع من مصر للبساسيري ولقريش ابن بدران . (2)

كان انتصار البساسيري في معركة ســنجار ، ودخولـــه مدينـــة الموصـــل وإقامـــة الخطبة للخليفة الفاطمي على منابرها أثراً بالغاً في كل من مصر والعراق ، فكان ذلك مبعـــث سرور الفاطميون وعلى رأسهم المستنصر بالله ، كما شجع هذا النصر بعض أمـــراء العـــراق على الخروج على طاعة العباسيين ، وإعلان ولائهم للخلافة الفاطمية ، وهذا ما فعلـــه أميـــر خفاجة محمود بن الأخرم عندما أقام الدعوة الفاطمية في مدينة الكوفة ، وخطب للمستنصـــــر بالله على منابرها . (3) كما خطب علاء الدين أبو الغنائم بن المحلبان أمير واسط للمستنصـــر بالله ، وسك النقود باسمه . (4)

إلا أن هذه النجاحات لم تستمر طويلاً إذ سرعان ما تصدع جيشـــه ، وذلـــك بســـبب الخلافات التي ظهرت بين عناصره المختلفة ، وكان أول هذا التصدع عندما أنفصل عنه قســـم من بني عقيل ، ثم تبعتهم طوائف أخرى من الجند ، كما حدثت المنافسة بين القادة والأمـــراء بسبب تقاسم الأموال . (5)

---

(1) الإشارة إلى من نال ، ص 44 .

(2) ابن الجوزي : المنتظم ، 8 / 173 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 9 / 625 – 626 ؛ **سبط بن الجوزي** : مرآة الزمـــان ((حـــوادث الســـلاجقة)) ، ص 12 – 13 ؛ **الـــذهبي** : دول الإســـلام ، 1 /230 ؛ **المقريـــزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 79 ؛

EL 2 : VOL . 1 , P 1073 , S. V. BASĀSĪRĪ , BY M . CANARD .

(3) الشيرازي : سيرة المؤيد في الدين ، ص 135 – 136 ؛ **ابن الجوزي** : المنتظم ، 8 /173 ؛ **اليافعي** : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان .3 / 66 .

(4) ابن الأثير : الكامل ، 9 / 624 – 625 ؛ **ابن خلدون** : تاريخ ، 3 / 460 – 461 .

(5) الشيرازي : سيرة المؤيد في الدين ، ص 140 ؛ **ناجي** : ثورة البساسيري ، ص 61 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما أن السلطان السلجوقي طغرلبك ما أن بلغه نبأ خسارة جيشه في سنجار وسيطرة البساسيري على مدينة الموصل ، حتى أصر على ملاحقة البساسيري وأنصاره بنفسه ، فجهز حملة عسكرية قادها بنفسه في أواخر عام 448 هـ / 1056م فخرج طغرلبك من بغداد بعد أن أقام بها ثلاثة عشر شهراً ، ودون أن يلتقي الخليفة العباسي خلالها . (1)

حاول المؤيد في الدين (داعي الدعاة) أن يتدارك الموقف ، إذ بدأ البساسيري يفقد سيطرته على زمام الأمور ، فعمل المؤيد على مكاتبة بعض الأمراء العرب من جديد والذين كانوا على اتصال بالسلاجقة ليستميلهم إلى جانبه . (2)

أيقن المؤيد أن نجاح البساسيري يتوقف على تشتيت شمل السلاجقة ، وزرع الفتن في صفوفهم ، فعمد إلى مراسلة عميد الملك الكندري وزير طغرلبك ، فأرسل كتابا يدعوه فيه إلى خلع طاعة الخليفة العباسي ، والدخول في طاعة الخليفة الفاطمي المستنصر بالله كما أشار المؤيد في كتابه إلى كيفية دخول السلاجقة لبغداد ، وقلل من شأن هذا العمل ، الذي لم يكن يحدث لولا خيانة الوزير العباسي ابن مسلمة ، الذي كاتبهم وأطمعهم في البلاد ، وأن دخولهم بهذه الطريقة لا يعد نصراً كبيرا لهم ، (... ومعلوم للسيد [يقصد عميد الملك] أن ورودهم بغداد اغترار بقول ابن مسلمة كان إثمه أكبر من نفعه ، ومفسدته أوفر من مصلحته ، ومن حيث أن السلطان ملك شط جيحون إلى العراق موضعاً فلم يوكس جاهه ولم يدخل عليه معرة إلا في هذا الأمر....) . (3)

وفي نهاية الكتاب أشار المؤيد إلى المكانة السامية التي يتمتع بها الخليفة الفاطمي في أنحاء العالم الإسلامي ، وبسيادته على الأماكن الإسلامية المقدسة في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة ، كما أشار إلى مقدار ما يمتلكه من الأموال والأسلحة (سلطاننا خلد الله ملكه رجل علوي طويل اليد وطويل اللسان ، ولكونه ابن بنت رسول الله عليه السلام وولد علي بن أبي طالب عليه السلام ، ولكونه حافظا لمكة والمدينة حرسهما الله تعالى حرمي الله ورسوله صلى الله عليه السلام .... وسوى هذا فانه الثامن من الملوك أبائه ، الوارث عنهم الأموال والأسلحة والخزائن ما لا يحصره حد ولا يحصيه عد ....) . (4)

---

(1) **ابن الجوزي** : المنتظم ، 8 / 173 ؛ **أبو الفدا** : المختصر ، 2 / 175 .

(2) **الشيرازي** : سيرة المؤيد في الدين ، ص 142 – 146 ؛ **سرور** : النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، ص 110 .

(3) **الشيرازي** : سيرة المؤيد في الدين ، ص 155 .

(4) **الشيرازي** : سيرة المؤيد في الدين ، ص 155 – 156 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غير أن الوزير السلجوقي لم يكترث لهذا الكتاب ، بل بدأ مساعيه في تشتيت شمل الأمراء العرب الذين انحازوا إلى جانب البساسيري ، وكَسَبَ ولاءَهم من جديد للسلطان طغرلبك ، وصار يغريهم بإسناد حكم بعض الولايات إليهم ، فوعد أحدهم بإمارة الموصل ووعد الأخر بإمارة البصرة و واسط وغيرها من المناطق ، وقد أدت هذه السياسة إلى انصراف عدد من الأمراء العرب عن تأييد البساسيري ، والوقوف إلى جانب السلاجقة . **(1)**

في هذه الأثناء كان الجيش السلجوقي بقيادة السلطان طغرلبك قد بدأ فعلا بعملياته العسكرية لملاحقة البساسيري وأنصاره والإيقاع بهم ، وإعادة المدن التي أعلنت ولاءَها للبساسيري والخلافة الفاطمية ، فبدأ أول عملياته العسكرية بمدينة تكريت ، التي وصلها في السابع من ذي الحجة عام 448 هـ / 1056 م ، وما أن نزل بقربها حتى أرسل إلى أميرها عيسى بن خميس يطلب منه أن يرسل إليه أموال ومؤن ، فوافق أمير المدينة على هذا الطلب خوفاً من السلطان السلجوقي طغرلبك ، ولكن عندما عبر رسول طغرلبك لأخذ الأموال والمؤن قام أهل تكريت بشتم الرسول ، وقالوا له إن هذه المدينة للبساسيري ، وكان سبب ما قاموا به يرجع بالدرجة الأساسية إلى أسباب اقتصادية ، حيث كان الغلاء قد عم البلاد في هذه السنة ، وعندما علم السلطان طغرلبك بموقف أهالي المدينة من السلاجقة قرر الانتقام منهم واقتحام المدينة ، فعبر إليها من الجانب الشرقي ، وقتل الكثير من أهلها ، وسبى النساء ، ونهب جندُهُ المدينة ، فراسله الأمير عيسى في طلب الصلح ، وقرر على نفسه وعلى المدينة ضريبة مقدارها ثلاثة ألاف دينار ، فوافق طغرلبك على ذلك بشرط أن يعلق أعلاما سوداً (وهو شعار العباسيين) على قلعة المدينة ، فعلق عيسى الإعلام على القلعة ، فأفرج طغرلبك عن جميع النساء المأخوذات من تكريت . **(2)**

وبعد أن تمكن السلطان طغرلبك من إخضاع مدينة تكريت ، خرج منها قاصداً مدينة الموصل ، فتقدم إلى البوازيج **(3)** وقام فيها حتى بداية عام 449 هـ / 1057 م وكان هدف طغرلبك من وراء هذا الانتظار أن يستكمل استعداداته العسكرية ، وان يضع خططه الحربية

---

(1) الشيرازي : سيرة المؤيد في الدين ، ص 156 – 157 ؛ **سرور** : النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، ص 111 ؛ **الخالدي** : الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق ، ص 123 – 124 .

(2) ابن الجوزي : المنتظم ، 8 / 173 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 9 / 626 – 627 ؛ **سبط بن الجوزي** : مرآة الزمان ((حوادث السلاجقة)) ، ص 14 .

(3) البوازيج : بلدة قرب تكريت على فم نهر الزاب الأسفل ، حيث يصب في نهر دجلة ، وتعرف أيضا ببوازيج الملك ، وهي من أعمال مدينة الموصل . أنظر : **ياقوت الحموي** : معجم البلدان ، 1 / 503 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المناسبة لمواجهة البساسيري وحلفائه في الموصل ؛ كما وصلت إليه قطعات عسكرية أضافية بقيادة أخيه (ياقوتي) فتحرك صوب مدينة الموصل ، وأقطع مدينة (بلد) للأمير هزارسب بن بنكير (1) ، وكما منع الجنود من نهب هذه المنطقة أو التعرض للأهالي ، كما طلب من هزارسب أن يعمل على حماية أهالي مدينة بلد ، وأن يأخذهم إلى معسكره ، ففعل ما أمره به طغرلبك وأخذهـم إلى معسكره ، وقام بتوزيع الأموال عليهم . (2)

واصل السلطان طغرلبك تقدمه نحو الموصل ، فلما علم البساسيري بتقدمـه أنسـحب من مدينة الموصل وعسكر على بعد عشرة فراسخ منها ، وصل طغرلبك إلى مدينة الموصـل ونزل في تل التوبة ، وفي يوم الثلاثاء الرابـع مـن ربيع الأول عـام 449 هـ / 1057 م عبر السلطان بقواته إلى الجانب الآخر من المدينة ، ونزل في دار الإمارة ، في حـين نـزل أصحابه وقواته في دور الناس ، والتي كانت قد خلت من ساكنيها ، لأن أغلـبهم كـانوا قـد هربوا منها عند سماعهم بتقدم السلطان طغرلبك نحوهم ، وهكذا تمكن السلطان طغرلبك مـن السيطرة على الموصل ، وكتب إلى الخليفة العباسي القائم بأمر الله يخبره بذلك . (3)

أرسل طغرلبك الأمير هزارسب في ألف فارس لمحاربة العرب ومن أنضم إليهم مـن بني نمير (أصحاب حران والرقة) ، فسار هزارسب لقتالهم ، فاشتبك معهم ساعة ثم أنسحب من أرض المعركة فلحقوا به ، فباغتتهم بالكمائن التي كان قد أعدها لهـم هزارسـب مسـبقا فانهزموا بعد أن قتل هزارسب وأتباعه الكثير منهم ، فضلا عّمن وقع منهم في الأسر ، فعـاد بهم إلى طغرلبك ، الذي أمر بقتلهم جميعا حيث رماهم تحت أرجل الفيلة ، ما عداً غلام واحد أمتنع الفيل عن قتله ، فعفا عنه السلطان ، وهو الوحيد الذي عفا عنه طغرلبك . (4)

---

(1) **الأمير هزارسب بن بنكير** : هو أبو كاليجار تاج الملوك الكردي بن عياض ، دخل في طاعة السلطان السلجوقي طغرلبك ، وأصبح من المقربين إليه ، حيث عقد له عميد الملك أبو نصر الكندري وزير طغرلبك في مستهل محرم عام 448 هـ / 1056 م ضمان البصرة ، والأهواز وأعمالها ، توفي عام 462 هـ / 1069 م . انظر : ابن الجوزي : المنتظم ، 8 / 168 – 169 ؛ ابن الأثير : الكامل ، 9 / 628 – 629 ، 644 – 645 ؛ ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة ، 5 / 86 .

(2) **ابن الجوزي** : المنتظم ، 8 / 173 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 9 / 627 – 628 ؛ **سبط بن الجوزي** : مرآة الزمان ((حوادث السلاجقة)) ، ص 14 .

(3) **ابن الأثير** : الكامل ، 9 / 626 – 628 ؛ **سبط بن الجوزي** : مرآة الزمان ، ((حوادث السلاجقة)) ، ص 14 ، **الذهبي** : دول الإسلام ، 2 / 230 ؛ **ابن خلدون** ، تأريخ ، 3 / 461 .

(4) **ابن الأثير** : الكامل ، 9 / 628 ؛ **سبط بن الجوزي** : مرآة الزمان ، ((حوادث السلاجقة)) ، ص 17.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعندما علم كل من دبيس بن مزيد ، وقريش بن بدران العقيلي بالهزيمة التي حلّت بالعرب على يد هزارسب أدركوا بأن لا طاقة لهم على مواجهة السلطان طغرلبك وجيشه فأثرا الصلح على ذلك ، فأرسل كل منهما إلى طغرلبك يستعطفانه ليعفو عنهم ، فعفا عنهم وأرسل لهم الأمير هزارسب ليحلفوا أمامه بالطاعة للسلطان ، وكتب لكل منهما كتاباً يقرهما فيه على جميع ما بأيديهم من مناطق . **(1)**

كما أرسلا إلى طغرلبك يطلبان منه أن يعفو ويصفح عن البساسيري ، حيث قالا له : (إن البساسيري حكمه حكمنا ويدخل فيما دخلنا فيه ، ويؤدي في كل سنة ما جرت به العادة ، ويخطب للدولة العباسية ويعود إلى ما كنا عليه) . لكن السلطان أشترط أن يعفو عنه الخليفة العباسي أولاً قبل أن يعفو هو عنه ، وأرسل إليهما يقول : (إننا لكما مؤثرون وبما جرى منكما مسامحون ونحب أن تنفذا من تثقا به ليتوثق منا ويسمع لفظنا لتسكن نفوسكما إلينا وتطآ بساطنا ونفيض الإنعام عليكما وأما البساسيري فالعفو فيه راجع إلى أمير المؤمنين فإن عفا عفونا وسلمنا إليه من الأعمال ما نختار فقد بلغنا من شهامته ما يقتضي الاهتمام بمراعاته) . **(2)**

لم يكن البساسيري يعرف أن كلاً من دبيس و قريش قد أرسلا إلى السلطان طغرلبك ليعفو ويصفح عنه ، فلما عرف بهذا الأمر غضب منهما ، حيث كان مصرا على موقفه في محاربة الخلافة العباسية والسلاجقة معا ، وإقامة الخطبة في العراق للخليفة الفاطمي المستنصر بالله لكنه مع ذلك أنسحب إلى الرحبة بعد أن فقدَ حلفاءَهُ ، وتبعه جند الأتراك وجماعة من بني عقيل وبني شيبان وفضلا عن الأكراد . **(3)**

بعد أن فرغ السلطان طغرلبك من السيطرة على الموصل وأعمالها ، ومحاربة العرب سار إلى ديار بكر حيث كان أميرها ناصر الدولة بن مروان قد أعلن ولاءَهُ للخلافة الفاطمية وخطب للمستنصر بالله ، فحاصر طغرلبك جزيرة ابن عمر ، فبعث أميرها إلى السلطان يستعطفه ، ويبذل له الأموال ، والطاعة . **(4)**

---

(1) الشيرازي : سيرة المؤيد في الدين ، 157 – 169 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 9 / 629 .

(2) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، ((حوادث السلاجقة)) ، ص 17 .

(3) ابن الأثير : الكامل ، 9 / 629 ؛ **سبط بن الجوزي** : مرآة الزمان ، ((حوادث السلاجقة)) ، ص 17 – 18 ؛ **ابن خلدون** : تاريخ ، 3 / 462 .

(4) ابن الأثير : الكامل ، 9 / 630 ؛ **سبط بن الجوزي** : مرآة الزمان ، ((حوادث السلاجقة)) ، ص 19 – 20 ؛ **أبو الفدا** : المختصر ، 2 / 175 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

توجه طغرلبك بعد أن أعلن أمير ديار بكر طاعته إلـى مدينـة سـنجار ، لتأديـب أهلها حيث كانوا قد مثلوا بقتلى السلاجقة ، وعلقوا رؤوسهم على القصب وتركوها في العـراء فاجتاحها السلطان طغرلبك ، واستباحها ، وأستمر في قتل أهلها عدة أيام إلى أن شـفع أخـوهُ إبراهيم ينال في الباقين . **(1)** (فعفا بعد أن عفى ، وكف بعد ما أكتفى) . **(2)**

وبعد أن تمكن السلطان طغرلبك من أعادة المدن كافة التي كـان ولاؤهـا للخلافـة الفاطمية **(3)** قـرر العودة إلى بغداد ، فسلم مدينـة الموصل وأعمالها إلـى أخيـه إبـراهيم ينال . ولما قارب طغرلبك من بغداد خرج لاستقباله وزيره عميد الملـك الكنـدري والـوزير العباسي ابن المسلمة وأعيان المدينة ، فدخل طغرلبك بغداد وقصـد دار الخلافـة للاجتمـاع بالخليفة العباسي القائم بأمر الله حيث لم يكن قد رآه من قبل ، وكان ذلـك فـي يـوم السـبت الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة عام 449هـ / 1057 م . وبعد أن أنصرف طغرلبـك من دار الخلافة ، أرسل إلى الخليفة القائم الكثير من الأموال ، فضلاً عن خمسين مملوكا مـن الأتراك ومعهم خيولهم وأسلحتهم . **(4)**

أما البساسيري فقد سار من مدينة الرحبة إلى مدينة حلب ، حيث كان يقيم فيها المؤيد في الدين (داعي الدعاة) ونزل بالقرب من حلب في موضع يسمى (بالس) وبصحبته قريش بن بدران الذي خرج عـن طاعة السلطان طغرلبك مـن جديد ، فضلاً عن جماعـة من بني عقيل ، ولـم يمضِ على أقامتهم بهذا الموضع طويلا حتى جاءهما رسول يحمل رسـالة مـن إبراهيم ينال (الذي ساءت علاقته بأخيه طغرلبك في هذه المدة) ، وقـد تضـمنت الرسـالة الترغيب في الدخول في طاعته ليقلدهما ولاية البلاد ، فضلا عن أعطائهم الأموال ، وكـذلك مخاطبة المؤيد في الدين ليلتمس له من الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ما يحتاجه من الأموال والخلع والألقاب والألوية حتى يستطيع البطش بطغرلبك ، ويصبح جميع ما يملكه أخـوهُ في

---

(1) الأصفهاني : تأريخ دولة آل سلجوق ، ص 189 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 9 / 630 – 631 .

(2) الأصفهاني : تأريخ دولة آل سلجوق ، ص 189 .

(3) حيث يشير **ابن العمراني** إلى هذه المدن ، بقوله : (وأقيمت الدعوة للمستنصر بالله بالموصل و الشام ، ونقلوا جميع المنابر ببلاد الشام وديار ربيعة من يسار القبلة إلى يمينها وتظاهروا بالإعلام البيض) : الإنباء في تأريخ الخلفاء ، ص 190 .

(4) ابن العمراني : الإنباء في تأريخ الخلفاء ، ص 191 – 192 ؛ **الأصفهاني** : تأريخ دولة آل سلجوق ، ص 189 – 190 ؛ **ابن الجوزي** : المنتظم ، 8 /181 – 182 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قبضته وحوزته ويكون هو ملكها ، على أن تكون الخطبة للخليفة الفاطمي مقدمة على خطبته فلما بلغ المؤيد في أثناء إقامته في حلب ما تضمنته هذه الرسالة تعهد بإجابة طلبه في ما طلبه من أموال وخلع وألقاب . (1)

وفعلا بدأ إبراهيم ينال خطته في الإيقاع بطغرلبك ، وحتى قبل أن يصل رد الفاطميين على طلبه ، حيث غادر الموصل في عام 450 هـ / 1058 م إلى بلاد الجبل فلما علم طغرلبك بذلك عَدَّ رحيله عصياناً ، وخروجاً على طاعته ، لكن في الوقت نفسه لم يتخذ أية إجراءات عسكرية ضده ، بل أنه فضل السياسة في مواجهة عصيان أخيه إبراهيم ينال حيث أرسل إليه رسولاً يستدعيه إلى بغداد ، ومعه الخلعة التي خلعها عليه الخليفة القائم العباسي ، فعاد إبراهيم إلى طاعة طغرلبك ، الذي كان في ذلك الوقت في بغداد ، وأرسل طغرلبك وزيره الكندري لاستقبال إبراهيم الذي قرر العودة إلى بغداد ، كما أرسل إليه الخليفة القائم خلعاً جديدة . (2)

كان المؤيد قد أستقر رأيه على الرحيل إلى مصر ، غير أنه لم يصرح بذلك إلا حين بلغه خبر خروج إبراهيم ينال من الموصل وتركه بها حامية صغيرة من جنده ، عند ذلك طلب المؤيد من البساسيري بضرورة التحرك لاستغلال هذا الأمر ، وأن يرجع إلى مدينة الرحبة ، ويستعين بمواردها ريثما تصله الأموال من مصر ، كما طلب أيضا من قريش بن بدران العقيلي أن يعود إلى مدينة الموصل لأن الحامية التي تحرسها ليس في مقدورها الوقوف في وجهه ؛ وقد أستطاع المؤيد أن يقنعهما بصحة رأيه ، ثم رحل إلى مصر . (3) في الوقت الذي سار فيه البساسيري وقريش بن بدران نحو الموصل وتمكنا من الاستيلاء عليها ، وخربا قلعتها . (4)

عندما وصلت الأنباء إلى الخليفة العباسي القائم بأمر الله باستيلاء البساسيري وقريش

---

(1) **الشيرازي** : سيرة المؤيد في الدين ، ص ص 170 ، 175 – 176 ؛ **الخالدي** : الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق ، ص 124 – 125 ؛

EL 2 : VOL . 1 , P 1074 , S. V. BASĀSĪRĪ , BY M . CANARD .

(2) **ابن الأثير** : الكامل ، 9 / 639 ؛ **ابن كثير** : البداية والنهاية ، 12 / 76 ؛ **الدوسكي** : همدان ، ص 113 .

(3) **الشيرازي** : سيرة المؤيد في الدين ، ص 176 .

(4) **ابن الأثير** : الكامل ، 9 / 639 – 640 ؛ **ابن كثير** : البداية والنهاية ، 12 / 76 ؛ **ابن خلدون** : تأريخ ، 3 / 463 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بن بدران على مدينة الموصل من جديد ، كتب إلى السلطان طغرلبك يأمره بالتوجه فورا إليها . (1)

استجاب السلطان طغرلبك لأوامر الخليفة وخرج بجيشه ومعه أخوهُ إبراهيم ينال من بغداد قاصدا مدينة الموصل لتنفيذ أوامر الخليفة ، وذلك يوم الجمعة السادس والعشرين من رجب عام 45 0هـ / 1058 م ، فدخلها بسهولة . (2)

إلا إن السلطان لم يمكث في الموصل طويلا ، إذ أصر على التخلص بشكل نهائي من الخطر الذي يتربص به وبالخلافة العباسية ، فسار وراء البساسيري ، لكن طغرلبك ما أن وصل إلى نصيبين حتى أنفصل عنه أخوه إبراهيم وعاد إلى العراق ومعه جيش كبير . (3)

وتذكر العديد من المصادر التأريخية أن البساسيري هو الذي أشار على إبراهيم ينال بالعصيان على أخيه طغرلبك ، وأطمعه في الملك ، والتفرد به ، كما وعده بمعاضدته ومساعدته ضد أخيه السلطان . (4)

وعندما بلغ طغرلبك خبر رحيل أخيه إبراهيم ينال إلى همدان أدرك عندها الخطر الحقيقي الذي يمثله إبراهيم على ملكه ونفوذه إذ تمكن فعلا من الوصول إلى همدان حيث خزائن السلطان وأمواله وسلاحه ، فتوقف عن مطاردة البساسيري ، وعاد مسرعا إلى همدان فوصلها خلال سبعة أيام فقط . (5)

اضطربت الأوضاع في مدينة بغداد اضطراباً شديداً وبدأت تظهر الإشاعات تارة بوصول البساسيري إلى بغداد ، وتارة أخرى بانهزام السلطان طغرلبك من أخيه إبراهيم ينال

---

(1) **ابن العمراني** : الإنباء في تاريخ الخلفاء ، ص 192 .

(2) **سبط بن الجوزي** : مرآة الزمان ، ((حوادث السلاجقة)) ، ص 30 – 31 ؛ **الذهبي** : دول الإسلام ، 2 / 230 ؛ **ابن كثير** : البداية و النهاية ، 12 / 76 .

(3) **الأصفهاني** : تأريخ دولة آل سلجوق ، ص 191 ؛ **ابن الجوزي** : المنتظم ، 8 /190 ؛ **الحسيني** : زبدة التواريخ ، ص 60 .

(4) **ابن القلانسي** : ذيل تأريخ دمشق ، ص 87 – 88 ؛ **ابن الجوزي** : المنتظم ، 8 /190 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 9 / 640 ؛ **ابن العديم** : بغية الطلب في تأريخ حلب ، ص 6 .

(5) **الأصفهاني** : تأريخ دولة آل سلجوق ، ص 191 ؛ **ابن الجوزي** : المنتظم ، 8 / 190– 191 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 9 / 640 ؛ **سبط بن الجوزي** : مرآة الزمان ، ((حوادث السلاجقة)) ، ص 31 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حتى إن الخليفة العباسي القائم بأمر الله رفض إرسال كل من زوجة السلطان ووزيره الكندري وتمسك بهم ، بعد أن كتب إليهما السلطان طغرلبك يستدعيهما إلى همدان . (1)

انتشرت الأخبار في شهر شوال عام 450 هـ / 1058 م باجتماع طغرلبك مع أخيه إبراهيم ينال ، وأن إبراهيم تمكن من الانتصار على طغرلبك وحصره في همدان ، فعزمت زوجة السلطان وآبنها والكندري على المسير إلى همدان لإنجاد السلطان طغرلبك ، إلا إن الكندري عدل عن المسير إلى همدان بعد أن علم باقتراب البساسيري من بغداد فحاولت زوجة طغرلبك القبض على الكندري وآبنها لتركهما مساعدة زوجها ونجدته ، إلا أنها فضلت المسير بمن أنضم إليها من جند السلاجقة ، وسارت متوجهة إلى همدان لمساعدة زوجها ، كما عقد الكندري العزم أيضا على المسير إلى همدان ، وسار إليها عبر طريق الأهواز . (2)

عاشت بغداد بعد أن خلت من عساكر السلاجقة حالة من الخوف والقلق والترقب ويصف ابن الجوزي هذه الحالة ، بقوله : (فلما خلت البلاد من العساكر أنزعج الناس وقيل للناس من أراد أن يخرج فليخرج ، فبكى الناس والأطفال ، وعبر كثير من الناس إلى الجانب الغربي) . (3)

وفي هذه الأثناء كان البساسيري قد شرع فعلا بالزحف على بغداد حيث علم بخلوها من العساكر السلجوقية ، وانشغال السلطان طغرلبك بالقضاء على تمرد أخيه إبراهيم ؛ فزحف إليها ومعه أربعمائة فارس ، ومع حليفه قريش بن بدران مائتا فارس ، وقد كان جند البساسيري في غاية الفقر والبؤس كما يذكر ابن الأثير . (4)

دخل البساسيري ومعه قريش بن بدران مدينة بغداد من جانبها الغربي في يوم الأحد الثامن من ذي القعدة عام 450 هـ / 1058 م ، ومعه الرايات الفاطمية ، التي كتب عليها (الإمام المستنصر بالله أبو تميم معد أمير المؤمنين) ، فرحب بهم أهل الكرخ ، واجتمعت

---

(1) **الأصفهاني** : تأريخ دولة آل سلجوق ، ص 191 ؛ **ابن الجوزي** : المنتظم ، 8 / 191 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 9 / 640 .

(2) **الخطيب البغدادي** : تاريخ بغداد ، 9 / 408 ؛ **الأصفهاني** : تأريخ دولة آل سلجوق ، ص 191 ؛ **ابن الجوزي** : المنتظم ، 8 / 191 ؛ **ابن كثير** : البداية والنهاية ، 12 / 77 .

(3) المنتظم ، 8 / 191 .

(4) الكامل ، 9 / 641 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إليهم طوائف كثيرة من العامة ؛ وفي يوم الجمعة الثالث عشر من ذي القعدة أمر البساسيري أن يخطب للمستنصر بالله الفاطمي بجامع المنصور ، كما شرع قي إصلاح الجسر لعبور عساكره إلى الجانب الشرقي لبغداد . (1)

كان الخليفة العباسي القائم بأمر الله قد تحصن بالجانب الشرقي من المدينة ومعه وزيره (رئيس الرؤساء) وعميد العراق (2) الذي عينه السلطان طغرلبك بنفسه ، والذي يدعى أحمد بن علي ، حيث نظموا جيشاً صغيراً لمواجهة جيش البساسيري تتكون من حرس الخليفة والخدم وبعض العباسيين ، فضلا عن بعض عوام بغداد ، غير أن البساسيري تمكن من العبور إلى الجانب الشرقي بجنده ، فضلاً عن أهالي الجانب الغربي والكرخ ، الذين مالوا إليه وآثروهُ على الخليفة العباسي والسلاجقة ، فضلا عن أن البساسيري كان قد أطمعهم في نهب دار الخلافة فهبوا لمساعدته في الهجوم عليها . (3)

دارت بين جند البساسيري والمدافعين عن دار الخلافة معركة ضارية استمرت مدة يومين قُتِلَ خلالَهما عددٌ كبيرٌ من كلا الطرفين ، إلا إن البساسيري تمكن في نهاية المطاف من حسم المعركة لمصلحتِهِ ، وذلك عن طريق أضرام النار في الأسواق المحيطة بدار الخلافة فلما رأى الناس هذه النار عبروا إلى دار الخلافة لنهبها ، وبذلك تمكن من السيطرة عليها . (4)

وكان الخليفة العباسي في تلك الإثناء قد ركب لابساً السواد وعلى كتفه البردة وعلى رأسه اللواء وبيده السيف ، وحوله زمرة من العباسيين ، وبين يديه الخدم يحملون معهم السيوف المسلولة ، إلا أنه عندما رأى أن جند البساسيري وعامة أهل بغداد قد دخلوا

---

(1) **الخطيب البغدادي** : تأريخ بغداد ، 9 / 408 – 409 ؛ **ابن الجوزي** : المنتظم ، 8 /192؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 9 /641 .

(2) **عميد** : وهو الموظف الذي يعينه السلطان السلجوقي ، وسلطاته على ما يبدو كسلطات المدير أو المحافظ في عصرنا هذا . ووظيفته إدارية إلا إن سلطاته أوسع من سلطات الشحنة فالعميد يشرف على العراق بأجمعه بينما يعين الشحنة للإشراف على مدينة معينة . **البرهاوي** : علاقة العلماء بالخلافة العباسية ، ص 27 .

(3) **الخطيب البغدادي** : تاريخ بغداد ، 9 / 409 ؛ **ابن القلانسي** : ذيل تأريخ دمشق ، ص 88 – 89 ؛ **ابن الجوزي** : المنتظم ، 8 / 191 – 192 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 9 / 641 .

(4) **ابن القلانسي** : ذيل تأريخ دمشق ، ص 89 ؛ **ابن الجوزي** : المنتظم ، 8 / 192 – 193 ؛ **ابن الكازروني** : مختصر التاريخ ، ص 206 ؛ **الأربلي** : خلاصة الذهب ، ص 265 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دار الخلافـــة وسيطروا عليها وعاثوا فيها نهبا رجع إلى داره ومعه رئيس الرؤساء . (1)

أما العميد أحمد بن علي فأنه بعد فشله في حماية دار الخلافة ، وصد المهاجمين عنها من جند البساسيري والعامة ، قرر الاستسلام وأرسل إلى قريش بن بدران العقيلي يطلب منه الأمان ، فأعطاه قريش الأمان ، وسار معه إلى دار الخليفة القائم بأمر الله ، فلما وصلاً إلى دار الخليفة ، قال رئيس الرؤساء ابن مسلمة لقريش بن بدران : (يا علم الـــدين ! أمير المؤمنين يستدعيك) فاقترب منه قريش ، فقال له : (إن الله تعالى قد أتاك رتبة لم يؤتها أمثالك فإن أمير المؤمنين يطلب منك الذمام على نفسه وأهله وأصحابه) . فقال له قريش : (أمير المؤمنين قد أذم الله [سبحانه وتعالى] له) . كما طلب منه رئيس الرؤساء الأمان له ، فوافق قريش على منحهم الأمان ، وخلع عمامته وأخرج قلنسوته وأعطاها للخليفة القائم وقال له : (هذا الذمام) ، فسار الخليفة ومن معه مع قريش بن بدران إلى معسكره . (2)

فلما علم البساسيري بعهد الأمان الذي أعطاه قريش بن بدران للخليفة ، ورئيس الرؤساء ثارت ثائرته ، وكانا قد اتفقا قبل ذلك على أن لا ينفرد أحدهما بالأمر دون مشاركة الآخر ، وعلى أن تكون الأموال والبلاد التي تقع بأيديهما مناصفة ؛ فأرسل قريش إلى البساسيري يشرح له موقفه ، حيث أرسل يقول له : (إني ما عدلت عن ما أستقر بيننا والخليفة فما بينك وبينه عداوة ؛ عدوك فهو ابن مسلمة فخذه إليك وأنا آخذ الخليفة ، وقد كنا شرطنا أن نتساوى في القسمة في كل شيء نظفر به والآن واحد لي وواحد لك) . فرضى البساسيري بذلك ، وأخذ الوزير ابن مسلمة (رئيس الرؤساء) . (3)

3 - سياسة البساسيري في بغداد

بعد أن استقرت الأمور للبساسيري في بغداد ، أمر أن تقطع الخطبة للخليفة العباسي القائم بأمر الله في جميع مساجد بغداد ، وأن يخطب فيها للخليفة الفاطمي المستنصر بالله ، كما

---

(1) **ابن الجوزي** : المنتظم ، 8 / 193 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 9 / 642 .

(2) **ابن العمراني** : الإنباء في تأريخ الخلفاء ، ص 193 ، كما يكرر هذه الرواية ولكن بطريقة مختلفة قليلاً كل من **ابن الجوزي** : المنتظم ، 8 / 193 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 9 /642 ؛ **ابن دحية** : النبراس ، ص 140 ؛ **سبط ابن الجوزي** : مرآة الزمان ، ((حوادث السلاجقة)) ، ص 39 ؛ **ابن الوردي** : تأريخ ، 1 / 547 548 .

(3) **ابن العمراني** : الإنباء في تاريخ الخلفاء ،ص 193 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمر بالأذان (بحيَّ على خير العمل) . (1) .

كما أمر البساسيري بضرب سكة جديدة في بغداد وسماها (المستنصرية) ، ونقش عليها اًسم المستنصر بالله الفاطمي ، وكتب على أحد جانبيها عبارة (لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، محمد رسول الله [**صلى الله عليه وسلم**] ، وعلي ولي الله) ، وكتب على جانبها الآخر عبارة (عبد الله ووليه الإمام أبو تميم معد المستنصر بالله أمير المؤمنين) . (2)

كما عزم أيضا على أخذ الخليفة القائم من عند قريش بن بدران ، وإرساله إلى مصر إلا إن خلافاً جرى بين قريش والبساسيري حول هذا الموضوع ، وحال دون إرساله إلى مصر لكن رأيهما استقر على إن لا يبقى الخليفة عند أحدهما ، ورأى قريش ضرورة أن يرسل الخليفة القائم إلى ابن عمه الأمير مهارش بن المجلي ، صاحب حديثة ، إلى أن يقرروا مصيره فيما بعد . (3)

فلما علم الخليفة القائم بذلك ذهب إلى قريش ودخل خيمته وأمسك بثيابه ، وقال له : (ما عرفت ما استقر العزم عليه من أبعادي عنك وإخراجي عن يديك وما سلمت نفسي إليك إلا لما أعطيتني الذمام الذي يلزمك الوفاء به وقد دخلت ألان إليك ووجب لي ذمام فاني عليك فالله الله في نفسي فمتى أسلمتني أهلكتني وضيعتني وما ذاك معروف في العرب) . فاعتذر إليه قريش وبرر هذا الأمر ، بقوله : (ما ينالك سوء ولا يلحقك ضيم غير أن هذه الخيمة ليست دار مقام مثلك ، وأبو الحارث لا يؤثر مقامك في هذا البلد ، وأنا أنقلك إلى الحديثة وأسلمك إلى مهارش ابن عمي وفيه دين فلا تخف وأسكن إلى مراعاتي لك وعد إلى مكانك) . (4)

---

(1) **الخطيب البغدادي** : تاريخ بغداد ، 9 / 409 ؛ **ابن الجوزي** : المنتظم ، 8 / 194 ؛ **الذهبي** : دول الإسلام ، 1 / 230 – 231 .

(2) **ابن الجوزي** : المنتظم ، 8 / 196 ؛ **سبط بن الجوزي** : مرآة الزمان ، ((حوادث السلاجقة)) ، ص 42 – 43 .

(3) **ابن العمراني** : الإنباء في تاريخ الخلفاء ، ص 194 ؛ **ابن الجوزي** : المنتظم ، 8 / 194 ؛ **سبط بن الجوزي** : مرآة الزمان ، ((حوادث السلاجقة)) ، ص 41 ؛ **ابن كثير** : البداية والنهاية ، 12 / 78 .

(4) **ابن الجوزي** : المنتظم ، 8 / 194 ، كما ورد هذا الحوار في عدة مصادر ولكن بصورة مختلفة قليلة انظر : **ابن العمراني** : الإنباء في تاريخ الخلفاء ، ص 194 ؛ **سبط بن الجوزي** : مرآة الزمان ((حوادث السلاجقة)) ، ص 42 – 43 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي يوم عرفة التاسع من ذي الحجة عام 450 هـ / 1058 م أبعد الخليفة العباسي القائم بأمر الله عن بغداد ، وسار إلى الأنبار ومنها إلى حديثة ، حيث استقبله الأمير مهارش وأحسن استقباله وضيافته وأنزله في حديثة عانه مع أهله ونسائه وحاشيته . (1)

ولم يكتفِ البساسيري بقطع الخطبة لبني العباس في بغداد ، وأبعاد الخليفة العباسي القائم بأمر الله عنها ، بل أنه أجبر الخليفة القائم قبل رحيله إلى حديثة على كتابة عهدٍ يعترف فيه بعدم أحقية بني العباس في الخلافة مع وجود بني فاطمة الزهراء (**رضي الله عنها**) وقام بإرسال هذا العهد إلى الخليفة الفاطمي في مصر . (2)

في حين تكتفي بعض الروايات بذكر أن الخليفة القائم غادر بغداد مكرهاً ، وأجبر القضاة والشهود وجماعة من وجوه العلويين على أخذ البيعة منهم للخليفة الفاطمي المستنصر بالله . (3)

أما بخصوص المواد التي أرسلها البساسيري إلى الخليفة الفاطمي في مصر فقد اقتصرت على رداء الخليفة القائم وعمامته والمنديل ، وهي المواد التي تمكن البساسيري من نهبها من دار الخلافة . (4)

أما عن موقف الفاطميين من دخول البساسيري مدينة بغداد ، فأنه ما أن وصلت الأخبار من بغداد من جهة البساسيري ، فضلا عن المواد التي أرسلها المستنصر بالله الفاطمي حتى أقيمت الزينات في شوارع القاهرة ، واحتفل بدخول البساسيري بغداد ، وأقامته الخطبة فيها للمستنصر بالله الفاطمي . (5)

كما يذكر المقريزي أن المستنصر بالله عقد العزم على إرسال عشرة ألاف دينار إلى الأمير مهارش العقيلي ، لكي يقوم بإرسال الخليفة العباسي القائم بأمر بالله في أجمل الحال

---

(1) **ابن القلانسي** : ذيل تاريخ دمشق ،ص 92 ؛ **أبو الفدا** : المختصر، 2 / 178 ؛ **ابن خلدون** : تاريخ ، 4 / 266 .

(2) **ابن دحية** : النبراس ، ص 139 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 95 : الخطط المقريزية ، 1 / 439.

(3) **ابن الجوزي** : المنتظم ، 8 / 202 ؛ **سبط بن الجوزي** : مرآة الزمان ، ((حوادث السلاجقة)) ، ص 47 ؛ **الذهبي** : العبر في خبر ، 2 / 295 ؛ **العصامي المكي** : سمط النجوم ، 3 / 435 .

(4) **ابن دحية** : النبراس ، ص 139 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 95 : الخطط المقريزية ، 1 / 439 ؛ **القزاز** : الخليفة العباسي القائم أمر الله ، ص 205 .

(5) **أبن ميسر** : أخبار مصر ، 2 / 8 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 96 : الخطط المقريزية ، 2 / 125

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كمـــا عقد العزم على أنه إذا وصل سوف يقوم باستقباله أحسن استقبال ، وأن يبالغ في أكرامه كما يقال أن المستنصر بالله بنى القصر الغربي لينزله فيه ، ويحمل إليه كافة ما يحتاجه من الأشياء التي تليق بمكانة الخليفة العباسي ، وأن يقرر له في كل يوم مائة دينار ، وأنه إن ركب المستنصر بالله في أوقات ركوبه قدمه بين يديه ، فإذا أقام على ذلك مدة بهذه الحال الكريمة ، وانتشر في الأقطار الإسلامية خبر ذلك خلع عليه وعقد له ألوية الولاية للعراق ويكتب له عهده بذلك ، فيكون صاحب الفضل في أعادته إلى مملكته وخلافته ، غير أن خطط المستنصر بالله لم يكتب لها النجاح بسبب بعض الظروف . **(1)**

بعد أن فشل البساسيري في إرسال الخليفة العباسي إلى مصر بسبب معارضة قريش بن بدران العقيلي ، صب جام غضبه على الوزير ابن مسلمة (رئيس الرؤساء) ، حيث استدعاه إليه وقـــال لـــه : (مرحبا بمدمر الدولة ومهلك الأمم ، ومخرب البلاد ومبيد العباد) . **(2)** فقال له ابن مسلمة : (أيها الأجل ، العفو عند المقدرة) . **(3)** إلا إن البساسيري رفض العفو عنه ، وأمر بقتله ، حيث أخرج من سجنه مقيدا وعليه جبة صوف وفي رقبته مخنقة فيها جلود مقطعة شبيه بالتعاويذ ، وطيف به في شوارع بغداد ، وكان وراءه من يضربه وينادي عليه ، ورئيس الرؤساء يقر : (**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء**) . **(4)** ، وبعد أن شهر به في بغداد كلها ، وخاصة عندما عبر الكرخ حيث نثر عليه أهل الكرخ المداسات ، وبصقوا في وجهه ، صلب على باب خراسان بعد أن خيط عليه جلد ثور قد سلخ في الحال ، وجعلت قرون الثور على رأسه ، وعلق أيضا بكلابين في حلقه ، وظل مصلوبا إلى أن فارق الحياة . **(5)**

غير أن ابن دحية يذكر أن البساسيري لم يقم بصلب ابن مسلمة ، وإنما ألقـــى بجثتـــه في نهر دجلة حتى لا يكون له أي أثر على وجه الأرض . **(6)**

---

(1) اتعاظ الحنفا ، 2 / 96 - 97 .

(2) **ابن العمراني** : الإنباء في تاريخ الخلفاء ، ص 193 .

(3) **ابن الجوزي** : المنتظم ، 8 / 193 .

(4) سورة آل عمران ، الآية (26) .

(5) **ابن العمراني** : الإنباء في تأريخ الخلفاء ، ص 194 ؛ **ابن الجوزي** : المنتظم ، 8 / 196 – 197 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 9 / 644 ؛ **ابن الطقطقي** : الفخري في الآداب ، ص 295 .

(6) النبراس ، ص 140 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويذكر ابن الجوزي أن ابن مسلمة قال قبل موته : (قولوا للأجل قد بلغك الله **[سبحانه وتعالى]** أغراضك منى فاصطنعني لتنظر خدمتي ، وأن قتلتني فربما جرى من سلطان خراسان ما يهلك به البلاد والعباد) ، ثم قال بعد ذلك : (الحمد لله الذي أحياني سعيداً وأماتني شهيداً) . **(1)**

وبعد أن تخلص البساسيري من رئيس الرؤساء ، أخذ يعمل على مد نفـوذه خـارج مدينة بغداد ، من أجل نشر الدعوة الفاطمية ، وأقامت الخطبة للخليفة الفاطمي ، فسـار إلـى مدينتي واسط والبصرة ، وتمكن من الاستيلاء عليهما ، فأقيمت فيهما الخطبة الفاطمية . **(2)**

ثم عزم البساسيري بعد أن تمكن من فرض سيطرته على واسـط والبصـرة علـى المسير إلى الأهواز ، فلما علم صاحبها الأمير هزارسب بن بنكير بذلك ، كتب إلى دبيس بـن مزيد أمير الحلة يطلب منه مساعدته لمنع البساسيري من السيطرة على الأهواز ، إلا إن دبيساً لم يُجبْهُ إلى طلبه ، وظل البساسيري في الوقت نفسه مصراً على أن يقيم هزارسـب الخطبـة فيها للخليفة الفاطمي وأن ينقش آسمه على السكة ، فرفض هزارسب أن يفعل ذلك ، غيـر أن البساسيري تراجع عن موقفه بعد ذلك ، وعدل عن فكرة مهاجمة الأمير هزارسب ، لأنه خاف من أن يعمد السلطان السلجوقي طغرلبك الذي بدا يتحسن موقفه في همدان ، إلى إرسال المدد إلى هزارسب للوقوف في وجهه إذ ما حاول مهاجمة بلاده ، إذ كان هزارسب علـى علاقـة جيدة ، واتصال دائما بالسلطان طغرلبك ، فاضطر البساسيري عند ذلك إلى عقد أتفـاق مـع هزارسب ، والعودة إلى مدينة واسط . **(3)**

وبذلك تمكن البساسيري من فرض سيطرته المطلقة على أغلب مناطق العراق بعد أن بإبعاد الخليفة العباسي القائم بأمر الله ، وبذلك يكون قد تحقق حلم الفاطميين في ضم بغداد إلى نفوذهم ، والقضاء على الخلافة العباسية فيها .

---

(1) المنتظم ، 8 / 197 .

(2) ابن الأثير : الكامل ، 9 / 644 ؛ **أبو الفدا** : المختصر ، 2 / 172 ؛ **ابن الوردي** : تـاريخ ، 1 / 548 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 97 .

(3) ابـن الأثير : الكـامل ، 9 / 644 – 645 ؛ **الخالدي** : الحياة السياسية ونظم الحكم في العـراق ، ص 131 – 132 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

4 - نهاية حركة البساسيري

بدأت الظروف تسير في غير صالح البساسيري وأخذ يفقد سيطرته على زمام الأمور فالخليفة الفاطمي الذي كان قد سر كثيراً بزوال سلطة الخليفة العباسي القائم بأمر الله ببغداد على يد أبي الحارث البساسيري ، وعدَّ ذلك نصراً كبيراً للفاطميين ، فأنه مع ذلك لم يفِ بالتزاماته المادية والأدبية تجاه البساسيري ، حيث لم تلقَ كتب البساسيري التي أنفذها إلى الخليفة الفاطمي اهتماما يتناسب مع خطورة المسؤولية التي حمل أعباءها ، ويُعزى سبب ذلك إلى حقد الوزير الفاطمي أبي الفرج محمد بن جعفر المغربي (الوزير الأجل الكامل) **(1)** على البساسيري وكان قد أنضم إليه في بغداد ثم انقلب عليه ، ورحل عائداً إلى مصر ، حيث أخذ يخوف المستنصر بالله من عاقبة أطماع البساسيري في السلطة . **(2)**

كما أن الخليفة العباسي القائم بأمر الله حاول كسب تعاطف عامة المسلمين مع قضيته فذكر ابن الجوزي أن الخليفة القائم عندما كان في حديثة عانة كتب دعاءاً ، وسلمه إلى بدوي وأمره أن يعلقه على جدران الكعبة المشرفة ، فحمله البدوي وعلقها على جدران الكعبة المشرفة . **(3)**

ويعد هذا الدعاء بمثابة الوثيقة الإعلامية والتي شهر به الخليفة القائم بأمر الله عمل البساسيري ، وذلك بأن جعلها في أهم وأقدس مكان في العالم الإسلامي ليطلع عليها أكبر عدد من المسلمين . **(4)**

---

(1) الوزير الأجل الكامل : هو أبو الفرج محمد بن جعفر المغربي ، نشأ في مصر في عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي ، غير أنه هرب من مصر بعد أن نكل الحاكم ببعض أفراد أسرته ، كما قتل والده ، وعمه ، وظلت تتنقل به الأحوال حتى عاد إلى مصر في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ، فاصطنعه وزيره أبو محمد الحسن اليازوري ، حيث ولاه ديوان الجيش ، وأصبح منذ ذلك الحين موضع رعاية أم الخليفة الفاطمية ؛ فلما آلت الوزارة إلى أبي الفرج عبد الله بن محمد البابلي قبض عليه ، وظل معتقلا في السجن حتى أسند إليه منصب الوزارة في الخامس والعشرين من ربيع الآخر عام 450 هـ . انظر : **المقريزي :** الخطط المقريزية ، 2 / 108 .

(2) ابن الأثير : الكامل ، 9 / 644 ؛ **سبط بن الجوزي :** مرآة الزمان ، ((حوادث السلاجقة)) ، ص 47.

(3) ابن الجوزي : المصباح المضيء في خلافة المستضيء ، 1 / 590 – 591 ؛ **سبط بن الجوزي :** مرآة الزمان ، ((حوادث السلاجقة)) ، ص 63 .

(4) القزاز : الخليفة العباسي القائم أمر الله ، ص 58 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمكن السلطان السلجوقي في هذا الوقت من القضاء نهائيا على تمرد أخيه إبراهيم ينال ، حيث استنجد طغرلبك بأفراد البيت السلجوقي وبالتحديد أبناء أخيه داؤد بن ميكائيل ومنهم الأمير الشجاع ألب أرسلان ، الذي كان قائداً عسكرياً من طراز رفيع ، إذ تمكن من الانتصار على إبراهيم ينال انتصارا ساحقا ، حتى إنه تمكن من أسره في هذه المعركة وعاد به إلى عمه السلطان طغرلبك ، الذي أمر بقتله فخنق بوتر القوس حتى فارق الحياة وذلك في يوم الأربعاء التاسع من جمادى الآخر عام 451 هـ / 1059 م . (1)

وعندما فرغ طغرلبك من تمرد أخيه إبراهيم ينال تأهب للمسير إلى العراق لإعادة الخليفة العباسي القائم بأمر الله إلى بغداد عاصمة دولته وحاضرة خلافته ، وكان الخليفة القائم قد أرسل إليه كتاباً من حديثة عانة ، يحثه على فعل ذلك ، ومحاربة البساسيري ، وجاء فيه : (بحق الله أدرك الإسلام ، فقد ساد العدو اللعين ، وأخذ ينشر مذهب القرامطة) . (2)

وفعلاً بدأ السلطان طغرلبك بالتحرك لإعادة الخليفة القائم إلى بغداد ، فكتب إلى قريش بن بدران العقيلي يطلب منه إعادة الخليفة العباسي إلى دار خلافته ببغداد والعمل على حمايته ، وإن لم يقدر على فعل ذلك فليعمل على حماية الخليفة فقط ، وأن يقوم بنقله من قلعة حديثة إلى مكان أمين ، وذلك حفاظاً على حياته الكريمة . (3)

كما أرسل له كتاباً آخر يخبره بأنه لا توجد لديه أية نية لدخول العراق الذي سوف يكون خاضعاً فقط لنفوذ الخليفة العباسي القائم بأمر الله وحده ، وأنه لا يدخل العراق إلا إذ طلب منه ذلك الخليفة العباسي بنفسه ، وأنه سوف يقنع بنقش آسمه (أي أسم طغرلبك) على السكة ، وأن يخطب له في بغداد بعد الخطبة للخليفة القائم بأمر الله العباسي . (4)

السلجوقي ، غير أن البساسيري لم يوافق على أعادة الخليفة العباسي إلى بغداد إلا إذ وافق طغرلبك على شروطه ؟ وهي أن يكون هو (أي البساسيري) النائب على باب الخليفة

---

(1) **الأصفهاني** : تأريخ دولة آل سلجوق ، ص 191 192 ؛ **الحسيني** : زبدة التواريخ ، ص 61 ؛ **ابن كثير** : البداية و النهاية ، 12 / 79 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 97 .

(2) **الراوندي** : راحة الصدور ، ص 172 .

(3) **ابن الجوزي** : المنتظم ، 8 / 203 – 204 .

(4) **ابن الجوزي** : المنتظم ، 8 / 202 – 203 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 9 / 646 ؛ **أبو الفدا** : المختصر ، 2 / 178 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 97 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والخادم دون غيره ، وأن ترد إليه كل من البصرة وخوزستان (1) وأن يخطب للخليفة العباسي القائم بأمر الله فقط ، ودون أن يشاركه في الخطبة طغرلبك ، وأن يبعث مع رسل السلطان إلى الخليفة القائم بأمر الله في حديثة من يتولى أخذ البيعة والعهود والامان من الخليفة العباسي على ما اشترط عليه . (2)

إلا إن السلطان طغرلبك لم يكن جاداً في تنفيذ هذه العروض التي قدمها لقريش بن بدران العقيلي وإنما كان هدفه من وراء إرسال هذه الكتب إخفاء هدفه الحقيقي ، ومن قبيل المناورة السياسية ، وخوفاً على حياة الخليفة العباسي القائم بأمر الله الذي كان لا يزال في حديثة عانة عند الأمير مهارش العقيلي ابن عم قريش بن بدران ، وخوفاً من أن يثير حفيظة البساسيري الذي ربما قدم على مهاجمة حديثة إذ ما شعر أن هناك أي خطر يهدده من قبل السلاجقة ، وأنه سوف يتمكن من أسر الخليفة العباسي قبل وصول نجدة السلاجقة إليه ، إذ أنه أقرب إليه من السلاجقة .

كما يمكن أن تكون هذه الكتب التي بعثها السلطان طغرلبك إلى قريش بن بدران العقيلي من تدبير وزيره عميد الملك الكندري ، الذي كان من أكفأ كتاب ووزراء ذلك العصر حيث يصف الذهبي بأنه (كان أحد رجال الدهر سؤددا وجوداً وشهامة وكتابة) . (3)

ومَما يؤكد ذلك أن السلطان طغرلبك كان في ذلك الوقت في طريقه إلى العراق وعلى رأس جيش ضخم يصفه ابن النظام الحسيني ، بقوله : (جيش جرار تضيق به الجبال والوديان والبحار ، وفيه جنود ضاقت الأرض برحبها عن كثرتهم) . (4) وعلى الرغم من المبالغة في وصف ذلك الجيش إلا أنها تؤكد حقيقة مهمة وهي أن السلطان طغرلبك كان مصمماً على دخول العراق من جديد ، وإعادة الخليفة القائم بأمر الله إلى بغداد ، والقضاء نهائيا على البساسيري ، والخطر الذي يمثله على نفوذ السلاجقة في العراق بصورة خاصة والخلافة العباسية بصورة عامة .

والحقيقة الأخرى التي تؤكد ذلك أن السلطان طغرلبك أستمر في مناوراته السياسية

---

(1) **خوزستان** : هي بلاد كبيرة تقع في أرض عبادان في شرقي نهر دجلة ، وهي أشبه شيْ بأرض العراق . انظر : **ياقوت الحموي** : معجم البلدان ، 2 / 404 ؛ **الحميري** : الروض المعطار ، ص 225 .

(2) **ابن الجوزي** : المنتظم ، 8 / 205 ؛ **سبط بن الجوزي** : مرآة الزمان (حوادث السلاجقة) ، ص 51 .

(3) سير أعلام النبلاء ، 18 / 113 .

(4) العراضة في الحكاية ، ص 41 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خوفاً وحرصاً على حياة الخليفة القائم ، فعندما دخل العراق وأقترب من بغداد أرسل قريش رسولاً يشكره على حمايته للخليفة القائم ، ويخبره بأنه أرسل الإمام أبا بكر أحمد بن أيوب (ابن فورك) إلى الخليفة العباسي ليكون في صحبته في أثناء عودته إلى بغداد . (1)

بدأ الشك يراود قريش بن بدران العقيلي في نوايا السلطان طغرلبك فسعى لدى ابن عمه الأمير مهارش بن المجلي العقيلي ليحول دون عودة الخليفة العباسي القائم بأمر الله إلى بغداد ، وكان هدفه من وراء هذا هو أن يدفع السلاجقة والسلطان طغرلبك للعدول عن المسير إلى العراق ودخول مدينة بغداد من جديد ، خاصة إذ علموا أن الخليفة العباسي قد رحل عن حديثة وأصبح في قبضته ، ويتبين هذا الأمر من خلال الرسالة التي بعثها إلى الأمير مهارش حيث جاء فيها : (قد علمت أننا أودعنا الخليفة عندك ثقة بأمانتك وقد طلبوه الآن وربما قصدوك وحاصروك وأخذوه منك فخذه وأرحل به وأهلك وولدك إلي فأنهم إذا علموا حصوله بأيدينا لم يقدموا على طريق العراق ، ثم نقرر الأمر في عوده على قاعدة تكون معها سالمين ، ونقترح ما نريد من البلاد عوضا عم رده) . (2)

إلا أن الأمير مهارش لم ينفذ رغبة قريش ؛ ويرجع السبب في ذلك ، إلى أن الخليفة القائم بأمر الله كان قد استحلف الأمير مهارش عند نزوله عنده في حديثة على حمايته ، وعدم تسليمه إلى أي جهة حتى لا يعرض حياته للخطر ، حيث يذكر ابن العمراني أن الأمير مهارش قال للخليفة : (يا مولانا كن على أتم ثقة أن رأسي يمضي دونك ، وأني لا أسلمك إلى عدو قط ، ولقد خار الله تعالى لك وللمسلمين ولذرية بني العباس بكونك عندي) . (3)

فضلا عن أن العلاقة بين الأمير مهارش والبساسيري قد تدهورت كثير في هذه الإثناء بسبب نقض البساسيري للعهود والمواثيق التي كانت بينهما ، حيث أرسل إلى ابن عمه قريش بن بدران يقول له : (قد غرني البساسيري بأشياء لم أرها ، ولست بمرسله **[أي الخليفة القائم]** إليك أبدا ، وله في عنقي أيمان كثيرة لا أغدرها) . (4)

بعد أن أعلن الأمير مهارش موقفه الرافض لتسليم الخليفة القائم بأمر الله ، خاف على

---

(1) **ابن الجوزي** : المنتظم ، 8 / 204 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 9 / 646 ؛ **سبط بن الجوزي**: مرآة الزمان ((حوادث السلاجقة)) ، ص 57 ؛ **ابن خلدون** : تاريخ ، 3 / 465 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 97 .

(2) **ابن الجوزي** : المنتظم ، 8 / 206 .

(3) الإنباء في تاريخ الخلفاء ، ص 195 .

(4) **ابن كثير** : البداية والنهاية ، 12 / 82 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حياة الخليفة من البساسيري وقريش العقيلي إذ بقى في مدينة حديثة عانة ، فسار معه في يوم الاثنين الحادي عشر من ذي القعدة عام 451 هـ / 1059 م ونزلا قلعة تل عكبرا (1) فلقيهما في هذا الموضع رسول السلطان طغرلبك (ابن فورك) ، وسلم الخليفة القائم ما كان قد أرسله السلطان إليه من هدايا وخلع ، وكتب ابن فورك إلى طغرلبك يخبره حال الخليفة العباسي ، ويسأله أن يبعث سرادق كبيرة وخيم وفروش لراحة الخليفة . (2)

أما البساسيري فإنه ما أن علم باقتراب السلطان طغرلبك بجيشه الكبير من بغداد حتى أدرك عندها بأنه لا يقدر على مقارعة هذا الجيش الكبير داخل بغداد ، وخاصة أنه لم يتلقَ من الفاطميين أية مساعدات أخرى تمكنه من الوقوف في وجه السلاجقة ففضل الخروج من بغداد مع جنده ، والانسحاب نحو الكوفة ، فانسحب من مدينة بغداد في السادس من ذي القعدة عام 451 هـ / 1059 م . (3)

دخل السلطان طغرلبك مدينة بغداد بصورة سلمية بعد أن هرب منها البساسيري وجنده كما رحل عنها الكثير من سكانها بعد أن علموا باقتراب السلاجقة من بغداد ، وخاصة سكان الجانب الغربي منها ، خوفاً على أنفسهم من بطش السلطان طغرلبك وانتقامه ، حيث إنهم ساعدوا البساسيري في فرض سيطرته على بغداد في إثناء دخوله إليها . (4)

ولما وصلت كتب ابن فورك إلى بغداد رأى السلطان طغرلبك أن يبالغ في الاحتفال بعودة الخليفة العباسي القائم بأمر الله إلى بغداد ليظهر له مدى حبه وإخلاصه له ، فأرسل إليه وهو في طريقه إلى بغداد وزيره عميد الملك الكندري والأمراء والحجاب ليقوموا على خدمته كما أرسل معهم الخيم والمفروشات التي كان قد طلبها ابن فورك لراحة الخليفة القائم . (5)

---

(1) **تل عكبرا** : مدينة صغيرة تقع على شرقي نهر دجلة ، وهي من نواحي دجيل قرب صريفين و وأوانا بينها وبين بغداد عشرة فراسخ . انظر : **ياقوت الحموي** : معجم البلدان ، 4 / 142 ؛ **الإدريسي** : نزهة المشتاق ، 2 / 658 ؛ **الحميري** : الروض المعطار ، ص 412 .

(2) **ابن الجوزي** : المنتظم ، 8 / 206 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 9 / 647 ؛ **سبط بن الجوزي** : مرآة الزمان ، ((حوادث السلاجقة)) ، ص 59 .

(3) **ابن الجوزي** : المنتظم ، 8 / 209 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 9 / 646 ؛ **سبط بن الجوزي** : مرآة الزمان ، ((حوادث السلاجقة)) ، ص 58 ؛ **أبو الفدا** : المختصر : 2 / 178 – 179 .

(4) **ابن الجوزي** : المنتظم ، 8 / 205 ؛ **الذهبي** : دول الإسلام ، 1 / 231 .

(5) **ابن الأثير** : الكامل ، 9 / 647 ؛ **ابن الوردي** : تاريخ ، 1 / 548 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي الرابع والعشرين من ذي القعدة عام 451 هـ / 1059 م وصل الخليفة القائم بأمر الله إلى النهروان ، فخرج السلطان طغرلبك لاستقباله ، فقبل الأرض بين يديه سبع مرات وأهدى إليه بعض الجواهر النفيسة ، كما طلب السلطان طغرلبك من وزيره عميد الملك الكندري أن يترجم ما سوف يقوله للخليفة القائم ، لان طغرلبك لم يكن يتكلم العربية وبدأ السلطان حديثه للخليفة القائم بالاعتذار له عن تأخره لنجدته بسبب تمرد أخيه إبراهيم ينال وأنه قام بقتله عن طريق خنقه بوتر القوس بسبب ما لحق بأمير المؤمنين من ضرر وأذى جراء تمرده ، كما أخبره بأنه عاقد العزم على المضيء خلف البساسيري وقتله ، وكذلك المسير إلى بلاد الشام والوقوف من صاحب مصر موقفا حازما يتلاءم مع أفعاله ضد الخلافة العباسية . فدعا له الخليفة القائم وشكره ، وقلده السيف الذي كان قد خرج به من بغداد عام 450 هـ / 1058 م . فقبل السلطان طغرلبك الأرض بين يدي الخليفة مرة ثانية وأنصرف من عنده وعاد إلى مدينة بغداد . **(1)**

وفي يوم الاثنين الخامس والعشرين من ذي القعدة دخل الخليفة القائم بأمر الله العباسي مدينة بغداد ، وبعد موجة من الاضطرابات وحوادث عنف سادت المدينة **(2)** فلم يجد الخليفة جراء هذه الاضطرابات من يستقبله من أعيانها سوى القاضي أبي عبد الله الدامغاني وثلاثة من الشهود **(3)** أما السلطان طغرلبك فأنه سبق الخليفة في دخول بغداد وجلس بباب النوبي (مكان الحاجب) منتظرا قدوم الخليفة القائم بأمر الله ، فلما وصل ترجل طغرلبك عن فرسه وأخذ بلجام فرس الخليفة إعرابا عن احترامه له ، وسار بصحبته ، وهو يمسك بلجام الفرس حتى دخل الخليفة القائم بأمر الله دار الخلافة العباسية . **(4)**

ولم يكد الخليفة القائم بأمر الله يستقر في بغداد حتى أستأذن منه السلطان طغرلبك في المسير لملاحقة البساسيري والقضاء عليه ، فأذن له الخليفة بذلك ، فأمر السلطان قواته بملاحقة البساسيري ، وفي الكوفة أوقعت القوات السلجوقية بجند البساسيري ، وهزمتهم شر

---

(1) الأصفهاني : تأريخ دولة آل سلجوق ، ص 192 ؛ **ابن الجوزي** : المنتظم ، 8 / 207 – 208 ؛ **الحسيني** : زبدة التواريخ ، ص 62 – 63 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 9 / 647 – 648 .

(2) ابن الجوزي : المنتظم ، 8 / 205 .

(3) ابن الجوزي : المنتظم ، 8 / 208 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 9 / 648 ؛ **سبط بن الجوزي** : مرآة الزمان ، ((حوادث السلاجقة)) ، ص 61 .

(4) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص 192 ؛ **الحسيني** : زبدة التواريخ ، ص 63 ؛ **الأربلي** : خلاصة الذهب المسبوك ، ص 266 . **ابن كثير** : البداية والنهاية ، 12 / 82 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هزيمة ، حتى إن البساسيري قتل في أرض المعركة ، وذلك في الثامن من ذي الحجة عام 451 هـ / 1059 م ، فأحتز رأسه وحمل إلى بغداد ، حيث طيف به في الشوارع قبل أن يعلق على باب النوبي . **(1)**

ويذكر بعض المؤرخين أن البساسيري قُتِلَ ، وجيء برأسه إلى بغداد بعد سبعة أيام من تعليق دعاء الخليفة القائم بأمر الله العباسي على جدران الكعبة المشرفة . **(2)**

وبعد أن تمكن السلطان طغرلبك من القضاء على البساسيري أعيدت الخطبة للخليفة العباسي القائم بأمر الله ، وقطعت عن المستنصر بالله الفاطمي في بغداد وجميع المدن التي تمكن البساسيري من الاستيلاء عليها ، بعد أن ظل يخطب فيها للمستنصر الفاطمي أكثر من عام . **(3)**

وبهذا العمل فقد تمكن السلطان طغرلبك من القضاء على الحركة التي تزعمها البساسيري والتي كانت تعد من أخطر الحركات المناهضة للخلافة العباسية ، لأنها قامت في بغداد حاضرة خلافتهم وعاصمة دولتهم ، فضلا عن انحيازها إلى جانب الفاطميين أعداء العباسيين التقليدين .

تظافرت عدة عوامل ساعدت على فشل ثورة أبي الحارث البساسيري وأدت إلى انتهائها بتلك الصورة .

1 - فالجيش الذي قاده البساسيري للاستيلاء على بغداد ، على الرغم من وحدته الظاهرية إلا أنه اشتمل على الكثير من التناقضات رافقت تكوينه منذ البداية ؛ إذ ضم في صفوفه العديد من القوميات (عرب وأكراد وأتراك) ، وأدى هذا الأمر إلى ظهور العنصرية بين عناصر جيشه . **(4)**

---

(1) **ابن القلانسي** : ذيل تاريخ دمشق ، ص 90 – 91 ؛ **الأصفهاني** : تأريخ دولة آل سلجوق ، ص 193 ؛ **ابن الجوزي** : المنتظم ، 8 / 209 ؛ **الحسيني** : زبدة التواريخ ، ص 63 .

(2) **ابن الجوزي** : المنتظم ، 8 / 196 : المصباح المضيء ، 591 ؛ **سبط بن الجوزي** : مرآة الزمان ، ((حوادث السلاجقة)) ، ص 63 .

(3) **الرواندي** : راحة الصدور ، ص 179 ؛ **ابن الأزرق** : تأريخ الفارقي ، ص 157 .

(4) **الشيرازي** : سيرة المؤيد في الدين ، ص 129 ؛ **سرور** : النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، ص 109 – 110 ؛ **الخالدي** : الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق ، ص 119 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

2 - ظهور النزاعات والخلافات بيت أفراد القومية الواحدة عندما قام المؤيد بتوزيع الأموال والخلع التي حملها من مصر على الجند . **(1)**

3 - كما ظهرت المنافسة بين الأمراء العرب للحصول على المزيد من الأموال والخلع والألقاب والسلطة . **(2)**

4 - إلى جانب تنافس الأمراء العرب والقواد من أجل الخلع والألقاب والأموال كان هناك تنافس شخصي ومصلحي بين هؤلاء الأمراء والقادة ، حتى إن المؤيد في الدين وصفهم بأنهم (سباع تتهارش وذئاب تتجارح وتتخادش) . **(3)**

5 - تردي العلاقات بين كل من الأمير قريش بن بدران العقيلي و البساسيري بعد سيطرتهم على بغداد ، وذلك بسبب الأمان الذي منحه قريش للخليفة العباسي القائم بأمر الله . **(4)**

6 - التحالفات السياسية الفاشلة التي عقدها البساسيري مع بعض الأمراء العرب ومنهم الأمير العقيلي قريش بن بدران الذي تخلى عن البساسيري في أصعب الظروف ودخل في مفاوضات مع السلطان السلجوقي طغرلبك . **(5)**

7 - انسحاب العرب من جيش البساسيري في حربه الأخيرة مع السلطان السلجوقي طغرلبك ، وتراجع الأمير دبيس بن مزيد عن تأييده له . **(6)**

8 - رجوع المؤيد في الدين (داعي الدعاة) إلى مصر ، فكان رحيله سبباً في إضعاف الهمة والعزيمة في نفوس أصحاب البساسيري . **(7)**

---

(1) **الشيرازي** : سيرة المؤيد في الدين ، ص 43 .

(2) **الشيرازي** : سيرة المؤيد في الدين ، ص 43 .

(3) **الشيرازي** : سيرة المؤيد في الدين ، ص 129 .

(4) **ابن القلقشندي** : مآثر الأناقة ، 1 / 340 ؛ **ابن تغري بردى** : النجوم الزاهرة ، 5 / 7 ؛ **القزاز** : الخليفة العباسي القائم بأمر الله ، ص 203 .

(5) **ابن القلانسي** : ذيل تاريخ دمشق ، ص 89 ؛ **ابن الجوزي** : المنتظم ، 8 / 203 - 206 ؛ **الحسيني** : زبدة التواريخ ، ص 62 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 9 / 646 - 647 .

(6) **ابن الجوزي** : المنتظم ، 8 / 208 - 209 .

(7) **حسين** : ديوان المؤيد في الدين ، ص 47 ؛ **القزاز** : الخليفة العباسي القائم بأمر الله ، ص 211 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

9 – التغير المفاجئ الذي حصل في موقف الخليفة الفاطمي المستنصر بالله من أبي الحارث البساسيري في المرحلة الأخيرة من حركته ، وتقصيره في إرسال الأموال والسلاح . (1)

10 – كما أدّى الوزير الفاطمي أبا الفرج محمد بن جعفر المغربي دوراً بارزاً في تعميق شك الخليفة الفاطمي بحقيقة نوايا البساسيري ، حيث كان هذا الوزير حاقدا عليه ويؤكد ذلك قوله : (لولا تخوف المستنصر بالله من البساسيري أو تحريضه [**يعني الوزير و حاشيته**] على ما هو بصدده لكانت دعوته تتم بالعراق زماناً طويلاً) . (2)

11 – كما أن الذي أغضب الخليفة الفاطمي من البساسيري فشله في إرسال الخليفة العباسي القائم بأمر الله إلى مصر . (3)

12 – كما أن الجانب المادي كان أحد الأسباب الرئيسة التي أسهمت وبشكل فعّال في تغير موقف الخليفة الفاطمي من تأييده للبساسيري ، الذي أرهق كاهل الخزينة المصرية بتكاليفها الباهظة . (4)

13 – كما أن الدولة الفاطمية في مصر في هذه المرحلة الحرجة أصابتها انتكاسات اقتصادية خطيرة ومتلاحقة تزامنت مع حركة البساسيري وتأثرت بها . (5)

ومن العوامل الأخرى التي أسهمت في فشل ثورة البساسيري الموقف البطولي والشجاع للأمير مهارش بن المجلي صاحب حديثة ، والذي يصفه الكثير من المؤرخين بأنه كان رجلاً صالحاً . فعندما أرسل إليه ابن عمه قريش بن بدران العقيلي يطلب منه تسليم الخليفة العباسي القائم بأمر الله ليستخدمه كورقة ضغط على السلطان السلجوقي طغرلبك

---

(1) **القزاز** : الخليفة العباسي القائم بأمر الله ، ص 210 .

(2) **ابن تغري بردى** : النجوم الزاهرة ، 5 / 11 .

(3) المقريزي : الخطط المقريزية ، 1 / 457 ؛ **الحميري** : الروض المعطار ، ص 406
EL 2 : VOL . 1 , P 1074 , S. V. BASĀSĪRĪ , BY M . CANARD . ؛

(4) **ناجي** : ثورة البساسيري ، ص 76 .

(5) **للمزيد من التفاصيل عن هذه الآثار انظر: ابن ميسر** : اخبار مصر ، 1 / 8 – 11 ؛ **الدواداري** : الدرر المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية ، ص 6 / 371 ؛ **المقريزي** : الخطط المقريزية ، 1 / 235 : إغاثة الأمة بكشف الغمة ، ص 24 ؛ **ابن تغري بردى** : النجوم الزاهرة ، 5 / 15 – 17 ؛ **ابن اياس** : تأريخ مصر المعروف ببدائع الزهور ووقائع الدهور ، 1 / 60 – 61 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تسليم الخليفة العباسي القائم بأمر الله ليستخدمه كورقة ضغط على السلطان السلجوقي طغرلبك رفض الأمير مهارش تسليمه إلى قريش خوفا على حياة الخليفة من بطش البساسيري . **(1)**

أمّا العامل الرئيس والأهم الذي أدى إلى فشل حركة البساسيري وانتهائها بهذه الصورة فهو عزم السلطان طغرلبك على إعادة الخليفة العباسي القائم بأمر الله إلى بغداد عاصمة دولته وحاضرة خلافته ، ومعاقبة البساسيري والقضاء عليه ، وقد كان طغرلبك موفقاً في ذلك ، حيث عرف كيف يصوغ الأمور ويتحكم بها وفق ما يشتهيه ، فاستخدم السياسة والقوة في آن واحد ، إذ استخدم مهارته السياسية في التفريق بين قريش بن بدران والبساسيري ، وكذلك الحفاظ على حياة الخليفة القائم الذي لا يزال في حديثة وعلى مقربة منهما ، حيث أرسل إلى قريش كتاباً يكلفه بإعادة الخليفة العباسي إلى بغداد ، وأنه سوف يتدبر أمر البساسيري فيما بعد بنفسه ، إذ أرسل طغرلبك يقول له : (... ولكل مذنب عندنا في العراق عفوناً وأماننا إلا الفاجر الكافر البساسيري عدو الله ورسوله ، فإنه لا عهد له ولا أمان عندنا فلقد أرتكب في دين الله عظيما وخطباً جسيماً ، وهو إن شاء الله مأخوذ حيث وجد ، ودلت أفعاله على سوء عقيدته وخبث طويته فإن شرب في الأرض لحقه المكتوب على جبهته وإن وقف فالقضاء سابق إلى مهجته ....) . **(2)**

سواء أكان تخلي الخليفة الفاطمي المستنصر بالله عن موقف الداعم للبساسيري وموقف السلطان السلجوقي طغرلبك الحازم من إعادة الخليفة العباسي القائم بأمر الله إلى منصبه كخليفة للمسلمين في بغداد ، ومعاقبة البساسيري على أفعاله الخطيرة ، فقد انتهت حركة البساسيري بهذه الصورة التي أسست لمرحلة جديدة من العلاقات العدائية بين كل من السلاجقة ، والفاطميين الذين رأوا في السلاجقة تهديداً لأحلامهم وأطماعهم في العراق والقضاء على الخلافة العباسية لكي يتولوا الزعامة الروحية على العالم الإسلامي بوصفهم حماة المسلمين ، في حين رأوا السلاجقة في الفاطميين الخطر الذي يهدد نفوذهم في العراق وكذلك القوة الوحيدة التي تقف في طريقهم لمد نفوذهم إلى بلاد الشام والحجاز .

---

(1) **ابن العمراني** : الإنباء في تأريخ الخلفاء ، ص 195 ؛ **ابن الجوزي** : المنتظم ، 8 / 194 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 9 / 643 ؛ **ابن العديم** : بغية الطلب ، ص 10 ؛ **ابن كثير** : البداية والنهاية ، 12 / 82 .

(2) **سبط بن الجوزي** : مرآة الزمان ، ((حوادث السلاجقة)) ، ص 56 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

العلاقات السلجوقية - الفاطمية

((455 – 493 هـ / 1073 - 1099 م))

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit



العلاقات السلجوقية - الفاطمية في عهد السلطان طغرلبك

أزداد نفوذ السلاجقة في العراق والمشرق الإسلامي منذ منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، وكان السلطان السلجوقي طغرلبك يدرك تماما أن الخطر الوحيد الذي يهدد النفوذ السلجوقي في عموم العالم الإسلامي ويقف في طريقه هو خطر النفوذ الفاطمي وخاصة في العراق والمشرق الإسلامي ، فأتخذ السلطان طغرلبك سياسة خاصة للتصدي لهذا النفوذ ، لذلك أرسل رسولاً إلى الخليفة القائم بأمر الله يحمل كتاباً يتضمن الدعاء والثناء للخليفة ، وأنه قصد الحضرة الشريفة للتبرك بمشاهدتها ، والمسير بعد ذلك إلى الحج وعمارة طريقه ، والانتقال إلى قتال أهل الشام وإسقاط المستنصر بالله الفاطمي صاحب مصر . **(1)** وبعد أن تمكن من دخول بغداد عام 447 هـ / 1055 م اتجهت طموحاته السياسية والعسكرية نحو بلاد الشام ، الذي كان خاضعاً آنذاك للنفوذ الفاطمي ، ومن بدأت نقطة الصدام الحقيقي بين الطرفين .

كما أن تبعية الشام للنفوذ الفاطمي ، وموقعه الجغرافي الاستراتيجي الذي يقع على طريق مصر بالنسبة للقادمين من الشرق جعل البلدين مرتبطين في ذهن طغرلبك ومشاريعه السياسية بوصفه هدفاً واحداً ، فضلا عن أنه بدخوله هذه المنطقة سيحصل على تأييد الخليفة العباسي حيث كانت أنظار طغرلبك ممتدة نحو بغداد يلتمس الرضى الديني من خليفتها ويقترب إليه لكونه يتبنى نفس موقف الخلافة العباسية من الخلافة الفاطمية ، ويسعى جاهداً لتوحيد القوى لسحق النفوذ الفاطمي وانتزاع ممتلكاته وإعادته إلى الخلافة العباسية . **(2)**

ففي عام 447 هـ / 1055 م أعلن السلطان طغرلبك صراحة عن نيته في الزحف

---

(1) ابن الجوزي : المنتظم ، 8 / 164 ؛ بك : محاضرات في تأريخ الأمم ، ص 417 ؛ **الدوسكي** : همدان من الفتح الإسلامي إلى سقوطها بيد المغول ، ص 112 .

(2) مصطفى ، شاكر : دخول الترك الغز إلى بلاد الشام في النصف الثاني من القرن الحادي عشر ، مجلة كلية الآداب والتربية ، جامعة الكويت ، العدد الخامس ، سنة 1974 م ، ص 55 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى بلاد الشام ومصر ، وأنه سوف يضع نهاية لحكم الخليفة الفاطمي المستنصر بالله . (1)

وفي الوقت نفسه أرادت الخلافة العباسية الاستفادة من ظهور السلطان طغرلبك وعدائه الشديد للفاطميين لتحقيق بعض مصالحها السياسية والعسكرية ، واستعادة جزء من ممتلكاتها التي سيطر عليها الفاطميون ، وكانت بلاد الشام من أهم تلك المناطق ، والتي من خلالها سيطر الفاطميون على الكثير من مناطق الخلافة العباسية الأخرى ، فسعت الخلافة العباسية جاهدة إلى استعادة بلاد الشام ، إذ أمر الخليفة العباسي القائم بأمر الله السلطان السلجوقي طغرلبك في عام 448 هـ / 1056 م بالمسير إلى بلاد الشام وبالتحديد إلى مدينة الرحبة ، التي أصبحت ملاذ البساسيري ، وقاعدة دسائسه مع الفاطميين ضد الخلافة العباسية وأن يعمل على القضاء عليه أولاً ، وأن يقيم له الخطبة على منابرها ثانياً . وفعلا أخذ السلطان طغرلبك يستعد لتنفيذ أوامر الخليفة القائم ، وأمر جنده بالاستعداد للمسير إلى بلاد الشام ، غير أن جنده رفضوا الانصياع لأوامره ، وقالوا له : (هذه البلاد خربة ليس بها أقوات ولا علوفات ولم يبقَ معنا نفقات ونحن عاجزون عن المقام على ظهور خيولنا فكيف إذا جاء أهلونا وخيولنا ودوابنا ، وقد طالت غيبتنا ولابد لنا من الإلمام بأهلنا ، ونحن نستأذن في العود إليهم) . إلا إن السلطان طغرلبك أصر على المسير وتمكن من إخضاعهم بالقوة وعقد العزم على التوجه نحو بلاد الشام . (2)

وعلى الرغم من أن السلطان طغرلبك تمكن من إخضاع جنده لأوامره إلا أنه لم يَقُمْ بالتوجه إلى بلاد الشام ويعلل ذلك ابن حجر العسقلاني إلى الإجراءات التي تخذها الوزير الفاطمي الحسن اليازوري ، بقوله : (وأتفق قدوم طغرلبك بغداد واستيلاؤه على العراق بعد استيلائه على خراسان ، وأراد بعد ذلك الاستيلاء على الشام فخافه أهل مصر ، فأخذ اليازوري في الحيلة ، وكاتبه وتلطف به ، وأوهمه أنه على طاعته ، وأن البلاد بحكمه ، وأنه لا يتكلف في القتال ولا إنفاق على عسكر ، بل متى أراد وصل بغير مانع ، فتوهم طغرلبك بصحة ذلك ، واقتصر عن الحركة حتى يخلو وجهه لذلك) . (3)

---

(1) **ابن الجوزي** : المنتظم ، 8 / 164 ؛ **مجيد** : أوضاع بلاد الشام العامة قبيل الغزو الصليبي (460 – 490 هـ / 1067 – 1097 م) ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة الموصل 1996 م ، ص 18 .

(2) **سبط بن الجوزي** : مرآة الزمان ، ((حوادث السلاجقة)) ، ص 5 .

(3) رفع الإصر عن قضاة ، ق1 ، ص 195.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن هذا التصرف من قبل الوزير الفاطمي هو سبب نكبته ، إذ وجد أعداؤهُ السبيل إلى القدح فيه ، وأنه يكاتب أعداء الدولة ويستدعيهم إلى أخذ المملكة . **(1)**

وفضلا عن ذلك فهناك عدة أسباب وظروف أخرى – والتي سبق ذكرها – هي التي منعت السلطان طغرلبك من تحقيق حلمه في دخول بلاد الشام . **(2)**

وعلى الرغم من هذه الظروف فأن السلطان طغرلبك كانت له أهدافه الطموحة في هذه المنطقة لذلك حاول استغلال تمرد البساسيري على الخلافة العباسية للدخول إلى بلاد الشام ، إلا إن محاولته هذه أيضا لم يكتب لها النجاح بسبب الظروف المحيطة به بوصفه أول سلاطين السلاجقة فكان عليه أن يعمل على تثبيت أركان حكمه أولا قبل القيام بمثل هذه التطلعات ، إلا أنها على الرغم من ذلك تعد البداية الحقيقية لتطلعات لاحقة قام بها سلاطين السلاجقة من بعده وكتب لها النجاح في دخول بلاد الشام . **(3)**

---

(1) ابن حجر العسقلاني رفع الإصر عن قضاة ، ق1 ، ص 195.

(2) راجع : الفصل الأول ، حركة أبي الحارث البساسيري . ص 42 – 77 .

(3) مجيد : أوضاع بلاد الشام ، ص 19 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً

العلاقات السلجوقية - الفاطمية في عهد السلطان السلجوقي ألب أرسلان ((455 - 465 هـ / 1063 - 1072 م))

إن نقطة التحول في العلاقات السلجوقية – الفاطمية حدثت عندما خلف السلطان السلجوقي طغرلبك على عرش السلطنة السلجوقية ابن أخيه السلطان أبو الشجاع ألب أرسلان محمد بن السلطان جغري بيك داؤد بن ميكائيل ، الذي يعد من ((عظماء ملوك الإسلام وأبطالهم)) . (1) وقال ابن الأثير في حقه : ((وكان كريماً ، عادلاً ، لا يسمع السعايات وأتسع ملكه جداً ، ودان له العالم ، وبحقّ قيل له سلطان العالم)) . (2)

كان السلطان أبو الشجاع ألب أرسلان قائداً ماهراً ، وقد اُتبع منذ وصوله إلى عرش السلطنة السلجوقية سياسة خاصة تعتمد على تثبيت أركان حكمه في البلاد الخاضعة لنفوذ السلاجقة أولا ، وقبل أن يتطلع إلى إخضاع أقاليم جديدة وضمها إلى دولته ، كما كان متلهفاً للجهاد في سبيل الله ، ونشر الإسلام في داخل الأراضي المسيحية المجاورة لدولته ، وكانت روح الجهاد الإسلامي هي المحرك الأساسي لما قام به وأكسبتها صبغة دينية ، وأصبح قائد السلاجقة زعيماً للجهاد ، فقد رفع راية الإسلام خفاقة على مناطق كثيرة من أراضي الإمبراطورية البيزنطية ، لذلك بقى سبع سنوات يتفقد أجزاء دولته المترامية الإطراف قبل أن يقوم بأي توسع خارجي ، وعندما أطمأن إلى استتباب الأمن وتثبيت حكمه في جميع البلاد والأقاليم الخاضعة لنفوذه أخذ يخطط لتحقيق أهدافه البعيدة وهي فتح البلاد غير الإسلامية المجاورة لدولته ، وإسقاط الخلافة الفاطمية في مصر وإعادة توحيد العالم الإسلامي من جديد وتحت راية الخلافة العباسية ، فأعدَّ جيشاً كبيرا وأتجه به نحو بلاد الأرمن وجورجيا فافتحهما وضمهما إلى مملكته ، كما عمل على نشر الإسلام في تلك المناطق . (3)

أخذ السلطان ألب أرسلان يعمل على أعادة توحيد العالم الإسلامي تحت راية الخلافة

---

(1) **الذهبي** : سير أعلام النبلاء ، 18 / 414 .

(2) الكامل ، 10 / 74 .

(3) **الصلابي** : دولة السلاجقة ، ص 72 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العباسية والدولة السلجوقية ، وبدا هذا المشروع بأضعاف النفوذ الفاطمي في عموم العالم الإسلامي وبدأ من مكة المكرمة التي تشغل مكانة رفيعة في قلوب عامة المسلمين ، نظرا لقدسيتها ، حيث تمكن في عام 462 هـ / 1069 م من تحويل ولاء أميرها محمد بن أبي هاشم من الفاطميين إلى العباسيين ، إذ أرسل محمد بن أبي هاشم **(1)** في هذا العام رسولاً إلى السلطان ألب أرسلان ومعَهُ ولدُهُ ، يخبره بقطع الخطبة الفاطمية ، وأقامتها للخليفة العباسي القائم بأمر الله وللسلطان من بعده ، وترك الأذان (بحي على خير العمل) . فأكرمه السلطان ألب أرسلان وأعطاه ثلاثين ألف دينار ، فضلا عن خِلع نفيسة ، وجعل له في كل سنة عشرة ألاف دينار ، وأرسل يخبره أن فعل أمير المدينة المنورة مثل ذلك ، فإنه سوف يعطيه عشرين ألف دينار ، وفي كل سنة خمسة ألف دينار . **(2)**

توجهت أنظار السلطان ألب أرسلان بعد أن حقق أهدافه في بلاد الحجاز نحو بلاد الشام ومصر ، ففي عام 462 هـ / 1069 م أرسل الأمير ناصر الدولة بن حمدان **(3)** بعد أن استبد بحكم مصر في عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي ، الفقيه أبا جعفر بن أحمد بن البخاري إلى السلطان ألب أرسلان يطلب منه القدوم إلى مصر لتسليمه حكم البلاد ، وتغير الدعوة الفاطمية فيها ، وكان السبب في انقلاب ناصر الدولة بن حمدان على الدولة الفاطمية يرجع بالأساس إلى الخلافات التي كانت قائمة بينه وبين جماعة من الأمراء منهم يلدكوز

---

(1) **محمد بن أبي هاشم** : هو أبو هاشم محمد بن محمد أبي هاشم بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبدالله أبي الكرم بن موسى الجون بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) ويعد أبو هاشم مؤسس دولة الهواشم في مكة المكرمة ، إذ استقل بحكم مكة المكرمة عام 454 هـ / 1062 م ، بعد انتصاره على بني سليمان الذي كانوا يتولون حكمها ، وخطب للخليفة الفاطمي المستنصر بالله . أنظر ؛ **القلقشندي** : نهاية الأرب ، ص / 162 ؛ **الزيلعي** : مكة وعلاقاتها الخارجية (301 – 487 هـ) ، ص 67 – 78 .

(2) **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 61 ؛ **اليافعي** : مرآة الجنان ، 3 / 85 .

(3) **ناصر الدولة بن حمدان** : هو الأمير أبو علي الحسين بن ناصر الدولة بن الحسين بن عبد الله أبي الهيجاء بن حمدان ، من أحفاد الأمير الحمداني ناصر الدولة بن حمدان صاحب الموصل ، استقر به الحال بالديار المصرية بعد انهيار أمارة أسرته في بلاد الشام والتحق بخدمة الدولة الفاطمية ، وأستطاع فضل ذكائه أن يتقدم بصورة مذهلة في وظيفته حتى أصبح من أكابر القادة العسكريين فيها . أنظر : **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 80 – 87 ؛ **أبو الفدا** : المختصر ، 2 / 189 – 190 ؛ **ابن الوردي** : تاريخ ، 1 / 566 – 567 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 110 – 135 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العجمي (1) بمصر ، وأمير الجيوش بدر الجمالي (2) في بلاد الشام . (3)

استغل السلطان ألب أرسلان هذا الطلب لتحقيق حلمه وما كان يطمح إليه من السيطرة على مصر وبلاد الشام ، وإعادة توحيد العالم الإسلامي ، والقضاء على الخلافة الفاطمية ، فجهز جيشاً عظيماً لتحقيق هذا الحلم وأنطلق من خراسان ، ووصل من طريق أذربيجان إلى ديار بكر ، ثم نزل مدينة الرها في بلاد الشام عام 463 هـ / 1070 م . (4)

واجه السلطان ألب أرسلان في أثناء نزوله الرها بعض العقبات من الناحيتين العسكرية والسياسية ، فكيف له أن يتجاوز محور الرها (التي كانت آنذاك بيد البيزنطيين) إلى جنوبي بلاد الشام دون تقدير الموقف البيزنطي من جهة ، وكذلك موقف أمراء الجزيرة الفراتية والشام من جهة أخرى ، إذ إن أي أضطرب في العلاقة مع هذه الإطراف من شأنه أن يقطع خط الرجعة على جيشه الذي سيكون بعيداً جداً عن قواعده الخلفية . (5)

بدأ السلطان ألب أرسلان بالعمل على تجاوز هذه العقبات وحسب توجيهات وزيره نظام الملك (6) الذي أوصاه بمهادنة الروم البيزنطيين من جهة ، والاكتفاء بإعلان الولاء

---

(1) **يلدكوز العجمي** : هو من أكابر الأمراء الأتراك ، كان له دوراً بارزاً في قتل ناصر الدولة بن حمدان وتصفية أتباعه في مصر عام 465 هـ / 1072 م ، بعد أن أدرك خطورة ما يقوم به ناصر الدولة من تغير الدعوة الفاطمية في مصر على نفوذه ومصلحته . انظر ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 135 .

(2) **أمير الجيوش بدر الجمالي** : هو بدر بن عبد الله الجمالي ، ولد عام 405 هـ / 1014 م ، أصله من أرمينية أشتراه جمال الدولة بن عمار غلاماً ، فتربى عنده ، ونسب إليه ، وكان بدر الجمالي من الرجال المعدودين من ذوي الآراء والشهامة وقوة العزم ، ولاه الخليفة الفاطمي المستنصر بالله عدة ولايات في بلاد الشام وعهد إليه ولاية دمشق عام 455 هـ / 1063 م ، فلما اضطربت أحوال مصر السياسية استدعاه المستنصر وقلده وزارة السيف والقلم عام 466 هـ / 1073 م ، فساس بدر الجمالي الأمور أحسن سياسة ، وأعاد للدولة الفاطمية هيبتها وتلقب بأمير الجيوش ، توفي في شهر ذي القعدة عام 488 هـ / 1095 م ، تولى الوزارة من بعده أبنه الأفضل شاهنشاه . أنظر : **ابن خلكان** : وفيات الأعيان ، 1 / 403 – 404 ؛ **الذهبي** : العبر في خبر ، 2 / 357 .

(3) **ابن العديم** : بغية الطلب ، ص 21 .

(4) **ابن العديم** : بغية الطلب ، ص 21 .

(5) **مصطفى** : دخول الترك الغز ، ص 71 ؛ **الصلابي** : دولة السلاجقة ، ص 73 .

(6) **نظام الملك** : هو أبو الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس ، والملقب(بنظام الملك قوام الدين الطوسي) اشتغل بالحديث والفقه قبل أن يلتحق بخدمة السلطان داؤد بن ميكائيل ، وعندما تملك ولده السلطان ألب ===

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والطاعة له من قبل الأمراء المحليين من جهة ثانية ، وعدم الدخول في معارك جانبية تؤدي إلى استنزاف قواته العسكرية . (1)

لذلك أنسحب ألب أرسلان من مدينة الرها بعد أن استعصت عليه ، وأضطر إلى التفاهم مع سكانها بعد نحو ثلاثين يوماً من الحصار المتواصل . (2) وتابع طريقه إلى مدينة حلب لضمها لنفوذه ، وحتى يمنع أية محاولة التفاف عليه من جانب البيزنطيين من جهة الجنوب ، عن طريق تحالف بين أمير حلب والبيزنطيين . (3)

أرسل السلطان ألب أرسلان الفقيه أبا جعفر بن أحمد بن البخاري إلى أمير حلب محمود آبن نصر بن صالح المرداسي ، الذي كان يحكم باسم الفاطميين ، يستدعيه للمثول بين يديه وإعلان ولائه للسلطان أسوة بمن وفد عليه وقدم له فروض الطاعة من الأمراء أمثال شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران العقيلي (453 – 478 هـ / 1061 – 1085 م) ، (أمير الموصل) ، وابن مروان (401 – 453 هـ / 1010 – 1061 م) (أمير ميافارقين) وابن وثاب (أمير حران) (452– 474 هـ / 1060 – 1081 م) وابن مزيد (408 – 474 هـ / 1017 – 1081 م) ، (أمير الحلة) ، فضلا عن أعداد كبيرة من أمراء الترك والديلم غير أن الأمير محمود المرداسي تخوف من الحضور أمام السلطان ألب أرسلان ، ولكي يبرر الأمير محمود عدم حضوره أمام السلطان والامتثال لأوامره فضلا عن ثنيه عن دخول مدينة حلب قطع الخطبة للفاطميين وخطب لأمير المؤمنين القائم بأمر الله العباسي وللسلطان ألب أرسلان من بعده ، كما أمر أن يلبس المؤذنون والخطباء السواد فأرسل إليه الخليفة القائم بأمر الله الخلع العباسية مع نقيب النقباء أبي الفوارس طراد بن محمد الزينبي . (4)

=== أرسلان أصبح وزيرَهُ ومدبرَ أمر دولته ، وبقي في خدمته عشرة سنوات ، وكان له دورٌ بارزٌ في تنصب ملكشاه بن ألب أرسلان سلطانا على السلاجقة ، وأزداد نفوذه في عهد السلطان ملكشاه ، كان كريما متديناً كثير الإنعام على الصوفية ، كما أنه بنى العديد من المدارس ، والمساجد ، والربط ، اغتيل عام 485 هـ / 1092 م ، وقيل أن السلطان ملكشاه كان وراء أمر اغتياله . انظر : **ابن خلكان** : وفيات الأعيان ، 1 / 255 – 256 .

(1) **مصطفى** : دخول الترك الغز ، ص 71 .

(2) **سبط بن الجوزي** : مرآة الزمان ، ((حوادث السلاجقة)) ، ص 144 ؛ **ابن العديم** : بغية الطلب ، 21 .

(3) **الصلابي** : دولة السلاجقة ، ص 74 .

(4) **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 64 ؛ **ابن العديم** : بغية الطلب ، 21 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غير أن موقف السلطان ألب أرسلان لم يتغير وبقى مصرا علـــى أن يمتثـــل الأميـــر محمود المرداسي لأوامره وأن يحضر بنفسه أمامه ، فسار السلطان وعبر نهر الفـــرات فـــي منتصف ربيع الآخر عام 463 هـ / 1070 م ونزل بنقرة بني أسد ، وأتخذ من الفنيـــدق **(1)** مركزاً لقيادته ، وكانت الخيام والعساكر السلجوقية منتشرة من حلب إلـــى نقـــرة بنـــي أســـد ومتقاربة مع بعضها البعض ، ما أن وصل ألب أرسلان إلى حلب حتى فرض الحصار عليهـــا وقد استمر هذا الحصار مدة شهرين أرسل خلالهما السلطان العديد من الرســـل إلـــى الأميـــر محمود يدعونه للحضور أمام السلطان ، إلا أن محمود المرداسي كان يـــرفض هـــذه الـــدعوة وأثر الاعتصام بمدينة حلب والدفاع عنها ، حيث أستنفر الرجال من جميع أنحاء بـــلاد الشـــام وتأهب جيدا لمقاومة الحصار الذي ضربه السلاجقة حول المدينة . **(2)**

وفي تلك الإثناء وصل حلب رسول الخليفة العباسي ، نقيب النقبـــاء أبـــو الفـــوارس برسالة الخليفة ، ومعها الخلع العباسية للأمير محمود المرداسي ، فطلب إليه محمود أن يخرج إلى السلطان ألب أرسلان ويستعفـــي له من الحضور أمامه . فخرج أبـــو الفـــوارس إلـــــى السلطـــان في الفنيدق ، وأخبره بأن الأمير محمود قد لبس الخلع القائمية وخطب للخليفة القائم وللسلطان من بعده ، فقال له ألب أرسلان : (أي شيء تساوي خطبتهم وهم يؤذنون حي على خير العمل ؟ ولابد من الحضور ، ودوس بساطي) . **(3)** فامتنع الأمير محمود عن الحضور أيضا . **(4)**

بقى السلطان ألب أرسلان مصراً على حضوره ، وأن يدخل مدينة حلـــب ، إلا أنـــه في الوقت نفسه آثرَ أتباع الطرق السلمية في تنفيذ ذلك ، حيث كان منع عساكره من التعـــرض لمال أحد من المسلمين في هذه المنطقة ، وكان دائما يقول لإتباعه : (أخشى أن أفـــتح هـــذا الثغر فيصير إلى الروم) . **(5)**

---

(1) الفنيدق : من أعمال حلب ، ويعرف أيضا (بتل السلطان) ، بينه وبين حلب خمسة فراسخ ، وكانت به عدة وقعات ، ومن أشهرها واقعة الفنيدق بين ناصر الدولة بن حمدان ، وبنـــي كـــلاب مـــن بنـــي مـــرداس في عام 452 هـ 1060 م ، حيث تمكن بنو مرداس مـــن أســـره . انظـــر : **يـــاقوت الحمـــوي** : معجـــم البلدان ، 4 / 278 .

(2) ابن العديم : بغية الطلب ، ص 22 – 23 ؛ **الصلابي** : دولة السلاجقة ، ص 75 .

(3) ابن الأثير : الكامل ، 10 / 64 .

(4) الأصفهاني : تأريخ دولة آل سلجوق ، ص 206 ؛ **سبط بن الجـــوزي** : مـــرآة الزمـــان ، ((حـــوادث السلاجقة)) ، ص 145 – 146 .

(5) ابن العديم : بغية الطلب ، ص 44 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

باءت جميع محاولة السلطان ألب أرسلان في اقتحام مدينة حلب ، ويعود السبب في ذلك إلى متانة أسوارها ، وحصانة أبراجها ، والمقاومة المستميتة ، والدفاع الشديد الذي بذله سكانها في مقاومة الجيش السلجوقي ، فضلا عن أشراك الأمير محمود المرداسي جميع القبائل العربية في الدفاع عنها ، كما أن طبيعة الجيش السلجوقي الذي يعتمد على فرسان الخفاف ، والمعروف أن عمليات الحصار تتطلب جنودا من المشاة وهذا هو ما أفتقده الجيش السلجوقي ، كما أن نوعية الأسلحة التي أستخدمها هذا الجيش منها القوس والنشاب لم يكن من أسلحة الحصار ، فضلا عن أن الجيش السلجوقي لم يتقبل نفسياً البقاء فترة طويلة في منطقة واحدة مهما كان حجم الغنائم والعوائد التي قد يحصل عليها . **(1)**

ويورد ابن العديم أسباب أخرى وراء فشل السلطان ألب أرسلان في اقتحام المدينة فذكر أن السلطان أراد أن يعطي الروم البيزنطيين انطباعاً عن قوة المدينة وحصانتها حتى لا تكون فريسة سهلة لإطماعهم ، إذ يقول : (وقصد بتطويل الحصار تعظيم البلدة لكونها مجاورة للروم ، فيقع عندهم أن هذا السلطان مع عظم قدره وكثرة عساكره نزل عليها هذه المدة ، ولم ينل منها ما أراد ولا يطمع فيها العدو) . **(2)**

كما أن السلطان ألب أرسلان لم يرد استخدام القوة المفرطة في اقتحام المدينة لأنه كان مدركاً تماماً أن المدينة ستخضع له في النهاية .

وهناك سبب آخر أكثر أهمية ، وهو أن السلطان ألب أرسلان وردت إليه الأنباء بأن الإمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع (ديوجينوس) قد خرج من القسطنطينية إلى بلاد الإسلام وهو عازم على مهاجمة خراسان . **(3)**

أضطر السلطان ألب أرسلان إلى رفع الحصار عن مدينة حلب ، فقد كان الأهم عنده مواجهة الجيش البيزنطي ، لكن قبل أن يرحل حاول أيجاد حل لمعضلة حلب ، فاستخدم سياسة التفريق بين الأمراء الكلابيين والأمير محمود المرداسي ، وأضعاف موقفه ، حيث استدعى جميع أمراء بني كلاب ليختار أميراً منهم يعينه على مدينة حلب ، ويفوضه في السعي للاستيلاء عليها ، وانتزاعها من يد الأمير محمود المرداسي على أن يتفرغ هو

---

(1) زكار : مدخل إلى الحروب الصليبية ، ص 142 ؛ **مجيد** : أوضاع بلاد الشام ، ص 22 ؛ **الصلابي** : دولة السلاجقة ، ص 75 .

(2) بغية الطلب ، ص 18 .

(3) ابن العديم : بغية الطلب ، ص 19 ؛ **الدواداري** : الدرر المضيئة في إخبار الدولة الفاطمية ، ص392 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لمواجهة الجيش البيزنطي ، فلبى الأمراء الكلابيين دعوة السلطان ألب أرسلان وامتثلوا لأمره فلما علم الأمير محمود بتحويل الأمراء الكلابين عنه خشى على سلطانه في حلب ، فتحرك بسرعة باتجاه السلطان ألب أرسلان ، وسعى إلى التوصل إلى المصالحة معه ليحفظ له ملكَه ولتفويت الفرصة على خصومهِ من الأمراء . (1)

خرج الأمير محمود من حلب في ليلة الأول من شعبان عام 463 هـ / 1070 م بصحبة والدته منيعة بنت وثاب النميري ، التي كانت تعرف بالسيدة (علوية) ، ومعه مفاتيح حلب إلى معسكر السلطان ألب أرسلان ، فدخلاً على السلطان ، وقالت والدة محمود للسلطان هذا ولدي قد جئتك به فافعل ما تحب ؟ غير أن ألب أرسلان تلقاهما بالجميل وأحسن إليهما ، وخلع على الأمير محمود ، وأعلن عن بقاء الأمير محمود المرداسي أميراً على حلب ، كما منحه الكثير من الِهبات . (2)

ويعلل شاكر مصطفى إصرار السلطان ألب أرسلان على حضور الأمير محمود المرداسي لأن السلطان السلجوقي رفض الولاء الشكلي من قبل الأمير محمود دون التوثيق الكامل وهذا ما نلاحظه من طريقة معاملة السلطان ألب أرسلان للأمير محمود ، حيث أطلق له البلد ، وخلع عليه ، وكتب توقيعاً له بحلب بعد أن أجبره على الخروج إليه ، وكان هدف السلطان من هذا أن يشعره بالتبعية الفعلية ، ويجعله متوليا على حلب من قبله وتوقيعه وليس كأمير حاكم بقوته الذاتية يستطيع في أية لحظة نقض هذا الولاء ، فضلا عن أن مدينة حلب كانت بالنسبة للسلطان ألب أرسلان مفتاح الطريق الاستراتيجي بين إمبراطوريته في المشرق الإسلامي وبين الأراضي التي يغامر الآن بغزوها في بلاد الشام ، ومصر . (3)

بعد أن تمكن السلطان ألب أرسلان من إخضاع حلب لنفوذه غادرها لمواجهة الجيش البيزنطي بقيادة رومانوس الرابع (ديوجينوس) فالتقى به في ملاذكرد في عام 463 هـ/ 1070 م ودخل معه في معركة شرسة ، والتي كانت من أبرز نتائجها أنتصار المسلمين على البيزنطيين ، وقد أسهبت الكثير من المصادر التأريخية بالحديث عن هذه المعركة التأريخية

---

(1) **ابن العديم** : بغية الطلب ، ص 24 ؛ **الصلابي** : دولة السلاجقة ، ص 75 .

(2) **الأصفهاني** : تأريخ دولة آل سلجوق ، ص 206 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 64 ؛ **سبط بن الجوزي** : مرآة الزمان ، ((حوادث السلاجقة)) ، ص 146 ؛ **الدواداري** : الدرر المضيئة في إخبار الدولة الفاطمية ، ص 391 – 392 .

(3) دخول الترك الغز ، ص 72 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المهمة . (1) نظرا لما حققته من نتائج مهمة وعلى المستوى العسكري والسياسي ، إذ مهدت الطريق أمام جيوش المسلمين للتوغل في آسيا الصغرى ، واقتطاع هذه الأقاليم الآسيوية من ممتلكات الإمبراطورية البيزنطية لأول مرة في التاريخ الإسلامي . كما أنها كانت أهم الأسباب التي أدت إلى قيام الحروب الصليبية عام 490هـ / 1096 م ، وذلك لأن أخبار الهزيمة التي لحقت بالبيزنطيين في هذه المعركة أثارت مخاوف الدول الأوربية ، والتي كانت ترى في الإمبراطورية البيزنطية على أنها الحصن الأمامي الذي يحمي عموم أوربا من خطر الشرق الإسلامي . (2)

ولهذا تعد معركة ملاذ كرد عام 463 هـ / 1070 م نقطة التحول الحقيقية في تأريخ العلاقات السلجوقية – الفاطمية ، وذلك لكون السلاجقة قد بدأوا بالدخول إلى مناطق النفوذ الفاطمي .

أصر السلطان ألب أرسلان على إكمال مشروعه السياسي والعسكري في بلاد الشام حيث عهد إلى إتباعه بضرورة محاربة الفاطميين ، والعمل على تقليص دائرة نفوذهم في بلاد الشام وإخراجهم منها ، فعهد إلى أحد كتابه ويدعى جابر بن صقلاب الموصلي بقيادة فرقة عسكرية والتوجه إلى مدينة طرابلس لمساندة قاضيها ، حيث كان القاضي أمين الدولة أبو طالب عبد الله بن محمد بن عمار قد استبد بحكم هذه المدينة ، وخلع طاعة أمير الجيوش بدر الجمالي ، كما ضم لنفوذه مدينة جبيل التي تقع على الساحل للبناني، ولكي يدعم موقفه في طرابلس وجبيل استعان بالسلاجقة ، فأرسل إليه السلطان هذه الفرقة . (3) ولم يوضح المؤرخون ما تقرر بين كل من السلطان ألب أرسلان وأمير طرابلس أبو طالب بن عمار لكن أغلب الظن أن معاهدة عدم اعتداء عقدت بين الطرفين سمح بموجبها أمير طرابلس لجماعة من الأتراك بالإقامة في بعض أعمال طرابلس . (4)

---

(1) انظر : **ابن القلانسي** : ذيل تأريخ دمشق ، ص 99 ؛ **الراوندي** : راحة الصدور ، ص 189 – 190 ؛ الحسيني: زبدة التواريخ ،ص107 ؛ **مستوفي قزويني** : زبدة كزيدة ، ص 443 ؛

The New Encyclopaedia Britannica , art , Seljuqs Vol . 16 . p 504 .

(2) **السامرائي** : تاريخ الدولة العربية ، ص 224 – 225 .

(3) **ابن العديم** : بغية الطلب ، ص 23 ؛ **الصلابي** : دولة السلاجقة ، ص 76 – 77 .

(4) **الصلابي** : دولة السلاجقة ، ص 77 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما أرسل السلطان ألب أرسلان أحد أتباعه ويدعى أتسز الخوارزمي (1) إلى فلسطين التي كانت آنذاك خاضعة للنفوذ الفاطمي ، فتمكن أتسز من فتح مدينة الرملة وبيت المقدس وما جاورهما من البلاد والحصون ما عدا مدينة عسقلان . (2) كما أستطاع أن يستولي على طبرية التي كانت أيضا بيد النواب الفاطميين ، وقد بقيت هذه المدينة تحت سيطرته حتى قتل عام 471 هـ / 1078 م . (3)

كما أمر ألب أرسلان كلاً من الأمير محمود المرداسي وأيتكين السليماني المعروف بالحلبي ، الذي كان يتولى شحنة بغداد قبل هذا ، بأن يعملا على تقويض دعائم الحكم الفاطمي في بلاد الشام ، وأن يسيرا الجيوش إلى مدينة دمشق والأعمال المصرية ، ويقطعوا الخطبة فيها للفاطميين ، وأقامتها للخليفة القائم بأمر الله العباسي وللسلطان من بعده . (4)

وفي عام 464 هـ / 1071 م وتنفيذا لأوامر السلطان ألب أرسلان قاد الأمير محمود المرداسي وأيتكين السليماني قواتهما وتوجها جنوبا صوب مدينة دمشق لانتزاعها من أيدي النواب الفاطميين ، فتوقفا في مدينة بعلبك ليخططا لحملتهما ، وفي أثناء توقفه وصلت الأخبار إلى الأمير محمود بأن عمه عطية المرداسي هاجم مدينة حلب بالتعاون مع الروم البيزنطيين في إنطاكية واحرقا قسماً من معرة المصريين ، فاضطر الأمير محمود للعودة إلى مقر إمارته للدفاع عنها ، وأشتبك مع البيزنطيين في عدة معارك ، غير أنه أنهزم أمامهم

---

(1) **أتسز الخوارزمي** : أتسز ابن أوق الخوارزمي ، كانت أسرته تتولى زعامة جماعة من المرتزقة تعرف بالناوكية ، وكانت هذه الجماعة تشن غاراتها المدمرة على بلاد الشام ، فلما دخل السلاجقة بلاد الشام التحق بخدمة السلطان السلجوقي ألب أرسلان ، ومن بعده أبنه ملكشاه ، عمل على محاربة النفوذ الفاطمي في بلاد الشام ، وتمكن من انتزاع الكثير من مناطق نفوذهم في هذه المنطقة ، كما أنه حاول الاستيلاء على الديار المصرية عام 469 هـ / 1076 م ، إلا أنه فشل في تحقيق ذلك ، قتل على يد الأمير السلجوقي تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان في شهر ربيع الآخر عام 471هـ . انظر : **الذهبي** : سير الإعلام النبلاء ، 19 / 431 – 432 ؛ **مجيد** : أوضاع بلاد الشام ، ص 15 – 16 .

(2) **ابن القلانسي** : ذيل تأريخ دمشق ، ص 98 – 99 ؛ **ابن الأزرق** : تاريخ الفارقي ، ص 192 ؛ **سبط بن الجوزي** : مرآة الزمان ، ((حوادث السلاجقة)) ، ص 152 ؛ **الذهبي** : دول الإسلام ، 1 / 237 ؛ **مجير الدين الحنبلي** : الأنس الجليل بتأريخ القدس والخليل ، 1 / 305 .

(3) **ابن شداد** : الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، (تأريخ لبنان والأردن وفلسطين) ، ص 131 .

(4) **سبط بن الجوزي** : مرآة الزمان ، ((حوادث السلاجقة)) ، ص 153 ؛ **ابن العديم** : زبدة الحلب ، 2 / 36 – 37 ؛ **الصلابي** : دولة السلاجقة ، ص 77 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمامهم ، وعندما وجد نفسه عاجزاً عن الوقوف بوجههم استعان بالأمير أتسز الخوارزمي وأخوته حيث كانوا في الجنوب يحاولون انتزاع فلسطين من أيدي الفاطميين ، فلبى هؤلاء دعوة الأمير المرداسي ، وقدموا حلب ، وتمكن الأمير محمود بفضل مساعدتهم من صد البيزنطيين ووقف هجماتهم على أراضيه ؛ وبعد أن أمن الأمير محمود جانب البيزنطيين طلب من أتسز الخوارزمي وأخوته مغادرة حلب وأغراهم بالمال والخيل . **(1)**

توجه الأمير أتسز بعد أن طلب منه الأمير محمود المرداسي مغادرة حلب إلى مدينة دمشق بهدف ضمها للنفوذ السلجوقي ، وفرض الحصار عليها ، وهاجم أعمالها ، وقطع عنها المؤن و نهب محاصيلها الزراعية ، وعلى رغم من ذلك كله فأنه فشل في دخولها . **(2)**

أدرك الخليفة الفاطمي المستنصر بالله الخطر الذي يمثله السلاجقة على نفوذه في بلاد الشام بعد نجاح السلطان ألب أرسلان في ضم مدينة حلب ، كما تمكن الأمير أتسز الخوارزمي من ضم العديد من مناطق بلاد الشام التي كانت بيد نوابه إلى النفوذ السلجوقي ، فخاف الخليفة الفاطمي من أن يصل هذا النفوذ إلى الأراضي المصرية وخاصة أن ناصر الدولة بن حمدان قد دعى السلطان السلجوقي ألب أرسلان للحضور إلى مصر ، وقطع الدعوة الفاطمية فيها فجهز المستنصر بالله جيشا لقتال ناصر الدولة إلا إن الأخير تمكن من دحر هذا الجيش ، ولم يكتفِ ناصر الدولة بذلك بل أنه قطع الميرة عن مصر كلها والقاهرة بوجه خاص ، ونهب أكثر الوجه البحري **(3)** ، ثم تجرا على قطع الخطبة للمستنصر بالله الفاطمي في مدينة الإسكندرية ودمياط وجميع الوجه البحري، وخطب فيها للخليفة القائم بأمر الله العباسي واستمر هذا الوضع ثلاث سنوات إلى أن من قتل ناصر الدولة بن حمدان في صحن داره عام 465 هـ / 1072 م على أيدي جماعة من الأتراك بقيادة الأمير إلدكز ، وبتدبير من الأمراء الأتراك الذين أدركوا خطورة ما يقوم به ناصر الدولة على مصالحهم ونفوذه ؛ وبمقتل ناصر الدولة عادت الدعوة الفاطمية إلى تلك المناطق . **(4)**

---

(1) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، ((حوادث السلاجقة)) ، ص 153 ؛ **ابن العديم** : زبدة الحلب ، 2 / 36 – 37 ؛ **الصلابي** : دولة السلاجقة ، ص 77 .

(2) ابن القلانسي : ذيل تأريخ دمشق ، ص 99 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 68 ؛ **الذهبي** : دول الإسلام ، 1 / 237 .

(3) الوجه البحري : جميع البلاد التي تقع شمال مدينة مصر ؛ **المقريزي** : الخطط المقريزية ، 1 / 72 .

(4) ابن الأثير : الكامل ، 10 / 80 – 87 ؛ **ابن ميسر** : أخبار مصر ، 2 / 19 – 20؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 131 – 135 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعلل القزاز فشل الخليفة الفاطمي المستنصر بالله في القضاء علـــى تمـــرد ناصـــر الدولة ٱبن حمدان بالسياسة الخاطئة وغير الموفقة التي أعتمدها الخليفــة الفــاطمي وخاصــة تحالفه مع أبي الحارث البساسيري ، حيث قدم له المساعدات المالية الكبيــرة وعلـــى حســـاب الخزانة المصرية بهدف القضاء على الخلافة العباسية في بغداد ، وعنـــدما فشـــلت حركـــة البساسيري في العراق وجد الخليفة الفاطمي نفسَهُ وحيداً وقد أنفض عنه أقرب حلفائـــه وكـــان أولهم الأمير ناصر الدولة بن حمدان . **(1)**

وهكذا يمكن القول أن السلطان طغرلبك هو أول من فكر في تقويض دعـــائم الحكـــم الفاطمي في بلاد الشام ، ومدَّ نفوذ السلاجقة إليه ، إلا أن السلطان ألب أرسلان كـــان هـــو أول من بدأ فعلاً في تقويض أركان الحكم الفاطمي في بلاد الشام ، وإيجاد قواعد مهمة للنفوذ السلجوقي في هذه المنطقة الحيوية من العالم الإسلامي ، وأخذ يعمل على توسيع دائرة النفـــوذ السلجوقي في بلاد الشام ، وتقليص دائرة نفوذ الفاطمي فيه .

---

(1) الخليفة العباسي القائم بأمر الله ، ص 213 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثاً

((العلاقات السلجوقية - الفاطمية في عهد السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان 465 - 485 هـ / 1072 - 1092 م))

تولى عرش السلطنة السلجوقية بعد مقتل السلطان ألب أرسلان ولده وولي عهده جلال الدين أبو الفتح ملكشاه ، الذي كان يرافق والده ألب أرسلان في حملته الأخيرة في ما وراء النهر فلما قتل والده عاد ملكشاه إلى مدينة نيسابور في ربيع الآخر عام 465 هـ / 1072 م وأعتلى عرش السلطنة السلجوقية ، وتولى وزير أبيه ، الذي أصبح وزيره أيضا ، نظام الملك أخذ البيعة للسلطان الجديد من الأمراء والمقدمين ، كما أرسل السلطان ملكشاه إلى الخليفة القائم بأمر الله العباسي يطلب التفويض له بالسلطنة ، وإقامة الخطبة باسمه ، فأجابه الخليفة القائم بأمر الله إلى ذلك ، وخطب له من على منابر بغداد في شهر رجب عام 465 هـ / 1072 م . (1)

واجهت السلطان ملكشاه في بداية حكمه بعض المشاكل الداخلية التي أثارها بعض من أقاربه إلا أنه تمكن من القضاء عليها . (2)

وقد استغل الفاطميون ذلك لاستعادة ما فقدوه من أملاكهم في بلاد الشام ، وتمكن أمير الجيوش بدر الجمالي ، قائد الجيش الفاطمي من استعادة بيت المقدس في عام 465 هـ / 1072 م وولى عليه نائباً من قبله . (3)

توجه بدر الجمالي بعد ذلك إلى مدينة عكا ، التي كانت تابعة للفاطميين قبل أن يتمكن أتسز بن أوق الخوارزمي من الاستيلاء عليها في عام 464 هـ / 1071 م ، فتمكن بدر الجمالي من إعادتها إلى دائرة النفوذ الفاطمي في عام 465 هـ / 1072 م ، وأخرج منها نائب أتسز ، وتولى ولايتها بنفسه . (4)

---

(1) **ابن الجوزي** : المنتظم ، 8 / 277 ؛ **الحسيني** : زبدة التواريخ ، ص 121 - 122 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 76 ؛ **ابن الوردي** : تاريخ ، 2 / 566 .

(2) **الأصفهاني** : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص 213 ؛ **الحسيني** : زبدة التواريخ ، ص 122 - 123 .

(3) **ابن شداد** : الأعلاق الخطيرة ، ص 200 .

(4) **ابن شداد** : الأعلاق الخطيرة ، ص 173 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعد أن تمكن السلطان ملكشاه من تثبيت نفوذه في الحكم ، وأطمأن إلى استقرار الأوضاع في السلطنة ، أخذ يتبع سياسة توسعية تهدف إلى توسيع الدولة السلجوقية وبسط نفوذها على جميع أنحاء العالم الإسلامي ، واحيا مشروع أبيه ألب أرسلان بدخول بلاد الشام تمهيدا لاستعادة مصر ، والقضاء على الخلافة الفاطمية فيها واجتثاث جذورها ، واسترجاع ما فقدته الخلافة العباسية من البلاد لمصلحة الفاطميين . **(1)**

وبدأ السلطان ملكشاه سياسته هذه في بلاد الشام وذلك باستعادة ما سيطر عليه الفاطميون ، حيث تمكن أتسز الخوارزمي من استعادة بيت المقدس ، وذلك لان نائب الفاطميين عليها الذي كان تركياً قد خاف على نفسه من بطش السلاجقة ، فأرسل إلى أتسز يطلب منه القدوم لتسليمه المدينة في مقابل حصوله على الأمان ، حيث أرسل يقول له : (أنا منكم وما أقمت على الامتناع إلا وفاء لمن كنت خادما له وعبداً ، وقد فعلت ما يجب علي فإن أمنتني على نفسي ومالي سلمت إليك البلد ، ونزلت إليك وأقمت معك) . **(2)** فأعطاه أتسز الأمان ، كما أقطعه بعض البساتين ، فدخل أتسز المدينة بسلام ، ونودي بالأمان لأهلها ، كما لم يتعرض جنده لأموال الأهالي ، كما عمل على اصلاح أمور المدينة وتنظيمها وعهد إلى قسم من جنده مسؤولية حفظ الأمن داخل المدينة ، فضلا عن أقامة الخطبة للخليفة القائم بأمر الله وللسلطان ملكشاه من بعده ، كما فتح جميع الحصون المجاورة لبيت المقدس ، وذلك في عام 465 هـ / 1072 م . **(3)**

كما أرسل أتسز أحد قادته العسكريين ويدعى منكلي التركي إلى عكا عام 466 هـ / 1073 م ، التي استولى عليها بدر الجمالي في عام 465 هـ / 1072 م والذي ظل والياً عليها حتى عام 466 هـ / 1073 م حيث استدعاه المستنصر بالله الفاطمي إلى مصر فولى عليها نائبا من قبله ورحل إلى مصر ، فاستغل ذلك أتسز لاستعادتها فأرسل منكلي التركي الذي حاصر المدينة وتمكن من دخولها وقتل الوالي الفاطمي الجديد ، لكن أتسز عندما أرسل نائبه إلى المدينة رفض منكلي تسليمها له ، لاعتقاده بأنه أحق بها منه وبخاصة أنه استولى

---

(1) **المعاضيدي** : الحياة السياسية في بلاد الشام ، ص 89 ؛ **الجميلي** : إمارة الموصل في العصر السلجوقي (489 – 521 هـ) ، ص 73 .

(2) **سبط بن الجوزي** : مرآة الزمان ، ((حوادث السلاجقة)) ، ص 169 .

(3) **سبط بن الجوزي** : مرآة الزمان ، ((حوادث السلاجقة)) ، ص 169 ؛ **ابن شداد** : الأعلاق الخطيرة ، ص 200 ؛ **مجير الدين الحنبلي** : الأنس الجليل ، 1 / 305 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عليها بقوة سيفه ، فقتل هذا النائب وخلع طاعة أتسز ، ولم يكتفِ بذلك بل أنه خرج إلى طبرية فاستولى عليها وعين عليها نائباً من قبله ، فلما علم أتسز بهذا الأمر قصد طبرية وتمكن من هزيمة منكلي التركي وقتله ؛ فوجد والد منكلي الذي كان نائبا عن ولده في مدينة عكا أنه لابد من الهرب من أتسز الخوارزمي والالتجاء إلى الفاطميين للتخلص من هذا الخطر فقصد مصر عن طريق البحر ، وأخذ معه نساء أمير الجيوش بدر الجمالي فلما دخل مصر أعلن ولاءه للفاطميين فعينه الفاطميون نائباً لهم في عكا ، وبذلك عادت عكا إلى الفاطميين مرة ثالثة وأستمر أبو منكلي نائباً عليها إلى أن خرج عن طاعتهم في عام 483 هـ / 1090 م فخرج نصير الدولة الجيوشي لقتاله ، فحاصره وتمكن من قتله ، وتسلم مدينة عكا وولى عليها نائباً عن الفاطميين ، وقد بقيت هذه المدينة تحت نفوذهم إلى أن دخلها الصليبيون . **(1)**

أستمر السلاجقة بسياستهم التوسعية ، واستمروا يقصدون مدينة دمشق في كل عام في وقت جني المحاصيل الزراعية لأخذها منهم لإضعاف أهلها وعساكرها ، فلما كان عام 467 هـ / 1074 م عادوا إلى محاصرتها بقيادة أتسز ، وعاثوا في نواحيها وقطعوا الميرة عنها ، وكان أمير دمشق آنذاك حصن الدولة معلي بن حيدرة بن منزو الكتامي **(2)** إلا أن أتسز لم يتمكن من الاستيلاء عليها مما اضطره إلى الانصراف عنها في شهر شوال من ذلك العام ، كما أن أميرها معلي بن حيدرة ما لبث هو الآخر أن هرب منها في شهر ذي الحجة ، وذلك بسبب أساءته السيرة في الجند والرعية على حد سواء ، فثاروا عليه ممّا اضطره إلى الهروب إلى مدينة بانياس ومنها إلى صور ، ثم أخذ إلى القاهرة حيث حبس بها وظل في حبسه حتى وافته المنية . **(3)**

تمكن الثائرون بمدينة دمشق من تنصيب انتصار بن يحيى المصمودي **(2)**

---

(1) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، ص 173 – 174 .

(2) حصن الدولة معلي بن حيدرة بن منزو الكتامي : تولى ولاية دمشق من غير تقليد من الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ، وذلك يوم الخميس الثامن من شوال عام 461 هـ / 1068 م ، وكان حصن الدولة ظالماً ، صادر أموال الكثير من أهالي دمشق ، كما لقى أهالي المدينة في زمنه الكثير من الظلم والتعسف . انظر : **ابن القلانسي** : ذيل تاريخ دمشق ، ص 95 .

(3) ابن القلانسي : ذيل تأريخ دمشق ، ص 96 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 103 .

(2) انتصار بن يحيى المصمودي المعروف بـ (رزين الدولة) : هو مقدم العساكر الفاطمية في مدينة دمشق ، وعندما هرب حصن الدولة معلي بن حيدرة من ولاية دمشق ، أتفق جميع العساكر على تولية انتصار بن يحيى ولاية دمشق ، للدفاع عنها ، ومعالجة أوضاعها ، وكان ذلك مستهل محرم عام 468 هـ / 1075م . أنظر : **ابن القلانسي** : ذيل تاريخ دمشق ، ص 108 ؛ **ابن عساكر** : تاريخ دمشق ، 9 / 230 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمعروف (برزين الدولة) والياً عليها ، إلا إن رزين الدولة لم يستطع معالجة الأمور داخل دمشق فارتفعت الأسعار ، كما وقع الخلاف بين أنصار المصمودي وأحداث المدينة فلما علم أتسز بحقيقة ما يجري في دمشق عاد إليها وفرض عليها الحصار من جديد واستمر هذا الحصار حتى ضاق الأمر بأهلها ، إذ قلّت المؤن نتيجة هذا الحصار مما اضطرهم إلى الاستسلام وطلب الأمان من أتسز في شهر ذي القعدة عام 468 هـ / 1075 م ، فأقيمت الخطبة في يوم الجمعة الخامس والعشرين من ذي القعدة للخليفة المقتدى بأمر الله العباسي (467 – 487 هـ / 1074 – 1094 م) وقطعت عن الخليفة الفاطمي المستنصر بالله غير أن أتسز أتخذ عدة إجراءات أساء فيها لأهالي دمشق حتى إنهم أخذوا يدعون عليه في المساجد عَقِبَ كلّ صلاة . (1)

كتب أتسز بن أوق الخوارزمي إلى الخليفة العباسي المقتدى بأمر الله يخبره باستسلام مدينة دمشق له ، وأنه نظر في أمورها بما يعود بصلاح أحوالها وأعمالها ، كما يعلمه بارتفاع الأسعار فيها مع قلة الأقوات مّما حمله على أطلاق الغلات الزراعية لفلاحي (المرج والغوطة) من أعمالها ، فأدى ذلك إلى تحسين أحوال أهلها . (2)

أدرك أمير الجيوش بدر الجمالي خطورة ما يقوم به السلاجقة على النفوذ الفاطمي في العالم الإسلامي ، وفقدان الفاطميين مكانتهم كحماة للإسلام لصالح العباسيين بعد أن سيطر السلاجقة على مكة المكرمة والمدينة المنورة ، فبدا أمير الجيوش بدر الجمالي يعمل على أستعادة هذه المكانة ، فأرسل إلى أمير مكة المكرمة يسأله أن يعيد الخطبة للفاطميين في مدينته ، غير إن أمير مكة المكرمة لم يوافق على إعادة الخطبة ، فأرسل بدر الجمالي إلى أعيان بني عمه وقال لهم : (الحجة التي كان يحتج بها قد زالت ، وهي وفاة ألب أرسلان وخليفة بغداد ، ولم يبقَ في رقبته عهد وهذه الدولة التي نحن فيها لكم ومنكم وقد فعلتم ما لا ينغسل إلا بالرجوع فان أبيتم كاتبنا بني عمكم الأشراف وأخرجناكم من البلد وقويناهم بالمال والرجال) وبعث لهم المال . (3) فاجتمع الأعيان بابن عمه (ابن أبي هاشم) وذكروا له

---

(1) **ابن القلانسي** : ذيل تأريخ دمشق ، ص 108 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 99 – 100 ؛ **أبو الفدا** : المختصر ، 2 / 192 ؛ **ابن كثير** : البداية والنهاية ، 12 / 112 – 113 .

(2) **ابن القلانسي** : ذيل تأريخ دمشق ، ص 109 ؛ **سبط بن الجوزي** : مرآة الزمان ، ((حوادث السلاجقة)) ، ص 180 ؛ **المعاضيدي** : الحياة السياسية ، ص 90– 91 .

(3) **سبط ابن الجوزي** : مرآه الزمان ، ((حوادث السلاجقة)) ، ص 174 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما بعثه الفاطميون ، وقال له : (المصلحة إعادة الخطبة للمصرين وألا خرج الأمر من أيدينا والغلاء قد وقع بالحجاز) ، فخاف ابن أبي هاشم كثيرا ، ووافق على إعادة الخطبة وهو مضطر ، واستلم المال الذي بعثه أمير الجيوش ، وقلعت ألقاب الخليفة القائم العباسي والسلطان ألب أرسلان من لوح على بئر زمزم ، وحطت الكسوة الخراسانية عن جدران الكعبة المشرفة التي كان قد أرسلها السلطان ألب أرسلان إلى مكة المكرمة ، وجعلت مكانها كسوة بيضاء عليها ألقاب المستنصر بالله الفاطمي ، وكان ذلك في عيد الأضحى عام 467هـ / 1074 م . (1)

وقد كانت رغبة الفاطميين في السيطرة على هاتين المدينتين المقدستين نابعة من فكرة إن أمير المؤمنين الحقيقي هو من أستطاع بسط نفوذه على الحرمين الشريفين (المكي والمدني) . (2)

إلا إن السلاجقة تمكنوا من أعادة الخطبة للعباسيين في مكة المكرمة في شهر ذي الحجة عام 468 هـ / 1075 م وكان السبب وراء ذلك ، أن سلار الحاج الخراساني قد لوح لابن أبي هاشم أمير مكة المكرمة بتزويجه من أخت السلطان ملكشاه فمال الأمير لذلك ، واتفق مع أبناء عمه على أن يبعث رجلين إلى مصر يتطلعان على أحوال الخليفة الفاطمي قبل أن يقدم على قبول عرض السلطان ملكشاه ، ويعيد الخطبة في مكة المكرمة للعباسيين ؛ ولما عاد الرسولان وشرحا له ما آلت أليه الأمور في مصر من سوء في الأوضاع الاقتصادية ونفاذ الأموال ، وكان الخليفة الفاطمي قد أرسل في تلك السنة ألف دينار فقط وفي تلك الأثناء وصل كتاب سلار الخراساني إلى الأمير يخبره بأنه قرر أمر الصلة وانه أعطى للسنين الماضية عشرين ألف دينار عزل منها عشرة ألاف للمهر ، فخطب أمير مكة للخليفة العباسي المقتدى بأمر الله والسلطان ملكشاه من بعده . (3) ألا انه لا يوجد في المصادر التأريخية ما يشير إلى أن هذا الزواج قد تمَّ فعلاً .

بعد النجاحات الكبيرة التي حققها لسلاجقة على حساب الفاطميين ، وخاصة قي بلاد الشام وجد القائد السلجوقي أتسز الخوارزمي بأن الوقت قد حان لتحقيق حلم السلاجقة بدخول مصر ، وإسقاط الخلافة الفاطمية فيها وأعادتها إلى طاعة الخلافة العباسية ؛ فجهز

---

(1) **سبط ابن الجوزي** : مرآه الزمان ، ((حوادث السلاجقة)) ، ص174 .

(2) **ابن خلدون** : مقدمة ابن خلدون ، ص 205 – 206 .

(3) **ابن الجوزي** : المنتظم 8 / 298 ؛ **ابن الأثير** : الكامل 10 / 98 ؛ **سبط ابن الجوزي** : مرآه الزمان ، ((حوادث السلاجقة)) ، ص 179 – 180 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جيشاً كبيراً وسار به قاصداً الأراضي المصرية في عام 469 هـ / 1076م ، وبعد أن أغراه ابن يلدكوز قائد عسكر الأتراك في الجيش الفاطمي بفتح مصر ، وكان ابن يلدكوز قد احتمى بأتسز بعد هروبه من مصر نتيجة الخلافات التي حصلت بينه وبين أمير الجيوش بدر الجمالي ؛ وكان ابن يلدكوز قد أهدى لأتسز الخوارزمي بعض التحف التي استولى عليها أبوه من خزائن الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ، ومنها ستون حبة لؤلؤ تزن الواحدة منها أكثر من مثقال ، وحجر ياقوت كبير يزن سبعةَ عشرَ مثقالاً ، وحثه على التوجه إلى مصر . (1)

وعندما دخل أتسز الخوارزمي بقواته الأراضي المصرية أشار عليه ابن يلدكوز بأن لا يدخل القاهرة مباشرة بل عليه أن يبدأ بمنطقة الريف فإذا سيطر عليه فأنه سوف يتمكن من الاستيلاء على باقي الأقاليم بسهولة ، حيث قال له : (إذا ملكت الريف فقد ملكت مصر) . (2) فبدا أتسز عملياته العسكرية من ريف مصر وتوغل بقواته البالغ تعدادها قرابة العشرين ألف في ريف مصر ودون أن يصادف أية مقاومة تذكر ، فعسكر فيه قرابة ثلاثة أشهر ودون أن يسير إلى القاهرة ، وفي حين انتشر أصحابه في أنحاء الريف وقراه ، وقد أساءوا كثيراً إلى سكانه ، مما حمل رؤساء تلك القرى إلى الكتابة إلى الخليفة الفاطمي المستنصر بالله في القاهرة يشكون إليه ما نزل بهم من عبث جند السلاجقة بقراهم . (3)

لم يكن أمير الجيوش بدر الجمالي في الوقت الذي زحف فيه أتسز الخوارزمي على مصر ونزوله الريف مستعدا لمواجهة هذه الحملة لانشغاله بإخماد بعض التمردات في بلاد الصعيد ، فلما بلغه قدوم أتسز واستعداده للزحف على مدينة القاهرة عاد إليها مسرعاً وأخذ يعمل على تجنيد جميع الرجال القادرين على حمل السلاح ، كما استمال بدر بن حازم الكلبي ، وجماعة من الحجاج الذين كانوا متأهبين للسفر إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج قائلا لهم : أن دفع خطر هذا العدو أفضل من الحج . فأجابوه إلى طلبه ، فأمدهم أمير الجيوش بالأموال والأسلحة ؛ كما تمكن شكلي (والد منكلي التركي) من مكاتبة جماعة من التركمان من جيش أتسز وتمكن من استمالة نحو سبعمائة منهم إلى جانبه ، حيث كان هؤلاء يكرهون

---

(1) **ابن ميسر** : اخبار مصر ، 2 / 23 – 25 ؛ **المعاضيدي** : الحياة السياسية في بلاد الشام ، ص 90 – 91 ؛ مجيد : أوضاع بلاد الشام ، ص 38 .

(2) **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 140 .

(3) **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 104 ؛ **سبط بن الجوزي** : مرآة الزمان ، ((حوادث السلاجقة)) ، ص 182 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 139 – 140 ؛ **المعاضيدي** : الحياة السياسية ، ص 91 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أتسز كثيراً بسبب ظلمه وتعسفه فاتفقوا على حربه . كما أرسل أمير الجيوش فرقة استطلاعية تتكون من نحو ألفي فارس ، وكان هدفها الأساسي المناورة ، ومعرفة مدى قوة جيشه إلا إن أتسز تمكن من دحرهم ، فرجعوا إلى القاهرة . (1)

مع ذلك فإن أمير الجيوش بقى متحفظاً من مواجهة أتسز وقواته ، حتى إنه أعدَّ له وللخليفة الفاطمي سفناً للهرب عند الضرورة ، فلما علم الناس بما أعده بدر الجمالي خافوا ، وتوجهوا إلى قصر الخليفة الفاطمي ، واجتمعوا أمامَ بابهِ ، وطلبوا تفسيراً لذلك حيث قالوا : (تمضي أنت وبدر في السفن ونهلك نحن) . فكان جواب المستنصر بالله : (إني مقيم فإن مضى أمير الجيوش إلى حيث يطلب السلامة ، فها هنا من السفن ما يغمكم (2) مع أنني واثق من الله بالنصر ...) . (3)

أخذ أمير الجيوش يَعُدُّ جيشاً كبيراً لمواجهة أتسز ، وقد ضم هذا الجيش الكثير من العرب وأهالي البلاد حتى بلغ عدد أفراده زهاء ثلاثين إلفا ، خرج بدر الجمالي ومعه جيشه إلى ظاهر القاهرة ، فاقبل أتسز في جحافله ، فأرتاع بدر الجمالي لما وجد عليه جيش أتسز من العدد والعدة ، إلا إن بدر بن حازم الكلبي تمكن من عمل كمين وراء خطوط جيش أتسز الخلفية حيث قاد إلفي فارس والتف حول جيش أتسز وأضرم النار في معسكره ، كما نهب الخيول التي كانت محملة بالعتاد ، فلما رأى أتسز ضخامة الجيش الذي أعده أمير الجيوش فضلا عن الكمين الذي نصبه له بدر الكلبي قرر العدول عن مواجهة الجيش الفاطمي ، إذ وجد أن لا قبل له على هذه المواجهة ، وأستشار أصحابه فيما يفعل ، فاختلفت آراؤهم حول العدول أو المواجهة ، وأشار عليه قسم من أصحابه أن إعدادهم قليلة وهم في بلاد مصر يواجهون جيشاً كبيراً وإذ خسروا المعركة سوف تكون العواقب وخيمة عليهم ؛ إلا إن ابن يلدكوز هون عليهم الأمر وبين لأتسز بأن جميع أنصار بدر الجمالي وقواته أخلاط وسوقة فهم لا يعرفون القتال ، ولا يمكنهم الصمود طويلاً أمام جيش منظم كجيشه ، عندئذ تشجع أتسز وقرر مواجهة جيش بدر الجمالي ، فتلاقى الجيشان في يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من رجب عام 469 هـ / 1076 م فتمكن جيش بدر الجمالي من مهاجمة ميمنة جيش أتسز وهزمها ، كما هاجم السودان قلب الجيش الذي كان فيه أتسز فانهزم هو الآخر ، وكانت نتيجة

---

(1) **سبط بن الجوزي** : مرآة الزمان ، ((حوادث السلاجقة)) ، ص 182 – 183 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 140 ؛ **مجيد** : أوضاع بلاد الشام ، ص 38 .

(2) **يغمكم** : هكذا وردت في مرآة الزمان ، ((حوادث السلاجقة)) ، لسبط بن الجوزي ، ص 183 .

(3) **سبط بن الجوزي** : مرآة الزمان ، ((حوادث السلاجقة)) ، ص 183 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعركة اندحار جيش أتسز ومقتل أحد أخوته وقطع يد أخيه الأخر ، ففضل أتسز الانسحاب إلى مدينة الرملة مع من تبقى من قواته فتبعهم السودان والعرب قتلاً ونهباً ، وغنموا منهم غنائم كبيرة ، وعادوا إلى القاهرة بتلك الغنائم ، وتوجهوا إلى قصر الخليفة ، فخرج إليهم المستنصر بالله يهنئهم بالنصر ، ويشكر الله (**سبحانه وتعالى**) على نعمته . (1)

ويمكن القول بأن سبب فشل حملة أتسز على مصر يعود إلى تأخر أتسز في دخول مدينة القاهرة بعد أن فرض كامل سيطرته على ريف مصر ، حيث أقام فيه قرابة ثلاثة أشهر مما أفسح المجال أمام الفاطميين لإعادة تنظيم صفوفهم استعدادا لمواجهة أتسز وقواته .

كما أن أتسز لم يستغل فرصة غياب أمير الجيوش بدر الجمالي عن مدينة القاهرة وانشغاله بإخماد بعض التمردات في بلاد الصعيد .

الإجراءات الذكية التي اتخذها بدر الجمالي ، حيث أستطاع أن يحشد الكثير من أهالي البلاد لمواجهة أتسز ، فضلا عن أنه أستطاع أن يحشد الحجاج الذين كانوا متأهبين للسفر ، كما أنه استمال بعض الشخصيات القوية التي كان لها دورٌ متميزٌ في مواجهة أتسز والانتصار عليه أمثال بدر بن حازم الكلبي ، كما أنه أستعد جيداً لخوض هذه المعركة حيث حشد جيشاً كبيراً بلغ زهاء الثلاثين ألف .

انحياز عدد من أفراد جيش أتسز الخوارزمي إلى جانب الفاطميين ، إذ نجح شكلي التركي من استمالة هؤلاء إلى جانب الفاطميين ، وكان السبب وراء انحيازهم كرههم الشديد لأتسز بسبب ظلمه وتعسفه .

ويعزو ابن الأثير سبب فشل حملة أتسز على مصر إلى سوء سيرة أصحابه ، إذ إنهم عندما دخلوا البلاد المصرية وانتشروا في الريف وقراه أساءوا السيرة مع أهلها ، وقاموا بالأعمال المنكرة والقبيحة ، ممّا حمل رؤساء القرى ومقدميهم إلى الكتابة إلى الخليفة الفاطمي المستنصر بالله يشكون إليه ما نزل بهم من عبث جنود السلاجقة بقراهم ، وأنهم يؤكدون له بأنهم سيساندونه ويشدون من أزره لمواجهة هذا العدو . وبالفعل فقد هاجم أهالي

---

(1) **ابن القلانسي** : ذيل تاريخ دمشق ، ص 109 – 110 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 103 – 104 ؛ **سبط بن الجوزي** ، مرآة الزمان ، ((حوادث السلاجقة)) ، ص 183 – 184 ؛ **ابن ميسر** : اخبار مصر ، 2 / 25 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 140 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الريف جيش أتسز قبل الاشتباك مع جيش بدر الجمالي ممّا أدى إلى أضعاف معنويات جيشه وانهياره . (1)

تخوف أتسز الخوارزمي من مواجهة جيش بدر الجمالي حتى إنه أراد العدول عن المواجهة وخاصة بعد الكمين الذي نصبه له بدر بن حازم الكلبي ، فأدى ذلك إلى انهيار معنويات الجيش فضلا عن تمزيق وحدته ، حيث اختلفت آراؤهم حول مواجهة جيش بدر الجمالي .

استمات جيش بدر الجمالي في الدفاع عن بلاده ممّا ساهم في دحر جيش أتسز حيث تمكن السودان من مهاجمة قلب جيش أتسز والذي كان فيه ، فانهزم أتسز وفضل الانسحاب نحو مدينة الرملة بعد أن تكبدت قواته خسائر فادحة في الأنفس والأموال .

أمّا نتائج هذه المعركة فقد فشل أتسز في تحقيق حلم السلاجقة بدخول مصر وإسقاط الخلافة الفاطمية فيها ، كما أعلنت بعض المدن الرئيسة في بلاد الشام ولاءها من جديد للخلافة الفاطمية على أثر هذه الهزيمة التي منيت بها القوات السلجوقية .

ومن هذه المدن بيت المقدس حيث استغل أهالي هذه المدينة فرصة خروج أتسز في محاولته للتعرض لأملاك الفاطميين في مصر ، فلما فشل في تحقيق ذلك ثاروا ضد جنده وتمكنوا من قتل أكثرهم ، ولم ينجوا منهم ألا من تحصن بمحراب داؤد (**عليه السلام**) ، في انتظار نجدة أتسز الخوارزمي الذي ما أن سمع بذلك حتى أسرع إلى بيت المقدس ، فلما وصلها راسل أهلها بشأن العودة إلى طاعته ، غير أنهم أبوا ذلك ، فشن أتسز هجومه على المدينة إلا أنه لم يتمكن من اقتحامها في بادي الأمر ، غير أن القيم على المحراب فتح له باب محراب داؤد (**عليه السلام**) ، فدخل منه إلى قلب المدينة ، وقتل أكثر أهلها ، وأستمر في أعماله الانتقامية ثلاثة أيام حتى لم يبقَ من أهلها إلا من استجار بالصخرة والمسجد الأقصى . (2)

كما عمل الفاطميون على استغلال انتصارهم على السلاجقة في عام 469 هـ / 1076 م لاستعادة المناطق التي خرجت من أيديهم ، فبدوا في إعادة نفوذهم إلى مكة

---

(1) الكامل ، 10 / 104 .

(2) ابن الأثير : الكامل ، 10 / 103 ؛ **سبط بن الجوزي** : مرآة الزمان ، ((حوادث الزمان)) ، ص 184 – 185 ؛ **ابن شداد** : الأعلاق الخطيرة ، ص 200 ؛ **ابن خلدون** : تأريخ ، 4 / 65 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المكرمة ، حيث أعيدت الخطبة للخليفة الفاطمي في عام 470 هـ / 1078 م ، بل ان العباسيين أصيبوا بخيبة أمل فقد بعث الخليفة العباسي المقتدى بأمر الله في هذا العام إلى مكة المكرمة منبراً كبيراً منقوشاً ومذهباً ، ومكتوباً عليه (لا اله إلا الله محمد رسول الله ، الإمام المقتدى بأمر الله أمير المؤمنين) ، وقد أشرف الوزير العباسي فخر الدولة أبو نصر بن جهير على عمله في داره ؛ فأتفق وصوله إلى مكة المكرمة وقد أعيدت الخطبة للفاطميين فقاموا بتكسير المنبر ، وحرقه . (1)

نجح الفاطميون في فرض سيادتهم الروحية على مكة المكرمة حتى عام 479 هـ / 1086 م حيث منح أمير مكة المكرمة ولاءه نهائياً للعباسيين وقطع خطبة الفاطميين وقلعت الصفائح التي كانت على باب الكعبة المشرفة والتي كانت تحمل أسم الخليفة المستنصر بالله الفاطمي ، وأبدلت بأخرى كتب عليها آسم الخليفة العباسي المقتدى بأمر الله ؛ ثم بعث أمير مكة المكرمة وفداً إلى بغداد حيث استقبل استقبالاً حافلاً ، ونزل في دار الضيافة . (2)

وعلى الرغم من حرص العباسيين والسلاجقة من جهة ، والفاطميين من جهة أخرى على بسط سيادتهم ونفوذهم على مكة المكرمة والمدينة المنورة ، فأن التنافس بينهم لتحقيق هذه الغاية لم يقترن بمظاهر العنف والحروب على عكس المناطق الأخرى وخصوصاً في بلاد الشام ، بل وجّهَ كل منهم اهتمامه إلى أقامة الخطبة له في تلك المناطق بالطرق السلمية ولعل السبب في ذلك يرجح إلى أن كلا الطرفين رأوا إلا يتخذوا من هذه الأماكن المقدسة ميداناً لإظهار ما بينهم من عداوة وبغضاء حتى لا يثيروا الرأي العام ضدهم وبالتالي يفقدوا مكانتهم كحماة للإسلام .

أدرك السلطان ملكشاه مدى الخطورة التي تعرض لها النفوذ السلجوقي في بلاد الشام فاختار أن يولي على هذه المنطقة أميراً سلجوقياً ، فوقع اختياره على أخيه الأمير تاج الدولة تتش آبن السلطان ألب أرسلان (3) ، وكان هدف السلطان ملكشاه من هذا الاختيار أن يعمل

---

(1) **ابن الجوزي** : المنتظم ، 8 / 311 – 312 ؛ **سبط بن الجوزي** : مرآة الزمان ، ((حوادث السلاجقة)) ، ص 193 ؛ **ابن كثير** : البداية والنهاية ، 12 / 117 – 118 .

(2) **ابن الجوزي** : المنتظم ، 8 / 27 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 158 ؛ **الزيلعي** : مكة وعلاقاتها ، ص 76 .

(3) **تاج الدولة تتش آبن السلطان ألب أرسلان** : هو الأمير أبو سعيد تاج الدولة تتش بن السلطان أبي شجاع ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ، وأخو السلطان ملكشاه ، ولد في شهر رمضان عام 458 هـ / 1065 م ، عهد إليه أخوه ملكشاه بولاية بلاد الشام ، وجميع ما يستطيع فتحه في تلك =====

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علـــى توسيع دائرة النفوذ السلجوقي في بلاد الشام والمحافظة عليه ، وفي الوقت نفسه يشـــغل الأمير تتش عن التفكير بالتمرد عليه أو منافسته على عرش السلطنة السلجوقية فضلا عن أنه يؤمن بهذا العمل الإقطاع لقسم كبير من الجيش السلجوقي ، الذي سوف يرافق تاج الدولة تتش إلى بلاد الشام ، كما أنه سوف يتخلص من العناصر الموالية لتتش حيث كان الأمير تاج الدولة تتش قد أختص بمجموعة من المماليك الذين كانوا يشنون الحملات العسكرية باسمه ، فضـــلا عن الدفاع عنه ضد أي خطر جرياً على عادة السلاجقة . (1)

وعندما انتشرت الأخبار بما عزم عليه الســـلطان ملكشـــاه وبلغـــت مســـامع أتسـز الخوارزمي صاحب بلاد الشام ، كتب إلى السلطان يشرح له ما بذله من جهد في خدمة الدولة السلجوقية ، إذ قال له : (ما فعلت فعلاً يقتضي إنفاذ الأمير تتش نحوي فإنني العبـــد الطـــائع وأنا نائب في هذه البلاد عن السلطان ما أخذ منها غير ما أصرفه في مـــؤنتي والجنـــد الـــذين معي وأنا أحمل في كل سنة إلى الخزانة ثلاثين ألف دينار) . (2)

إلا إن السلطان ملكشاه بقى مصراً على تنفيذ مخططاته ، وولى أخـــاه الأميـــر تـــاج الدولة تتش حكم بلاد الشام وما يفتحه في تلك النواحي ، وأمره بالمسير إليهـــا ، وكتـــب إلـــى القوى المتمركزة في إقليم الجزيرة الفراتية وبلاد الشام بضرورة الانضمام إليـــه لمساعدتـــه لتأكيـــد السيطـــرة السلجوقية على هذه المنطقة . فاجتمعت مع تتش عرب بني كلاب ، كمـــا وصل لمساعدته الأمير شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران العقيلي (453 – 478 هـــ / 1061 – 1085 م) ، صاحب الموصل . فدخل الأمير تاج الدولة تتش بقواته وحلفائه بـــلاد الشام عام 470 هـــ / 1078 م . (3)

==== النواحي ، فدخل بلاد الشام عام 470 هـــ / 1077 م ، وأخذ يعمل منذ دخوله بلاد الشام على توســيع دائرة نفوذه في هذه المنطقة ، فبدا أولاً بالتخلص من أتسز الخوارزمي ، كما أستولى الكثيـــر مـــن المنـــاطق الشامية ، وأسس دولة سلاجقة الشام ، غير إن طموحات تاج الدولة تتش اتجهـــت نحـــو عـــرش الســـلطنة السلجوقية ، فدخل في حروب طاحنة مع ابن أخيه السلطان بركياروق ، الذي تمكن من قتلـــه فـــي معركـــة بالقرب من الري عام 488 هـــ / 1095 م ، خلف ولدين هما فخر الملوك رضوان والذي استقل بحكم مدينة حلب والأخر هو شمس الملوك دقاق ، والذي اســـتقل بحكـــم دمشـــق . انظـــر : **ابـــن خلكـــان** : وفيـــات الأعيان ، 1 / 154 ؛ **الذهبي** : سير اعلام النبلاء ، 19 / 83 – 84 .

(1) **الصلابي** : دولة السلاجقة ، ص 91 .

(2) **سبط بن الجوزي** : مرآة الزمان ، ((حوادث الزمان)) ، ص 197 .

(3) **ابن القلانسي** : ذيل تاريخ دمشق ، ص 112 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 1 / 111 ؛ **أبو الفدا** : المختصر ، 2 / 193 ؛ **اليافعي** : مرآة الجنان ، 3 / 100 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شجعت الظروف التي يمر بها السلاجقة في بلاد الشام أمير الجيوش بدر الجمالي على العمل لاستعادة سلطان الفاطميين في هذه المنطقة ، فأرسل جيشاً بقيادة نصر الدولة الجيوشي إلى دمشق عام 471 هـ / 1079 م فلما وصل نصر الدولة مدينة دمشق حاصرها إلا أنه فشل في اقتحامها فاستمر في حصارها ، واستولى على بعض أعمالها ، وكذلك أعمال فلسطين . فأدرك أتسز عندها بأنه لا قبل له على مواجهة الفاطميين وأنهم قادرون على اقتحام المدينة في أية لحظة وخاصة بعد أن أحكموا الحصار عليها ، فرأى في الأمير تاج الدولة تتش الذي أمتد نفوذه على مناطق واسعة من بلاد الشام خير معين له لمواجهة جيش الفاطميين ، فأرسل إلى الأمير تتش يستنجده ويستصرخه ، ويعده بتسليم المدينة إليه ويكون في خدمته . وكان تتش آنذاك يحاصر مدينة حلب لان أخاه السلطان ملكشاه أقطعه الشام وما يفتحه من تلك النواحي ، لذلك قدم حلب وحاصرها ، فلحق بأهلها نتيجة هذا الحصار مجاعة شديدة ؛ فلما طلب أتسز النجدة سار من حلب قاصداً دمشق ولم يكد يقترب منها حتى أضطر الجيش الفاطمي وقائده نصر الدولة الجيوشي بعد أن علم بتحرك تتش بقواته صوب دمشق بفك الحصار عن المدينة والرحيل عنها ، غير أنه قصد ناحية الساحل حيث كانت بعض المدن في الساحل السوري قد خرجت عن طاعة الفاطميين ولم يقدموا لقواتهم العون والمساعدة وخاصة مدينتي صور وطرابلس ، اللتين تغلب عليهما قضاتهما ، ابن عقيل ، وابن عمار حيث خلعا طاعة الفاطميين ، وتقربا إلى السلاجقة بالهدايا والملاطفات . (1)

وعندما وصل تاج الدولة تتش إلى عذراء (2) في معسكره لنجدة دمشق تأخر أتسز بن أوق الخوارزمي في الخروج لاستقباله ، غير أنه ما لبث أن خرج إليه وبذل له الطاعة وسلم المدينة إليه . فدخلها تتش في عام 471 هـ / 1079 م . (3)

إلا إن الأمير السلجوقي تاج الدولة تتش أراد التخلص من أتسز ، فأتخذ من تأخره في استقباله أثناء تقدمه لنجدته سبباً للقبض عليه وقتله ، وذلك في شهر ربيع الأول عام 471 هـ / 1078 م فاستقام له الأمر في دمشق ، وخاصة بعد أن أحسن السيرة في أهلها . (4)

---

(1) **ابن القلانسي** : ذيل تأريخ دمشق ، ص 112 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 111 .

(2) **عذراء** : هي قرية بغوطة دمشق ، وإليها ينسب مرج عذراء ، بينه وبين مدينة دمشق اثنا عشر ميلا . انظر : **ياقوت الحموي** : معجم البلدان ، 4 / 91 ؛ **الحميري** : الروض المعطار ، ص 409 .

(3) **ابن القلانسي** : ذيل تأريخ دمشق ، ص 112 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 111 .

(4) **ابن القلانسي** : ذيل تأريخ دمشق ،ص 112 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 111 ؛ **أبو الفدا** : المختصر ، 2 / 194 ؛ **الذهبي** : سير أعلام النبلاء ، 18 / 432 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على أن الدافع الحقيقي الذي كان وراء التخلص من أتسز الخوارزمي هو الاستحواذ على ما بيده من أملاك في المنطقة ، وأن قتله كان غاية شخصية لتتش وتحقيقا لطموحه في الملك والتوسع ، وخاصة أنه يمتلك تفويضاً من أخيه السلطان ملكشاه بحكم جميع مناطق بلاد الشام . (1) وممّا يؤكد هذا القول أن تتش بدا أعماله التوسعية في المنطقة بعد تخلصه من أتسز إذ خرج من مدينة دمشق في العام نفسه متوجها إلى مدينة حلب مع جيشه حيث قام بمحاصرتها عدة أيام ، فلما لم يستطع اقتحامها تركها واجتاز نهر الفرات إلى ديار بكر فملك العديد من الحصون في هذه المنطقة مثل حصن بزاعة (2) والبيرة ، واحرق ربض عزاز(3) وعاد بعدها إلى مدينة دمشق . (4)

بعد أن فشل تاج الدولة تتش في فرض سيطرته على حلب مرة أخرى توجه جنوباً للاستيلاء على مناطق أخرى من بلاد الشام ، وتمكن بالفعل من فرض سيطرته على قلعة (صرخد) (5) ، ومدينة (بصرى) وعيَّنّ عليهما نوابه ، كما استولى فيما بعد على مدينتي (صيدا) ، و(بيروت)وانتزعهما من أيدي نواب الفاطميين . (6)

توجه الأمير تاج الدولة تتش بعد ذلك إلى بيت المقدس لاستعادة النفوذ السلجوقي عليه من جديد ، حيث كان نصر الدولة الجيوشي قد تمكن من الاستيلاء عليه أثناء حصاره لمدينة دمشق فخرج تتش إليه وتمكن من الاستيلاء عليه في عام 471 هـ / 1078 م وقد

---

(1) **مجيد** : أوضاع بلاد الشام ، ص 45 .

(2) **بزاعة** : وهي بلدة من أعمال حلب في وادي بطنان بين منبج وحلب ، بينها وبين كل واحدة منها مرحلة. انظر : **ياقوت الحموي** : معجم البلدان ، 1 / 409 .

(3) **عزاز** : وتعني الأرض الصلبة ، وهي بليدة فيها قلعة ، ولها رستاق ، تقع شمالي مدينة حلب . انظر : **ياقوت الحموي** : معجم البلدان ، 4 / 118 ؛ **القزويني** : آثار البلاد ، ص221.

(4) **ابن القلانسي** : ذيل تاريخ دمشق ، ص 113 ؛ **سبط بن الجوزي** : مرآة الزمان ، ((حوادث السلاجقة)) ، ص 200 ؛ **ابن العديم** : بغية الطلب ، ص 51 .

(5) **صرخد** : بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق ، وهي قلعة حصينة . انظر : **البكري الأندلسي** : معجم ما استعجم ، 3 / 831 ؛ **ياقوت الحموي** : معجم البلدان ، 3 / 401 .

لمعرفة موقع هذه المدن على الخارطة انظر الخارطة رقم (1) .

(6) **ابن شداد** : الأعلاق الخطيرة ، ص ص ، 56 ، 98 – 99 ، 102 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ظلت هذه المدينة بيد نوابه إلى أن أقطعها للأمير أرتق بن أكسب (1) في عام 479 هـ / 1086 م ، وعندما توفي الأمير أرتق في بيت المقدس عام 484 هـ / 1091 م خلفه في حكمها ولداه (سقمان) و(ايلغازي) ، ودام حكمهما عليها إلى أن تمكن الأفضل بن بدر الجمالي من الاستيلاء عليها . (2)

ولهذا تعد القدس مركزاً لحكم الأراتقة ، وحجر الزاوية بالنسبة لنشاطهم السياسي والعسكري ، وكانت لهذه الإمارة شخصيتها المستقلة ، فبعد وفاة أرتق بقى أولاده في القدس وأدّوا دوراً أساسياً في الصراع الذي كان قائماً في هذه المنطقة ، إذ تمكنوا من خلالها من الحصول على بعض المكاسب . (3)

أما مدينة حلب فقد تذمر أهلها من كثرة غزوات سلاجقة الشام لمدنيتهم ، وفرضهم الحصار عليهم أكثر من مرة ، فضلا عن ضعف أمراء بني مرداس في الدفاع عنها ، فلم يكن أمامهم أي خيار سوى طلب المساعدة من أمير الموصل شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران العقيلي ؛ وكان لشرف الدولة دور ايجابي في صمود مدينة حلب حيث كان يمدهم بالمساعدات والمؤن وخاصة في أثناء حصار الأمير تاج الدولة تتش لمدينتهم ؛ ولكي يتخلص أهالي حلب من تتش وضغوطه اتفقوا مع الأمير سابق بن محمود المرداسي (4)

---

(1) **أرتق بن أكسب** : هو جد الملوك الأرتقة أصحاب ماردين ، ويلقب (بظهير الدين) ، ويقال إن اُسم أبيه أكسك ، ينتمي أرتق إلى قبيلة الدقر التركمانية ، وهي أحدى البيوت الكبيرة التي تنتمي إلى الغز ، وكانت هذه القبيلة من جملة القبائل التركمانية التي انتظمت في صفوف القوات السلجوقية ، وكان أرتق من مماليك السلطان ملكشاه ، وقدم أرتق لسلطانه خدمات عسكرية جليلة ، وفي عام 472 هـ / 1079 م جعله ملكشاه تحت أمرة أخيه تاج الدولة تتش في الحملة السلجوقية التي توجهت إلى بلاد الشام ، ثم أقطعه تاج الدولة تتش مدينة بيت المقدس عام 479 هـ / 1086 م تمهيدا للاعتماد علي مقدرته العسكرية . انظر : **خليل** ، عماد الدين : الإمارات الإرتقة في الجزيرة والشام (465 – 812 هـ / 1072 – 1309 م) ، ص 57 – 65 ؛ **دائرة المعارف الإسلامية** ، المجلد الثاني ، مادة ((أرتق)) ، كاهن ، ص 526 – 527 .

(2) **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 147 ؛ **ابن شداد** : الأعلاق الخطيرة ، ص 200 – 201 ؛ **مجير الدين الحنبلي** : الأنس الجليل ، 1 / 305 .

(3) **خليل** : الإمارات الأرتقية ، ص 69 .

(4) **سابق بن محمود المرداسي** : هو الأمير عز الملك سابق بن محمود بن نصر بن صالح بن مرداس بن إدريس بن نصر ، أبو الفضل الكلابي ، تولى ولاية حلب بعد مقتل أخيه أبو المظفر نصر بن محمود ، الذي قتل على يد جماعة من الأتراك في حلب عام 468 هـ / 1075 م ، غير أن بعض الأمراء الكلابيين رفضوا إعلان ولائهم للأمير الجديد ، فنشبت معارك طاحنة بين الجانبين ، كما أن أطماع السلاجقة بقيادة تاج ====

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(468 – 472 هـ / 1075 – 1080 م) على تسليم حكم المدينة للأمير شرف الدولة الذي وافق على ذلك ، حيث سار بقواته قاصداً حلب ، فلما وصلها في السادس عشر من ذي الحجة عام 472 هـ / 1080 م أغلقوا أبواب المدينة بوجهه ، وذلك لأن بعض أخوة الأمير سابق المرداسي رفضوا تسليم المدينة ، فبقى الأمير شرف الدولة العقيلي منتظرا خارج أسوار حلب ولم يبدأ بقتالهم ، فلما علم رئيس الأحداث بها الشريف حسن بن هبة الله الهاشمي والمعروف (بابن الحتيتي العباسي) وولده أبو المنصور بذلك ، مكناه من دخول المدينة حيث كان شرف الدولة صاحب فضل عليهما **(1)** فأخذ أبو المنصور جماعة من أصحابه وفتحوا أبواب المدينة ، ونادوا بشعار شرف الدولة ، وفي السادس والعشرين من ذي الحجة عام 472 هـ / 1080 م دخل شرف الدولة بقواته مدينة حلب ، وقبض على أخوة الأمير سابق ، كما كتب إلى السلطان السلجوقي ملكشاه يخبره بسيطرته على مدينة حلب ويسأله أن يقره عليها على أن يؤدي إليه في كل عام ثلاثمائة ألف دينار . فوافق السلطان ملكشاه على هذا الأمر ، وأقطع مدينة بالس للأمير محمود بن شرف الدولة العقيلي . **(2)**

أحسن الأمير شرف الدولة العقيلي معاملة أهالي مدينة حلب ، وخفف عليهم ما كانوا يعانون منه أيام بني مرداس ، فانتشر الرخاء والازدهار فيها ، كما رخصت الأسعار بعد الغلاء الشديد الذي عمَّ بلاد الشام كلها في تلك الفترة . **(3)**

وبسيطرة شرف الدولة العقيلي على مدينة حلب ، وإعلان منشور رسمي من السلطان ملكشاه بذلك ، بدأت مرحلة جديدة في بلاد الشام شهدت فيها هذه المنطقة الكثير من النزاعات والصراعات التي قامت بين الأمير شرف الدولة العقيلي والأمير تاج الدولة تتش السلجوقي

==== الدولة تتش زادت في هذه المرحلة في الاستيلاء على حلب ، مما اضطر الأمير سابق بن محمود في نهاية الأمر إلى تسليم المدينة للأمير شرف الدولة مسلم أمير الموصل بعد أن عجز عن الدفاع عنها عام 472 هـ / 1079 م . أنظر : **ابن القلانسي** : ذيل تاريخ دمشق ، ص 108 – 109 ؛ **ابن العديم** : بغية الطلب ، ص 44 – 57 ؛ **عبد المولى** : بنو مرداس ، ص 183 – 186 .

(1) إذ يذكر **ابن الأثير** أن أبا المنصور بن الشريف حسن كان قد خرج من المدينة للصيد بضيعة له ، فأسره أحد التركمان ، وأرسله إلى شرف الدولة العقيلي ، الذي أتفق معه على تسليم البلاد إليه إذ أطلقه ، فأجابه شرف الدولة إلى ذلك ، وأطلقه ، فعاد إلى حلب وعمل مع أبيه على تسليم المدينة لشرف الدولة . انظر : الكامل : 10 / 115 .

(2) **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 115 ؛ **ابن العديم** : بغية الطلب ، ص 53 – 54 ؛ **أبو الفدا** : المختصر ، 2 / 194 ؛ **الذهبي** : دول الإسلام ، 2 / 242 .

(3) **ابن القلانسي** : ذيل تأريخ دمشق ، ص 113 ؛ **ابن العديم** : زبدة الحلب ، 2 / 73 – 74 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حيث حاول كلا الطرفين فرضَ سيطرتهِ على بلاد الشام ، وقد جلبت هذه النزاعات الكثير من الدمار والخراب للمنطقة. **(1)**

كما سعى كلا الطرفين في تدعمِ موقفه في هذه المنطقة وعلى حساب خصمه الآخر ففي عام 475 هـ / 1082 م عندما شرع شرف الدولة في محاصرة مدينة دمشق أعلن عن تشيعه وتأييده للفاطميين ، وكان هدفُهُ من وراء ذلك أن يحمل الفاطميين على إرسال النجدات إليه ليتمكن من الاستيلاء على دمشق غير أن الفاطميين لم يستغلوا هذا الإعلان ولم يستجيبوا له ، فلما علم تاج الدولة تتش بذلك خرج إليه بجيشه وتمكن من الانتصار عليه ، فاضطر شرف الدولة العقيلي إلى فك الحصار والرحيل عن مدينة دمشق . **(2)**

كما حاول الأمير تاج الدولة تتش دعم موقفه في بلاد الشام وذلك بالتقرب من الفاطميين ، إذ قررَ مصاهرة الوزير الفاطمي أمير الجيوش بدر الجمالي ، إلا أن قاضي مدينة طرابلس وحاكمها ابن عمار نصحه بالعدول عن ذلك وثناه عن عزمه . **(3)**

ويبدو أن تصرفات كل من الأمير شرف الدولة العقيلي والأمير تاج الدولة تتش السلجوقي للتقرب من الخلافة الفاطمية لم يكن عقائدياً ، بل كان سياسياً حيث حول كل من الطرفين تدعيم مركزه في بلاد الشام عن طريق كسب تأييد الفاطميين ، ومما يؤكد ذلك سرعة تراجع كل من الأمير شرف الدولة ، والأمير تاج الدولة عن مواصلة جهودهم لتحسين علاقتهم بالخلافة الفاطمية ، وخاصة أن السلطان السلجوقي ملكشاه لم يكن يسمح بأي حال من الأحوال بوجود أي أمير في بلاد الشام له علاقة وثيقة بالفاطميين .

شهدت بلاد الشام في هذه الفترة دخول طرف ثالث في هذه النزاعات وهم سلاجقة الروم **(4)** بقيادة زعيمهم سليمان بن قتلمش بن إسرائيل السلجوقي ؛ ففي عام 477 هـ

---

(1) للمزيد من التفاصيل عن الصراع بين تاج الدولة تتش و شرف الدولة العقيلي انظر : المعاضيدي : الحياة السياسية ، ص 92 – 95 ؛ **مجيد** : أوضاع بلاد الشام ، ص 56 – 62 .

(2) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص 114 – 115 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 126 – 127 .

(3) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، ((حوادث السلاجقة)) ، ص 224 ؛ **ابن تغري بردى** : النجوم الزاهرة ، 5 / 116 .

(4) سلاجقة الروم : وهي التسمية التي أطلقها المؤرخون على الدولة التي أسسها الأمير سليمان بن قتلمش في بلاد الأناضول عام 470 هـ / 1077 م . **وللمزيد من التفاصيل حول هذه قيام هذه الدولة انظر : الزيباري** : سلاجقة الروم في آسيا الصغرى دراسة في الجوانب السياسية (470 – 634 هـ / 1077 – 1237 م) أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة صلاح الدين ، 1999 م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

/ 1084 م شرع سليمان بن قتلمش في محاولة مد نفوذه على بلاد الشام ، وبالفعل تمكن من بسط سلطانه على مدينة أنطاكية بعد أن أتفق أمراؤها البيزنطيون على تسليمها لسليمان وذلك بسبب التصرفات الطائشة لحاكم المدينة ، وبعد أن تسلم سليمان بن قتلمش مدينة أنطاكية رتب أمورها بمن أعتمد عليه من ثقات ولاته ؛ غير أن سليمان كان مدركاً تماماً أنه لا يستطيع أن يحتفظ بمدينة أنطاكية والثغور الشامية التي سيطر عليها من قبله دون رضا السلطان السلجوقي ملكشاه وموافقته ، لهذا أرسل رسولاً من قبلهِ إلى السلطان يبشره بسيطرته على المدينة ، وينسب إليه هذا الفتح ، وإن الخطبة والسكة سوف تكون فيها باسم السلطان . فأظهر السلطان ملكشاه فرحته بما أنجزه ابن عمه الأمير سليمان بن قتلمش بآسمه ، وهنأه الناس والشعراء بذلك . **(1)**

وكان الأمير سليمان بن قتلمش يعلم جيدا بأن السلطان ملكشاه إذا كان قد غض الطرف عن قيامه بتأسيس دولته في بلاد الأناضول فأن الأمر سوف يكون مختلفاً بالنسبة لبلاد الشام وذلك لأنه خط التقاء النفوذ السلجوقي – الفاطمي ، وأن السلطان ملكشاه لن يقبل بتوسيع نفوذ أي حاكم في بلاد الشام دون رضاه . **(2)**

إلا إن دخول سليمان بن قتلمش أثار حفيظة كل من الأمير تاج الدولة تتش الذي كان يسعى إلى فرض سيطرته المطلقة على جميع أنحاء بلاد الشام ؛ وكذلك الحال بالنسبة لشرف الدولة العقيلي الذي كان يسعى هو الآخر إلى فرض سيطرته على هذه المنطقة فأدى ذلك إلى قيام سلسلة جديدة من الصراعات بين هذه الإطراف . **(3)**

وإزاء ما يحدث في بلاد الشام ، واستجابة لطلب رئيس مدينة حلب ونقيب الأحداث فيها الشريف حسن بن هبة الله الهاشمي (ابن الحتيتي العباسي) الذي كتب إلى السلطان ملكشاه يطلب منه القدوم إلى حلب ليسلم إليه المدينة خوفاً من وقوعها بيد الأمير سليمان بن قتلمش الذي ضرب عليها الحصار ، وهدد بالاستيلاء عليها بالقوة ؛ عندئذ قرر السلطان ملكشاه دخول بلاد الشام وذلك عام 479 هـ / 1086 م ، ووصلت طلائع جيشه بقيادة

---

(1) ابن القلانسي : ذيل تأريخ دمشق ، ص 177 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 138 – 139 ، **سبط بن الجوزي** : مرآة الزمان ، ((حوادث السلاجقة)) ، ص 229 ؛ **اليافعي** : مرآة الجنان ، 3 / 120 .

(2) الزيباري : سلاجقة الروم ، ص 58 .

(3) للمزيد من التفاصيل حول هذه الصراعات والنزاعات انظر : مجيد : أوضاع بلاد الشام ، ص 46 – 48 ؛ **المعاضيدي** : الحياة السياسية ، ص 94 – 97 ؛ **الزيباري** : سلاجقة الروم ، ص 58 – 61 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كل من (برسق) (1) ، و (أياز) (2) ، و (بوزان) (3) أولاً إلى بلاد الشام ، وعسكر قسم منهم فيما بين مناطق الروم البيزنطيين ومدينة أنطاكية ، بينما واصل القسم الأخر المسير إلى حلب ؛ في حين وصل السلطان ملكشاه إلى مدينة الرها وتسلمها من أميرها الرومي الفلاردوس ، فعين السلطان ملكشاه قائده بوزان أميراً عليها ، ثم سار منها إلى قلعة جعبر التي تقع بين بالس والرقة ، فتسلمها من صاحبها جعبر بن سابق القشيري (4) ، فأعطاها فيما بعد لسالم بن مالك العقيلي . (5)

---

(1) برسق : هو من أصحاب السلطان طغرلبك ، الذي عينه أول شحنة للسلاجقة في بغداد عام 452 هـ / 1060 م ، وأستمر الأمير برسق في خدمة السلاطين السلاجقة بعد طغرلبك ، وأصبح من أكابر الأمراء في عهد السلطان ملكشاه ، قتل على أيدي الباطنية في عام 490 هـ / 1096 م ، وقيل أن الوزير السلجوقي مجد الملك أبو الفضل ، وزير السلطان بركياروق ، هو من دبر أمره قتله . انظر : **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 8 – 9 ، 148 ، 271 ؛ **الذهبي** : سير أعلام النبلاء ، 19 / 180 .

(2) أياز : لم أجد له ترجمة سوى أنه من أمراء السلطان السلجوقي ملكشاه ، الذين رافقوه أثناء دخوله بلاد الشام عام 479 هـ / 1086 م .

(3) بوزان : من أمراء السلطان ملكشاه ، الذي عهد إليه بولاية الرها عام 479 هـ / 1086 م ، بعد أن استلمها من حاكمها البيزنطي الفلاردوس ، لعب الأمير بوزان دوراً بارزاً في الأحداث السياسية التي عصفت ببلاد الشام في تلك المدة على أثر وفاة السلطان ملكشاه عام 485 هـ / 1092 م ، وأصبح هو والأمير آق سنقر صاحب حلب طرفاً في النزاع الذي نشب بين الأمير تاج الدولة تتش الذي سعى لانتزاع السلطنة من أبن أخيه السلطان بركياروق ، قتل في مدينة حلب على يد تاج الدولة تتش بعد أن أستطاع الاستيلاء على المدينة عام 487 هـ / 1094 م ، وقام تاج الدولة بإرسال رأسه إلى أهل حران ، فسلموا له المدينة . انظر : **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 148 ، 232 – 233 ؛ **الذهبي** : العبر في خبر ، 2 / 353 – 354 ؛ **المعاضيدي** : الحياة السياسية في بلاد الشام ، ص 97 – 102 .

(4) جعبر بن سابق القشيري : هو من أمراء العرب ، أنشأ قلعة جعبر على نهر الفرات ، ويقال لها الدوسرية ، لان دوسر غلام النعمان بن المنذر مالك الحيرة ، لأنه هو أول من بناها فنسبت إليهِ ، استمر جعبر في حكم هذه القلعة حتى شاخ وفقد بصره ، وكان لديه ولدان يقطعان الطريق على الناس ويخفيان السبيل ؛ وفي أثناء دخول السلطان ملكشاه بلاد الشام عام 479 هـ / 1086م ، تسلم هذه القلعة من جعبر القشيري ، ثم بعد ذلك أمر بقتله عندما بلغه ما يفعلانه ولداه من قطع الطريق . انظر : **ابن خلكان** : وفيات الأعيان ، 1 / 187 ؛ **الصفدي** : الوافي بالوفيات ، 1 / 84 – 85 ؛ **الذهبي** : سير أعلام النبلاء ، 18 / 552 ؛ **الزركلي** : الأعلام ، 2 / 120 .

(5) ابن الأثير : الكامل ، 10 / 148 – 149 ؛ **ابن العديم** : زبدة الحلب ، 2 / 100 – 101 ؛ **ابن واصل** : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، 1 / 17 ؛ **الصفدي** : الوافي بالوفيات ، 1 / 84 – 85 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم توجه السلطان ملكشاه بعد ذلك قاصداً مدينة حلب فعبر نهر الفرات واستولى في طريقه على (منبج) (1) ، وعندما قارب حلب رحل عنها أخوه تاج الدولة تتش الذي وصل قبله إلى المدينة ، وكان سبب انسحابه أنه لا يريد حصول مواجهة بينه وبين أخيه ملكشاه على الرغم من أن الأمير أرتق بن أكسك أشار عليه مواجهة أخيه ملكشاه ، إلا أن تتش رفض ذلك ، وفضل الرحيل عن حلب وعاد إلى مدينة دمشق . (2)

ويبدو أن قرار الأمير تاج الدولة الانسحاب من مدينة حلب على الرغم من تحريض الأمير أرتق على محاربة أخيه السلطان ملكشاه راجع بالدرجة الأساس إلى أنه لا يريد أن يخسر الغطاء الشرعي الذي منحه إياه السلطان ملكشاه عندما عهد إليه بولاية الشام ، وجميع ما يفتحه في تلك النواحي عام 470 هـ / 1078 م ، كما أنه كان مدركاً تماماً أنه لا يقوى على مواجهة السلطان ملكشاه ، الذي لم يسمح بوجود أي أمير في دولته خارج عن نفوذه وخاصة في بلاد الشام ، التي تشكل أهمية كبيرة بالنسبة للسلاجقة والفاطميين .

دخل السلطان ملكشاه مدينة حلب في شهر رمضان عام 479هـ / 1086 م وتسلم قلعتها من الأمير سالم بن مالك العقيلي وعوضه عنها بقلعة جعبر ، ثم غادرها السلطان متوجها إلى أنطاكية وتمكن من دخولها ، في حين بقي جيشه مخيما على ساحل البحر عدة أيام ؛ وقبل أن يغادرها السلطان عهد بولايتها إلى الأمير ياغي سيان وتدبير أمورها ، ثم عاد إلى مدينة حلب حيث قضى بها عيد الفطر ، وفي أثناء وجوده في حلب وصلت إليه رسالة من الأمير نصر آبن علي بن منقذ الكناني صاحب شيزر (3) يعلن فيها دخوله في طاعة السلطان ويسلمه مدينة اللاذقية ، وكفرطاب (4) وأفامية (5) . فأجابه السلطان ملكشاه إلى مسالمته

---

(1) **منبج** : مدينة كبيرة بناحية قنسرين ، ومن كورها ، بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ ، وبينها وبين حلب عشرة فراسخ . انظر : **ياقوت الحموي** : معجم البلدان ، 5 / 205 – 207 ؛ **الحميري** : الروض المعطار ، ص 547 .

(2) **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 149 ؛ **ابن واصل** : مفرج الكروب ، 1 / 18 .

(3) **شيزر** : مدينة بالشام من أعمال حمص ، تقع بالقرب من المعرة ،بينها وبين حماة مسيرة يوم واحد . أنظر : **البكري الاندلسي** : معجم ما استعجم ، 3 / 818 ؛ **ياقوت الحموي** : معجم البلدان ، 3 / 383 .

(4) **كفرطاب** : بلدة بين المعرة و مدينة حلب ، وقد ذكر أسمها في العديد من القصائد . انظر : **ياقوت الحموي** : معجم البلدان ، 4 / 470 ؛ **القزويني** : آثار البلاد ، ص 248 .

(5) **أفامية** : مدينة حصينة من سواحل الشام ، وهي من كور حمص ، ويقال لها أيضا فامية . انظر : **ياقوت الحموي** : معجم البلدان ، 1 / 227 .

لمعرفة موقع هذه المدن على الخارطة انظر الخارطة رقم (2) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأقره على مدينة شيزر وجميع هذه المدن ، وقبل أن يغادر السلطان مدينة حلب أسند ولايتها إلى الأمير قسيم الدولة آق سنقر (1) الذي أهتم بتعميرها ، وتحسين أحوال أهلها ؛ أما السلطان ملكشاه فبعد أن أسند ولاية مدينة حلب للأمير قسيم الدولة غادرها متوجهاً صوبَ مدينة بغداد . (2)

كان الفاطميون في تلك الحقبة يراقبون بدقة وحذر ما يحدث في بلاد الشام من تطورات على الصعيدين السياسي والعسكري ، فحاولوا استغلال اضطراب أوضاع بلاد الشام لاستعادة نفوذهم على هذه المنطقة ، حيث سعى الوزير الفاطمي أمير الجيوش بدر الجمالي إلى استرداد مدينة دمشق من أيدي السلاجقة ، فجهز جيشا في عام 478 هـ / 1085 م تولى قيادته بنفسه وسار به إلى مدينة دمشق ، وفرض عليها حصاراً شديداً ، كما جرى بينه وبين أميرها السلجوقي تاج الدولة تتش عدة معارك إلا أنه لم يتمكن من التغلب عليه ، وكذلك لم يظفر من مدينة دمشق بشيء ففضل الرحيل عنها ، وعاد إلى مصر . (3)

وعلى الرغم من فشل بدر الجمالي في استعادة مدينة دمشق عام 478 هـ/ 1085 م إلا أنه لم ينصرف عن مواصلة جهوده لاستعادة النفوذ الفاطمي في بلاد الشام غير أنه وجه اهتمامه هذه المرة نحو المدن الساحلية لبلاد الشام ، فجهز عام 482 هـ / 1089 م ، جيشاً بقيادة نصر الدولة الجيوشي ، الذي نزل على مدينة صور وحاصرها ، مما اضطر أبناء عين الدولة بن أبي عقيل (4) الذين كانوا يتولون حكمها ، إلى تسليمها له ؛ وبعد أن استسلمت مدينة

---

(1) **آق سنقر** : هو أبو سعيد أق سنقر بن عبد الله ، من مماليك السلطان ملكشاه ، ثم ترقت منزلته عند السلطان حتى أعطاه مدينة حلب ، وأعمالها في عام 479 هـ / 1086 م ، وبإشارة من وزيره نظام الملك وقد لقب بقسيم الدولة السلجوقي ، كما كان يعرف أيضا بالحاجب صاحب ديار بكر والجزيرة ، وهو والد عماد الدين زنكي ، وكان أق سنقر من أحسن الأمراء سيرة ، وأجودهم سريرة ، وكانت الرعية معه في أمن وعدل ، قتل في عام 487 هـ / 1094 م ، وبأمر من الأمير تاج الدولة تتش بعد أن خاض ضده عدة معارك ، دفن في المدرسة المعروفة بالزجاجية داخل مدينة حلب . أنظر : **ابن خلكان** : وفيات الأعيان ، 1 / 128 ؛ **ابن كثير** : البداية والنهاية ، 12 / 147 .

(2) **ابن القلانسي** : ذيل تأريخ دمشق ، ص 119 ؛ **ابن العديم** : زبدة الحلب ، 2 / 101 - 102 ؛ **أبو الفدا** : المختصر ، 2 / 197 - 198 .

(3) **ابن الأثير**: الكامل ، 10 / 145 ؛ **الذهبي** : دول الإسلام ، 2 / 224 .

(4) **عين الدولة بن أبي عقيل** : هو أبي الحسن محمد بن عبد الله بن علي بن عياض بن أحمد بن أيوب بن أبي عقيل الصوري ، والمعروف بالقاضي عين الدولة ، تغلب على حكم مدينة صور ، التي كانت خاضعة آنذاك للنفوذ الفاطمي ، وقد حاول أمير الجيوش بدر الجمالي أكثر من مرة انتزاعها منه إلا أنه فشل في ===

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صور واصل نصر الدولة الجيوش زحفه نحو المدن الساحلية ، فاستولى على مدينة صيدا ثم سار قاصداً مدينة عكا فحاصرها وضيق على أهلها فاضطروا إلى تسليمها له ، ثم توجه بعد ذلك نحو مدينة جبيل فاستولى عليها أيضا ، وأخيراً توجه بقواته صوب مدينة بعلبك ، فجاءه خلف بن ملاعب أمير حمص يعلن ولاءَهُ وطاعته للفاطميين ، وإقامته الخطبة في مدينة حمص للخليفة الفاطمي المستنصر بالله . (1)

غير ان الفاطميين لم يتمكنوا من الاحتفاظ بسيطرتهم طويلاً على هذه المدن الساحلية وذلك بسبب تطلع سلاجقة إلى الشام بقيادة الأمير تاج الدولة تتش إلى بسط سيطرتهم على جميع أنحاء بلاد الشام ، والعمل على القضاء على النفوذ الفاطمي بشكل تام في هذه المنطقة الإستراتيجية ؛ إذ كتب تاج الدولة تتش إلى أخيه السلطان ملكشاه يسأله أن يمده بالمساعدات اللازمة ، ويقول له : (قد استولى المصريون **[أي الفاطميون]** على الساحل ، وضايقوا دمشق) . **(2)** فأجابه السلطان ملكشاه إلى ما طلب ، وكتب إلى نوابه في بلاد الشام بأن يتوجهوا بقواتهم وبسرعة إلى أخيه تاج الدولة تتش لمساعدته في قتال الفاطميين ، واسترداد ما سيطر عليه الخليفة الفاطمي المستنصر بالله من مدن الشام الساحلية . فسار كل من الأمير أق سنقر صاحب حلب ، والأمير بوزان صاحب الرها لنجدة تتش ، الذي توجه برفقتهم في عام 485 هـ / 1092 م نحو مدينة حمص وبها خلف بن ملاعب ، فحاصروها وضيقوا الخناق على أهلها فاضطر خلف بن ملاعب إلى الاستسلام وطلب الأمان منهم ، وأن يسمحوا له بالرحيل عنها إلى مصر ، فوافق تتش على أعطائه الأمان ، فنزل خلف من قلعة المدينة وسلمها إليهم ورحل إلى مصر ؛ وبعد أن ملك تتش مدينة حمص توجه نحو قلعة عرقة **(3)** فاستولى عليها بالقوة ، وسار منها إلى قلعة أفامية ، فملكها صلحاً ، حيث طلب نائب

=== تحقيق ذلك ، وأستمر عين الدولة في حكم مدينة صور حتى توفي يوم الجمعة الرابع من شوال عام 450 هـ / 1058 م ، فتولى أبنائه حكمها من بعده . انظر : ابن عساكر : تاريخ دمشق ، 33 / 50 - 51 ؛ **الذهبي** : تاريخ الإسلام حوادث ووفيات 441 - 450 هـ ، ص 246 - 247 .

(1) ابن القلانسي : ذيل تأريخ دمشق ، ص 120 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 186 ؛ **ابن خلدون** : تأريخ ، 3 / 137 - 138 .

(2) ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة ، 5 / 125 .

(3) عرقة : مدينة عامرة في سفح جبل قليل العلو ، وفي وسطها قلعة حصينة ، وتقع قلعة عرقة شرقي مدينة طرابلس الشام ، بينهما أربعة فراسخ ، وهي أخر أعمال مدينة دمشق . انظر : **ياقوت الحموي** : معجم البلدان ، 4 / 109 - 110 ؛ **الإدريسي** : نزهة المشتاق ، 1 / 373 - 374 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفاطميين عليها الأمان ، فأعطاه الأمان فملك القلعة ؛ ثم واصل تاج الدولة تتش جهوده لفرض سيطرته على بقية مدن الساحل فتوجه صوب مدينة طرابلس ، فحاصرها ونصب عليها المجانيق ، وكان جلال الملك بن عمار آنذاك والياً عليها فاحتج ابن عمار على فعل تتش وأخبره أن السلطان ملكشاه هو الذي أقره على حكم طرابلس غير أن تتش أستمر في محاصرة المدينة ، بينما رفض الأمير أق سنقر الاستمرار في محاصرتها خاصة بعد أن علم أن ابن عمار يمتلك تفويضاً رسمياً من السلطان ملكشاه بحكم هذه المدينة ، إذ أرسل إلى تتش يقول له : (لا أقاتل من هذه المناشير بيده) . **(1)** غير أن تاج الدولة تتش رفض هذه الحجج وأغلظ عليه القول ، إذ أخبر أنه مجرد تابع له ولا يجوز له أن يعصي أمره . فرد عليه الأمير أق سنقر واخبره أنه تابعٌ له في كل شيء إلا في معصية السلطان ملكشاه . ورحل عنه عائداً إلى مدينة حلب ، مما اضطر تتش إلى فك الحصار عن طرابلس ، والعودة إلى مدينة دمشق وهو حاقد على الأمير أق سنقر ، في حين عاد بوزان إلى مدينة الرها . **(2)**

ظلت مدينة طرابلس بعد فشل حصار تاج الدولة تتش عام 485 هـ / 1092 م مدينة مستقلة ، وأتخذ صاحبها ابن عمار سياسة حيادية تجاه القوتين المتنازعتين على بلاد الشام ، فلم يعلن عداءه للفاطميين إعلاناً صريحاً خوفاً من إثارة مشاعر أهالي طرابلس الذين كانوا يميلون إلى جانب الفاطميين ، في حين اكتفى بأن تكون علاقته ودية مع السلاجقة بحيث لا تجره هذه العلاقة إلى حد الخضوع السياسي لهم . **(3)**

وعلى الرغم من أن الأمير تاج الدولة تتش كان قد بسط سيطرته على معظم بلاد الشام إلا أنه في الوقت نفسه لم يوجه اهتمامه للعمل على توطيد نفوذه في هذه المنطقة مع أن الظروف كانت مهيأة له وخاصة من ناحية الفاطميين الذين حال ضعفهم بسبب المنازعات الداخلية دون نجاحهم في استرداد نفوذهم على بلاد الشام ، بل أن أطماع تاج الدولة تتش اتجهت إلى تولي عرش السلطنة السلجوقية بعد وفاة أخيه السلطان ملكشاه عام 485 هـ / 1092 م . **(4)**

---

(1) ابن الأثير : الكامل ، 10 / 202 – 203 .

(2) ابن الأثير : الكامل ، 10 / 203 .

(3) سالم : طرابلس الشام في التأريخ الإسلامي ، ص 67 .

(4) الحسيني : زبدة التواريخ ، ص 147 ؛ **الراوندي** : راحة الصدور ، ص 210 ؛ **مستوفي قزويني** : تأريخ كزيدة ، ص 449 – 450 ؛ **المعاضيدي** : الحياة السياسية ، ص 100 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان الأمير تاج الدولة تتش قد سار في عـــام 485 هـــــ / 1092 م للقـــاء أخيـــه السلطان ملكشاه في بغداد ، فلما وصل مدينة هيت وردته الأنباء بوفاة أخيه السلطان فاســـتولى على هيت ، وعاد مسرعاً إلى مدينة دمشق لكي يستعد جيدا لأخذ السلطنة الســـلجوقية لنفســـه حيث جمع جيوشه وقام بتوزيع الأموال عليهم ، وسار بهم إلى مدينة حلب ، وبها الأمير أق سنقر الذي رأى اختلاف أولاد سيده السلطان ملكشاه على السلطنة ، فعلـــم أنـــه لا يســـتطيع صد تتش عن حلب في الوقت الحاضر ، ففضل مصالحته ودخل في طاعته ، كما أرسل إلـــى الأمير ياغي سيان صاحب أنطاكية ، والأمير بوزان صاحب الرها وحران ، يشـــير عليهمـــا بالدخول في طاعة الأمير تاج الدولة تتش الذي يحاول أخذ السلطنة لنفسه ، ومعرفـــة موقـــف أولاد السلطان ملكشاه من هذا الأمر . فاقتنعوا برأي أق سنقر ، ودخلـــوا فـــي طاعـــة تـــتش وأقاموا الخطبة له في بلادهم . **(1)**

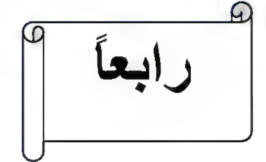
ثم توجه تتش بعد أن أعلن هؤلاء الأمراء ولاءَهم له إلى مدينة الرحبـــة فحاصـــرها لكنه لم يتمكن من الاستيلاء عليها ، فأرسل في طلب الإمـــدادات من أق سنقر وياغي ســـيان فتوجهوا لمساعدته ، وبفضل هذه المساعدة تمكن تتش من دخول المدينة ومن دون قتال فعيّن له نائباً عليها ، كما أقام الخطبة لنفسه من على منابرها ، قبـــل أن يتوجـــه صـــوب نصـــيبين ومعه الأمير بوزان ، فأعلن واليها الطاعة له ، إلا إن أهالي المدينة امتنعوا عن تسليم المدينـــة له ، فقاتلهم تتش واستولى عليها بالسيف بعد أن هدم أسوارها ، كما أنتقم من أهلها شر انتقام وأرسل رسولاً من قبلهِ إلى الخليفة العباسي المقتدى بأمر الله طلب منه تقليده السلطنة وذلـــك عام 486 هـــ / 1093 م . **(2)**

---

(1) ابن الأثير : الكامل ، 10 / 219 – 220 .

(2) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص 122 ؛ **ابن الأزرق** : تاريخ الفارقي ، ص 237 ؛ **ابن العديم** : زبدة الحلب ، 2 / 107 ؛ **اليافعي** : مرآة الجنان ، 3 / 141 – 142 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit



رابعاً

العلاقات السلجوقية - الفاطمية بعد وفاة السلطان ملكشاه
((485- 492 هـ / 1092- 1099 م))

تعد وفاة السلطان ملكشاه عام 485 هـ / 1092 م بداية انهيار الدولة السلجوقية حيث بدأت عوامل الضعف تدب في أوصالها ؛ ومن الأسباب التي أدت إلى ذلك تنافس الأمراء على عرش السلطنة السلجوقية ، الأمر الذي أحدث انقساماً كبيراً في كيان هذه الدولة وخاصة التنافس الذي حدث بين بركياروق (485 – 498 هـ / 1092 – 1104 م) الابن الأكبر للسلطان ملكشاه ووالدة أخيه الأصغر محمود (485 – 487 هـ / 1092 – 1094 م) ؛ إذ كان لكل منهما مؤيدون ومؤازرون ، فانقسم السلاجقة تبعاً لذلك إلى فريقين متنازعين ، كل طرف يجهر بالعداء للطرف الأخر من أجل الوصول إلى عرش السلطنة . **(1)** فضلا عن دخول الأمير تاج الدولة تتش المنافسة من أجل الوصول إلى السلطنة والذي بدا فعلاً العمل مستغلاً هذه الظروف للحصول على تأييد الخلافة العباسية . **(2)**

أستغل الفاطميون انشغال السلاجقة بهذا الصراع ، ورحيل الأمير تاج الدولة تتش عن بلاد الشام إلى المشرق الإسلامي لأخذ السلطنة لنفسه ، لاستعادة بلاد الشام إلى نفوذهم فبعث أمير الجيوش بدر الجمالي عام 486 هـ / 1093م عسكراً إلى مدينة صور، حيث كان واليها (منير الدولة الجيوشي) قد خرج عن طاعة الفاطميين ، وكان بدر الجمالي هو الذي أسند ولايتها إليه بعد أن استولت القوات الفاطمية بقيادة نصر الدولة الجيوشي على هذه المدينة عام 482 هـ / 1089 م ؛ وكان أهالي صور قد أنكروا على واليهم منير الدولة عصيانه فلما وصلت القوات الفاطمية إلى صور ثار أهلها على واليهم ، ونادوا بشعار الخليفة الفاطمي المستنصر بالله وأمير الجيوش بدر الجمالي ، فمهد ذلك الطريق أمام القوات الفاطمية لإحكام قبضتها على المدينة ، حيث تمكنت هذه القوات من القبض على الوالي منير الدولة الجيوشي

---

(1) الصلابي : دولة السلاجقة ، ص 131 .

انظر جدول بأسماء السلاطين السلاجقة الكبار ، وفترة حكمهم في الملحق رقم (3) .

(2) مجيد : أوضاع بلاد الشام ، ص30 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأصحابه وإرسالهم إلى مصر ، كما فرضوا على أهالي صور ستين ألف دينار سنوياً ؛ أما عن مصير منير الدولة الجيوش والأسرى الذين معه فأنهم ما أن وصلوا مدينة القاهرة حتى أمر بدر الجمالي بقتلهم جميعاً ولم يعفُ عن أحدٍ منهم . **(1)**

تمكن بركياروق من حسم الصراع على عرش السلطنة السلجوقية لمصلحته ، وقد ساعدته بعض الظروف على تحقيق ذلك . **(2)** وبعد أن تمكن بركياروق من تثبيت أقدامه في الحكم واستقامت له الأمور ، تفرغ لمواجهة عمه الأمير تاج الدولة تتش ، الذي فرض سيطرته على مناطق واسعة في بلاد الشام والجزيرة الفراتية وبلاد فارس وأذربيجان ، كما خطب لنفسه في هذه المناطق بالسلطنة . **(3)** فعزم السلطان الجديد بركياروق على أن يضع حداً لتجاوزات عمه تتش فالتقى به بالقرب من الري حيث دارت بينهما معركة فاصلة في السابع عشر من صفر عام 488 هـ / 1095 م انتهت بهزيمة تتش ومقتله ، فضلاً عن أسر معظم أفراد جيشه . **(4)**

وعلى الرغم من الانتصار الذي حققه السلطان بركياروق على عمه عام 488 هـ / 1095 م ، إلا أنه اضطر في الوقت نفسه إلى التخلي عن حلم أبيه ملكشاه ، وجده ألب أرسلان في فرض سيطرتهم المطلقة على جميع بلاد الشام ومصر والقضاء على نفوذ الخلافة الفاطمية في هاتين المنطقتين ، وذلك بسبب تجدد الصراع بينه وبين أعمامه وأخوته من جديد حول عرش السلطنة السلجوقية . **(5)**

أما أملاك الأمير تاج الدولة تتش في بلاد الشام فقد اقتسمها أبناؤهُ من بعده حيث

---

(1) **ابن القلانسي** : ذيل تأريخ دمشق ، ص 124 ؛ **ابن ميسر** : اخبار مصر ، 2 / 29 ؛ **ابن شداد** : الأعلاق الخطيرة ، ص 166 .

(2) **للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع انظر** : **حسنين** : سلاجقة إيران والعراق ، ص 84 – 88 ؛ **الصلابي** : دولة السلاجقة ص 131 – 134 .

(3) **ابن القلانسي** : ذيل تاريخ دمشق ، ص 122 – 124 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 232 –233 ؛ **ابن العديم** : زبدة الحلب ، 2 / 117 – 118 .

(4) **ابن القلانسي** : ذيل تاريخ دمشق ، ص 129 – 130 ؛ **الراوندي** : راحة الصدور ، ص 220 ؛ **مستوفي قزويني** : تأريخ كزيدة ، ص 451 .

(5) انظر : **السامرائي** : تأريخ الدولة العربية الإسلامية ، ص 247 – 249 ؛ **الصلابي** : دولة السلاجقة ، ص 135 – 138 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استقل فخر الملوك رضوان **(1)** بإمارة حلب ، في حين أنفرد شمس الملوك دقاق **(2)** بإمـــارة دمشـــق إلا إن الأخوين لم يكونوا على وفاق تام . **(3)** ويرجع السبب الرئيس في ذلك إلى إن الأمير تاج الدولة تتش كان قد أوصى أصحابه بطاعة ابنه رضوان (فخر الملوك) ، كما أنه كتب إليه قبل مقتله في عام 488 هــ / 1095 م يأمره بالتوجه إلـــى العـــراق ، حيـــث مقـــر الخلافة العباسية ، ودار السلطنة السلجوقية ببغداد ، فلما سار رضوان من حلب نحو العـــراق خرج معه عدد كبير من أصحاب أبيه ، وكان من بينهم الأمير أيلغازي بـــن أرتـــق والأميـــر وثاب بن محمود ابن صالح المرداسي ، وعندما قارب رضوان مدينة هيت بلغه نبأ مقتل أبيه

---

(1) فخر الملوك رضوان : ولد عام 475 هــ / 1082 م ، نشأ في حضن والده تتش فـــي مدينـــة دمشـــق وكانت أمّه أمّ ولد ، فزوجها تاج الدولة تتش لجناح الدولة حسين أيتكين ، وكما جعله أتابك لولـــده رضـــوان وعندما توجه تاج الدولة لمحاربة بركياروق أوصى أصحابه بطاعة أبنه فخر الملوك رضوان ، كما بعث إليه قبيل مقتله يأمره بالمسير إلى العراق ، فاستجاب رضوان لرغبة والده وسار نحو العراق يرافقه العديـــد مـــن أمراء أبيه فلما بلغه مقتل أبيه عاد مسرعاً إلى بلاد الشام ، واستلم مدينة حلب من وزير أبيه أبي القاسم بـــن بديع فقام جناح الدولة – زوج أمّه – بتدبير أمر ملكه ، دخل في حروب طاحنة مع أخوه شمس الملوك دقاق من أجل فرض سيطرته على مدينة دمشق ، توفي في نهاية شهر جمادى الأولـــى عـــام 507 هــــ / 1113 . انظر : **ابن خلكان** : وفيات الأعيان ، 1 / 154 ؛ **ابن العديم** : بغية الطلب ، ص 138 – 151 ؛ **الذهبي** : سير أعلام النبلاء ، 19 / 315 – 316 ؛ **الصفدي** : أمراء دمشق ، ص 33 .

(2) شمس الملوك دقاق : هو أبو نصر دقاق بن تاج الدولة ، وكان أبوه قد بعثه إلى عمه السلطان ملكشاه في بغداد ، كما خطب له بنت السلطان ، شارك في الحروب التي نشبت عرش السلطنة الســـلجوقية ، كمـــا أنـــه شارك في المعركة التي قتل فيه والده تاج الدولة تتش عام 488 هــ / 1095 م ، لجأ بعد مقتل أبيه إلى أخيه فخر الملوك رضوان في حلب ، قبل أن يتمكن من تولى حكم مدينة دمشق بمساعدة نائبه الأميـــر ســـاوتكين الخادم استقل بحكم دمشق عن أخيه رضوان ، وقام بتعين زوج أمّه الأتابك ظهير الدين طغتكين متولياً ومدبراً لدمشق بعد أن تخلص من ساوتكين الخادم ، دخل في حروب طاحنة مع أخوه فخر الملوك رضوان من أجـــل فرض استقلاله بمدينة دمشق ، توفي في الثامن عشر من شهر رمضان عام 497 هــ / 1103 م ، ودفن في مسجد بحكر الفهادين بظاهر دمشق الذي على نهر بردى ، وقيل أن سبب وفاته أن أمـــه قـــد عمـــدت إلـــى سمته بعنقود عنب ، . انظر : **ابن القلانسي** : ذيـــل تـــاريخ دمشـــق ، ص 130 – 144 ؛ **ابـــن الأثيـــر** : الكامل ، 10 / 247 – 248 ، 375 ؛ **ابن خلكان** : وفيات الأعيان ، 1 / 154 ؛ **الذهبي** : سير أعلام النبلاء ، 19 / 210 – 312 .

(3) The New Encyclopaedia Britannica , art , Seljuqs Vol . 16 . p 505 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فعاد مسرعاً إلى مدينة حلب ، ولحق به أتابكه (1) جناح الدولة الحسين بن أيتكين الذي قام بتدبير إمارته بعد أن أجْبَرَ أبا القاسم بن بديع وزير الأمير تاج الدولة تتش على تسليم قلعة حلب لأبن سيده الأمير رضوان ؛ كما خطب له من على منابر حلب ، ومنابر أعمالها ، بعد أن ظلت الخطبة تقام فيها لأبيه تاج تتش مدة شهرين بعد مقتله . (2)

أما دقاق بن تاج الدولة تتش فأنه كان يقيم في بغداد ، فلما مات السلطان ملكشاه سار مع ابنه محمود إلى أصبهان لمساعدته في طلب السلطنة ضد أخيه الأكبر بركياروق ، غير أنه لم يلبث أن أنصرف عن نصرة الأمير محمود بن ملكشاه وأنحاز إلى أخيه بركياروق ، ثم لحق بعد ذلك بأبيه تاج الدولة تتش ، وكان معه في معركته الأخيرة التي قتل فيها عام 488 هـ / 1095 م فسار بعد مقتل أبيه إلى أخيه رضوان في مدينة حلب وأقام عنده ، غير أنه لم يمكث عنده طويلاً ، حيث راسله ساوتكين الخادم الذي كان يتولى قلعة دمشق سراً يدعوه ليوليه دمشق فرحل دقاق سراً من مدينة حلب نحو دمشق ، فلما وصلها فرح به ساوتكين الخادم ، وأخذ له العهد والبيعة من الجند ، وبعث إليه الأمير يأغي سيان صاحب أنطاكية يشير عليه بأن ينفرد بإمارة دمشق عن أخيه رضوان ، فاستجاب دقاق لهذه النصيحة وقام بتعين الأتابك ظهير الدين طغتكين متولياً ومدبراً لدمشق بعد أن تخلص من ساوتكين الخادم . (3)

إلا إن الأمير رضوان كان هو الأخر يطمع بحكم مدينة دمشق ويؤثر العودة إليها ، لأهميتها ولأنه نشأ فيها ، فضلا عن أنه كان يرغب في استعادتها من أخيه دقاق ويضع

---

(1) **الأتابك** : لفظة تركية مركبة من مقطعين ((أتا)) ومعناها ((أب)) و ((بك)) ، وتعني ((الأمير)) فهي بذلك تعني ((الوالد الأمير)) ، وكان هذا اللقب يطلق على من يتولى تربية أولاد السلاطين السلاجقة بالنسبة لحداثة سنهم . **دائرة المعارف الإسلامية** ، المجلد الثاني ، مادة (أتا) كاهن (القاهرة – د / ت) ص 45- 46 .

ويذكر **القلقشندي** أن أول من تلقب بهذا اللقب الوزير السلجوقي نظام الملك ، حين فوض إليه السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان تدبير أمر مملكته في عام 465 هـ . صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر (القاهرة – د / ت) 4 / 18 .

(2) **ابن الأزرق** : تأريخ الفارقي : ص 244 – 245 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 246 – 247 ؛ **ابن العديم** : زبدة الحلب ، 2 / 119 – 120 ؛ **الصفدي** : أمراء دمشق ، ص 33 .

(3) **ابن القلانسي** : ذيل تأريخ دمشق ، ص 130 – 131 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 247 – 248 ؛ **ابن الوردي** : تاريخ ، 2 / 15 – 16 . **انظر جدول بأسماء سلاجقة الشام وفترة حكمهم في الملحق رقم (4)** .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حداً لتصرفاته التي كانت تهدف للاستقلال بحكم دمشق ، فطلب رضوان من الأمير سقمان بن أرتق مساعدته لاستعادة نفوذه على مدينة دمشق . كما أنه غادر مدينة حلب في عام 489 هـ / 1095 م متوجها نحو دمشق ومعه الأمير ياغي سيان ، الذي أنحاز إلى جانب رضوان طمعاً في الحصول على بعض المكاسب المادية ، كما سار معه أيضا الأمير جناح الدولة حسين ، غير أنهم عجزوا عن مهاجمة دمشق لحصانتها ومناعتها ، فرحلوا عنها عائدين إلى حلب ، وفي طريق العودة هاجم الأمير رضوان بعض أعمال دمشق قبل أن يتوجه إلى بيت المقدس ، بينما أنحاز الأمير ياغي سيان إلى جانب الأمير دقاق وشجعه على الاستيلاء على مدينة حلب ، فسار دقاق ومعه الأتابك ظهير الدين والأمير ياغي سيان لمهاجمة قوات رضوان ، وبالفعل تمكنوا من تضيق الخناق على قواته حتى أشرفت على الهزيمة ، فضعف نتيجة لذلك موقف رضوان الذي ترك أمر مهاجمة مدينة دمشق وعاد منسحباً إلى حلب ، كما أنه فشل في فرض سيطرته على مدينة بيت المقدس ، في حين عاد دقاق ومعه الأتابك طغتكين إلى مدينة دمشق بينما عاد ياغي سيان إلى أنطاكية . (1)

بعد أن عاد الأمير دقاق إلى مدينة دمشق أخذ يستعد للزحف على مدينة حلب فخرج مع جيشه من دمشق قاصداً حلب ، فلما سمع رضوان بمسير دقاق اضطر إلى طلب المساعدة من الأمير سليمان بن أيلغازي صاحب سميساط (2) ؛ وفي عام 490 هـ /1096 م التقى الفريقان في منطقة قنسرين حيث دارت بينهما معركة أنكسر فيها دقاق ونهب معسكره فهرب مع طغتكين إلى دمشق ؛ غير أن الطرفين أرادا إنهاء حالة الصراع بينهما ، فعقدت معاهدة الصلح التي نصت على أن يقدم الأمير دقاق أسم أخيه الأمير رضوان في الخطبة في دمشق ، وأن تقام بأسميهما فيها . (3)

على الرغم من أن الدولة الفاطمية في مصر قد انشغلت في أوائل عهد الخليفة المستعلي بالله (487 - 495 هـ / 1094 - 1101 م) بضبط أمورها الداخلية عن

---

(1) **ابن القلانسي** : ذيل تأريخ دمشق ، ص 132 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 269 ؛ **أبو الفدا** : المختصر ، 2 / 209 ؛ **ابن بدران** : تهذيب تأريخ دمشق الكبير ، 5 / 250 .

(2) **سميساط** : مدينة على شاطئ نهر الفرات في طرف بلاد الروم على غربي الفرات . انظر : **ياقوت الحموي** : معجم البلدان ، 3 / 258 ؛ **الإدريسي** : نزهة المشتاق ، 2 / 651 .

(3) **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 269 ؛ **ابن العديم** : زبدة الحلب ، 2 / 126 - 127 ؛ **اليافعي** : مرآة الجنان ، 3 / 152 ؛ **أبو الفدا** : المختصر ، 2 / 210 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مواصلة جهودها لاسترداد نفوذها في بلاد الشام ، فأن الخلاف بين نواب السلاجقة في هذه البلاد ، وحالة الضعف التي تجلت في أيامها لم يكن خافياً عنها ؛ إذ خرجت القوات الفاطمية من مصر عام 489 هـ / 1095 م إلى ساحل بلاد الشام وبالتحديد إلى مدينة صور ، حيث كان واليها الذي يدعى (كتيلة) قد خرج عن طاعة الفاطميين ، فحاصرت القوات الفاطمية المدينة واستمرت في محاصرتها حتى تمكنت من دخولها بالقوة فقتلت الكثير من أهلها ونهبتها واستولت على أموالها ، فتمكنت القوات الفاطمية بذلك من قمع هذا التمرد ، كما أنها أخذت والي المدينة معها أسيرا إلى مدينة القاهرة حيث قتل هناك . **(1)**

كما استغل أهل أفامية انشغال السلاجقة بالصراع فيما بينهم للتخلص من ولائهم للسلاجقة فأعلنوا ولاءَهم من جديد للفاطميين ، وأرسلوا إلى الفاطميين يطلبون منهم يعينوا والياً عليهم من قبلهم ، فبعث الفاطميون خلف بن ملاعب الذي كان حاكماً على مدينة حمص التي غادرها إلى مصر بعد أن استولى عليها السلاجقة عام 485 هـ / 1092 م ، فرجع خلف بن ملاعب إلى بلاد الشام وتسلم ولاية أفاميا في عام 489 هـ / 1095 م ، وبذلك أعادَها إلى دائرة النفوذ الفاطمي . **(2)**

كما رأى الفاطميون أن ينتهزوا فرصة اضطراب أوضاع السلاجقة في بلاد الشام ليحاولوا من جديد إعادة سيطرتهم على ما فقدوه من مدن الشام ، فسار الوزير الأفضل بن بدر الجمالي الذي خلف والده أمير الجيوش بدر الجمالي في منصب الوزارة الفاطمية من مصر على رأس حملة عسكرية إلى بلاد الشام في عام 490 هـ / 1096 م **(3)** قاصداً بيت المقدس والتي كانت يتولى حكمها الأميران سقمان وأيلغازي أبناء أرتق بن

---

(1) ابن القلانسي : ذيل تأريخ دمشق ، ص 133 – 134 ؛ **ابن شداد** : الأعلاق الخطيرة ، ص 166 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 158 .

(2) ابن العديم : زبدة الحلب ، 2 / 122 .

(3) أختلفَ المؤرخون حول هذه الحملة ، فمنهم من يقول أنها حدثت في عام 489 هـ ، أمثال **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 283 ؛ **ابن ميسر** اخبار مصر ، 2 / 32 ؛ **ابن تغري بردى** : النجوم الزاهرة ، 5 / 159 ؛ **مجير الدين الحنبلي** : الأنس الجليل ، 1 / 307 . ومنهم من يقول أنها حدثت عام 491 هـ ، أمثال **ابن القلانسي** : ذيل تاريخ دمشق ، ص 135 ؛ **ابن شداد** : الأعلاق الخطيرة ، ص 201 ؛ **الذهبي** : دول الإسلام ، 2 / 253 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 159 . وتبدو هذه الرواية أقرب إلى الصحة حيث تتفق مع مجريات الأحداث في تلك الفترة ، **راجع : الفصل الثالث ، أوضاع بيت المقدس ، ص 146 – 147 .**

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أكسب فراسلهما الأفضل يلتمس منهما أن يسلما إليه المدينة من غير حرب ، وتجنباً لسفك الدماء فيها ، إلا أنهما لم يجيباه إلى طلبه ، فشرع الأفضل في مهاجمة المدينة ، ونصب المجانيق على أسوارها ، واستمر في قتالها أربعين يوماً ، فأضطر الأميران سقمان وأيلغازي ومعهم أهالي المدينة إلى الاستسلام وطلب الأمان من الأفضل ، فآمنهم ، ففتحوا له أبواب المدينة فدخلها الأفضل بقواته ، وأحسن إلى الأميرين سقمان وأيلغازي وأنعم عليهما وأطلقهما ومن معهما من الجند ، فمضى سقمان إلى الرها ، بينما سار ايلغازي إلى بغداد ، وعين الأفضل (أفتخار الدولة) ليتولى حكم بيت المقدس نائباً عن الفاطميين ، ثم عاد الأفضل بقواته إلى مصر ، بعد أن استولى في طريق عودته على مدينة عسقلان ، وظل بيت المقدس بيد الفاطميين حتى عام 492 هـ / 1099 م . **(1)**

واصل الفاطميون جهودهم لاستعادة نفوذهم في بلاد الشام فحاولوا الاستفادة من انقسام السلاجقة على أنفسهم في هذه المنطقة ، وانشغالهم بالحروب والصراعات الداخلية فيما بينهم لتحقيق أهدافهم ، حيث أتبع الخليفة الفاطمي المستعلي بالله سياسة جديدة تهدف إلى كسب قسم من السلاجقة في بلاد الشام إلى جانبه ، وفي الوقت نفسه تعميق هوة الخلاف فيما بينهم وذلك بنصرة أحد الأطراف على حساب الطرف الآخر ، فأرسل عام 490 هـ / 1096 م كتاباً إلى الأمير رضوان صاحب حلب يلتمس منه الدخول في طاعته ، وإقامة الدعوة لدولته كما وصل إليه كتاباً من الوزير الفاطمي الأفضل بن بدر الجمالي يتضمن مثل ذلك ، فأجابهما الأمير رضوان إلى ما التمساه وأمر بأن يخطب للمستعلي بالله الفاطمي على المنابر وللأفضل من بعده ثم لنفسه . فأرسل إليه الأفضل هدايا ثمينة ، ووعده بأن يمده الفاطميون بالعساكر والأموال ، فشجع ذلك رضوان على أن يدعوَ للخليفة الفاطمي من على سائر منابر الشام التي بيده ، حيث دعا الخطيب أبو تراب حيدرة بن أبي أسامة بحلب للمستعلي ثم لوزيره الأفضل ثم للأمير رضوان ، وذلك يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان من عام 490 هـ / 1096 م ، ودامت الخطبة على هذه الحال أربع جمع . **(2)**

كان هدف الأمير رضوان من إقامة الخطبة للخليفة الفاطمي بحلب الاستعانة بعساكر الفاطميين لأخذ مدينة دمشق من أخيه الأمير دقاق ، وعلى الرغم من أنهما اتفقا على أن تقام الخطبة باسميهما فيها ، فضلا عن أحد منجميه ويدعى (الحكيم أسعد) ، قد حسن له

---

(1) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص 135 ؛ **ابن شداد** : الأعلاق الخطيرة ، ص 201 .

(2) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص 135 ؛ **ابن العديم** : زبدة الحلب ، 2 / 128 ؛ **ابن تغري بردى** : النجوم الزاهرة ، 5 / 158 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مذهب الفاطميين بمصر ، فلما أتته رسل الخليفة الفاطمي يدعوه للدخول في طاعته ، وأرسل له الأموال والهدايا ، وعرض عليه إرسال نجدة لمساعدته في الاستيلاء على مدينة دمشق أقام الخطبة الفاطمية في جميع أعماله فضلا عن مدينة حلب ، واستمر في إقامة الخطبة الفاطمية حتى قدم إليه الأميران سقمان بن أرتق والأمير ياغي سيان ، إذ أنكروا عليه هذا العمل واستعظماه في أقامة الخطبة للفاطميين ، فرجع عن ذلك ، وأعاد الخطبة للخليفة العباسي المستظهر بالله (487 - 512 هـ / 1094 - 1118 م) ، ثم للسلطان بركياروق من بعده ثم لنفسه ، بعد أن قطع الخطبة عن الفاطميين ، وأرسل إلى الخليفة العباسي في بغداد يعتذر عن ما فعله . **(1)**

إلا إن الدافع الحقيقي وراء تراجع الأمير رضوان عن الاستمرار بإقامة الخطبة الفاطمية ، هو يأسه من الحصول على المساعدات الفاطمية لمساندته في الاستيلاء على دمشق والذي كان السبب الرئيسي الذي دفعه إلى أقامة هذه الخطبة ، ومما يؤكد هذا الأمر الذهبي بقوله : (... أعيدت الدعوة العباسية في أثناء سنة اثنتين وتسعين ، إذ لم ينفعه المصريون بأمر) . **(2)**

وصفوة القول أن وفاة السلطان ملكشاه كانت البداية الفعلية لتفكك الدولة السلجوقية في حين كان مقتل الأمير تلج الدولة تتش البداية الفعلية لنهاية نفوذ الدولة السلجوقية في بلاد الشام ، فقد ضعف نوابها فيها ، واستقل الكثير منهم عنها ، وخاصة بعد أن غلب على أمورها الأتابكة والأمراء ، فضلا عن استمرار النزاع والصراع بينهم وبين الفاطميين ، الأمر الذي أدى إلى عدم استقرار الأمور في هذه البلاد ، كما ضعفت قوى الطرفين وبالتالي ضعفت الجبهة الإسلامية فيها ، ممّا مهد السبيل أمام الصليبيين للزحف عليها والاستيلاء على أقسام واسعة منها .

---

(1) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص 133 ؛ **ابن الأثير**: الكامل ، 10 / 269 ؛ **ابن ميسر** : اخبار مصر ، 2 / 37 - 38 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 157 - 158 .

(2) سير أعلام النبلاء ، 19 / 315 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

العلاقات السلجوقية – الفاطمية خلال الحروب الصليبية
((490 – 518 هـ / 1096 – 1134 م))

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولاً

أوضاع كل من السلاجقة والفاطميين قبيل الحروب الصليبية

شهدت مناطق العراق وبلاد الشام ومصر في الحقبة التي سبقت الغزو الصليبي أواخر القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي اضطرابات داخلية ، وانقسامات كبيرة وكثيرة أسهمت وبدور كبير في تسهيل مهمة الصليبيين في غزو بلاد الشام ، والاستيلاء على أجزاء واسعة منها ، وقيام العديد من الإمارات الصليبية فيها .

فالخلافة العباسية في بغداد كانت خاضعة للسيطرة السلجوقية ، وقد عمل السلاطين السلاجقة على تجريد مركز الخلافة العباسية من الجند الموالين للخليفة العباسي ، وكانت غاية هؤلاء السلاطين من هذا العمل ، أن يظهر السلاطين أنفسهم بأنهم هم الذين يحمون مركز الخلافة ويتحملون مسؤولية استتباب الأمن والنظام فيها . لذلك كانوا يأخذون العهود والمواثيق من الخلفاء بعدم تجنيد الأجناد ، وان تكون مسؤولية الدفاع عن بغداد بيد السلاجقة فقط ، وبذلك فقد اكتفى الخليفة العباسي مرغما بالاحتفاظ بسلطته الروحية فقط . **(1)**

ومع ذلك فان أحوال الخلافة العباسية كانت قد استقرت نسبيا في عهد السلطان ملكشاه الذي كان يُعدُّ آخر السلاطين السلاجقة الكبار ، ففي عهده اجتمعت أقاليم الخلافة العباسية وبالأخص الشرقية منها إلى بعضها البعض ، فالتحمت من أقاصي حدود البلاد مع الصين إلى آخر بلاد الشام ، ومن قمة الإسلام في أرمينية إلى ثراها في بلاد اليمن ، وخطب للخليفة العباسي ومن بعده ملكشاه وفي جميع هذه الأصقاع ، فضلا عن انتشار الأمن والنظام فيها . ويعو د الفضل في ذلك إلى قوة السلطان ملكشاه التي أرهبت أعداء الخلافة العباسية ومناوئيها المجاورين لها شرقا وغربا ، كالقرخانيين في سمرقند ، والفاطميين في مصر والبيزنطيين على الحدود الشمالية الغربية للدولة . **(2)**

---

(1) ابن واصل : مفرج الكروب ، 1 / 131 – 132 ؛ **بيات** ، فاضل مهدي : السياسية السلجوقية في العراق ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد الثامن عشر ، سنة 1981 م ، ص 99 .

(2) ابن الأثير : الكامل ، 10 / 211 ؛ **ابن خلكان** : وفيات الأعيان ، 3 / 143 ؛ **الذهبي** : سير أعلام النبلاء ، 19 / 58 ؛ **السامرائي** : تأريخ الدولة العربية ، ص 241 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد وفاة ملكشاه في عام 485 هـ / 1092م تفككت الدولة السلجوقية وبدأت عوامل الضعف والانهيار تدب في أوصالها ، فضعفت بالتالي سيطرة الدولة على مختلف أقاليمها وكان من بين الأسباب الرئيسة التي أدت إلى ذلك الضعف تنافس الأمراء (أبناء ملكشاه وإخوته) على عرش السلطنة السلجوقية ، الأمر الذي أحدث انقساماً كبيراً في صفوف السلاجقة وبالأخص الصراع الذي حدث بين بركياروق الابن الأكبر لملكشاه وأخيه الأصغر محمود ووالدته تركان خاتون ، فكان لكل منهم مؤيدون ومعارضون ، فقد كان يؤيد بركياروق أبناء الوزير الفذ نظام الملك وأتباعه وإفراد أسرته ، في حين كان يقف إلى جانب محمود الوزير السلجوقي تاج الملك الشيرازي الذي خلف نظام الملك في الوزارة فانقسم السلاجقة تبعا لذلك إلى معسكرين متنازعين كل منهما يجاهر بالعداء للآخر للوصول إلى عرش السلطنة السلجوقية . **(1)**

وفضلا عن أبناء ملكشاه فقد كان هناك أخوته ، كل من الأمير تاج الدولة تتش والأمير أرسلان اراغون ، حيث حاول كل بدوره أن يستحوذ على عرش السلطنة السلجوقية لنفسه ، وأن يذكر اسمه في الخطبة في عاصمة الخلافة العباسية وبموافقة الخليفة . **(2)**

أما الخليفة العباسي المقتدى بأمر الله (467 - 487 هـ / 1074 - 1094م) فقد كان مسلوب السلطة ، فهو يؤيد كل من يتمكن من الوصول إلى عرش السلطنة السلجوقية ويدعو له من على منابر بغداد فقد اعترف بالأمير محمود سلطاناً بعد وفاة أبيه ملكشاه وخطب له في 22 شوال من عام 485 هـ / 1092 م ولقبه (ناصر الدنيا والدين) وهكذا فقد وُجِدَ سلطانان في وقت واحد السلطان محمود في بغداد والسلطان بركياروق في أصفهان ، وبعد وصول بركياروق ومعه وزيره إلى بغداد أعترف به الخليفة العباسي المقتدى بأمر الله سلطانا على السلاجقة ، وأمر بقراءة اسمه في الخطبة في 14 محرم عام 487 هـ / 1094 م ولقبه (بركن الدين) ونودي ببركياروق سلطانا ببغداد في اليوم نفسه (أي في 14 محرم) ، وخطب له بذلك على المنابر ، وفي اليوم التالي (15 محرم) توفي الخليفة المقتدي بأمر الله ، وتولى الخلافة من بعده ابنه أبو العباس احمد ، الذي تلقب (بالمستظهر بالله) ، والذي اقر بدوره ما فعله أبوه . **(3)**

---

(1) الصلابي : دولة السلاجقة ، ص 131 .

(2) للمزيد من التفاصيل حول هذا الصراع انظر : حسنين : سلاجقة إيران والعراق ، ص 85 - 86 ؛ **السامرائي** : تأريخ الدولة العربية ، ص 243 ؛ **الصلابي** : دولة السلاجقة ، ص 134 - 136 .

(3) ابن الجوزي : المنتظم ، 9 / 62 - 63 ؛؛ **ابن الوردي** : تاريخ ، 2 / 12 - 13 **اليافعي** : مرآة الجنان ، 3 / 143 ؛ **الحنبلي** : شذرات الذهب ، 3 / 377 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلى الرغم من ذلك فقد استمر مسلسل الصراع على عرش السلطنة مع عميهِ الأمير تاج الدولة تتش وأرسلان اراغون ، فضلا عن دخول أطراف جديدة في هذا الصراع وهم أخوته الأمير محمد والأمير سنجر . **(1)**

وانتهى الصراع الذي حدث بين السلطان بركياروق وأخيه الأمير محمد حول عرش السلطنة في عام 497 هـ / 1103 م ، حيث اتَفقَ الطرفان على عقد الصلح ، وإنهاء حالة الصراع المسلح بينهما ، وخاصة إن الحروب قد أنهكت كلا الطرفين ، كما أنهكت البلاد معها ، وتذمر السكان ، وساءت الأحوال الاقتصادية من جراء الضرائب المفروضة من كلا الطرفين المتنافسين من أجل سد نفقات الحروب ، وقد أجاد السيوطي في وصف هذه الأحوال بقوله : (وقع الصلح بين السلطانيين محمد وبركياروق ، وسببه إن الحروب لما تطاولت بينهما ، وعم الفساد ، وصارت الأموال منهوبة ، والدماء مسفوكة ، والبلاد مخربة ، والسلطنة مطموعاً فيها ، وأصبح الملوك مقهورينَ بعد إن كانوا قاهرين ، دخل العقلاء بينهما في الصلح وكتبت العهود والأيمان والمواثيق ، وأرسل الخليفة خلع السلطنة إلى بركياروق ، وأقيمت له الخطبة ببغداد) . **(2)**

ولم تكن الخلافة الفاطمية في مصر بأفضل حال من الخلافة العباسية في بغداد ، فقد أصبحت تعاني من مصيبة الدول التي تضعضع سلطانها فقد كانت هناك عدة محاولات للسيطرة على مناطق نفوذها وسلطانها ، وكان هذا الضعف والانهيار نتيجة حتمية لما كانت تعانيه من اضطرابات في أوضاعها بصورة عامة ، فقد حلت بمصر المجاعات والأوبئة ففي عام 446 هـ/ 1054 م انخفض مستوى نهر النيل ، فأهملت نتيجة لذلك الزراعة واضطر المصريون إلى أكل الميتة والكلاب والقطط ، بل واضطر قسماً منهم وفي الظروف الحرجة إلى أكل لحوم البشر ، وعم الوباء الذي كان يُعدُّ من أطول الأوبئة التي عرفتها الديار المصرية في القرون الوسطى الإسلامية ، إذ استمر ثماني أعوام من عام 446 هـ / 1054 م إلى عام 454 هـ / 1062 م ، وقد عم هذا الوباء أيضا الكثير من الديار الإسلامية فضلا عن الديار المصرية . **(3)**

كما عانت مصر من القحط والغلاء مرة أخرى عام 459 هـ / 1067 م ، والذي

---

(1) انظر : **السامرائي** : تأريخ الدولة العربية ، ص 243 – 251 ؛ **الصلابي** : دولة السلاجقة ، ص 131 – 138 .

(2) تأريخ الخلفاء ، ص 505 .

(3) **ابن ميسر** : اخبار مصر ، 2 / 13 – 23 **المقريزي** : الخطط المقريزية ، 1 / 335 – 337 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استمر ستة أعوام إلى عام 464 هـ / 1071 م ، وقد أطلق المؤرخون على هذه السنوات (بالشدة العظمى) . (1)

وكانت أوضاع مصر الداخلية إثناء ذلك في غاية الفوضى والاضطراب ، وممّا يؤكد ذلك تناوب أربعين وزيرا على الوزارة الفاطمية في خلال تسعة أعوام فقط (450 – 459 هـ / 1058 – 1067 م) ، فضلا عن أن مصر أصبحت نهباً للثورات الداخلية والمنازعات ما بين الطوائف (مماليك ، وأتراك ، وسودانيين ، ومغاربة) ، وقد استمر الوضع هكذا في مصر حتى تداركه أمير الجيوش بدر الجمالي والي مدينة عكا ، حيث استدعاه الخليفة الفاطمي المستنصر بالله عام 446هـ / 1073 م لمعالجة هذه الأوضاع المتردية ، فتمكن أمير الجيوش بدر الجمالي من إعادة النظام ، كما وجه اهتمامه نحو أصلاح حال البلاد والقضاء على جميع المفسدين فيها . (2)

وبعد وفاة الخليفة المستنصر بالله عام 487 هـ / 1094 م خلفه في الحكم ابنه المستعلي بالله أبو القاسم احمد في ذي الحجة عام 487 هـ / 1094 م ، فبدأت الأوضاع السياسية في الخلافة الفاطمية تأخذ منحىً جديداً ، حيث انقسم رجال الدولة الفاطمية إلى قسمين متناحرين من أجل المصالح والمناصب ، ويعود السبب في ذلك إلى أن الخليفة الفاطمي المستنصر بالله قد عهد بولاية العهد من بعده لابنه الأكبر أبي المنصور نزار وشرع في أخذ البيعة له في أثناء مرضه غير أن وزيره الجديد الأفضل الذي خلف والده بدر الجمالي في الوزارة ، أخذ يعمل على إعاقة هذا الأمر إلى إن توفي المستنصر بالله ، وقبل أن تتم مبايعة نزار بالخلافة ، فأقدم الأفضل على تولية أخي نزار الأصغر ، أبي القاسم أحمد ولقبه (بالمستعلي بالله) ، فتوجه عند ذلك نزار إلى مدينة الإسكندرية ، فتلقاه واليها ناصر الدين أفتكين التركي بالترحيب ، وأخذ له البيعة بالخلافة من أهالي الإسكندرية ولقبوه (المصطفى لدين الله) ؛ فلما علم الوزير الأفضل بذلك خرج لقتاله على رأس جيش كبير ، وبعد عدة وقائع بينهما انكسر الأفضل الذي عاد منهزماً إلى مدينة القاهرة ، ومن هناك أخذ الأفضل يعد العدة لقتال نزار من جديد ، كما انه نجح في استمالة بعض أتباع نزار بعد أن وعدهم بالأموال

---

(1) **المقريزي** : الخطط المقريزية ، 1 / 335 ؛ **حسن** : تأريخ الدولة الفاطمية ، ص 171 ؛ **الجنزوري** : الحروب الصليبية (المقدمات السياسية) ، ص 285 .

(2) **ابن شداد** : الأعلاق الخطيرة ، ص 173 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 136 – 141 ؛ **ابن حجر العسقلاني** : رفع الإصر عن قضاة مصر ، ق1 ، ص 131 – 134 ؛ **المطوي** : الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ، ص 15 – 16 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والاقطاعات ، ولما تــمَّ له ذلك خرج إليه ثانية على رأس جـيش كبيــر ، وحاصــر مدينــة الإسكندرية ، مما أجبر كلاً من نزار وأفتكين إلى طلب الأمان ، فأمنهما الأفضل ، إلا أنه لــم يكن صادقاً في ذلك ، إذ انتقم منهما فيما بعد حيث وضع نزار بين حائطين وبنى عليــه حتــى مات ، كما انه قتل أفتكين والي مدينة الإسكندرية . (1)

تمكن الوزير الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي بعد ذلك من إحكام قبضته على شؤون الحكم في جميع البلاد ، والاستبداد بالسلطة دون الخليفة الفاطمي المستعلي بــالله . (2) وبذلك تكون مصر قد دخلت في عهد تزايد فيه نفوذ الوزراء حتى أصبح يعرف باسم (عصر الوزراء العظام) . (3)

أما بلاد الشام فلم تكن حالها بأفضل حال من العراق ومصر ، فبعد وفــاة الســلطان ملكشاه عام 485 هـــ / 1092 م ، ومقتل الأمير تاج الدولة تتش في عام 488 هـــ / 1095 م في الحرب التي دارت بينه وبين ابن أخيه بركياروق ، لم يعد بمقدور أي سلطان ســلجوقي السيطرة على بلاد الشام والجزيرة الفراتية ، إذ إن السلطان بركيــاروق الــذي خطــب لــه بالسلطنة في بغداد لم يحاول التدخل في أمور بلاد الشام التي اقتسمها أبناء عمه تاج الدولة تتش كلاً من الأمير فخر الملوك رضوان الذي أصبحت له مدينة حلب وإعمالها ، وكان معه جنــاح الدولة حسين أيتكين (زوج أمه وأتابكه) ، غير إن جناح الدولة لم يكن يطمئن إلى رضــوان ففارقه ومعه زوجته وذهب إلى مدينة حمص حيث أصبحَ والياً عليها ، أما دمشــق وأعمالهــا وطبرية وبيت المقدس فقد كانت من نصيب شمس الملوك دقاق ومعــه أتابكــه ظهيــر الــدين طغتكين . (4)

وهكذا يمكن القول إن بلاد الشام كانت قبيل الغزو الصليبي عبارة عن مجموعة مــن الدويلات الصغيرة والمتنافسة مع بعضها البعض ، حكامها من السلاجقة والتركمان والفاطميين

---

(1) **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 237 ؛ **ابن ظافر** : أخبار الــدول ، ص 83 – 84 ؛ **الــدواداري** : الــدرر المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية ، ص 443 – 444 ؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ، 2 / 152 – 153 .

(2) **ابن القلانسي** : ذيل تاريخ دمشق ، ص 128 .

(3) **سرور** : مصر في عصر الدولة الفاطمية ، ص 93 ؛ **الجنزوري** : الحروب الصليبية ، ص 286 .

(4) **للمزيد من التفاصيل عن أوضاع بلاد الشام بعد وفاة الأميــر تــاج دولــة تــتش ، راجــع : الفصــل الثاني ، العلاقات السلجوقية – الفاطمية بعد وفاة السلطان ملكشاه ، ص 116 – 123 .**

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فإلى جانب رضوان في حلب ، وأخيه دقاق في دمشق ، وجناح الدولة في حمص ، كان ياغي سيان في أنطاكية ، وكربوقا (1) في الموصل ونصيبين ، وجكرمش في جزيرة ابن عمر ، وسكمان (سقمان) ومعه أخوه ايلغازي في بيت المقدس قبل إن ينزعها الفاطميون منهما وتولى إدارتها افتخار الدولة الفاطمي ، فضلا عن خلف بن ملاعب في أفاميا ، وبنو عمار الذين أقاموا لهم إمارة مستقلة في مدينة طرابلس . (2)

إن الفوضى والاضطرابات العارمة التي عمت بلاد الشام بسبب النزاعات بين السلاجقة بعضهم البعض ، وبين السلاجقة والفاطميين ، وبين كل من الفاطميين والسلاجقة من ناحية ، والبيوت العربية التي كونت لنفسها إمارات مستقلة في بلاد الشام من ناحية أخرى أدى ذلك كله إلى ضعف هذه القوى جميعا في الوقت الذي بدأ فيه الغزو الصليبي يلوح في سماء العالم الإسلامي ، ممّا سهل مهمة الصليبيين في زحفهم على بلاد الشام ، والاستيلاء على أجزاء واسعة ومهمة في هذه المنطقة . (3)

وصفوة القول إن الأمم الأوربية استفادت مما كان عليه العالم الإسلامي من تمزيق وحدة صفه وانهيار الجبهة الإسلامية الداخلية في تنفيذ هجمتها البربرية على الأماكن المقدسة في البلاد وبالتحديد بيت المقدس والمتمثلة بالحملة الصليبية الأولى ، التي بدأت الدعوة

---

(1) **كربوقا** : هو أبو سعيد قوام الدولة كربوقا ، كان أحد مماليك السلطان السلجوقي ملكشاه ، وبعد وفاة ملكشاه عام 485 هـ / 1092 م ساهم في الصراع الداخلي الذي نشب على عرش السلطنة السلجوقية قبل أن يتمكن من فرض سيطرته على مدينة الموصل ، بعد أن حاصرها أكثر من تسعة أشهر ، وذلك عام 489 هـ / 1095 م ، وظل حاكماً عليها حتى توفي عام 495 هـ / 1101 م . **وحيد** : مصر والغزو الصليبي دراسة سياسية (490 – 567 هـ / 1096 – 1171 م) ، أطروحة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة الموصل ، 2002 م ، ص 42 .

للمزيد من التفاصيل حول موقف الأمير كربوقا من وصول القوات الصليبية إلى بلاد الشام ، والدور الجهادي الذي اضطلع به لمواجهة هذه القوات انظر : احمد : كربوقا صاحب الموصل ودوره في مقاومة الصليبيين ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد الخامس ، سنة 1977 م ، ص 95 – 110 .

(2) **أبو بدر** : الحروب الصليبية والأسرة الزنكية ، ص 19 ؛ **المطوي** : الحروب الصليبية ، ص 17 ؛ **عباس** : تاريخ بلاد الشام في عهد الأتابكة والأيوبيين ، ص 14 .

(3) **المعاضيدي** : الوطن العربي والغزو الصليبي ، ص 29 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لها في مجمع كنيسة كليرمونت في جنوبي فرنسا في 26 تشرين الثاني عام 1095 م / 488 هـ . (1)

---

(1) **للمزيد من التفاصيل حول طبيعة الحركة الصليبية وأسبابها ودوافعها وأهدافها انظر : عاشور** : الحركة الصليبية ، 1 / 19 – 112 ؛ **أبو سعيد** : الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية ، 1 / 117 – 122 ؛ **الحميدة** : الحروب الصليبية عهد الانقسامات الداخلية ، 1 / 22 – 60 ؛ **قاسم** : ماهية الحروب الصليبية ؛ **شكيل** : الصراع الإسلامي – الفرنجي على فلسطين في القرون الوسطى ، ص 97 – 137 ؛ **البكر** ، راغب حامد عبد الله : الحروب الصليبية بدايات الاستعمار الأوربي ، أطروحة ماجستير غير منشورة كلية الآداب – جامعة الموصل ، 1983 م ، ص 16 – 17 ؛ **العابد** : الحروب الصليبية دوافعها وبواعثها الممهدة ، مجلة المورد ، العدد 4 ، سنة 1987 م ، ص 5 – 13 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit



موقف السلاجقة والفاطميين من حصار أنطاكية، وسقوطها في أيدي الصليبيين

كان الأمير ياغي سيان يتولى إدارة مدينة أنطاكية منذ أن عهد إليه السلطان ملكشاه بولايتها في عام 479 هـ / 1086 م ، وكان ياغي سيان على درجة عالية من الكفاءة إلا أنه دخل في كثير من الخلافات والصراعات التي اجتاحت بلاد الشام في تلك المرحلة وخاصة الصراع الذي حدث بين أبناء الأمير تاج الدولة تتش ، ففي العام نفسه الذي بدأت الجيوش الصليبية تتدفق من غرب أوربا إلى الشرق الإسلامي قامت حروب أهلية بين ابني تاج الدولة تتش ، رضوان أمير حلب ، و دقاق أمير دمشق ، بسبب رغبة الأول في انتزاع مدينة دمشق من يد أخيه الأمير دقاق وكان الأمير ياغي سيان قد اشترك في الجيش الذي أعده رضوان للزحف على دمشق إلا أنه فشل في تحقيق ذلك ، وعاد خائباً إلى حلب ، ولم يلبث أن ترك ياغي سيان جانب رضوان وأنحاز إلى أخيه دقاق ، بل وأغراه بمهاجمة رضوان في حلب إلا إن دقاق فشل هو الأخر في هجومه على مدينة حلب على الرغم من مساعدة ياغي سيان له فاستقر الأمر بينهما على الصلح فيما بعد . **(1)** ولم يحقق ياغي سيان من ذلك أي مكاسب له فضلا عن تخلف القوى الإسلامية عنه عندما دهمه الخطر الصليبي في أنطاكية . **(2)**

في هذه الأثناء كان القسم الأكبر من القوات الصليبية يواصل زحفه من ناحية جنوب آسيا الصغرى باتجاه مدينة أنطاكية ، وكان هذا الجيش يضم معظم كبار أمراء الحملة الصليبية وفي مقدمتهم الأمير بوهيمند النورماني (أمير اوترانتو) ، والأمير جودفري (دوق اللورين) ، والكونت ريموند (أمير تولوز وبروفانس) ، ويصاحبهم المندوب البابوي أدهمار (أسقف بوي) ، وصلت هذهِ الجموع الغازية إلى مدينة أنطاكية في 11 ذي القعدة عام

---

(1) للمزيد من التفاصيل عن هذا الصراع ، راجع : الفصل الثاني ، العلاقات السلجوقية - الفاطمية بعد وفاة السلطان ملكشاه ، ص 116 - 123 .

(2) عاشور : تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب ، ص 143 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

490 هـ / 1097 م عن طريق مرعش (1) ، وبغراس (2) ، وقلعة ارتاح (3) في حين كان القسم الآخر من الصليبيين يواصل عملياته العسكرية بقيادة الأمير تولدوني البولوني (اخو جودفري) في منطقة الجزيرة الفراتية والرها . (4)

أحدث وصول الصليبيين إلى بلاد الشام قلقاً شديداً في قلوب الناس ، لان كثرة أعداد الصليبين وطبيعة زحفهم جعلت السكان يشعرون بأنهم أمام خطر جديد لم يروه من قبل ، وقد عبر ابن القلانسي عن ذلك القلق المتزايد لدى عموم الناس ، لأن الصليبيين قد وصلوا في اعداد كبيرة ، بقوله : (في عالم لا يحصى عدده كثرة ، وتتابعت الأنباء بذلك فقلق الناس لسماعها ، وانزعجوا لاشتهارها) . (5)

شرعت القوات الصليبية في محاصرة مدينة أنطاكية ، وأخذت تعمل على تعزيز مواقعها عن طريق تعزيز صفوفها بقوات إضافية وصلت إليها عن طريق البحر من جزيرة قبرص إلى ميناء اللاذقية ثم أنطاكية ، وهكذا أحاطت القوات الصليبية بمدينة أنطاكية وشددوا الحصار عليها ، أما القوات السلجوقية التي كانت داخل المدينة ، فقد استولى عليها الخوف والفزع ، ولم يتمكنوا من اتخاذ أي إجراء لمدة خمسة عشر يوماً . (6)

كانت مدينة أنطاكية من أقوى المدن تحصيناً في ذلك الوقت ، بحيث لا يمكن مقارنتها في مناعتها ، وقوة تحصينها إلا بمدينة القسطنطينية ، إذ كان تحصينها طبيعياً ، فقد أحاطت الجبال العالية بها من جهتي الجنوب والشرق ، في حين كان يحدها من جهة الغرب

---

(1) **مرعش** : من ثغور أرمينية ، بين بلاد الشام وبلاد الروم ، وهي مدينة حصينة عليها سوران وخندق . انظر : **ياقوت الحموي** ، معجم البلدان ، 5 / 107 ؛ **الحميري** : الروض المعطار ، ص 541 .

(2) **بغراس** : مدينة في سفح جبل اللكام ، بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ ، وكانت أرض بغراس لمسلمة بن عبد الملك غير أنه أوقفها على سبيل البر . انظر : **البلاذري** : فتوح البلدان ، ص 94 ؛ **ياقوت الحموي** : معجم البلدان ، 1 / 467 .

(3) **قلعة أرتاح** : حصن منيع من أعمال حلب . انظر : **ياقوت الحموي** : معجم البلدان ، 140/1 – 141 .

(4) **الشارتري** : تأريخ الحملة إلى القدس ، ص 40 – 53 ؛ **الكناني** : العلاقات بين جنوة والفاطميين في الشرق الأدنى (1095 – 1171 / 488 – 567 هـ) ، ص 119 – 123 .

انظر سير خط الحملة الصليبية الأولى على الخارطة رقم (3) .

(5) ذيل تأريخ دمشق ، ص 134 .

(6) **مؤلف مجهول** : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ص 49 – 50 ؛ المعاضيدي : الوطن العربي ، ص 16 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مجرى نهر العاصي ، ومن الشمال مستنقعات وأحراش ، فضلا عن قلعة حصينة يصعب الاستيلاء عليها . (1) ويصفها فوشيه الشارتري (المؤرخ الصليبي الذي شارك في الحملة الصليبية الأولى) بقوله : (أنطاكية مدينة كبيرة جدا ، شديدة التحصين منيعة الموقع لا يمكن أن يأخذها عدو من الخارج إذا ما توافرت فيها الإمدادات والغذاء ، وإذا ما عقد سكانها عزمهم على الدفاع عنها) . (2)

حاول الأمير ياغي سيان في تلك الأثناء الحصول على مساعدة جيرانه المسلمين فأرسل ابنه شمس الدولة إلى دقاق أمير دمشق ، كما أرسل إلى الخليفة العباسي (المستظهر بالله) والسلطان السلجوقي بركياروق ، وإلى جناح الدولة حسين بن أيتكين (أمير حمص) وكربوقا (أتابك الموصل) ، وإلى سائر البلاد ، والأطراف ،كما يقول ابن القلانسي : (... بالاستصراخ والاستنجاد والبعث على الخفوف إلى الجهاد وقصد تحصين أنطاكية وإخراج النصارى منها ...) . (3)

وفي الوقت نفسه أعد ياغي سيان عدته لحصار طويل ، فحشد القلاع بالجند والمقاتلين واختزن داخل أسوار المدينة المؤن الكافية. (4) كما أظهر ياغي سيان شجاعة نادرة وحكمة ، إذ تمكن من القضاء على أعداد كبيرة من الصليبيين عن طريق إشغالهم بمعارك جانبية ، ومباغتة المسلمين لأطراف معسكراتهم ، كما حفظ ياغي سيان أطفال ونساء نصارى أنطاكية كما وعدهم ، كما بذل كل ما في وسعه في سبيل تقوية المدينة من الداخل . (5)

أما الصليبيون فقد عملوا على تشديد الحصار على المدينة (والذي أستمر مدة تزيد عن تسعة أشهر) ، في الوقت الذي تباطأت فيه الإمدادات الإسلامية لنجدة المسلمين في أنطاكية حيث لم تخرج أية إمدادات عسكرية من مدينة حلب ، بسبب مخالفة الأمير ياغي سيان للأمير رضوان ، خرجت طلائع جيش الأمير دقاق من دمشق إلى شيزر ، فلما علم الصليبيون بقدوم جيش دمشق أغلقوا جميع المنافذ المؤدية إلى أنطاكية . (6)

---

(1) **عاشور** : الحركة الصليبية ، 1 / 156 – 157 .

(2) تأريخ الحملة إلى لقدس ، ص 53 .

(3) ذيل تأريخ دمشق ، ص 134 .

(4) **رنسيمان** : تأريخ الحروب الصليبية ، 1 / 323 .

(5) **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 274 : **المعاضيدي** : الحياة السياسية ، ص 117 .

(6) **ابن القلانسي** : ذيل تاريخ دمشق ، ص 134 – 135 ؛ **ابن العديم** ، زبدة الحلب ، 2 / 130 – 131 ؛ **المعاضيدي** : الحياة السياسية في بلاد الشام ، ص 117 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في ذلك الوقت كانت قد تجمعت نجدة إسلامية لإنقاذ مدينة أنطاكية بالقرب من شيزر ، وكان على رأسها كل من الأمير دقاق (صاحب دمشق) وبصحبته طغتكين الأتابك وجناح الدولة حسين أيتكين (أمير حمص) ؛ فلما علم هؤلاء الأمراء بأن جزءاً من الجيش الصليبي بقيادة بوهيمند النورماني و روبرت (أمير فلاندرز) قد أغاروا على القرى والضياع الواقعة في حوض نهر العاصي ، قرروا الخروج لملاقاتهم والقضاء عليهم ، وعلى عبثهم بالأراضي الإسلامية ، فدارت معركة بين الطرفين عند البارة **(1)** في أواخر عام 490 هـ / 1097 م كانت نتيجتها كما يذكر ابن العديم لمصلحة المسلمين حيث تمكنوا من هزيمة الصليبيين ، وقتل أعداد منهم . **(2)**

لاقى الصليبيون في أثناء حصارهم لأنطاكية ظروفا متعبة حيث هددهم شبح المجاعة ، إذ لم تكفهم المعونات المتقطعة التي كانت تصل إليهم من جزيرة قبرص والغرب الأوربي ، وتحت تأثير هذه الظروف السيئة والجوع والتعب دبت الفوضى في صفوفهم ، وفر الكثير منهم من معسكراتهم ، ولم تقتصر هذه الظاهرة على الجند المغامرين بل امتدت لتشمل حتى اشد المتحمسين لهذه الحملة أمثال بطرس الناسك **(3)** ووليم النجار (أمير ميلون) اللذين كانا من قادة حملة الشعوب أو العامة . **(4)** التي كانت تعد المرحلة التمهيدية الأولى للحملة الصليبية الأولى . **(5)**

وفي أثناء تلك الظروف الصعبة التي كان يمر بها الصليبيون اخذ بوهيمند يعمل على استغلال ذلك لتحقيق مصالحة شخصية وعلى حساب الأمراء الصليبيين الآخرين ، إذ أعلن انه

---

(1) البارة : بليدة بنواحي حلب ، وتعرف أيضا باسم (زاوية البارة) . انظر : **ياقوت الحموي** : معجم البلدان ، 1 / 320 .

(2) زبدة الحلب ، 2 / 132 .

(3) بطرس الناسك : من أشهر دعاة الصليبيين ، وأشدهم حماسة في نشر آراء البابا ، والدعوة لمحاربة المسلمين ، بل يعدُّهُ الكثير من المؤرخين أنه رائد الحملة الصليبية برمتها فكرة ومشرعاً . انظر : **اليوسف** : العلاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر ، ص 52 – 56 ؛ **سلطان** : التأريخ الإسلامي في العصر العباسي (334 – 656 هـ / 945 – 1258 م) ، 2 / 151 ؛ **الصلابي** : دولة السلاجقة ؛ زابوروف : الصليبيون ، ص 50 – 51 .

(4) الشارتري : تأريخ الحملة إلى القدس ، ص 55 – 57 ؛ عاشور : العلاقات بين الشرق والغرب ، ص 174 ؛ **عباس** : تأريخ بلاد الشام ، ص 55 ؛ **زابوروف** : الصليبيون ، ص 87 .

(5) للمزيد من التفاصيل حول حملة الشعوب أو العامة انظر : عاشور : الحركة الصليبية ، 1 / 112 – 116 ؛ **المعاضيدي** : الوطن العربي ، ص 31 – 32 ؛ **زابوروف** : الصليبيون ، ص 50– 59 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قرر الانسحاب من أنطاكية والعودة إلى ايطاليا ، لأنه لا يستطيع الاستمرار في هـذه العمليـة الحربية الطويلة التي لم يكن مستعدا لها ، حيث لا يمكنه (أي بوهيمند) أن يصبر على رؤيـة رجاله وفرسانه وخيوله وهم يتساقطون أمام أسوار أنطاكية . (1)

وكان من الواضح أن هذا التهديد الخطير يعني تعرض الصـليبيين جميعـاً لكارثـة حقيقية لأن بوهيمند ورجاله صاروا بمثابة العصب الرئيس والعمود الفقري للقوات الصـليبية المحاصرة لأنطاكية ، لذلك طلب منه جميع الأمراء الصليبيين ماعدا ريموند (أميـر تولـوز وبروفانس) أن يتراجع عن قراره مقابل تسليمه حكم مدينة أنطاكية فـور الاسـتيلاء عليهـا وكان هذا هو هدف بوهيمند الحقيقي من وراء تلك الخطة . (2)

كان معظم المسلمين في تلك الأثناء غير مقدرين للخطر الذي يمثله الغزو الصليبـي على عموم الأراضي الإسلامية ، بل حصل العكس من ذلك عندما فكر الفاطميون في مصـر في مشروع تحالف مع تلك القوة الجديدة التي ظهرت في بلاد الشـام ضـد خصـومهم (أي الخلافة العباسية في بغداد والسلاجقة في بلاد الشام) ، وكان صاحب السلطة الفعلية في مصر آنذاك الوزير الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي ، الذي ظل يحكم الـبلاد بقبضـته الحديديـة طوال عهد الخليفة الفـاطمي المسـتعلي بـالله (487 - 495 هـــ / 1094 - 1101 م) والعشرين سنة الأولى من حكم الخليفة الآمـر بأحكـام الله (495 - 524 هــــ / 1101 - 1130 م) ، ويبدو أن عدم أدراك الأفضل لإطماع الصليبيين في المنطقة هي التي جعلته مـا أن سمع بوصول الصليبيين إلى بلاد الشام ، ومهاجمتهم السلاجقة يفكر جـدياً لاغتنـام هـذه الفرصة عن طريق إقامة تحالف بينه وبينهم ، بحيث تكون أنطاكية للصليبيين في حـين يكـن بيت المقدس (هدف الصليبيين الأساسي) للفاطميين . (3) ، ويعزو بعض المؤرخين إلـى أن الأفضل ربما استند في تفكيره هذا إلى بعض السوابق التأريخية لأن الدولـة البيزنطيـة أيـام صحوتها في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي لم تتعدَ أملاكها في بلاد الشـام مدينة أنطاكية ، فظن الأفضل أن الصليبيين إنما أتوا ليلعبوا على مسرح الأحداث الدور نفسـه الذي لعبه من قبل الإمبراطور البيزنطي نقفور فوقاس (4) ومن بعده حنا الشمسقيق في أواخر

---

(1) **زابوروف** : الصليبيون ، ص 89 - 91 .

(2) **عاشور** : الحركة الصليبية ، 1 / 160 - 161 .

(3) **عاشور** : تأريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ص 150 .

(4) **نقفور فوقاس** : قائد عسكري بيزنطي تمكن بفضل جنده من الاسـتيلاء علـى عـرش الإمبراطوريـة البيزنطية عام 352 هـ / 963 م ، وفقد انتهج نقفور سياسة رامية إلى محاربة المسلمين ، وخاصة أنه ===

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القرن العاشر الميلادي . **(1)**

أرسل الأفضل سفارة فاطمية إلى الصليبيين وهم يحاصرون مدينة أنطاكية في أوائل عام 491 هـ / 1098 م ليبدي استعداده للتحالف معهم ، كما حملت عرضاً خلاصته الوصول إلى اتفاق يتعاون فيه الطرفان في القضاء على السلاجقة بوصفهم العدو المشترك لكليهما ، وعلى أساس اقتسام الغنيمة (أملاك السلاجقة في بلاد الشام) بعد ذلك بينهما بحيث يخضع القسم الشمالي من بلاد الشام بما في ذلك مدينة أنطاكية للصليبيين ، في حين يكون جنوبه بما فيه بيت المقدس من نصيب الفاطميين ، وان يسمح الفاطميون للحجاج المسيحيين بالحج إلى بيت المقدس بحرية تامة . **(2)**

وهناك رواية تشير إلى أن الإمبراطور البيزنطي الكيسوس كومنين **(3)** كان هو أول من عرض على الصليبيين منذ وصولهم القسطنطينية فكرة التفاهم بأية طريقة مع الفاطميين في مصر ، والتحالف معهم إن أمكن ذلك ، على أساس أنهم ألد أعداء السلاجقة ، وأنهم على استعداد للتفاهم والتقارب مع النصارى الذين ظلوا يعيشون في أمان تحت ظل حكمهم ، إلا إن هذا الأمر لم يتم لأن الصليبيين لم يستمعوا في بداية الأمر لتلك النصيحة . **(4)**

===== خاض معارك شرسة ضدهم عندما كان يتولى قيادة الجبهة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية ، كما أنه أستمر بساسته هذه بعد إن أصبح إمبراطوراً ، تمكن من انتزاع الكثير من مناطق بلاد الشام ، فأحتل حلب عام 351 هـ / 962 م ، والمصيصه وطرسوس عام 354 هـ / 965 م وأنطاكية عام 358 هـ / 969 م . انظر : **النخيلي** : فتح الفاطميين للشام ، ص 115 – 130 .

(1) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، 1 / 343 – 344 ؛ **عاشور** : تأريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ص 150 .

(2) رنسيمان : تأريخ الحروب الصليبية ، 1 / 343 – 344 ؛ **الكناني** : العلاقات بين جنوة والفاطميين ، ص 125 – 126 ؛ **مقبل** ، توفيق فهمي : الفاطميون والصليبيون ، ص 55 .

(3) الكيسوس كومنين : تولى عرش الإمبراطورية البيزنطية عام 474 هـ / 1081 م بعد إن عزل الإمبراطور نقفور الثالث ، لعب دوراً كبيراً في إشعال فتيل الحروب الصليبية ، إلا أنه فشل في توجيه هذه الحرب لمصلحته نتيجة لإطماع الأمراء الأوربيين المشاركين في الحملة الصليبية الأولى . أنظر : **عاشور** : تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب ، ص 83 – 113 ؛ **الكناني** : العلاقات بين جنوة والفاطميين ، ص 93 – 96 .

(4) عاشور : تأريخ العلاقات ، ص 151 ؛ **الكناني** : العلاقات بين جنوة والفاطميين ، ص 129 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في الوقت الذي كان الجيش الصليبي المحاصر لأنطاكية يعـاني مـن الكثيـر مـن المشاكل وصلتهم السفارة الفاطمية ، فتذكر الصليبيون هنا نصائح الأمير البيزنطي الكيسوس كومنين السابقة وقاموا على الفور بتنظيم صفوفهم وفرسانهم ، وتحاملوا علـى أنفسـهم لكـي يظهروا بالمظهر اللائق أمام أفراد هذه السفارة الفاطمية حتـى لا تتكشف حقيقـة أحوالهـم السيئة ، ورحبوا أيما ترحيب بالفاطميين ، وأكرموا وفادتهم لعدة أسابيع . **(1)**

وممَا لاشك فيه فإن الصليبيين استفادوا كثيراً من هـذه السـفارة ، وأدركـوا كيفيـة الاستفادة من العداء المستحكم بين القوى الإسلامية ، والذي أدى إلى انقسام العـالم الإسـلامي على نفسه سياسياً ومذهبياً ، فضلا عن أن السفارة الفاطمية أكسبت الصليبيين وضعاً سياسـياً معترفاً به في ركن هام من أركان العالم الإسلامي . **(2)**

ولكي يستفيد الصليبيون أكثر من أوضاع العالم الإسلامي السيئة آنـذاك ، وحرصـا منهم على عدم الشك في نواياهم الحقيقية أرسلوا سفارة صليبية برئاسة (يوحنا الخادم) مـع رسل الفاطميين على أن لا توقع على أي اتفاق تحالف مع الفاطميين إلا إذا عـرض الـبلاط الفاطمي ذلك بنفسه ، كما أرسلوا الهدايا النفيسة والثمينة إلى الخليفة الفاطمي ووزيره الأفضـل فضلا عن ثلاثمائة من رؤوس قتلى السلاجقة هدية أيضا لخليفة مصر ، فأبدى أفراد السـفارة الفاطمية اُرتياحهم لذلك ؛ وأبحرت هذه السفارة مـن مينـاء القـديس سـيمون (السـويدية) بمصاحبة السفارة المصرية ، وبعد أن استقبلهم الوزير الفاطمي الأفضل أجمل استقبال ، أدرك أن هدف الصليبيين من هذه السفارة مماطلته ، وأنهم ليسوا على استعداد لمساعدته في تحقيـق هدفه ، وهو استرداد بيت المقدس من أيدي السلاجقة ، لذلك قام باحتجـاز أعضـاء السـفارة الصليبية لديه عن طريق إشغال أفرادها بحفلات السمر ، بينما اسـتعد بقواتـه علـى الفـور التحرك لانجاز مشروعه في استعادة نفوذ الفاطميين على بيت المقدس . **(3)**

وفعلا استغل الأفضل فرصة الفوضى التي أصابت بلاد الشام فـي أواخـر القـرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، نتيجة انقسام السلاجقة فيما بينهم ، وظهور العديد من الإمارات الإسلامية المتنازعة فيما بينها ، ووصول الصليبيين إلى بلاد الشام ومحاصرتهم

---

(1) رنسيمان : تأريخ الحـروب الصـليبية ، 1 / 344 ؛ **الكنـاني** : العلاقـات بـين جنـوة والفـاطميين ، ص 127.

(2) عاشور : الحركة الصليبية ، 1 / 163 .

(3) مؤلف مجهول : أعمال الفرنجة وحجاج بيـت المقـدس ، ص 59 – 63 ؛ **زابـوروف** : الصـليبيون ، ص 88 – 89 ؛ **الكناني** : العلاقات بين جنوة والفاطميين ، ص ص 127 – 129 ، 158 – 159 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مدينة أنطاكية التي كانت تحت نفوذ السلاجقة المباشر ، ومما سببه هذا الوصول من إرباك في صفوف سلاجقة الشام ، ودخولهم في مواجهات عسكرية معهم من اجل حماية مناطق نفوذهم في بلاد الشام . فسار الأفضل على رأس حملة عسكرية قاصداً بيت المقدس ، وكان يتولى إدارتها آنذاك الأميران سقمان (سكمان) وأيلغازي ابنا أرتق بن اكسب ، فراسلهما الأفضل يلتمس منهما تسليم المدينة من غير حرب ، وتجنبا لسفك الدماء فيها ، فلم يجيباه إلى طلبه ، فشرع الأفضل في مهاجمة المدينة ، ونصب على أسوارها المجانيق ، واستمر في قتالها أربعين يوما هدم خلالها جزء من سورها ، ممّا أجبر سقمان وأيلغازي ومعهم أهالي المدينة إلى الاستسلام ، وطلب الأمان من الأفضل ، فآمنهم ففتحوا له أبواب المدينة ، فدخلها بجيشه ، وأحسن إلى الأميرين سقمان وأخيه أيلغازي وانعم عليهما ، وأطلقهما ومن معهما وعين الأفضل افتخار الدولة الفاطمي ليتولى حكم بيت المقدس نائبا عن الفاطميين ، ثم عاد إلى مصر بعد أن استولى في طريقه على مدينة عسقلان . (1)

ومهما يكن من أمر فقد صح حساب الأفضل لأن السلاجقة كانوا مشغولين بالغزو الصليبي وإقامة جبهة في الشمال ضد الصليبيين الغزاة فلم يتمكنوا من إرسال أية نجدة لبيت المقدس لتصدي للفاطميين ، وفي الوقت نفسه استفاد الصليبيون فائدة كبرى من تلك الخطوة التي اتخذها الفاطميون لأن غزو الأفضل لفلسطين وبيت المقدس سبّبَ إرباكاً واضحاً للسلاجقة في أشد الأوقات حرجا . (2)

ولعل هذا الموقف السلبي الذي اتخذه الأفضل والفاطميون من السلاجقة كانَ مبرراً كافياً لاتهامات الخيانة التي الصقها بعض المؤرخين المسلمين بالفاطميين ، إذ القوا اللوم عليهم بل وجعلوهم السبب الرئيس لقدوم الصليبيين إلى بلاد الشام ، وذلك لتحطيم قوة السلاجقة والحيلولة بينهم وبين استيلائهم على مصر ، والتي للأمير السلجوقي أتسز آبن أوق الخوارزمي ان هدد بها بعد أن تمكن من انتزاع بيت المقدس من أيدي الفاطميين عام 469 هـ / 1076 م إذ يقول ابن الأثير في هذا الصدد : (وقيل أن أصحاب مصر من العلويين [يقصد الفاطميين] لما رأوا قوة الدولة السلجوقية ، وتمكنها واستيلائها على بلاد الشام إلى غزة ، ولم يبقَ بينهم وبين مصر ولاية أخرى تمنعهم ، ودخول أقسيس [أتسز] إلى مصر ، وحصرها ، خافوا، وأرسلوا إلى الفرنج [الصليبيين] يدعونهم إلى الخروج إلى بلاد

---

(1) للمزيد من التفاصيل هذه الحملة راجع : الفصل الثاني ، العلاقات السلجوقية - الفاطمية بعد وفاة السلطان ملكشاه ، ص 116 - 123 .

(2) عاشور : تأريخ العلاقات ، ص 151 – 152 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشام ليملكوه ، ويكونوا بينهم وبين المسلمين ...) . (1)

كان الصليبيون في تلك الأثناء يحاولون أن يبثوا الطمأنينة في نفوس الفاطميين وإعطائهم صورة غير حقيقية عن مشاريعهم وأطماعهم في بلاد الشام ، كما حاولوا ممارسة هذا الخداع مع سلاجقة الشام ، وذلك عن طريق طمأنتهم إلى أنهم لا يطمعون آلا في استرداد المناطق التي كانت تابعة للإمبراطورية البيزنطية من قبل أي (الرها - أنطاكية - اللاذقية) إذ أرسلوا إلى الأمير دقاق والأمير رضوان يخبرونهم بأنهم لا يطمعون بالاستيلاء على أملاكهم ، وأنهم لا هدف لهم في بلاد الشام إلا استعادة أملاك الدولة البيزنطية فيها . وكان هدفهم من ذلك منعهم الأمير دقاق والأمير رضوان من تقديم المساعدة للحامية الإسلامية المحاصرة داخل مدينة أنطاكية . (2)

ولعل تلك الأحداث كلها تكشف بوضوح عن مدى انقسام العالم الإسلامي على نفسه وما نجم عن هذا الانقسام من خسارة أصابت المسلمين جميعاً ، والذي مكّنَ الغزو الصليبي من تحقيق مكاسب وانتصارات كثيرة على حساب جميع المسلمين ، حيث تصور لنا المصادر الغربية المعاصرة هذا الانقسام بوضوح ، ومدى غبطة الفاطميين لما حل بالسلاجقة من كوارث على أيدي الصليبيين ، وكيف أبدى أفراد السفارة الفاطمية سرورهم البالغ عندما أرسل الصليبيون معهم إلى مصر ثلاثمائة من رؤوس قتلى السلاجقة كهدية للخليفة الفاطمي. (3)

كما يذكر المؤرخ الصليبي وليم الصوري ، الذي عاصر تلك المرحلة ، مدى انقسام العالم الإسلامي سياسياً ومذهبياً ، والعداء الشديد بين كل من السلاجقة والفاطميين بقوله : (.. ولقد رأى [يقصد الخليفة الفاطمي] أن خسائر الأتراك [يقصد السلاجقة] مكسب له ، وأن اضطراب أوضاعهم ومشاكلهم تقدم السلام والأمن له ولرعيته ، ولذلك وخشية من أن الحصار الطويل يمكن أن يسبب إخفاق شعبنا [يقصد الصليبيين المحاصرين لأنطاكية] ، أرسل المندوبين ، وهم من أفراد أسرته ، ليتقدموا بالرجاء إلى القادة لمواصلة الحصار ، وكان المندوبون مفوضين في طمأنة المسيحيين أن السلطان [أي الخليفة الفاطمي] سيساعدهم بالدعم العسكري والموارد ، وأوصى هؤلاء المندوبين بالسعي

---

(1) الكامل ، 10 / 273 .

(2) **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 275 ؛ **عاشور** : الحركة الصليبية ، 1 / 163 ؛ **المعاضيدي** : الوطن العربي ، ص 39 ؛ **مقبل** : الفاطميون والصليبيون ، ص 55 - 56 .

(3) **عاشور** : تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب ، ص 151 . **انظر الخارطة رقم (4)** .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لكسب مودة القادة وحبهم ، وأن يعقدوا معاهدة للصداقة معهم) . (1)

عاود الأمير ياغي سيان إلى طلب المساعدة من القوى الإسلامية القريبة والبعيدة ، للعمل على إنقاذ مدينة أنطاكية ، وفك الحصار عنها ، فضلا عن الوقوف بوجه الخطر الصليبي الذي بات يهدد جميع المسلمين بعد ما تأسست إمارة الرها الصليبية ، فأرسل ابنه إلى حلب لاسترضاء الأمير رضوان ، والاعتذار له عما فات وما قام به ، وانحيازه إلى جانب أخيه الأمير دقاق ضده عام 489 هـ / 1096 م ، فوجد الأمير رضوان انه لا يستطيع أن يستمر طويلا في موقفه السلبي تجاه الأمير ياغي سيان ، وذلك لأنه كان قبل كل شيء تابعاً له ، فضلا عن أن مدينة أنطاكية كانت من نصيبه ، فصمم الأمير رضوان على أن يسرع إلى إنقاذ أنطاكية فأعدَ جيشاً واتجهَ صوبَ أنطاكية ، وصاحبه الأمير سكمان بن ارتق من ديار بكر ، فضلا عن قوات إسلامية أخرى ، واجتمعت هذه القوى الإسلامية كلها عند قلعة حارم . (2) وكانت خطة المسلمين تقضي بان تهاجم جيوشهم هذه الصليبيين المحيطين بأنطاكية فجأة وفي الوقت ذاته تخرج جيوش ياغي سيان من أنطاكية وتهاجم الصليبيين من الداخل ، وبذلك يقع الصليبيون بين نارين ؛ غير أن النصارى في حلب وحارم وخاصة السريان والأرمن ابلغوا الصليبيين بهذه الخطة فوضع بوهيمند خطة سريعة لمواجهة الموقف حيث ترك المشاة يحرسون معسكر الصليبيين ويتابعون حصار أنطاكية ، في حين خرج على رأس سبعمائة فارس لصد القوات الإسلامية ، وأختار الصليبيون موقعا حصينا بين بحيرة العمق من ناحية ، ومجرى نهر العاصي من ناحية أخرى ، وفي 491 هـ / 1098 م دارت رحى معركة بين الطرفين انتهت بسرعة باندحار القوات الإسلامية التي تراجعت نحو قلعة حارم وفي أعقابهم الصليبيون ، فلما رأت حامية حارم حرجة الموقف لاذت هي الأخرى بالفرار بعد أن أشعلت النار في الحصن ، فاستولى الصليبيون على حارم بمساعدة أهلها من السريان والأرمن وكان استيلاء الصليبيين على حارم نصراً كبيراً نظراً لأهميتها في حماية أنطاكية من ناحية حلب . (3)

على الرغم من انتصار الصليبيين في موقعة العمق ، فقد أدركوا تماما أن طول مدة الحصار على أنطاكية ليست في مصلحتهم ، ولذلك فقد عزموا على ضرورة التعجيل

---

(1) تأريخ الحروب الصليبية الأعمال المنجزة فيما وراء البحر ، 1 / 298 .

(2) **قلعة حارم** : حصن حصين ، وكورة تجاه أنطاكية ، وهي من أعمال حلب . انظر : **ياقوت الحموي** : معجم البلدان ، 2 / 205 .

(3) **ابن العديم** : زبدة الحلب ، 2 / 124 ؛ **عاشور** : الحركة الصليبية ، 1 / 163 – 165 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالاستيـــــلاء عليها وخاصة بعد أن علموا أن الأمير يـــاغي ســيان ، الـــذي أدرك حرجـــة موقفه داخل مدينة أنطاكية بعد موقعة العمق ، قد أرسل نداء استغاثة إلى السلطان الســـلجوقي بركياروق ، والى أمير الموصل كربوقا يطلب منهم النصرة . (1)

فشدد الصليبيون الحصار على أنطاكية ، ومنعوا وصول المؤن والإمدادات الإسلامية إليها ، كما استعان الصليبيون بالأسطول الجنوي (مدينة جنوا) الذي وصل مينـــاء الســـويدية للمشاركة في احتلال أنطاكية بقيادة (وليام امبرياكو) الملقـــب (بـــذي الـــرأس الحديديـــة) أو(المطرقة) ، والذي كان يصطحب معه فضلاً عن المقاتلين العديد من العمال والمهندسين الماهرين في بناء الأبراج ، وآلات الحصار ، وبالفعل فقد استعان الصليبيون بهؤلاء في تشييد حصن فوق المحمرة (المحميرية) بالقرب من مقبرة المسلمين التابعة لمدينة أنطاكية ، حيـــث استغلوا حجارة المقبرة في بناء هذه القلعة التي مكنتهم من إحكام الحصار على المدينة وبذلك فقد اكتمل ذلك الحصار المفروض على المدينة وأصبح من الصعب تسرب المؤن والإمدادات إليها أو خروج أهلها لرعي ماشيتهم فـــي المراعـــي القريبـــة ، في حين كانـــت الإمـــدادات تصل الصليبيين عن طريق البحر ، حيث وصلت في هذا الوقت عدة ســـفن انكليزيـــة تحمـــل الكثير من الإمدادات ، وما افتقر إليه الصليبيون من مُـــؤن وسلاح وآلات حصار . (2)

وعلى الرغم من أن الصليبيين قد أحكموا حصارهم على مدينـــة أنطاكيـــة ، وامنـــوا اتصالهم بالبحر عن طريق ميناء السويدية (القديس سيمون) مـــن جهـــة ، وبإمـــارة الرهـــا الصليبية التي يحكمها بلدوين البولوني من جهة أخرى ، فقد اظهر أمير أنطاكية ياغي ســـيان شجاعة بالغة وحزماً شديداً ، غير أن الخيانة لم تلبث أن أدّت دورها في سقوط مدينة أنطاكيـــة بأيدي الصليبيين . (3)

فعندما طال حصار الصليبيين لأنطاكية ، وضاقت بهم الحال بعد أن علمـــوا بتحـــرك أمير الموصل كربوقا بقواته صوب الرها ، أجتمع قادتهم للتشاور فيما بينهم ، فأستقر رأيهـــــم على اختيار أحدهم للاستيلاء بالقوة على أحد حصونها الذي يقع بناحية نهر العاصي ، وكـــان يتولى حماية أحد حصون المدينة قائد أرمني يدعى (فيروز) ، وكان هذا الشخص قد أعتنق

---

(1) **الشارتري** : تأريخ الحملة إلى القدس ، ص 54 ؛ **المعاضيدي** : الوطن العربي ، ص 39 .

(2) **مؤلـــف مجهـــول** : أعمـــال الفرنجـــة ، ص 60 ؛ **الكنـــاني** : العلاقـــات بـــين جنـــوة والفـــاطميين ، ص 129 – 130 .

(3) **عاشور** : الحركة الصليبية ، 1 / 166 ؛ **المعاضيدي** : الوطن العربي ، ص 39 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإسلام ونال ثقة الأمير ياغي سيان ، إلا إن فيروز أنحاز إلى أبناء جلدته من الأرمن الذين دخلوا في خدمة الصليبيين فقام بمراسلة الأمير بوهيمند سراً وأتفق معه على تسليم أنطاكية لهم إذا أمنوه وأعطوه ما يريد . فوافق بوهيمند على هذه الشروط ، بل وأعطاه الكثير من الأموال والاقطاعات ، غير أن بوهيمند لم يطلع باقي الأمراء الصليبيين على ما أتفق عليه مع فيروز الذي قام بفتح شباك البرج الذي يحرسه ليلاً فدخل منه عدد من جنود بوهيمند وهدموا جزءاً من سور أنطاكية ، فدخل بوهيمند بقواته ، وقاموا بمهاجمة المدينة ، كما رفعوا رايتهم على الرابية المواجهة لقلعة أنطاكية ، وقد استباح الصليبيون المدينة بعد أن هربَ منها الأمير ياغي سيان مع أصحابه كما تابعه نائبه فيها فيما بعد ، وهذا مما سهل على الصليبيين مهمة السيطرة الكاملة على المدينة ، وقاموا بعد ذلك بتدمير المساجد والمنازل فيها . **(1)**

أما عن مصير الأمير ياغي سيان بعد سقوط مدينة أنطاكية ، فيذكر ابن الأثير أن الأمير ياغي سيان عندما أستيقظ في الصباح وعلم بدخول الصليبيين المدينة ، دخل الرعب في قلبه فهرب مع ثلاثين من غلمانه ، وفي الطريق رجع ياغي سيان إلى رجاحة عقله وكان كالولهان فقال لمن معه : (أين أنا ؟) . فاخبروه أنه على بعد أربعة فراسخ من أنطاكية . فندم ياغي سيان كيف خرج سالماً ، ولم يدافع عن أهله وأولاده وعامة المسلمين ، ومن شدة ما لحق به من ندم سقط مغشياً عليه ، فعجز غلمانه على أن يركبوه على ظهر فرسه ، وقد قارب الموت ، فتركوه وساروا عنه ، فمر به إنسان أرمني كان يقطع الحطب وهو بآخر رمق فقتله وأخذ رأسه وحمله إلى الصليبيين في أنطاكية . **(2)**

أثار خبر سقوط مدينة أنطاكية بأيدي الصليبيين في جمادى الأولى عام 491هـ / حزيران 1098م ، بسبب خيانة فيروز الأرمني وتباطؤ أمراء الشام المسلمين في نجدتها موجة من الذعر في البلدان والأقاليم الإسلامية ، وهرب المسلمون من المدن والقرى القريبة من أنطاكية فاستولى عليها الأرمن . **(3)**

حاول الأمير كربوقا إنقاذ مدينة أنطاكية وفك الحصار الصليبي المفروض عليها فسار بجيشه صوبها قبل سقوطها بأيدي الصليبيين ، إلا أنه توقف في طريقه في محاولة

---

(1) مؤلف مجهول : أعمال الفرنجة ، ص 64 – 70 ؛ **وليم الصوري** : تأريخ الحروب ، 1 / 322 – 332 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 274 – 275 ؛ **أبو الفدا** : المختصر ، 2 / 210 .

(2) الكامل ، 10 / 275 .

(3) ابن العديم : زبدة الحلب ، 2 / 135 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لاستعادة مدينة الرها والقضاء على الإمارة الصليبية التي أنشأها فيها بلدوين البولوني فاستمر في حصارها ثلاثة أسابيع دون جدوى ، مما أعطى الصليبيون فرصة ثمينة مكنتهم من الاستيلاء على مدينة أنطاكية ، وهذا بالضبط ما دفع المؤرخ وليم الصوري إلى القول بان صمود بلدوين أمير الرها ومقاومته هي التي أنقذت الصليبيين أمام أنطاكية . (1)

إلا أن ميخائيل زابوروف يعلل هدف كربوقا من محاصرة الرها ، بأنه أراد أن يقضي على المخفر الأمامي للسيادة الصليبية التي أخذت تتضح في الشرق ، فضلا عن انه كان يتخوف من وجود كونتية الرها التي كان بإمكانها قطع الطريق على السلاجقة . (2)

بعد أن استولى الصليبيون على أنطاكية كانت أمامهم مهام عاجلة ، إذ كان عليهم أن يتخلصوا من آثار المذبحة التي أحدثوها في المدينة ، فعجلوا بدفن جثث القتلى من المسلمين وموارتها الثرى ، حتى لا تكون سببا في انتشار الأوبئة ، وقدرت المصادر الصليبية عدد المسلمين الذين ذبحهم الصليبيون في أنطاكية بعشرة ألاف نفس ، كما شرع أدهمار (المندوب البابوي) ومعه رجال الدين في إعداد كاتدرائية القديس بطرس وغيرها من الكنائس القديمة التي كانت بالمدينة . (3)

لم يكد الصليبيون يستقروا بأنطاكية حتى دهمهم خطر أمير الموصل كربوقا الذي فك الحصار عن الرها وسار صوب مدينة أنطاكية التي سقطت بأيدي الصليبيين ، فأسرع الصليبيون في إعداد عدتهم للدفاع عن المدينة ضد هجوم كربوقا المنتظر ؛ وعلى الرغم من أن الصليبيين أصبحوا محاصرين داخل أسوار مدينة أنطاكية قرابة ثلاثة أسابيع ، وخاصة بعد أن أحكمت القوات الإسلامية بقيادة كربوقا حصارها على المدينة ، إلا أنهم تمكنوا من إلحاق الهزيمة بقوات التحالف الإسلامي بعد أن وضع بوهيمند خطة عسكرية ذكية (4) تمكن بفضلها من شن هجوم كاسح على القوات الإسلامية ، فحلت الهزيمة بالمسلمين حيث بدا الأتراك يتخاذلون ويهربون من أرض المعركة ، كما أنفض عن كربوقا الكثير من الأمراء

---

(1) تأريخ الحروب الصليبية ، 1 / 319 .

(2) الصليبيون ، ص 91 .

(3) **رنسيمان** : تأريخ الحروب الصليبية ، 1 / 354 ؛ **عاشور** : الحركة الصليبية ، 1 / 168 .

(4) كانت خطة بوهيمند تقضي بخروج الصليبيين من مدينة أنطاكية على شكل أفراد ومجموعات تتكون من خمسة إلى ست أفراد ، وبعد تكامل خروجها تعود لتنظم صفوفها ، وشن هجوم كاسحاً على القوات الإسلامية ، كما قسم الجيش الصليبي إلى ستة أقسام كل قسم تحت أمرة أحد الأمراء الصليبيين . انظر : **الشارتري** : تأريخ الحملة إلى القدس ، ص 61 ؛ **زابوروف** : الصليبيون ، ص 98 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسبب اختلافهم في مسألة إعطاء الأمان للصليبيين ؛ في حين ظل الأمير سقمان وجناح الدولة حسين آخر من أنسحب من الأمراء ، وعند فرارهما من ميدان المعركة ، وجد كربوقا نفسه وحَدهُ يواجه القوات الصليبية ، ففضل الهرب هو أيضا بعد أن أدرك أنه لا يستطيع أن يعيد جنده الذين فروا من ساحة المعركة ، ولم يلبث في ميدان المعركة إلا أعداد قليلة من المسلمين قاتلوا حُسبة ، وطلباً للشهادة ، فقتلهم الصليبيون عن أخرهم ، ونهبوا ما في معسكر المسلمين من أموال ودواب وأسلحة وأقوات . (1) وقد كان هناك عدة أسباب أدت إلى هزيمة قوات التحالف الإسلامية بقيادة كربوقا . (2)

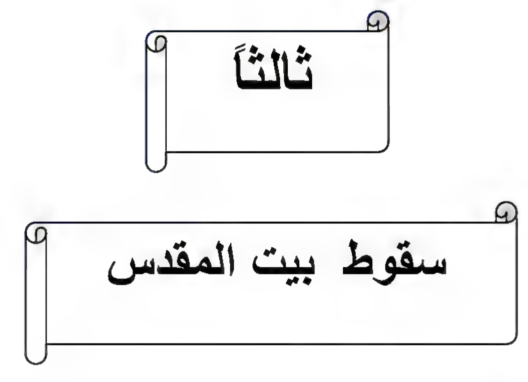
وبذلك يكون الصليبيون قد احتلوا مدينة أنطاكية مرة ثانية بعد أن حلت الهزيمة بالقوات الإسلامية التي كان يقودها كربوقا ، واستسلام أمير قلعة أنطاكية . ويعود السبب في ذلك إلى تماسك الصليبيين في أشد الأوقات حرجاً على الرغم من اختلاف قومياتهم ، على عكس المسلمين الذين كانوا منقسمين على أنفسهم سياسياً ومذهبياً ومحاولة كل طرف تحقيق مكاسب على حساب الطرف الأخر ، وكان موقف الفاطميين من حصار الصليبيين لمدينة أنطاكية واستغلالهم فرصة انشغال السلاجقة في التصدي للصليبيين ومحاربتهم لانتزاع مدينة بيت المقدس من أيديهم خير برهان على ذلك .

---

(1) **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 277 ؛ **ابن العديم** : زبدة الحلب ، 2 / 137 ؛ **أبو الفدا** : المختصر ، 2 / 211 .

(2) انظر : **عاشور** : الحركة الصليبية ، 1 / 168 – 171 ؛ **زابوروف** : الصليبيون ، ص 98 ؛ **البكر** ، راغب حامد عبد الله : أسرة بني منقذ ودورها السياسي والحضاري في بلاد الشام ومصر خلال القرنين الخامس والسادس الهجري / الحادي عشر والثاني عشر الميلادي ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة الموصل ، 1989 م ، ص 112 – 114 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit



ثالثاً

سقوط بيت المقدس

1 - أوضاع بيت المقدس

نظرا لما تتمتع به مدينة بيت المقدس من مكانة مقدسة لدى عموم المسلمين والنصارى واليهود على حد سواء ، فضلا عن موقعه الاستراتيجي في قلب العالم الإسلامي آنذاك ، فقد سعى كلٌ من الطرفين الفاطمي والسلجوقي إلى انتزاعها من خصمه ، وفرض سيطرته عليها ، وكانت مدينة بيت المقدس قد خضعت للنفوذ الفاطمي منذ تمكن قائدهم جعفر بن فلاح من الاستيلاء على مدينة دمشق وانتزاعها من أيدي الإخشيديين عام 359 هـ / 969 م ، ولم يزل بيت المقدس خاضعا للفاطميين رغم الصعوبات الكبيرة التي واجهت النفوذ الفاطمي في بلاد الشام ، وبقت مدينة بيت المقدس إلى عام 463هـ / 1070 م بأيديهم حيث أرسل السلطان السلجوقي ألب أرسلان في هذا العام أميراً تركياً يدعى (أتسز بن أوق الخوارزمي) إلى فلسطين ، فتمكن أتسز الخوارزمي من فتح مدينة الرملة وبيت المقدس وما جاورها من البلاد ماعدا مدينة عسقلان ، وانتزاعها من أيدي النواب الفاطميين . **(1)**

لم يسكت الفاطميون على ضياع بيت المقدس من أيديهم ، فقاموا بعدة محاولات لأسترجاع هذه المدينة لنفوذهم ، إلا أن جميع محاولاتهم باءت بالفشل . **(2)** ولم تنجح محاولاتهم حتى عام 491 هـ / 1096 م ، عندما قام الأفضل باستغلال فرصة وصول الحملة الصليبية الأولى إلى بلاد الشام ، لانتزاع بيت المقدس من أيدي السلاجقة . **(3)**

---

(1) **ابن القلانسي** : ذيل تاريخ دمشق ، ص 98 – 99 ؛ **ابن الأزرق** : تاريخ الفارقي ، ص 192 ؛ **سبط بن الجوزي** : مرآة الزمان ، ((حوادث السلاجقة)) ، ص 152 ؛ **الذهبي** : دول الإسلام ، 1 / 237 ؛ **مجير الدين الحنبلي** : الأنس الجليل ، 1 / 305 .

(2) **للمزيد من التفاصيل حول هذه الحملة راجع : الفصل الثاني ، العلاقات السلجوقية - الفاطمية في عهد السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان ، ص 93 - 115 .**

(3) **ابن القلانسي** : ذيل تأريخ دمشق ، ص 135 ؛ **ابن شداد** : الأعلاق الخطيرة ، ص 201 ؛ **الذهبي** : دول الإسلام ، 2 / 253 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 159 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ظنَّ الفاطميون أنهم قد استفادوا من حالة الفوضى التي أمسى فيها العالم الإسلامي نتيجة لوصول الحملة الصليبية الأولى إلى الشرق الإسلامي ، فان الحقيقة المرة التي لم تلبث أن صدمتهم ، فالفاطميون الذين رحبوا بالصليبيين أصبحوا أمامهم وجها لوجه ولا مناصَ من حدوث صدام مسلح بينهما بعد أن تمكن الصليبيون من الاستيلاء على أنطاكية ، والتوجه إلى بيت المقدس الذي أصبح بيد الفاطميين ، وعلى الرغم من أن الأفضل أدرك أن هدف الصليبيين الأساسي والمنشود هو بيت المقدس إلا أنه بقيت تسيطر عليه فكرة إمكانية عقد تحالف معهم لمواجهة عدوهم المشترك إلا وهم سلاجقة الشام ، عن طريق حل هذه المعضلة بالطرق الدبلوماسية . **(1)**

2 - سقوط بيت المقدس بأيدي الصليبيين عام 492 هـ / 1099 م

شجع سقوط مدينة أنطاكية على استئناف الصليبيين نشاطهم العسكري من جديد ضد المناطق المحيطة بحلب على شكل غارات صغيرة . **(2)** إلا إن تلك الغارات لم تكن في حقيقة أمرها إلا وسيلة لتدريب فرسان الصليبيين على القتال في أجواء هذه المنطقة ، ومعرفة طبيعتها الجغرافية ولنهب المزيد من ثروة هذه البلاد ، حتى يحين موعد الزحف إلى بيت المقدس ، حيث لم تلبث إن تهيأت الظروف المناسبة لعملية الزحف باعتدال المناخ ، وانقضاء فصل الصيف ، فعقد الصليبيون مجلسا في 7 ذي الحجة عام 491هـ / 5 تشرين الثاني 1098 م بكنيسة القديس بطرس بأنطاكية ، واجمع زعماء الصليبين على استئناف الزحف نحو بيت المقدس . **(3)**

وصلت القوات الصليبية بقيادة ريموند كفرطاب في 20 صفر عام 492هـ / 1099م فبدأت الاتصالات بينها وبين أمراء البيوت العربية الصغيرة ، التي انتهزت فرصة انحلال قوى السلاجقة والهزائم التي لحقت بهم كي تؤكد استقلالها ، أمثال بني عمار في طرابلس ، وبني منقذ في شيزر ، فضلا عن أمراء حماة وحمص ، الذين أرسلوا إلى زعماء الصليبيين سفاراتهم لتعلن الولاء لهم ، وتسعى في الوقت نفسه إلى كسب ودهم ، ومعاونتهم ممّا يوضح مدى تفكك وحدة العالم الإسلامي وتغلب الأطماع الشخصية لحكامه على مصالح الآمة العلياً . **(4)**

---

(1) عاشور : تأريخ العلاقات ، ص 189 .

(2) الصلابي : دولة السلاجقة ، ص 472 .

(3) زابوروف : الصليبيون ، ص 110 ؛ **عاشور** : الحركة الصليبية ، 1 / 180 .

(4) الكناني : العلاقات بين ، ص 150 – 151؛ **البكر** : أسرة بني منقذ ، ص 117 – 118 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان الأمير عز الدين أبو العساكر سلطان بن منقذ صاحب شيزر (491 – 549هـ / 1098–1152م) أول من أجرى اتصالاته مع ريموند ، عندما كان الأخير في كفرطاب ، وتعهد له ألا يعترض طريق الصليبيين عند اختراقهم أراضيه ، وان يقدم لهم ما يحتاجونه من غذاء وميرة ، فضلا عن انه أرسل إليهم في 21 صفر 492هـ / 1099 م دليلين ليرشدا الصليبيين في أثناء عبورهم نهر العاصي . **(1)**

ويشير عاشور إلى أن الأمراء العرب كان مسلكهم تجاه الصليبيين مختلفا تماما عن مسلك الأمراء السلاجقة الذين لم يعرفوا سوى السيف والقتال ، في حين أدرك الأمراء العرب في بلاد الشام خطورة الموقف ، وعدم وجود قوى أسلامية كبرى قربهم سواء كانت سلجوقية أو فاطمية أو غيرها تحميهم من ذلك الخطر ، لذلك آثروا أتباع سياسة مرنة . استهدفت الاتفاق مع الصليبيين وقبول ما تقدموا به من عروض . **(2)** يضاف إلى ذلك محاولتهم المحافظة على مصالحهم الشخصية حتى لو كان ذلك على حساب أخوانهم المسلمين .

وبعد أن عبر الصليبيون نهر العاصي اختلفوا فيما بينهم حول طريق سيرهم إلى بيت المقدس ففي الوقت الذي اختار بعض الصليبيين وعلى رأسهم ريموند أن يتجهوا إلى الشمال الغربي ليستولوا على جبلة . رأى تنكرد أن التوجه إلى الشمال الغربي غير ممكن نظرا لقلة جيش الصليبي الذي لم يضم سوى ألف من الفرسان وخمسة آلاف من المشاة ، كما أن اتخاذ الطريق الساحلي إلى بيت المقدس يستلزم حصار جميع المدن الساحلية مما يكلف تضحيات باهظة ووقتا طويلا ، بحيث يصل الصليبيون في نهاية الأمر إلى بيت المقدس وقد انخفض عددهم وأنهكهم التعب ، فضلا عن إعطاء الوقت الكافي لخصومهم ليقوموا بالاستعداد الكافي لملاقاتهم مما سيضعهم في موقف حرج ، كما يجعل مهمتهم في الاستيلاء على بيت المقدس وهو هدفهم الأساسي في غاية الصعوبة ، لذلك رأى تنكرد أنه إذا سلك الصليبيون الطريق الداخلي المباشر إلى بيت المقدس فأنهم سيتجنبون كثيراً من المشاكل السابقة حتى إذا ما استولوا على المدينة المقدسة (بيت المقدس) سهل عليهم بعد ذلك انتزاع بقية المدن الساحلية التي لئن يطولَ بها الزمن حتى تسقط الواحدة تلوَ الأخرى . **(3)**

---

(1) مؤلف مجهول : أعمال الفرنجة ، ص 108 ؛ **رنسيمان** : تاريخ الحروب الصليبية ، 1 / 399 .

(2) تأريخ العلاقات ، ص 178 .

(3) رنسيمان : تأريخ الحروب الصليبية ، 1 / 400 – 401 ؛ **عاشور** : الحركة الصليبية ، 1 / 185 – 186 ؛ **المعاضيدي** : الحياة السياسية في بلاد الشام ، ص 126 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أدرك الصليبيون اتزان رأي تنكرد ، إلا أنهم رأوا اتخاذ اقصر الطرق الداخلية إلى بيت المقدس مع الاقتراب بين الحين والآخر من الساحل كلما دعت الضرورة إلى الحصول على التموين من طعام أو شراب أو معدات وغيرها من متطلبات الحياة من السفن الجنوية التي أخذت تواصل سيرها بمحاذاة الساحل ، وفعلا استأنفَ الصليبيون زحفهم وفقاً لتلك الخطة ، وتمكنوا من الاستيلاء على مصياف (1) ثم بعرين (2) ثم حصن الأكراد (3) وفي هذا الحصن استقبل ريموند رسل جناح الدولة أمير حمص ومعهم هدايا نفيسة ، حيث أعلنوا الولاء على ألا يتعرض الجيش الصليبي لبلدهم بأذى . (4)

ومن حصن الأكراد اتجه الصليبيون نحو مدينة عرقه (5) فأقاموا خيامهم هناك يوم الاثنين 20 ربيع الأول عام 492هـ / 1099 م ، فسارع أمير طرابلس فخر الملك أبو علي الذي كانت مدينة عرقه تابعة له ، بإرسال الرسل إلى ريموند لعقد اتفاقية ، كما أبدى استعداده للطاعة والولاء ، ومتعهدا بدفع الأموال لهم ، كما انه أسرع في رفع رايات الأمير ريموند على طرابلس والمواضع التابعة له ، إشارة إلى ولائه للصليبيين . (6)

اتجه جزء من الجيش الصليبي لحصار عرقه ، وأتجه فريق آخر للاستيلاء على مدينة انطرسوس (طرطوس) ، وتمكنوا من الاستيلاء عليها في ليلة 22 – 23 ربيع الأول عام 492هـ / 1099 م بعد أن هرب حاكمها وسكانها ليلا . كما تمكنوا من إخضاع مدينة

---

(1) **مصياف** : حصن مشهور بالساحل الشامي ، يقع بالقرب من طرابلس ، يعرف أيضا باسم(مصياب) . انظر : **ياقوت الحموي** : معجم البلدان ، 5 / 144 .

(2) **بعرين** : على وزن خمسين ، وهي تحريف لكلمة بارين ، وهي بليدة بين حمص والساحل . انظر : **ياقوت الحموي** : معجم البلدان ، 1 / 452 .

(3) **حصن الأكراد** : هو حصن منيع في جبل الذي يقابل مدينة حمص من جهة الغرب . انظر : **ياقوت الحموي** : معجم البلدان ، 2 / 264 .

(4) **مؤلف مجهول** : أعمال الفرنجة ، ص 108 – 109 : **رنسيمان** : تأريخ الحروب الصليبية ، 1 / 401 – 403 ؛ **المعاضيدي** : الحياة السياسية ، ص 126 .

(5) **عرقة** : مدينة عامرة في سفح جبل ، تقع شرقي طرابلس ، وبينهما أربعة فراسخ فقط . انظر : **ياقوت الحموي** : معجم البلدان ، 4 / 109 – 110 .

(6) **مؤلف مجهول** : أعمال الفرنجة ، ص 113 ؛ **زابوروف** : الصليبيون ، ص 119 – 120 ؛ **اليوسف** : العلاقات بين الشرق والغرب ، ص 69 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جبلة حيث عقد حاكمها اتفاقـاً مع الصليبيين تعهد فيه بدفع الكثير من الأموال والخيول للصليبيين . (1)

بعد أن حقق الصليبيون أهدافهم في الاستيلاء على طرطوس وإخضاع جبلة عاد كل من جودفري وروبرت إلى مدينة عرقه تلبية لنداء ريموند ، الذي طلب مساعدتهما في الاستيلاء على عرقه ، وعلى الرغم من أن الصليبيين جمعوا قواتهم أمام عرقه في 20 ربيع الأخر عام 492 هـ / 1099 م إلا إن حصار عرقه طال من دون جدوى ، حيث يذكر ابن الأثير أن الصليبيين حاصروا مدينة عرقه أربعة أشهر (ونقبوا أسوارها عدة ثقوب ، فلم يقدروا عليها) . (2) وفي تلك الأثناء دأبت جموع الصليبيين على الإغارة على الضياع والقرى القريبة من طرابلس ثم تعود إلى عرقه وهي محملة بالأسلاب ، غير أن جودفري لم يلبث أن اعترض على الاستمرار في حصار عرقه دون نتيجة ، وأصر على أن يترك الصليبيون حصارها في الحال ليواصلوا زحفهم إلى بيت المقدس . (3)

وفي أثناء حصار الصليبيين لهذه المدينة ، وحتى بعدما اتضحت النوايا الحقيقية للصليبيين فان الوزير الفاطمي الأفضل بقت تسيطر عليه فكرة إمكانية عقد تحالف معهم لمواجهة خصمهم المشترك في بلاد الشام إلا وهم السلاجقة ، لذلك أرسل سفارة فاطمية جديدة إلى الصليبيين ، وقد غادرت هذه السفارة بمصاحبة السفارة الصليبية التي كان قد احتجزها الأفضل من قبل ، فقابلت هذه السفارة القادة الصليبيين بالقرب من طرابلس ، وأثناء انشغالهم بحصار عرقه ، في المدة ما بين ربيع الأول وجمادى الأخر عام 492هـ / منتصف شباط ومنتصف تموز عام 1099 م وكان الأفضل قد أرسل مع هذه السفارة إلى زعماء الصليبيين هدايا مادية وعينية نفيسة ، وكل حسب مكانته ؛ وعندما التقى أعضاء السفارة بالزعماء الصليبيين أعلنوا أن الأفضل سمح للصليبيين بالحج ، وزيارة بيت المقدس على أن يكونوا في جماعات تتألف من ((200 إلى300)) شخص على أن لا يكونوا مسلحين ، وإن لا يبقوا في القدس أكثر من شهر واحد ، فضلا عن التوقف فورا عن الزحف جنوبا حيث تبدأ حدود النفوذ الفاطمي ، وان يعودوا أدراجهم من حيث أتوا (أي مدينة أنطاكية) ، وأضاف السفراء بان موافقة الصليبيين على هذه الشروط تعني أن يصبح الفاطميون نعم السند لهم ، وانه في

---

(1) **وليم الصوري** : تأريخ الحروب الصليبية ، 1 / 387 – 388 ؛ **مؤلف مجهول** : أعمال الفرنجة ، ص 109 – 110 ؛ **رنسيمان** : تاريخ الحروب الصليبية ، 1 / 403 – 405 .

(2) الكامل ، 10 / 278 .

(3) **الشارتري** : تأريخ الحملة إلى القدس ، ص 68 ؛ **عاشور** : الحركة الصليبية ، 1 / 188 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حالة الرفض سوف تواجههم جيوش المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها . إلا إن الصليبيين رفضوا هذه العروض ، وأعلنوا بصراحة ووضوح عن أهدافهم ، وأنهم سوف يقومون بالحج فعلا كجيش واحد وليس في جماعات كما اقترح الوزير الفاطمي ، واقسموا على تحرير الضريح المقدس من أيدي الفاطميين ، كما هددوا أعضاء السفارة الفاطمية بغزو مصر ذاتها . **(1)**

يمكن القول أن هدف الفاطميين من إرسال سفارة جديدة إلى الصليبيين بالقرب من طرابلس هو أمكانية عقد تحالف مشترك بين كل من الفاطميين والصليبيين ، وإن هذا التحالف سوف يكون في مصلحة الطرفين ، إذ إن الصليبيين سيكسبون بهذا التحالف السماح لهم بالحج وزيارة بيت المقدس بحرية تامة دون أن يضطروا إلى خوض معارك لأجل هذا الأمر ، فضلا عن أنهم سيكسبون حليفاً قوياً في بلاد الشام إلا وهم الفاطميون ، الذين سوف تقوى شوكة نفوذهم في بلاد الشام خاصة وإن قبل الصليبيون التوقف عن الزحف جنوباً حيث بيت المقدس ، كما حاول الفاطميون الضغط على القوات الصليبية لقبول عرضها ، وأنهم أذا رفضوا هذه العروض سيفقدون هذا الحليف القوي بل وأنهم قد يضطرون إلى مواجهة الجيش الفاطمي من جهة والجيش السلجوقي من جهة أخرى ، غير أن الصليبيين الغوا الحسابات الفاطمية إذ رفضوا هذه العروض خاصة بعد الانتصارات الكبيرة التي حققوها على حساب السلاجقة الذين كانوا يفوقون الفاطميين من حيث القوة والتمرس على القتال والحرب ، بل أنهم رأوا في أنفسهم القوة والقدرة التي تمكنهم من غزو مصر حيث مركز الخلافة الفاطمية .

كما وصلت للصليبيين في هذه الأثناء أيضا سفارة بيزنطية تحمل رسالة من الإمبراطور البيزنطي الكيسوس كومنين إلى زعماء الصليبيين ، وقد استهل الإمبراطور رسالته بتذكير زعماء الصليبيين بالاتفاقية التي تمت بينه وبينهم عام 489هـ / 1097 م كما عبر فيها عن استيائه وغضبه من بوهيمند الذي استأثر بحكم أنطاكية ، وجعلها إمارة له متجاهلا الوفاء بالتعهدات التي تمت بينهما من قبل ، وأخيراً عرض عليهم أن ينتظروه حتى شهر شعبان عام 492هـ / تموز 1099 م ليحضر إليهم بنفسه لكي يشترك معهم في الزحف إلى بيت المقدس ، ويتحمل عنهم كل أعباء الحرب ونفقاتها ، إلا إن أغلب زعماء

---

(1) وليم الصوري : تأريخ الحروب الصليبية ، 1 / 393 – 394 ؛ **عاشور** : تأريخ العلاقات ، ص 189 ؛ **الكناني** : لعلاقات بين جنوة والفاطميين ، ص 161 – 162 ؛ **اليوسف** : العلاقات بين الشرق والغرب ، ص 70 – 71 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصليبيين وعلى رأسهم جودفري عارضوا فكرة انتظار الإمبراطور البيزنطي ونادوا بالزحف فورا إلى بيت المقدس وكانت حجتهم في ذلك قوية ، وهي أن العرض البيزنطي جاء متـأخرا قليلا وبعد فوات الأوان ، فضلا عن عدم ثقتهم بوعود الإمبراطور البيزنطي ، وتخوفهم مـن مكره وخداعه مثلما حدث عندما وعدهم بالحضور لمساعدتهم في الاستيلاء على أنطاكيـة إلا أنه تخلى عنهم بعد أن علم بتحرك السلاجقة لإنقاذ مدينة أنطاكية وفك الحصار الصليبي عنهـا بقيادة الأمير كربوقا ، هذا فضلا عن أن الصليبيين زادت مخاوفهم من الاتصالات السرية التي تمت بين الإمبراطور البيزنطي والفاطميين الذين كانت تربطهم به علاقة متينة ، حيـث كـان الوزير الفاطمي قد كتب إلى الإمبراطور البيزنطي بعد أن أقترب الصـليبيون مـن منـاطق نفوذهم يستفسر عما إذا كانت الحملة تعمل لحسابه الخاص أم تعمل لحسابها هـي ؟ فأجابـه الكسيوس كومنين بأنه لا علم له بهذه الحركة ولا تربطه أي علاقة بهم ! . **(1)**

وإزاء هذه الأوضاع اتحدت كلمة الصليبيين بضرورة فـك الحصـار عـن عرقـه فتحركت جموعهم من أمام عرقه يوم 19 جمادى الأخرى عـام 492هـــ / 1099 م بقيـادة جودفري . **(2)** كما أضطر ريموند على أن يتبعه بقواته على مضض خاصة بعـد أن فشلت خططه في تكوين إمارة صليبية يحكمها على غرار إمارة بوهيمند في أنطاكية ؛ وهكذا واصل الصليبيون زحفهم إلى بيت المقدس في قلب بلاد الشام . **(3)**

حاول أمير طرابلس فخر الملك بن عمار الاستفادة من فشل الصليبيين في الاسـتيلاء على عرقه بعد حصار طويل في تقوية مركزه وتراجع عن عروضه السـابقة التـي قـدمها للصليبيين والوفاء بتعهداته المالية لهم ، إلا إن الصليبيين قاموا في أثناء زحفهـم إلـى بيـت المقدس بشن هجوم سريع على طرابلس وتمكنوا من إنزال هزيمة بقوات ابـن عمـار ممّـا اضطره إلى مهادنة الصليبيين من جديد والتعهد بالاستمرار بدفع الضريبة ، وإطلاق سـراح ثلاثمائة من أسرى الصليبيين كانوا لديه ، فضلا عن دفع غرامة حربية باهظة لهم . **(4)**

وبعد أن تم الاتفاق بين الصليبيين وابن عمار غادروا طرابلس بصحبة مرشدين مـن

---

(1) وليم الصوري : تأريخ الحروب الصليبية ، 1 / 394 – 396 ؛ **عاشور** : الحركة الصليبية ، 1 / 189 ؛ **اليوسف** : العلاقات بين الشرق والغرب ، ص 70 .

(2) الشارتري : تأريخ الحملة إلى القدس ، ص 68 – 69 .

(3) الكناني : العلاقات بين جنوة والفاطميين ، ص 156 – 157 .

(4) وليم الصوري : تأريخ الحروب الصليبية ، 1 / 396– 397 ؛ **مؤلـف مجهـول** : أعمـال الفرنجـة ، ص 112 – 113 ؛ **عاشور** : تاريخ العلاقات ، ص 185 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سكانها أرشدوهم إلى الطريق الصحيح المؤدي إلى بيت المقدس ، فوصلوا قرب ميناء بيروت يوم 25 جمادى الأخر عام 492 هـ / 1099 م دون أن يلاقوا أي مقاومة تذكر ، تساندهم الأساطيل الصليبية التي كانت تسير بمحاذاة الساحل ، فضلا عما كانوا يحصلون عليه من معلومات ومساعدات من سكان المنطقة النصارى وخاصة جماعات النساك القاطنين في الجبال المجاورة . (1)

واصل الصليبيون زحفهم بعد وصولهم بيروت واتجهوا إلى صيدا فوصلوها يوم 26 جمادى الأخر 492هـ / 1099م ثم مروا بصرفند (2) وصور ، وهناك انضم إليهم بعض الفرسان القادمين من مدينة أنطاكية والرها للمشاركة في عملية الزحف ، والتزم الصليبيون طريق الساحل بعد صور لضمان الحصول على ما يحتاجون إليه من ميرة وإمدادات من الأساطيل التي كانت ترافقهم ، فلما مروا بعكا سارع حاكمها الفاطمي بإرسال ما يحتاجون إليه ، كما تعهد بالدخول في طاعتهم أذا أصبحوا سادة بيت المقدس ومن المرجح أن حاكم عكا الفاطمي قد سارع بإعلان الولاء والطاعة في محاولة منه لكسب ودهم ، فضلاً عن أنه وجد نفسه محاطاً بالصليبيين من البر والبحر ؛ ومن عكا اتجهوا إلى حيفا ثم قيسارية (3) فأرسوف (4) ومنها عرجوا إلى الداخل باتجاه بيت المقدس ، فوصلوا إلى الرملة التي وجدوها خالية بعد أن هجرها سكانها خوفا منهم ومن الرملة اتجه الصليبيون إلى مدينة اللد ، حيث تركوا بها حامية صغيرة لضمان الحصول على الإمدادات القادمة من الغرب الأوربي وجزيرة قبرص وأنطاكية عبر أساطيلهم خاصة الأسطول الجنوي الذي أدّى دوراً بارزاً في إيصال تلك الإمدادات إلى الجيش الصليبي في بلاد الشام . (5)

---

(1) **الشارتري** : تأريخ الحملة إلى القدس ، ص 69 ؛ **مؤلف مجهول** : أعمال الفرنجة ، ص 113 .

(2) **صرفند** : حصين منيع يبعد عن صيدا عشرة أميال . انظر : **الإدريسي** : نزهة المشتاق ، 1 / 366 .

(3) **قيسارية** : مدينة على ساحل بحر الشام ، تعد من أعمال فلسطين ، بينها وبين طبرية مسيرة ثلاثة أيام ، وبينها وبين يافا ثلاثون ميلاً ، وكانت من أمنع مدن فلسطين ، فتحها معاوية بن أبي سفيان في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) . أنظر : **البلاذري** : فتوح البلدان ، ص 89 ؛ **ياقوت الحموي** : معجم البلدان ، 4 / 421 – 422 ؛ **الحميري** : الروض المعطار ، ص 486 .

(4) **أرسوف** : مدينة على ساحل بحر الشام بين قيسارية ويافا . انظر : **ياقوت الحموي** : معجم البلدان ، 1 / 151 – 152 .

(5) **الشارتري** : تأريخ الحملة إلى القدس ، ص 69 – 70 ؛ **وليم الصوري** : تأريخ الحروب الصليبية ، 1 / 398 – 400 ؛ **عاشور** : الحركة الصليبية ، 1 / 194 – 195 ؛ **الكناني** : العلاقات بين جنوة والفاطميين ، ص 162 163 . **أنظر خط سير القوات الصليبية إلى بيت المقدس خارطة رقم (3) .**

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبهذه الصورة فقد أصبح الصليبيون قاب قوسين أو أدنى من تحقيق حلمهم في الاستيلاء على بيت المقدس ، في حين بدأ الفاطميون يدفعون ثمن أخطائهم غالياً بسبب موقفهم السلبي من سلاجقة الشام وانتهازهم فرصة انشغال السلاجقة بمحاربة الصليبيين وإنقاذ مدينة أنطاكية لانتزاع مدينة بيت المقدس من أيديهم ، وحتى بعد أن علم الفاطميون بحقيقة نوايا الصليبيين فانهم لم يعمدوا إلى مصالحة السلاجقة وعقد حلف معهم لمواجهة عدوهم المشترك ممَا عاد على الطرفين بالخسارة الباهظة ، وسقوط الكثير من مدن بلاد الشام بأيدي الصليبيين .

فبعد إن رفض الصليبيون العروض التي تقدمت بها السفارة الفاطمية الثانية أسرعوا بالزحف إلى بيت المقدس – بالطريقة التي مر ذكرها – وما أن وصلوا مدينة الرملة حتى عقدوا مجلساً حربياً في المدة 11 – 14 رجب عام 492 هـ / 3 – 6 حزيران 1099 م ناقشوا فيه عدة مسائل وآراء ، وكان من أهمها الرأي القائل بضرورة أن تبدأ القوات الصليبية بمهاجمة مصر أولاً على اعتبار أن مفاتيح القدس موجودة فعلاً هناك ، وأنه إذا أراد الصليبيون أن ينعموا بالاستقرار في بيت المقدس فعليهم أن يؤمنوا أنفسهم جيدا وذلك عبر استيلائهم على دلتا النيل في قلب مصر . إلا إن أغلب الأمراء الصليبيين رفضوا هذه الفكرة نظراً لقلة إمكانيتهم البشرية والعسكرية ، واستقر رأيهم عن العدول عن مهاجمة مصر والتوجه مباشرة إلى بيت المقدس . **(1)**

شرع الصليبيون في مهاجمة بيت المقدس منذ اليوم الأول لوصولهم ، يوم الثلاثاء 15 رجب عام 492 هـ / 7 حزيران 1099 م حيث هاجموها بعدد كبير من آلات الحصار والهدم إلا أنهم لاقوا مقاومة باسلة في بادئ الأمر من قبل الحامية الفاطمية التي كانت موجودة فيها ، وكان أفتخار الدولة قد فوجئ بقدوم هذه الجموع الغفيرة من الغزاة الصليبيين وإحاطتهم بالمدينة من جميع الجهات ، فأدرك حرجة موقفه ، وخاصة أن بعض المؤرخين يذكرون أن الفاطميين على الرغم من بسط سلطانهم في هذه المرحلة على فلسطين والسواحل الشامية حتى جنوبي نهر الكلب إلا أنهم فيما يبدو لم يتركوا في هذه المناطق قوات عسكرية كافية تدعم نفوذهم للدفاع عنها باستثناء حامية بيت المقدس من ناحية ، وبعض المراكز الساحلية التي ظل الأسطول الفاطمي قادراً على إيصال الإمدادات لها من ناحية أخرى ، ومن أجل أن يتلافى افتخار الدولة هذا الخطأ الاستراتيجي عمد إلى تسميم الآبار

---

(1) مؤلف مجهول : أعمال الفرنجة / ص114 – 115 ؛ **عاشور** : الحركة الصليبية ، 1 / 195 ؛ **زابوروف** : الصليبيون ، ص120 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وردم القنوات المائية ، وإخفاء المواشي ، وطرد جميع من كان بالمدينة من النصارى ، كما أهتم بالوقت ذاته بتقوية التحصينات والتأكد من سلامة أسوار المدينة ، فضلا عن اعتماده في الدفاع عنها على حامية قوية مؤلفة من عساكر مصرية وفلسطينية وسودانية ، كما أرسل إلى مصر يطلب النجدة العاجلة للتصدي للغزو الصليبي . **(1)**

وبالرغم من كافة الإجراءات التي أتخذها افتخار الدولة الفاطمي إلا إن القوات الصليبية تمكنت من اقتحام مدينة بيت المقدس في يوم الجمعة 23 شعبان عام 492 هـ / 15 تموز 1099 م وبعد حصار دام أكثر من أربعين يوماً . **(2)** على أثر اكتشافهم لمنفذ يمر عبر سورها لم يعن المسلمون بتحصينه ، فتسلل بعض الصليبيين منه ، وبذلك تيسر لهم الاستيلاء على أسوار بيت المقدس من جهة الشمال ، فتمكن جودفري وفرسانه من فتح أبواب المدينة ، فدخلها بقية الصليبيون ، مما اضطر أهلها من المسلمون إلى الاعتصام بالمسجد الأقصى ، غير إن الصليبيين لم يراعوا حرمة هذا المسجد ، حيث اقتحموا المسجد الأقصى وأحدثوا بداخله مذبحة وحشية وبشعة راح ضحيتها الآلاف من المسلمين الأبرياء ، إذ يذكر مؤرخ تاريخ الحملة إلى القدس فوشيه الشارتري ، والذي كان شاهداً على هذه المذبحة البشعة التي أحدثها الصليبيون داخل المسجد الأقصى ، بقوله : (لو كنت هناك لتلطخت قدماك حتى الكواحل بدماء القتلى ماذا أقول ؟ لم يبق منهم أحد ، ولم يرحموا أمرآة ولا طفلاً) . **(3)**

وما أن أصبح الصليبيون داخل بيت المقدس حتى أخذ جودفري يقسم المهمات على الأمراء الصليبيين ، فأرسل بعضهم لفتح باب العمود حتى يدخل منه بقية الصليبيين إلى داخل المدينة . **(4)** في حين قام البعض الأخر أمثال تنكرد باحتلال قبة الصخرة ، التي كانت غنية بسبب ما كان فيها من أموال وتحف نفيسة وثمينة ، فقام تنكرد بنهبها كلها ، ويذكر ابن الأثير مقدار ما نهبه الصليبيون من قبة الصخرة ، بقوله : (وأخذوا من عند الصخرة نيفاً وأربعين قنديلاً من الفضة ، وزن كل قنديل ثلاثة ألاف وستمائة درهم ، وأخذوا تنوراً من فضة وزنه أربعون رطلا بالشامي ، وأخذوا من القناديل الصغار مائة وخمسين قنديلا نقرة ، ومن الذهب

---

(1) رنسيمان : تأريخ الحروب لصليبية ، 1 / 410 ؛ **عاشور** : الحركة الصليبية ، 1 / 194 .

(2) ابن الأثير : الكامل ، 10 / 283 ؛ **الذهبي** : دول الإسلام ، 2 / 253 ؛ **اليافعي** : مرآة الجنان ، 3 / 154 ؛ **مجير الدين الحنبلي** : الأنس الجليل ، 1 / 307 ؛ **الحنبلي** : شذرات الذهب ، 3 / 397 .

(3) تأريخ الحملة إلى القدس ، ص 75 .

(4) وليم الصوري : تأريخ الحروب الصليبية ، 1 / 434 ؛ **عاشور** : الحركة الصليبية ، 1 / 197 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نيفاً وعشرين قنديلا ، وغنموا منه ما لا يقع عليه الإحصاء) . **(1)**

إلا أن استيلاء الصليبيين على بيت المقدس لم يتم بسهولة ، ودون مقاومة تذكر إذ صادف الصليبيون مقاومة شديدة في القطاع الجنوبي من المدينة ، حيث كان والي بيت المقدس افتخار الدولة الفاطمي قد احتمى مع طائفة من جنده بمحراب داود (**عليه السلام**) حيث اعتصموا به وبقوا يقاتلون فيه طوال ثلاثة أيام متتالية ، إلا أنهم القوا السلاح بعد أن أعطاهم الصليبيون الأمان ، وفعلا أطلق الصليبيون سراحهم ، وسمحوا لهم بالخروج إلى عسقلان ، فكانوا الفئة الوحيدة من مسلمي بيت المقدس التي نجت من وحشية الصليبيين . **(2)**

مع ذلك فأن أطلاق سراح والي بيت المقدس وبعض من جنده الذين بقوا معه داخل محراب داود (**عليه السلام**) لم يكن كافياً لمحو أثر الجريمة البشعة التي أقترفها الصليبيون بحق أهالي بيت المقدس الأمنيين ، وقتلهم ألاف الأبرياء منهم بغير ذنب ، وقد تركت مذبحة بيت المقدس أثراً سيئاً في نفوس المسلمين ، ولقد عد المؤرخين سواء كانوا مسلمين أو نصارى ، وحتى الصليبيون أنفسهم من أن ما أرتكبه الصليبيون في هذه المدينة بأنه أمراً رهيباً وبربرياً ، فقد ذكر ابن الأثير أن الصليبيين قتلوا في المسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفا ، ومن ضمنهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين ، وعلمائهم ، وعبادهم ، وزهادهم وممن فارق الأوطان لمجاورة ذلك الموضع الشريف . **(3)** ويكرر هذه الرواية ابن العبري بقوله : (ولبث الإفرنج في البلد أسبوعاً يقتلون المسلمين ، وقتل بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفا) . **(4)**

وسواء أكان هذا الرقم صحيحاً أو مبالغ فيه ، إلا أنه يشير بوضوح إلى وحشية وعظم الجرم الذي أقترفه الصليبيين في بيت المقدس ، بحيث لم يحاول المؤرخون الصليبيون أنفسهم إنكار هذه الحقيقة ، فقد ذكر وليم الصوري أن بيت المقدس شهد عند دخول الصليبيين مذبحة رهيبة أصبح البلد فيها عبارة عن مخاضه واسعة من دماء المسلمين أثارت الرعب والاشمئزاز (وبات من المحال النظر إلى الأعداد الكبيرة للمقتولين دون هلع ، فقد انتشرت أشلاء الجثث البشرية في كل مكان ، وكانت الأرض ذاتها مغطاة بدم القتلى ، ولم يكن مشهد

---

(1) الكامل ، 10 / 284 .

(2) **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 283 .

(3) الكامل ، 10 / 382 – 383 .

(4) تاريخ مختصر الدول ، ص 197 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجثث التي فصلت الرؤوس عنها والأضلاع المبتورة المتناثرة في جميع الاتجاهات وهو وحده الذي أثار الرعب في كل من نظر إليها ، فقد كان الأرهب من ذلك هو النظر إلى المنتصرين أنفسهم وهم ملطخون بالدم من رؤوسهم إلى أقدامهم . إنه منظر مشؤوم جلب الرعب لجميع من واجهوهم ...) . **(1)** ويقول المؤرخ الغربي المعاصر روم لاندو عن تلك المجزرة : (... أقتحم النصارى [يقصد الصليبيين] بيت المقدس بمثل ابتهاج المنتصرين المتعصبين المتوقد ، وأعملوا السيف في رقاب المسلمين من غير ما تمييز ، رجالاً ونساء وأطفالاً ، سواء أكانوا في بيوتهم أو في المساجد ، وواصل النصارى وهم يبكون فرحاً مجزرتهم حتى أخليت المدينة من سكانها المسلمين واليهود . مثل هذا الإفناء البشري باسم المسيح كان لابد له إن يذهل الناس . ولقد عجزت القرون المتعاقبة عن محو هذه الوصمة) . **(2)**

وهكذا سقطت مدينة بيت المقدس بسبب الموقف العدائي الذي أتخذه الفاطميون من سلاجقة الشام أثناء حصار الصليبيين لمدينة أنطاكية ، وانتزاعهم مدينة بيت المقدس من أيدي السلاجقة مستغلين انشغالهم السلاجقة في محاربة الصليبيين ؛ وكذلك موقف السلاجقة السلبي من تقدم القوات الصليبية صوب بيت المقدس ومحاصرتهم هذه المدينة المقدسة التي أصبحت تحت نفوذ خصومهم الفاطميين ، ممّا عاد بالخسارة على كلتا القوتين المتنازعتين على السيطرة على بلاد الشام حيث فقدت الكثير من مناطق نفوذها التي سيطر عليها الصليبيون والتي كان من أهمها مدينة أنطاكية (السلجوقية) وبيت المقدس (الفاطمية) بل إن فاجعة بيت المقدس بأيدي الصليبيين أصابت العالم الإسلامي بأسره .

---

(1) تاريخ الحروب الصليبية ، 1 / 436 – 437 .

(2) الإسلام والعرب ، ص 124 – 125 .

للمزيد من التفاصيل عن استيلاء الصليبيين على بيت المقدس عام 492 هـ / 1099 م ، والمذابح التي ارتكبوها بحق سكانها الأمنيين انظر : عاشور : الحركة الصليبية ، 1 / 191 – 200 ؛ **الصلابي** : دولة السلاجقة ، ص 473 – 488 ؛ **لاندو** ، روم : الإسلام والعرب ، ص 124 – 125 ؛ **الحموشي** : القدس في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر للميلاد ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة الموصل ، 1999 م ، ص 62 – 66 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

3 - موقف السلاجقة والفاطميين من سقوط بيت المقدس

باحتلال بيت المقدس حقق الصليبيون الهدف الأساسي من انطلاق الحملة الصليبية الأولى ألا وهو انتزاع بيت المقدس من أيدي المسلمين ، وبقدر ما فرح الصليبيون بهذا النصر بقدر ما أصاب العالم الإسلامي من حزن واستياء من خلفائه وملوكه وأمرائه الذين ألهتهم مصالحهم الشخصية ، والانقسامات السياسية والمذهبية عن مصالح الأمة الإسلامية ، وما يقع بديارها من مصائب وكوارث على أيدي أعدائها وآخرها سقوط بيت المقدس قبلتهم الأولى بأيدي الصليبيين .

إذ تقاعسَ سلاجقة الشام عن نجدة بيت المقدس على اعتبار أنها ضمن منطقة النفوذ الفاطمي في بلاد الشام ، ولأن الفاطميين لم يسهموا مع السلاجقة في الدفاع عن مدينة أنطاكية وصد الهجوم الصليبي عنها ، بل أنهم استغلوا فرصة انشغال السلاجقة في محاربة الصليبيين عند أنطاكية لانتزاع بيت المقدس عام491هـ / 1098 م ، فضلا عن أن أغلب قوات السلاجقة في بلاد الشام قد دمرت على أيدي الصليبيين في موقعة (العمق) ، وأثناء محاولتهم تحرير مدينة أنطاكية التي سقطت بأيدي الصليبيين عام 491 هـ / 1098 م . لذلك فقد مكن النزاع بين السلاجقة والفاطميين في ذلك الوقت الصليبيين من الاستيلاء على أنطاكية وبيت المقدس وتثبيت وجودهم فيها وعلى حساب القوى الإسلامية هناك . **(1)**

أما الفاطميون الذين كانوا مسؤولين إلى حدٍّ كبير عن نجاح الحملة الصليبية الأولى وذلك بسبب مواقفهم ، وتقاعسهم عن نجدة السلاجقة عند مدينة أنطاكية ، بل وانتهازهم الفرصة للاستيلاء على بيت المقدس وانتزاعها من أيدي السلاجقة في أثناء حصار الصليبيين لأنطاكية عام 491 هـ / 1098 م ، ثم تقهقرهم السريع في الوقت الذي كانت القوات الصليبية تقوم بالهجوم على مناطق نفوذهم ، وهذا مما جعل الفاطميين يتحملون القسط الأكبر من مسؤولية نجاح الصليبيين الأول . **(2)**

وكان والي بيت القدس افتخار الدولة قد أرسل إلى الخليفة الفاطمي المستعلي بالله يطلب منه النجدة والمساعدات العاجلة لمواجهة جموع الصليبيين المتجهة صوب مدينة بيت المقدس ، بل إن مسلمي بلاد الشام والعراق قد علقوا أمالهم الكبيرة على مجهودات الجيش

---

(1) المعاضيدي : الحياة السياسية ، ص 130 .

(2) الجنزوري : الحروب الصليبية ، ص 289 . **انظر الخارطة رقم (4)** .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفاطمي آنذاك خاصة بعد فشل الجيوش السلجوقية في التصدي للقوات الصليبية الغازية . (1) فأخذ الوزير الفاطمي الأفضل في الاستعداد لمحاربة الصليبيين فاعد الجيوش وخرج بها من مصر ليحول دون استيلاء الصليبيين على بيت المقدس إلا أنه وصل مدينة عسقلان في 14 رمضان عام 492 هـ / 4 أب 1099 م ، أي بعد أن تمكن الصليبيون من احتلال بيت المقدس بحوالي عشرين يوماً . (2)

أصيب الأفضل بخيبة أمل كبيرة بعد أن كان يعتقد في وقت ما أن الصليبيين سوف يقتنعون بالاستيلاء على شمال بلاد الشام فقط ، وفي الوقت ذاته سيحرصون على تقوية علاقاتهم بالفاطميين بوصفهم حلفائهم الطبيعيين ضد السلاجقة . (3)

لم يسع الأفضل بعد أن تأكد من سقوط بيت المقدس بأيدي الصليبيين سوى التوقف في مدينة عسقلان في انتظار وصول الأسطول الفاطمي من البحر ، والنجدات العسكرية التي وعد بها بعض أمراء القبائل . (4) وفي هذه الاثناء كان الأفضل قد أرسل رسولاً إلى الصليبيين في بيت المقدس ينكر عليهم ما فعلوه ويتهددهم فلما خرج رسول الأفضل من المدينة حاملاً معه جواب الصليبيين ، سار الجيش الصليبي في أثره فوصلوا إلى الجهة التي تعسكر بها القوات الفاطمية ، ولم تكن هذه القوات على علم بوصول الجيش الصليبي ، فضلا عن أنهم لم يكونوا متأهبين للقتال ، فلما علموا بأن القوات الصليبية تعسكر في الجهة المقابلة لمعسكرهم أسرعوا بارتداء دروعهم وأسلحتهم وامتطاء خيولهم ، غير أن القوات الصليبية شنت هجوماً سريعاً عليهم وقبل إن ينظموا صفوفهم ، فحلت الهزيمة بالفاطميين وتشتت شمل قواتهم ، حتى إن بعضهم لم يجد مفراً له سوى الاحتماء بأشجار الجميز التي كانت منتشرة بكثافة بالمنطقة فأحرق الصليبيون هذه الأشجار فهلكَ من كان محتمياً بها من جند ؛ أما الوزير الفاطمي الأفضل فانه كان قد هرب إلى مدينة عسقلان بعد أن ساءت حاله ، وذهبت أمواله ، وقتل أكثر رجاله ، ومن عسقلان ركب الأفضل وبعض خواصه سفينة وهربوا بها إلى مصر . (5)

---

(1) **الجنزوري** : الحروب الصليبية ، ص 289 .

(2) **ابن القلانسي** : ذيل تأريخ دمشق ، ص 137 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 160 .

(3) **عاشور** : الحركة الصليبية ، 1 / 208 .

(4) **ابن القلانسي** : ذيل تاريخ دمشق ، ص 137 .

(5) **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 286 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 160 .

للمزيد من التفاصيل حول هذه الموقعة انظر : وحيد : مصر والغزو الصليبي ، ص 53 – 58 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويذكر ابن القلانسي أن الصليبيين قتلوا في هذه الوقعة من الفاطميين فضلا عن المتطوعين وأهل البلاد زهاء عشرة آلاف شخص . (1) وعلى الرغم من أن هذا الرقم يبدو أنه مبالغ فيه إلا أنه يشير إلى ضخامة الخسائر البشرية التي مُنيت بها القوات الفاطمية مع أهل البلاد على أيدي القوات الصليبية .

فكما إن الهزيمة التي حلت بكربوقا عند مدينة أنطاكية على أيدي القوات الصليبية في عام 491 هـ / 1098 م أخرجت السلاجقة مؤقتاً من معركة شمال الشام ، فكذلك الحال بالنسبة إلى الفاطميين عندما تمكن الصليبيون من الانتصار على الفاطميين في موقعة عسقلان ، التي أدت إلى القضاء على هيبة الفاطميين بفلسطين وإخراجهم مؤقتاً من معركة جنوب بلاد الشام ، وبعبارة أدق فقد أصبحت أيدي الصليبيين مطلقة في فلسطين منذ عام 492 هـ / 1099 م مثلما صارت يدهم طليقة في شمال بلاد الشام عقب انتصارهم على كربوقا عام 491 هـ / 1098 م ، أمام أسوار أنطاكية . (2)

وبذلك تكون الحملة الصليبية الأولى قد حققت أهدافها ، ويعود السبب في ذلك وبالدرجة الأساسية العلاقات العدائية التي كانت تربط بين كل من السلاجقة والفاطميين فضلا عن تفكك القوى الإسلامية وتصارعها مع بعضها البعض ، يضاف إلى ذلك عدم تفهم الفاطميين لحقيقة الأهداف الصليبية في بلاد الشام ، تلك الأهداف التي غلفها الصليبيون بلبوس الدين والتقوى لإخفاء أهدافهم الحقيقية والتي سرعان ما سقطت تلك الأغلفة الفارغة عنها لتتجلى بوضوح حقيقة الأطماع الشخصية للأمراء الصليبيين ، والتي كانت تهدف إلى التوسع على حساب القوى الإسلامية التي كانت متصارعة فيما بينها في بلاد الشام .

---

(1) ذيل تأريخ دمشق ، ص 137 .

(2) **عاشور** : الحركة الصليبية ، 1 / 209 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رابعاً

العلاقات السلجوقية ـ الفاطمية بعد قيام مملكة بيت المقدس الصليبية

بعد أن تمكن الصليبيون من الاستيلاء على بيت المقدس وإنشاء إمارة صليبية فيه . (1) أخذت أطماع الأمراء الصليبيين تظهر بوضوح أكثر وخاصة في تكوين إمارات صليبية في منطقة بلاد الشام على غرار ما فعله بلدوين في الرها ، وبوهيمند في أنطاكية وجودفري في بيت المقدس ، فبدأت سياسة الأمراء التوسعية والرامية إلى تكوين إمارة صليبية خاصة بهم وعلى حساب القوى الإسلامية المفككة بالمنطقة ، إلا إن القوى الإسلامية في بلاد الشام على الرغم من تفككها وضعفها قاومت وبشدة مخططات الصليبيين التوسعية حيث أخذت على عاتقها مهمة المحافظة على الأراضي التي تقع تحت نفوذها ، وتحرير الأراضي الإسلامية التي سيطر عليها الصليبيون ، فبدأت أكبر قوتين إسلاميتين بارزتين على مسرح بلاد الشام في مواجهة الخطر الصليبي على هذا الركن الاستراتيجي من العالم الإسلامي وعلى الرغم من ان الصليبيين تمكنوا من إنشاء إمارات صليبية جديدة وتحقيق انتصارات مهمة على القوى الإسلامية سواء أكانت فاطمية أم سلجوقية إلا إن تلك الجهود التي بذلها كل من الفاطميين والسلاجقة كان لها الدور الأكبر في المحافظة على مناطق رئيسة في بلاد الشام ومصر من الوقوع بأيدي الصليبيين والتي أصبحت فيما بعد مراكز رئيسة لمقاومة الغزو الصليبي ، بل وطردهم من بلاد الشام وتحرير الأراضي الإسلامية من قبضتهم ، أمثال مدينة حلب ودمشق والإسكندرية وغيرها من المدن . (2)

أدرك الفاطميون خطأ موقفهم من الحملة الصليبية الأولى الذي كان نتيجته سقوط بيت المقدس بأيدي الصليبيين في 23 شعبان عام 492 هـ / 15 تموز 1099 م ، والمذابح

---

(1) **للمزيد من التفاصيل عن قيام مملكة بيت المقدس الصليبية انظر : الزيدي** : الاستيطان الصليبي في بلاد الشام مملكة بيت المقدس أنموذجا (492 – 583 هـ / 1099 – 1187 م) أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة الموصل – 2005 م .

(2) **للمزيد من التفاصيل عن هذه الحروب انظر : عاشور** : الحركة الصليبية ، 1 207 – 438 ؛ **المعاضيدي** : الحياة السياسية ، ص 88 – 122 ؛ **وحيد** : مصر والغزو الصليبي ، ص 58 – 167 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفظيعة التي ارتكبوها بحق أهالي المدينة الآمنيين ، فضلا عن خسارتهم في موقعة عسقلان من العام نفسه ، ولذلك أخذ الفاطميون يعيدون التفكير بشأن عقد تحالف مع الصليبيين وخاصة إن الصليبيين هم من بدأ العدوان على الفاطميين ، لذلك أتخذ هؤلاء موقفاً معادياً من الصليبيين وبدأوا بإرسال الحملات العسكرية المتتالية إلى جنوبي بلاد الشام لاسترجاع المناطق التي كانت خاضعة لنفوذهم والتي سيطر عليها الصليبيون ، كما أعاد الفاطميون التفكير بشأن موقفهم من سلاجقة الشام وحاولوا تخفيف حدة العداء بينهما ، إذ يذكر المقريزي أن شرف المعالي سماء الملك حسين ابن الوزير الفاطمي الأفضل . **(1)** أثناء وجوده في مدينة عسقلان في عام 496 هـ / 1103 م كتب إلى الأمير شمس الملوك دقاق بن تاج الدولة تتش صاحب دمشق يطلب منه المساعدة لمحاربة الصليبيين . غير إن الأمير السلجوقي تقاعس عن تقديم المساعدة واعتذر له . **(2)** إلا ان ابن القلانسي ينفي تقاعس الأمير دقاق إذ يقول بشأن هذه الرواية : (وكتب [يقصد شرف المعالي] في استدعاء المعونة على الجهاد ، وبنصرة العباد والبلاد ، بإنفاذ العسكر الدمشقي . فأجيب إلى ذلك . وعاقت عن المسيرة أسباب حدثت وصوادف صدفت) . **(3)** إلا أنه لم يذكر الأسباب والحوادث التي عاقت إرسال هذه العساكر لمساندة الفاطميين في مدينة عسقلان ، وهل إذا كانت هذه الأسباب تتعلق بالوضع الداخلي لإمارة دمشق أو الأوضاع الخارجية المحيطة بها ؟ .

وفي عام 497 هـ / 1104م حصل تقارب بين الأمير السلجوقي دقاق بن تاج الدولة تتش صاحب دمشق والفاطميين ، فعندما شن الصليبيون بقيادة ملك بيت القدس الجديد (بلدوين) هجوماً واسعاً على مدينة عكا من جديد عام 497 هـ / 1104 م استبسل واليها الفاطمي (بنأ) **(4)** الملقب بـ(زهر الدولة الجيوشي) ورجاله في الدفاع عنها ، غير أنه

---

(1) شرف المعالي سماء الملك حسين : هو ابن الوزير الفاطمي الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي ، تولى قيادة الجيش الفاطمي بعد مقتل مملوك جده سعد الدولة الملقب بالطواشي عام 496 هـ ، فعهد إليه أبيه الأفضل بقيادة حملة عسكرية متوجهة إلى مدينة الرملة لمحاربة الصليبيين ، وفعلاً نجح شرف المعالي حسين في تحقيق بعض الانتصارات على الصليبيين ، وكان الأفضل يؤثر شرف المعالي حسين عن بقيت أولاده ويميل إليه كثراً . انظر : **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 164 – 165 ، 168 .

(2) اتعاظ الحنفا ، 2 / 165 .

(3) ذيل تاريخ دمشق ، ص 142 .

(4) بنأ : احد أتباع الوزير الفاطمي الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي ، تولى ولاية مدينة عكا بأمر من قبل الأفضل ، وقد عرف باسم (زهر الدولة الجيوشي) نسبة إلى ملك الجيوش الأفضل . انظر : **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 373 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 166 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اضطر في نهاية المطاف إلى الاستسلام بعد أن يأس من وصول النجدات الفاطمية إليه لمواصلة القتال ، فضلا عن الحصار المحكم الذي فرضه الصليبيون على مدينة عكا ومن جهتي البحر والبر ، فاستسلم واليها بعد عجزه عن مواصلة الدفاع عنها وحمايتها فالتمس من الصليبيين الأمان له ولأهل عكا ، غير ان الصليبيين رفضوا إعطاءَهم الأمان وملكوا المدينة قهراً بسيوفهم بعد أن هربَ منها زهر الدولة الجيوشي منهزماً إلى مدينة دمشق ، فاستقبله كل من الأمير دقاق بن تاج الدولة والأتابك ظهير الدين طغتكين أحسن استقبال (.... فدخلها وأكرمه ظهير الدين أتابك وأحسن تلقيه ، وكان وصوله إلى دمشق في يوم الخميس لثلاث بقين من شعبان ، وتقدم شمس الملوك دقاق ، وظهير الدين أتابك في حقه بما طيب نفسه وأكد أنسه ...) . **(1)** وقد بقي زهر الدولة مقيماً في مدينة دمشق إلى أن تيسرت له سبل العودة إلى مصر حيث وصلها سالماً ، كما أوضح للوزير الفاطمي الأفضل الأسباب التي أدت إلى خسارته أمام الصليبيين وسقوط مدينة عكا بأيديهم . فتفهم الأفضل حقيقة موقف زهر الدولة وقبل اعتذاره . **(2)**

وبعد أن آلت السلطة في دمشق إلى ظهير الدين طغتكين في عام 497 هـ / 1104 م حيث كان الأمير شمس الملوك دقاق بن تاج الدولة تتش قد أوصى قبيل وفاته أن يخلفه في الحكم ولده الصغير تتش الذي كان يبلغ من العمر عاماً واحداً ، على أن يتولى تربيته وتدبير شؤون الحكم إلى حين يتمكن تتش من مباشرة الأمور بنفسه الأتابك ظهير الدين طغتكين . **(3)**

غير أن ظهير الدين طغتكين الأتابك أستبد بحكم إمارة دمشق ، وأسس لنفسه إمارة وراثية بها . **(4)**

---

(1) ذيل تاريخ دمشق ، ص 144 .

(2) **ابن القلانسي** : ذيل تأريخ دمشق ، ص 144 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 373 ؛ **ابن ميسر** : اخبار مصر ، 2 / 41 ؛ **سلطان** ، سلطان جبر : إمارة آل طغتكين في الشام ، دراسة في تاريخها السياسي والحضاري ، أطروحة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة صلاح الدين ، 1992 م ، ص 58 .

(3) **ابن القلانسي** : ذيل تأريخ دمشق ، ص 144 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 375 .

(4) للمزيد من التفاصيل عن تولي الأتابك ظهير الدين طغتكين حكم مدينة دمشق ، وتأسيسه إمارة وراثية فيها ، والمصاعب التي واجهته في بداية حكمه انظر : سخنيني : طغتكين أتابك دمشق 488 – 522 هـ / 1095 – 1128 م ، ص 37 – 96 ؛ **مصطفى** ، شاكر : طغتكين رأس الأسرة البورية ، ومؤسس النظام الأتابكي ، مجلة كلية الآداب والتربية – جامعة الكويت ، العدد الثاني ، سنة 1972 م ، ص 17 – 42 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أتخذ الأتابك ظهير الدين طغتكين بعد أن آلت السلطة إليه في دمشق موقفاً أكثر اتزاناً وحكمة من الفاطميين ، وقضايا الأمة الإسلامية المشتركة وخاصة فيما يتعلق بمحاربة الصليبيين ، فعندما تجددت الحرب بين الفاطميين والصليبيين في عام 498 هـ / 1105 م ويرجع السبب في تجدد تلك الحرب إلى ان الوزير الفاطمي الأفضل كان قد أرسل في العام الماضي عساكر كثيرة بقيادة ولده شرف المعالي لمحاربة الصليبيين بفلسطين ، وبالفعل تمكن شرف المعالي من أن يوقع الهزيمة بالصليبيين ويحرر مدينة الرملة من أيديهم ، غير ان القوات الفاطمية اختلفت مع العناصر العربية التي اشتركت معها في القتال ، حيث ادعى كل فريق منهم أنه هو الذي يرجع إليه الفضل في تحقيق النصر على القوات الصليبية ، فلما علم الصليبيون بوقوع الاختلاف بين عساكر المسلمين قاموا بشن هجوم واسع عليهم ، فتقاعس كل من الفاطميين والعرب عن نصرة بعضهم البعض ، الأمر الذي أدى إلى انتصار القوات الصليبية عليهم ، ممّا اجبر شرف المعالي إلى العودة إلى مصر ، فلما علم الأفضل بذلك أنفذ عساكر كثيفة بقيادة ولده الأخر سناء الملك حسين ، فضلا عن جماعة من الأمراء ، كان من ضمنهم الأمير جمال الملك (نائب الفاطميين بمدينة عسقلان) ، وكذلك أرسل إلى ظهير الدين طغتكين يطلب منه المدد ، والمشاركة بقواته بهذه الحملة الإسلامية ، فرأى طغتكين إن الفرصة مواتية لتكوين جبهة إسلامية لمحاربة الصليبيين ، فأرسل إليهم أحد قادته ويدعى (أصبهبذ صباوة) ، ومعه ألف وثلاثمائة فارس . **(1)**

ويعود السبب في عدم مشاركة الأتابك ظهير الدين طغتكين بنفسه بهذه الحملة لانشغاله بمحاربة الأمراء السلاجقة في مدينة بصرى الذين عقدوا تحالفاً ضده مع الصليبيين . **(2)**

وما إن علم الصليبيون بخروج الجيوش الإسلامية (الفاطمية – الدمشقية) حتى خرج ملك بيت المقدس بلدوين بقواته البالغة تعدادها ألف وثلاثمائة فارس وثمانية آلاف راجل ، وفي يوم 14 ذي الحجة عام 498 هـ / 1105 م دارت معركة شرسة بين الطرفين فيما بين عسقلان ويافا ، غير أن القوات الصليبية تمكنت من إحراز تفوق بسيط على القوات الإسلامية ، إذ يقدر عدد شهداء المسلمين بنحو ألف ومئتين شهيد من ضمنهم عدد من أمراء

---

(1) ابن الأثير : الكامل ، 10 / 394 .

(2) ابن القلانسي : ذيل تأريخ دمشق ، ص 148 – 149 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 165 – 166 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمراء المسلمين أمثال جمال الملك أمير عسقلان ، أما قتلى الصليبيين فكان يقارب عدد شهداء المسلمين . (1)

كما يذكر رنسيمان إن القوات الصليبية تكبدت خسائر فادحة بحيث لم تمكن بلدوين ملك بيت المقدس من ملاحقة القوات المصرية إلى ديارهم . (2) فعادت القوات الفاطمية إلى مصر ، في حين عادت صباوة بقواته إلى مدينة دمشق . (3)

وفي عام 500 هـ / 1106 م كانت بداية أول عملية عسكرية مشتركة قام بها الفاطميون ضد الصليبيين بالتنسيق مع طغتكين ، فعندما شن الأمير(عز الملك) (4) والي مدينة صور الفاطمي هجوماً مباغتاً على حصن (تبنين) الذي أقامه الصليبيون ، تمكن عز الملك من تدميره وقتل كل من فيه ، وفي الوقت ذاته كان طغتكين قد زحف بقواته إلى أحد الحصون الصليبية القريبة من طبرية فتمكن من السيطرة عليه وتصفية الحامية الصليبية فيه عن بكرة أبيها . (5)

وعندما أصبحت أوضاع مدينة طرابلس صعبة جداً جراء هجوم الصليبيين المتكرر عليها حتى تعذر وصول الإمدادات الفاطمية إليها من مصر ، فكر أميرها آنذاك فخر الملك أبو علي بن عمار بطلب المساعدة من الخليفة العباسي المستظهر بالله (487 – 512 هـ / 1094 – 1118 م) والسلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه (498 – 511 هـ / 1105 – 1118 م) ، فخرج فخر الملك بن عمار قاصداً مدينة بغداد ، بعد أن أناب عنه في تدبير أمورها ابن عمه أبا المناقب بن عمار ، فسار إلى مدينة دمشق ، وفي أثناء طريقه بلغه أن ابن عمه أبا المناقب قد خلع طاعته ونادى بشعار الفاطميين ، فكتب فخر الملك إلى أتباعه

---

(1) **ابن القلانسي** : ذيل تأريخ دمشق ، ص 149 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 394 – 395 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 166 .

(2) تاريخ الحروب الصليبية ، 2 / 146 .

(3) **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 395 .

(4) **عز الملك** : هو أنوشتكين الأفضلي ، ويدل أسمه الأخير على أنه أحد مماليك الوزير الفاطمي الأفضل شاهنشاه ، تولى ولاية صور من قبل الأفضل ، وأستمر والياً عليها إلى إن سلمها إلى ظهير الدين طغتكين أتابك دمشق عام 506 هـ . انظر : **ابن القلانسي** : ذيل تاريخ دمشق ، ص 182 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 174 .

(5) **ابن القلانسي** : ذيل تأريخ دمشق ، ص 151 ؛ **وحيد** : مصر والغزو الصليبي ، ص 82 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأصحابه في طرابلس بالقبض عليه ، ففعلوا ما أمرهم به والقوا القبض علــى أبــي المناقــب وقتله ، في حين أكمل فخر الملك طريقه إلى مدينة دمشق ، فلما وصلها بــالغ ظهيــر الــدين طغتكين في أكرامه ، ثم تابع ابن عمار مسيره إلى بغداد وبصحبته ابن طغتكين تــاج الملــوك بوري **(1)** ، فلما وصل إلى بغداد استقبله السلطان السلجوقي محمــد وأكــرمَ وِفادتَــهُ ، كمــا عهد إلى بعض الأمراء السلاجقة بالمسير معه لمساعدته في التصدي للصليبيين . فعــاد آبــنُ عمار بعد ذلك إلى دمشق بعد أن أطمأن إلى مساعدة السلطان السلجوقي لــه فوصــلها فــي عام 502 هـ / 1109 م . **(2)**

خاف أهالي مدينة طرابلس من أن تقع مدينتهم فريسة سهلة بيد الصــليبيين وخاصــة بعد أن وقع الخلاف بين أفراد الأسرة الحاكمة فيها ، فضلا عن تأخر فخر الملك بــن عمــار بالقدوم بالإمدادات والمساعدات اللازمة لمواجهة الصليبيين ، لذلك أرسلوا في عام 501 هـ / 1108 م إلى الوزير الفاطمي الأفضل يلتمسون منه أن يبعث إليهم والياً من قبله خلفــاً لابــن عمار ، وأن يجلب معه الميرة وكل ما تحتاج إليه المدينة ، لمعاونتهم فــي تحمــل الحصــار الصليبي المتكرر عليهم . فأجابهم الأفضل إلى طلبهم ، وأرسل إلى طرابلس والياً مــن قبلــه يدعى (شرف الدولة بن أبي طيب) ومعه الميرة وكل مــا تحتاجــه المدينــة لمواجهــة أي حصار قد يفرض عليها من قبل الصليبيين ؛ فلما وصل شرف الدولة إلى طرابلس قام بالقــاء القبض على أهل فخر الملك بن عمار وأصحابه ، وصادر ممتلكاتهم ، وبعــثهم إلــى مصــر عن طريق البحر . **(3)**

غير أن مدينة طرابلس لم تلبث أن سقطت بيد الصليبيين حيث شرعوا في حصــارها ومضايقة أهلهــا ، فلما اشتد حصــار الصليبين على المدينة ، وتباطــأ الفاطميون في إرسال

---

(1) تاج الملوك بوري : هو الابن الأكبر للملك أبو منصور طغتكين الأتابك ، ولد في عام 478 هـ وتولى الملك بعد أبيه في شهر صفر عام 522 هـ ، وكان ذا حلمٍ وكرمٍ ، عمل على محاربة الصليبيين فــي بــلاد الشام وقيل إنه لو كان يمتلك عساكر كثيرة ، لاستأصل الصليبيين من بلاد الشام ، كما أنه عمل على تصــفية الإسماعيلية في مدينة دمشق ، طعن تاج الملوك في الخامس من جمادى الآخرة عام 525 هـ ، فعهد قبيــل وفاته بالأمر من بعده لولده إسماعيل أمام أعيان الجند والبلاد ، توفي تاج الملوك في شهر رجب عام 526 هـ ، فجلس شمس الملوك إسماعيل مكانه . انظر : **ابن القلانسي** : ذيل تاريخ دمشــق ، ص 229 – 234 ؛ **الذهبي** : سير أعلام النبلاء ، 19 / 573 – 575 ؛ **الكتبي** : عيون التواريخ ، 12 / 252 .

(2) ابن القلانسي : ذيل تأريخ دمشق ، ص 160 – 161 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 452 – 454 .

(3) ابن القلانسي : ذيل تأريخ دمشق ، ص 161 ؛ **ابن الأثيــر** : الكامــل ، 10 / 454 ؛ **الــذهبي** : دول الإسلام ، 2 / 259 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأسطول الفاطمي محملاً بالنجدات والميرة ، ضعفت مقاومة أهلها فتمكن الصليبيون من دخولها بالقوة في يوم الاثنين 11 ذي الحجة عام 502 هـ / 1109 م ونهبوا ما فيها من أموال وكنوز ، كما أسروا رجالها ، وسبوا نساءها وأطفالها ، وقد غنموا من أموالها وأمتعتها الشيء الكثير ، فضلا عن عدد لا يحصى من كتب العلم ، ولم يسلم من الأسر إلا واليها الفاطمي شرف الدولة بن أبي الطيب وجماعة من جنده ، حيث كانوا قد التمسوا الأمان قبل الاستيلاء عليها فرحلوا عنها قاصدين مدينة دمشق . **(1)**

وعندما توجه ملك بيت المقدس بلدوين بقواته نحو مدينة صور عام 501 هـ / 1107 م عمد أتابك دمشق ظهير الدين طغتكين إلى إشغال الصليبيين عن مهاجمة مدينة صور ، والحيلولة دون سقوطها بأيديهم ، حيث شنَّ هجوماً واسعا على أعمال الصليبيين في كل من فلسطين وطبرية ، وتمكن من أسر صاحب طبرية الصليبي مع مجموعة كبيرة من جنده ، فحملهم معه وعاد بهم إلى مدينة دمشق حيث أمر بقتل جماعة منهم من ضمنهم أمير طبرية الصليبي بعد أن رفض إطلاق سراحهم مقابل الأموال ، كما أرسل قسماً من هؤلاء الأسرى إلى السلطان السلجوقي محمد . **(2)**

عززت المواقف الايجابية لظهير الدين طغتكين أتابك مدينة دمشق ثقة الفاطميين فيه كثيراً ، وخاصة إن مدينة دمشق قد أصبحت في ظله ملجأً لجميع أهالي مدن الشام الساحلية والتي كانت تابعة للنفوذ الفاطمي ، ولم يكتفِ بذلك فقد قام بتقديم النجدات والمساعدات العسكرية عند تعرضها لأي تهديد أو خطر من قبل الصليبيين . **(3)** فعندما شرع ملك بيت المقدس بلدوين بمهاجمة مدينة صيدا وتضييق الخناق على أهلها ، اضطر أهالي مدينة صيدا إلى مفاوضته في سبيل حصولهم على الأمان منه للتوجه بحرية إلى دمشق وخاصة بعد أن أدركوا عجز الأسطول الفاطمي الذي كان مرابطاً في مدينة صور من أن يفعل أي شيء لفك الحصار الصليبي المفروض على مدينتهم ، فوافق بلدوين على منحهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ، ومن أراد الخروج من أهل المدينة إلى دمشق ، وبعد أن اطمأنوا من بلدوين خرجوا من المدينة ، حيث يذكر آبن القلانسي ذلك بقوله : (... وطلبوا من بغدوين [أي بلدوين] الأمان ، فأجابهم إلى ذلك ، وأمنهم العسكرية معهم على النفوس والأموال

---

(1) **ابن القلانسي** : ذيل تأريخ دمشق ، ص 163 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 475 - 476 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 170 .

(2) **ابن القلانسي** : ذيل تأريخ دمشق ، ص 159 - 162 ؛ **وحيد** : مصر والغزو الصليبي ، ص 82 .

(3) **سلطان** : إمارة آل طغتكين ، ص 59 ؛ **وحيد** : مصر والغزو الصليبي ، ص 82 - 83 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإطلاق من أراد الخروج منها إلى دمشق ، واستحلفوه على ذلك ، وتوثقوا منه ، وخرج الوالي والزمام وجميع الأجناد والعسكرية ، وخلق كثير من أهل البلد ، وتوجهوا إلى دمشق ...) . (1) وهذا يدل بشكل جلي على ما وصلت إليه العلاقات بين كل من السلاجقة والفاطميين من تحسن . (2)

وفي عام 505 هـ / 1111 م تجددت العلاقات بين ظهير الدين طغتكين أتابك دمشق والفاطميين ، ويرجع السبب في ذلك إلى أن الصليبيين لم يكتفوا بسياسة التوسع والاستيلاء على جميع مدن الشام الساحلية والتي كانت تابعة للفاطميين ، ففي عام 505 هـ / 1111 م سار الصليبيون بقيادة ملك بيت المقدس بلدوين صوب مدينة صور ، والتي كانت لا تزال في حوزة الفاطميين ، ويلي أمورها عز الملك أنوشتكين الأفضلي ، وكان هذا الوالي الفاطمي قد عمل على الوقوف بوجه سيطرة الصليبيين على هذه المدينة ، غير أنه أضطر بعد أن شدد الصليبيون الحصار على صور عام 505 هـ / 1111 م إلى مراسلة أتابك دمشق ظهير الدين طغتكين يسأله المدد والنجدة ، ويحذره من مغبة تأخره الذي قد يضطره إلى تسليم المدينة للصليبيين خاصة بعد يأسه من نصرة الوزير الفاطمي الأفضل . فأجابه ظهير الدين طغتكين من غير تردد ، وسار بقواته (الدمشقية) صوب مدينة صور ونزل بانياس ، في حين بعث نجدة سريعة إلى مدينة صور تتكون من مائتي فارس ، وأخذ على عاتقه الإغارة على الأعمال الصليبية القريبة من صور ، فلما علم الصليبيون بقدوم العساكر الدمشقية شرعوا في بناء برجين خشبيين ، لكي يتمكنوا من تسلق أسوار مدينة صور ، فلما بلغ طغتكين ما يخطط له الصليبيون أراد إشغالهم عن تنفيذ هذا المخطط ، وذلك عن طريق مهاجمتهم على عدة دفعات من أجل أن يفسح المجال أمام القوات الفاطمية الموجودة داخل مدينة صور للخروج من المدينة ويقوموا بإحراق هذين البرجين ، غير أن الصليبيين قد تنبهوا لما يعده طغتكين ضدهم فتخندقوا على أنفسهم ، فعمد إلى قطع الجسر الذي كان يربط بين مدينتي صيدا وصور ، وهو نفسه الذي كان يستخدمه الصليبيون لنقل مواد التموين وآلات الحرب والحصار لجيوشهم الموجودة أمام أسوار مدينة صور . (3)

وعلى الرغم من تمكن طغتكين من تدمير هذا الجسر الذي كان يستخدمه الصليبيون في نقل الإمدادات ومواد التموين ، إلا إن ذلك لم يمنع الصليبيين من مواصلة حصارهم لمدينة

---

(1) ذيل تأريخ دمشق ، ص 171 .

(2) **وحيد** : مصر والغزو الصليبي ، ص 83 .

(3) **ابن القلانسي** : ذيل تأريخ دمشق ، ص 178 – 179 ؛ **ابن تغري بردى** : النجوم الزاهرة ، 5 /181 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صور ، إذ بدأت تصل الإمدادات إليهم عن طريق البحر ، مما أجبر طغتكين إلى مهاجمة صيدا الخاضعة للاحتلال الصليبي ، والتي كانت تمد الصليبيين بالإمدادات والمؤن ، بهدف قطعها عنهم هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ليجبر الصليبيين المحاصرين لصور على ترك الحصار والعودة إلى صيدا لإنقاذها . (1) وبالفعل تمكن طغتكين من إحراق عشرين مركباً صليبياً من المراكب التي كانت تنقل الإمدادات للجيوش الصليبية ، والتي كانت راسية على ساحل مدينة صيدا . (2)

كما أن طغتكين كان قد بعث على الدوام الكتب إلى أهالي مدينة صور يدعوهم فيها إلى المصابرة والجد في قتال الصليبيين . وأمام هذا التبادل السريع في الموقف لمصلحة المسلمين ، فضلا عن استبسال أهالي صور ، مستميتين في الدفاع عن مدينتهم ، حيث تمكنوا من تدمير وحرق آلات الحصار التي حاول الصليبيون استخدامها لاقتحام المدينة أمثال الأبراج والكباش ، وأمام هذا الموقف البطولي اضطر الصليبيون إلى الهرب وفك الحصار عن صور . (3)

وبعد انسحاب الصليبيين من مدينة صور رفض أهالي المدينة تسليم مدينتهم إلى ظهير الدين طغتكين ، غير أن طغتكين لم يغضب من نكث وعود أهالي صور ، بل قال لهم : (إنما فعلت ما فعلت لله تعالى ، وللمسلمين ، لا لرغبة في المال ، ولا مملكةٍ) . (4) فزادت محبة أهل صور لظهير الدين طغتكين ، وكثر الدعاء له ، والشكر على ما قام به من أجلهم . كما وعدهم أنه سوف يكون إلى جانبهم إذ ما تعرضوا إلى أي خطر من جانب الصليبيين ، وعاد إلى مدينة دمشق ، في حين نهض أهالي صور لبناء ما تهدم من أسوار مدينتهم على أيدي الصليبيين ، وإعادة الخندق إلى ما كان عليه قبل قدوم الصليبيين ، كما عملوا على تحصين المدينة . (5)

---

(1) **نوري** : دريد عبد القادر : موقف أتابكية دمشق من الغزو الصليبي لبلاد الشام ، مجلة كلية آداب الرافدين ، العدد 11 ، سنة 1979 م ، ص 129 – 130 .

(2) **ابن القلانسي** : ذيل تأريخ دمشق ، ص 179 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 490 .

(3) **ابن القلانسي** : ذيل تأريخ دمشق ، ص 179 – 181 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 490 ؛ **ابن تغري بردى** : النجوم الزاهرة ، 5 / 181 – 182 .

(4) **ابن القلانسي** : ذيل تأريخ دمشق ، ص 181 .

(5) **ابن القلانسي** : ذيل تأريخ دمشق ، ص 181 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهكذا فشل الصليبيون في الاستيلاء على مدينة صور ، ويعود الفضل بذلك إلى التعاون الصادق ، والتآزر بين كل من الفاطميين والأتابك ظهير الدين طغتكين في الدفاع عن هذه المدينة الإسلامية .

وعلى الرغم من الانتصار الذي حققه أهل صور على الصليبيين عام 505 هـ / 1111 م إلا أنهم خشوا من عودة الصليبيين إلى محاصرة مدينتهم ، ممّا دفعهم إلى التفكير بطريقة تحمي مدينتهم من الصليبيين ، فأجمعوا أمرهم في عام 506 هـ / 1112م وبالاتفاق مع واليهم الفاطمي عز الملك (انوشتكين الأفضلي) على تسليم مدينتهم إلى أتابك دمشق ظهير الدين طغتكين بسبب ما قام به من أجلهم العام الماضي ، وإنقاذ مدينتهم من السقوط بأيدي الصليبيين ، فانفذوا إليه رسولاً من قبلهم ، وعندما مرَّ هذا الرسول بمدينة بانياس صحب معه وإليها سيف الدولة مسعود في المسير إلى دمشق ؛ وقد صادف وصولهم خروج ظهير الدين طغتكين إلى مدينة حماة لحل بعض المشاكل العالقة بينَهُ وبينَ الأمير فخر الملوك رضوان صاحب حلب ، فخاف الأمير سيف الدولة مسعود من انتظار ظهير الدين طغتكين مما يفسح المجال أمام الصليبيين للاستيلاء على مدينة صور ، فعرض على تاج الملوك بوري (ابن طغتكين) ، ونائبه على دمشق ، أن يسير معهما إلى بانياس ليستلم مدينة صور من واليها الفاطمي عز الملك ، فأجابه تاج الملوك بوري إلى طلبه ، وسار معهما إلى صور وعندما علم الأتابك بذلك أستحسن هذا الأمر وأرسل فرقة من الأتراك إلى مدينة صور لتعزيز دفاعاتها . (1)

استقرت الأوضاع بعد ذلك في مدينة صور حيث أرسل إليها ظهير الدين طغتكين كل ما تحتاجه من إمدادات ومساعدات ، والتي قوّت من عزيمة أهلها للتصدي للصليبيين ؛ ولكي لا تحدث في مدينة صور أية اضطرابات أو فتن أبقى طغتكين تبعيتها للفاطميين حيث أبقى الدعوة والسكة لصاحب مصر مثل ما كانت عليه قبل استلامه حكم المدينة ، كما كتب إلى الوزير الفاطمي الأفضل كتاباً مبرراً تصرفه في تسلم حكم مدينة صور ، ومبدياً رغبته الخالصة في الحفاظ على صور كمدينة إسلامية ، وعدم السماح لسقوطها بأيدي الصليبيين ، وذلك عن طريق شحنها بالرجال والمؤن ، وقد جاء في هذا الكتاب (أن بغدوين [يقصد بلدوين ملك بيت المقدس] قد جمع وحشد للنزول على صور ، وأن أهلها استنجدوا بي عليه ، والتمسوا مني دفعه عنهم ، فبادرت بإنهاض من أثق بشهامته لحمايتهم ، والمراماة

---

(1) **ابن القلانسي** : ذيل تأريخ دمشق ، ص182 ؛ **المعاضيدي** : الحياة السياسية ، ص 144 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دونها إليه ، وحصلوا فيها ، ومتى وصل إليها من مصر من يتـولى أمرهـا ، ويـذب عنهـا ويحميها ، بادرت بتسليمها إليه ، وخروج نوابي منها ، وأنا أرجو أن لا يهمل أمرها ، وإنفـاذ الأسطول بالغلَّة إليها ، والتقوية لها) . (1)

ولما وصل كتاب ظهير الدين طغتكين إلى الـوزير الفـاطمي الأفضـل ، رد عليـه الأفضل رداً ايجابياً بعد أن أدرك أن طغتكين لا توجد لديه أية أطماع في أملاك الفاطميين في بلاد الشام معبراً فيه عن امتنانه وشكره على ما فعله في مدينة صور ، كمـا ٱستصـوب رأي طغتكين فيما أعتمده . فحمل رسول طغتكين رد الأفضل ألذي كـان قـد اسـتقبله بالحفـاوة والرعاية . وقد جاء في كتاب الأفضل إلى طغتكين (هذا أمر وقع منا أجمل موقع ، وأحسـن موضع) . (2)

وبعد أن رد الأفضل على كتاب ظهير الدين طغتكـين ، شـرع بتجهيـز الأسـطول الفاطمي وشحنه بالمؤن ، والأموال اللازمة لنفقات الجند ، فضلا عن الغلة والميـرة والمـواد الضرورية التي تباع للرعية ، وبعد أن فرغ الأفضل من تجهيز الأسطول أبحر مـن مصـر في أوائل عام 507 هـ / 1113 م ، محمـلا بـالغلات والرجـال ، وتوجـه إلـى مدينـة صور ، وقد تولى قيادته شرف الدولة بن أبي الطيب الدمشقي الذي كان أمير طـرابلس قبيـل سقوطها بأيدي الصليبيين عام 502 هـ / 1109 م ؛ فاستقبل أهالي صور الأسطول الفـاطمي بمنتهى السرور والطمأنينة ، وما أن نزلت المواد التي شحنها الأسطول حتى هبطت الأسـعار في المدينة ، ونعمت بحالة من الرخاء والرفاه انعكست على كل أحوالها ، كما أن الأسـطول الفاطمي حمل هدايا الأفضل إلى ظهير الدين طغتكين وٱبنه تاج الملوك بوري ووالي مدينـة صور الجديد شرف الدولة مسعود . (3)

أدى ذلك كله إلى أفساد مخططات الصـليبيين للانقضـاض علـى مدينـة صـور وانتزاعها من أيدي المسلمين ، إذ أضطر بلدوين ملك بيت المقدس الذي لم يجد أمامه سـوى طلب المهادنة والموادعة من والي صور الأمير شرف الدولة مسعود ، فعقدت هدنـة بينهمـا فاستقامت الأمور في صور وتحسنت أحوالها ووفد عليها التجار من جميع الأقطار . (4)

---

(1) **ابن القلانسي** : ذيل تأريخ دمشق ، ص182 .

(2) **ابن القلانسي** : ذيل تأريخ دمشق ، ص 188 .

(3) **ابن القلانسي** : ذيل تأريخ دمشق ، ص 188 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 174 – 175 .

(4) **ابن القلانسي** : ذيل تأريخ دمشق ، ص 188 – 189 ؛ **مقبل** : الفاطميون ، ص 111 – 112 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعندما قام بلدوين ملك بيت المقدس في مهاجمة الأراضي المصرية عام 511 هـ / 1118 م . (1) قام الوزير الأفضل بإرسال الجيش الفاطمي للتصدي للصليبيين ، كما أرسل إلى ظهير الدين طغتكين يحثه على مهاجمة الصليبيين والتعرض لأملاكهم في بلاد الشام حيث أرسل يقول له : (لا في حق الإسلام ، ولا في حق الدولة التي ترغب في خدمتها والانحياز إليها أن توجه الفرنج [أي الصليبيين] بجملتها إلى الديار المصرية ، ولا يتبين لك فيها أثر ، ولا تتبعهم ، ولو كان وراءهم مثل ما كان أمامهم ما عاد منهم أحد) . (2) فاستجاب طغتكين لدعوة الأفضل وسار على الفور بقواته إلى مدينة عسقلان ، فلما أحس الصليبيون تحرك طغتكين بقواته صوب عسقلان خافوا وحاولوا عقد هدنة معه ، غير إن طغتكين رفض عقد الهدنة ، وواصل زحفه إلى طبرية فغنم أطرافها ، ثم أتجه نحو عسقلان حيث كان الفاطميون قد تركوا فيها قوة عسكرية مؤلفة من سبعة آلاف فارس ، فلما وصل طغتكين مدينة عسقلان تم استقباله بالحفاوة والرعاية ، وقدمت له الهدايا والخلع ، ثم عقد اجتماعاً مع قادة تلك القوة لدراسة الموقف العسكري ، واتخاذ الإجراءات الكفيلة بحماية المدينة ، وقد تقرر في هذا الاجتماع تعيين ظهير الدين طغتكين قائداً عاماً للقوات الفاطمية – الدمشقية المتحالفة ، مما أنذر بتهديد مملكة بيت المقدس تهديدا خطيراً ، إذ بقى طغتكين نحو شهرين في عسقلان يشن هجماته على الصليبيين ملحقاً بهم خسائر كبيرة ، فضلا عن وقوع قسمٍ من جنودهم أسرى بيد قواته (الفاطمية – السلجوقية) ، في حين لم يجرؤ الصليبيون على التعرض لمدينة عسقلان خلال هذا الوقت ، وبعد إن عاد الهدوء ثانية قفل طغتكين عائداً إلى مدينة دمشق . (3) فأرسلت إليه الهدايا والخلع ثانية من الأفضل تكريماً لدوره الكبير في التصدي للصليبيين ، والتي كانت عبارة عن خيمة كبيرة بفرشها ، وجميع آلاتها ، فضلا عن مبلغ من المال مقداره ثلاثين ألف دينار . (4)

استمرت بعد ذلك العلاقات الايجابية بين الطرفين وخاصة فيما يتعلق بحماية مدينة صور من القوات الصليبية ، حيث كان كل من الوزير الفاطمي الأفضل وأتابك دمشق ظهير

---

(1) أختلف المؤرخون بشأن تاريخ هذه الغارة الصليبية ، ففي حين يذكر **ابن الأثير** أن هذه الغارة حدثت في عام 511 هـ / 1118 م . انظر : الكامل ، 10 / 543 . يذكر **المقريزي** أن هذه الغارة حدثت في عام 509 هـ / 1115 م . انظر : اتعاظ الحنفا ، 2 / 175 .

(2) **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 175 .

(3) **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 543 ؛ **وحيد** : مصر والغزو الصليبي ، ص 86 .

(4) **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 175 – 176 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدين طغتكين يتقاسمان السلطة في مدينة صور ، كما كانت ترسل إليها نجدات مشتركة إذ ما تعرضت لأي خطر من جانب الصليبيين ، وظل الوفاق سائداً في الحكومة الثنائية لهذه المدينة لمدة عشر سنوات مما يدل على حرص كل من القوتين الإسلاميتين (السلجوقية – الفاطمية) على أبقاء العلاقات ودية بينهما ، حيث كانت الحاجة ماسة إلى ذلك نظرا لتهديدات الصليبيين المستمرة ، فضلا عن أنه السبيل الوحيد لحمل الصليبيين للرحيل عن الأراضي الإسلامية . (1)

غير إن اغتيال الوزير الفاطمي الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي في ليلة عيد الفطر عام 515 هـ / 1121 م . (2) أدى إلى فتور علاقة الفاطميين بأتابك دمشق ظهير الدين طغتكين ، بل وعجلت بنهاية مدينة صور ، وذلك لأن المأمون أبو عبد الله محمد بن أبا شجاع فاتك البطائحي (3) الذي خلف الأفضل في منصب الوزارة ، على الرغم من شجاعته إلا أنه كان أقل دراية بشؤون السياسة من الأفضل ، إلى جانب رعونته وسوء تصرفه ، فأنه ما أن أستلم منصب الوزارة حتى استبد بالأمور ، وأخذ يهدم ما بناه الأفضل في سنوات طويلة في سبيل تحسين علاقته بطغتكين السلجوقي أتابك دمشق ، ودخوله في تحالفات عسكرية معه بل وكانت أول بادرة ينوي القيام بها هي إزالة النفوذ السلجوقي (نفوذ طغتكين) من مدينة صور ، والإطاحة بالوالي شرف الدولة مسعود رمز هذا النفوذ ووجوده . (4)

---

(1) **المعاضيدي** : الوطن العربي ، ص 108 .

(2) **ابن الصيرفي المصري** : الإشارة إلى من نال ، ص 61 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 179 .

(3) **المأمون البطائحي** : هو أبو عبد الله محمد بن أبي شجاع فاتك بن أبي الحسن مختار المعروف بابن فاتك البطائحي ، نشا المأمون يتيماً فقيراً صعلوكاً ، عمل حمالاً في أسواق مصر ، وفي إحدى المرات دخل دار الأفضل أمير الجيوش مع بعض الحمالين ، فلما رآه الأفضل أعجب به ، فأستخدمه فراشاً ، غير إن المأمون أستطاع بفضل ذكائه أن يتقدم في وظيفته إلى تولى الوزارة بعد أن عمل مع الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله على التخلص من الأفضل شاهنشاه عام 515 هـ ، غير إن العلاقة بينه وبين الخليفة الفاطمي سرعان ما تبدلت نتيجة محاولة المأمون خلعه وتنصب أخو الآمر بأحكام فلما علم الآمر بهذه المؤامرة قبض عليه في رمضان عام 519 هـ ، وصادر جميع أمواله ، وفي رجب عام 521 هـ أمر الآمر بصلب المأمون بظاهر القاهرة ، وقتل معه خمسة من إخوته ، وكان شهماً مقداماً سفاكاً للدماء . انظر : **ابن خلكان** : وفيات الأعيان ، 3 / 150 ؛ **الذهبي** : سير أعلام النبلاء ، 19 / 553 ؛ **الكتبي** : عيون التواريخ ، 12 / 172 .

(4) **مقبل** : الفاطميون والصليبيون ، ص 112 ؛ **العبادي** : تأريخ البحرية الإسلامية في مصر وبلاد الشام ، ص 119.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استغل الوزير الفاطمي الجديد المأمون شكوى أهل صور من واليهم إلى الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله لتنفيذ مخططه ، فأرسل في بداية عام 516 هـ / 1122 م الأسطول الفاطمي بعد أن شحنه برجال البحرية والجند ، وأسند قيادته إلى أحد مقدمي الجند ويدعى وحشي بن طلائع ، كما أمره المأمون بالقبض على والي صور شرف الدولة مسعود كما شحن الأسطول الفاطمي بكميات كبيرة من الغلات والميرة . فلما وصل الأسطول الفاطمي إلى صور خرج واليها شرف الدولة مسعود لاستقبال مقدم الأسطول فطلب منه وحشي بن طلائع الصعود على ظهر سفينته ، فاستجاب مسعود لرغبة وحشي ، وما أن صعد إلى السفينة حتى أمر وحشي باعتقاله وأصدر أوامره للعسكر الفاطمي بالنزول من السفن والسيطرة على المدينة ، وبعد أن تمكن الأسطول الفاطمي من السيطرة على صور أقلع من ميناء صور حاملا معه شرف الدولة مسعود إلى مصر ، فلما وصل شرف الدولة مسعود القاهرة بالغت الحكومة الفاطمية في أكرامه وأنزلته في دار خاص به ، ووفرت له جميع ما يحتاج إليه ، ثم ما لبث أن أعيد إلى دمشق . (1)

وعلى الرغم من إن موقف المأمون المتناقض من الأمير شرف الدولة مسعود من القبض عليه في مدينة صور ، والمبالغة في أكرامه ووفادته في مدينة القاهرة ، إلا أنه يمكن تفسيره على أن المأمون هدف من وراء ذلك تأكيد سيطرة النفوذ الفعلي للفاطميين على مدينة صور ، وعدم رغبته في قطع علاقته نهائياً بأتابك دمشق السلجوقي ظهير الدين طغتكين ، والدليل على ذلك أن الوالي الفاطمي الجديد على صور والمعين من قبل الوزير الفاطمي ، أرسل إلى ظهير الدين طغتكين يعلن ولاءَهُ له ، وأنه يحتاج إلى مساعدته في حماية مدينة صور ، ويبرر ما فعله الفاطميون بالوالي السابق شرف الدولة مسعود يرجع بالأساس إلى شكوى أهالي مدينة صور منه . فاستحسن ظهير الدين طغتكين جواب والي الفاطميين الجديد على مدينة صور ، وأرسل إليه يخبره بأنه سوف يقدم له المساعدة متى أحتاجها . (2)

بقى ظهير الدين طغتكين أتابك دمشق على علاقته الطيبة بالفاطميين حيث حاول تنبيه الفاطميين إلى مدى خطورة الموقف الذي يشكله الصليبيون في بلاد الشام ، وخاصة

---

(1) **ابن القلانسي** : ذيل تأريخ دمشق ، ص 207 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 620 – 621 ؛ **ابن خلدون** : تاريخ ، 5 / 199 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 205 .

(2) **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 621 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مدن بلاد الشام الساحلية ، التي كانت تقع تحت نفوذهم ، فأرسل هـو والأمير آق سنقر البرسقي (1) في عام 517 هـ / 1123 م كتاباً إلى الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله ، وقد تضمن هذا الكتاب اعلام الخليفة الفاطمي بنزول الصليبيين الأعمال الفلسطينية والثغور الساحلية ، ويسألونه إرسال العساكر الفاطمية لنصرتهم . فجهز الخليفة الفاطمي قواته البرية والبحرية ، وأمرها أن تتجه إلى مدينة يافا ؛ غير أن الأمير حسام الملك النرسي الذي تولى قيادة القوات البرية ، خالف التعليمات التي صدرت له والقاضية بالبقاء في موضعه بالقرب من يافا ، وإن يواجه الصليبيين في هذا الموضع ولا يتعداه ، فقصد مدينة يافا ، فلما هاجمه الصليبيون فـرَّ من أمامهم ، فلحقه الصليبيون وتمكنوا من قتل أعداد كبيرة من هذه القوات التي فرّ من بقى منهم حياً إلى مدينة عسقلان . فلما سمع الخليفة الفاطمي ووزيره بهذه الفاجعة التي حلت بالقوات الفاطمية بسبب سوء تدبير الأمير حسام الملك حقدوا عليه أشد الحقد وكان ذلك سببا في قتله فيما بعد . (2)

بعد أن تمكن الصليبيون من صد القوات الفاطمية بقيادة الأمير حسام الملك النرسي وعلموا بعزل والي مدينة صور المحنك سيف الدولة مسعود في عام 516 هـ / 1122 م وإسناد ولايتها إلى والي فاطمي جديد لم يكن له أي خبرة بمقاتلة الصليبيين ، تحركت أطماعهم من جديد في الاستيلاء على صور ، فشرعوا يعدون العدة للنزول عليها ، وأحكام الحصار حولها ، فلما بلغت هذه الأخبار والي صور الجديد أدرك عجزه عن مقاومتهم والتصدي لهم نظراً لقلة ما لديه من جند وميرة ، فأرسل إلى الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله يطلعه على حقيقة الأوضاع في مصر ويقترح عليه أن ترد ولاية صور إلى ظهير

---

(1) **آق سنقر البرسقي** : هو أبو سعيد آق سنقر البرسقي الغازي ، والملقب بقسيم الدولة سيف الدين صاحب الموصل والرحبة وتلك النواحي ، وهو من كبار رجالات الدولة السلجوقية ، وله شهرة كبيرة بينهم ، تولى شحنة بغداد وبأمر من السلطان محمد عام 498 هـ ، وعندما قتل والي الموصل أسباسلار مودود في جامع دمشق في عام 507 هـ على أيدي الباطنية ، أمر السلطان محمد أن يتجهز آق سنقر لكي يتولى حكم مدينة الموصل ، ويعمل في الوقت نفسه على محاربة الصليبيين في بلاد الشام ، فتسلم حكم مدينة الموصل ، ودخل في حروب طاحنة مع الصليبيين في بلاد الشام ، قتل أثناء أدائه لصلاة الجمعة في جامع الموصل على أيدي جماعة من الباطنية بعد إن تنكروا بزي الصوفية في عام 519 هـ ، وقيل في عام 520 هـ ، فتولى أُبنه عز الدين مسعود مكانَهُ في حكم مدينة الموصل . انظر : **ابن خلكان** : وفيات الأعيان ، 1 / 129 .

(2) **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 207 .

للمزيد من التفاصيل عن هذه الحملة وأسباب فشلها انظر : وحيد : مصر والغزو الصليبي ، ص 87 – 88

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدين طغتكين أتابك دمشق السلجوقي ليتولى ونوابه حمايتها والــدفاع عنهــا ، مــع احتفــاظ الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله بحق الإشراف وفرض سلطانه عليها . فاستحســن الخليفــة الفاطمي هذا الرأي ، وأصدر منشوراً بولاية مدينة صور باسم ظهير الــدين طغتكــين ولقبــه فيه (بسيف أمير المؤمنين) . (1)

قام الخليفة الفاطمي بإرسال هذا المنشور إلى ظهير الدين طغتكين مع هــدايا عينيــة نفيسة فلما استلم طغتكين هذا المنشور لم يتردد في قبول مسؤولية الدفاع عــن صــور غيــر أنه أخطا عندما ندب جماعة من المقاتلين للدفاع عنهــا ، والــذين يصــفهم ابــن القلانســي بقوله : (لا غناء لهم ، ولا كفاية فيهم) . (2) فساءت أحوال صور ، فانتهز الصليبيون هــذه الأحوال ونزلوا بظاهرها في ربيع الأول عام 518 هـــ / 1124 م واحكموا الحصار حولهــا حتى قلّت بها الميرة والأقوات ، فأرسل طغتكين إلى مصر يطلب إرسال الأسطول الفــاطمي لمعاونته في فك الحصار الصليبي على مدينة صور ، في حين خرج هو بقواته إلــى مدينــة بانياس في محاولة منه لجر الصليبيين إلى هذه المنطقة وترك حصار صــور غيــر أن هــذه الخطة لم تنجح حيث بقى الصليبيون يفرضون حصارهم على صور ، فلما يئس طغتكين مــن وصول الأسطول الفاطمي ورأى أهالي صور قد أشرفوا على الهلاك داخل مدينتهم المحاصرة اتفق مع الصليبيين على تسليم المدينة لهم على شرط أن يسمحوا لأهلها بــالخروج منهــا وأن يحملوا معهم ما يستطيعون حمله ، فوافق الصليبيون على هذه الشروط ، فدخلوا مدينة صور في 23 جمادى الأول عام 518 هـــ / 1124 م ، بينما خرج منها كافة سكانها وعساكرها ، ولم يبقَ فيها إلا من عجز عن الخروج منها ، فذهب قسمٌ منهم إلى مدينة دمشق ، فــي حــين تفرق القسم الأخر في أنحاء بلاد الشام . (3)

ترك سقوط مدينة صور بأيدي الصليبيين عام 518 هــــ / 1124 م آثــاراً خطيــرة على المسرح السياسي في بلاد الشام ، إذ أدى ذلك إلى دعم مركــز الصــليبيين ، وإمــدادهم بقاعدة بحرية من الطراز الأول حيث الموقع الجغرافي ذو الأهمية الكبيرة وفي حالتي الدفاع

---

(1) **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 207 .

(2) ذيل تاريخ دمشق ، ص 211 .

(3) **الشارتري** : تأريخ الحملة إلى القدس ، ص 215 ؛ **ابن القلانسي** : ذيل تأريخ دمشق ، ص ؛ **ابن ظافر** : أخبار الدول ، ص 87 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 621 – 622 .

للمزيد من التفاصيل عن احتلال هذه المدينة انظر : **وحيد** : مصر والغزو الصليبي ، ص 88 – 94 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والهجوم في آنٍ واحد . (1) في حين يذكر ابن الأثير إن احتلال مدينة صور كان (... وهنا عظيماً على المسلمين ، فإنه من أحصن البلاد وأمنعها ...) . (2) لذلك أهتم الصليبيون بتقوية تحصيناتها وأسوارها لتكون (... قد أعدها الإفرنج مفزعاً لحادثة زمانهم ، وجعلوها مثابة لأمانهم ...) . (3)

كما كان لسقوط مدينة صور أثرٌ سيئٌ في نفس الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله ، بل أنه ألقى بمسؤولية سقوط مدينة صور على وزيره المأمون نتيجة لسياساته الخاطئة . (4)

وبعد سقوط مدينة صور بأيدي الصليبيين توقفت العلاقات بين الفاطميين والأمراء السلاجقة فترة من الزمن ، حيث أصبحت نقاط التماس بينهما في بلاد الشام إما بيد الصليبيين أو بيد الأمراء المسلمين الذين أعلنوا ولاءَهم للصليبيين ، وآخر إشارة لهذه العلاقة في هذه المرحلة كما يشير المقريزي إلى إن الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله قد أرسل خلعاً سنية وتحفاً مصرية ، فضلا عن ثلاثين ألف دينار للأمير آق سنقر البرسقي صاحب الموصل غير أن هذه الخلع والأموال لم تصل إلى مدينة الموصل ، حيث بلغ رسول الخليفة الفاطمي وهو في طريقه إلى الموصل نبأ اغتيال الأمير آق سنقر ، فرجع بما يحمله معه من هدايا وأموال إلى مصر . (5)

لقد كانت للعلاقات الايجابية التي ربطت بين كل من الوزير الفاطمي الأفضل بن بدر الجمالي وأتابك دمشق السلجوقي ظهير الدين طغتكين دورها الفعال في مواجهة أطماع الصليبيين في مدينة صور، والتي مكنت هذه المدينة الصغيرة من الصمود لأكثر من عقد ونصف من الزمان ، ويرجع الفضل في ذلك بالدرجة الأساس إلى بسالة أهلها في الدفاع عن مدينتهم ، فضلا عن التعاون المشترك بين كل من السلاجقة والفاطميين لأطماع الصليبيين في هذه المدينة ، لذلك ما أن اضطربت هذه العلاقة نتيجة السياسات الخاطئة التي انتهجها الوزير الفاطمي الجديد المأمون البطائحي حتى سقطت مدينة صور بأيدي الصليبيين عام 518 هـ / 1124 م .

---

(1) **وحيد** : مصر والغزو الصليبي ، ص 93 .

(2) الكامل ، 10 / 622 .

(3) **ابن جبير** : رحلة ابن جبير ، ص 277 .

(4) **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 217 .

(5) اتعاظ الحنفا ، 2 / 218 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع

العلاقات السلجوقية – الفاطمية بعد قيام الإمارات المستقلة في بلاد الشام حتى نهاية الخلافة الفاطمية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولاً

العلاقات السياسية بين الدولة النورية والفاطمية حتى تولي أسد الدين شيركوه الوزارة الفاطمية

1 - الأوضاع السياسية للخلافة الفاطمية

كانت الخلافة الفاطمية في مصر قد بدأت بالتداعي منذ أواخر الربع الأول من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، وخاصة بعد أن تمكن الوزراء من انتزاع كل ما للخليفة الفاطمي من سلطان ، بل إن بعض هؤلاء الوزراء تدخلوا في مسألة تنصيب الخليفة الفاطمي الجديد ، وهذا بالضبط ما حدث عندما تمكن الوزير الأفضل بن بدر الجمالي ، الذي استطاع بنفوذه وسلطانه أن يضم إلى جانبه رجال الدولة ، وأن ينجح في تولية المستعلي بالله مقاليد الخلافة الفاطمية ، وقد ساعد الأفضل على تحقيق ذلك ضعف ثقة الناس بالخلافة الفاطمية نتيجة لتمردات الجند ، والأزمات الاقتصادية والسياسية المتكررة التي تعرضت لها البلاد . **(1)**

ويصف المقريزي حال الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله مع استبداد وزيره الأفضل بقوله : (.. وليس للآمر معه حل ولا ربط وليس له من الأمر سوى اسم الخلافة ..) . **(2)**

ولم يكتفِ الوزراء الفاطميون باستحواذهم على السلطة بل سعى بعضهم إلى خلع الخليفة الفاطمي وتنصيب أحد إخوته بدلاً عنه ليسهل له السيطرة عليه والتحكم به ، لكونه صاحب الفضل في وصوله إلى عرش الخلافة الفاطمية ، فيذكر أن سبب اعتقال الوزير الفاطمي المأمون البطائحي من قبل الخليفة الآمر بأحكام الله عام 519 هـ / 1125 م إن المأمون قد بعث إلى أخي الخليفة الآمر بأحكام الله يحرضه على قتل أخيه ، وتنصيبه بدلاً منه ؛ كما أنه سير أحد أتباعه إلى اليمن من أجل إن يضرب السكة الجديدة هناك ، وأن

---

(1) المناوي : الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ، ص 137 .

(2) اتعاظ الحنفا ، 2 / 166 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يكتب عليها (الإمام المختار محمد بن نزار) . غير إن الخليفة الفاطمي علم بخيوط هذه المؤامرة وذلك عن طريق أحد أتباعه فقبض على وزيره البطائحي وصلبه مع إخوته عام 522 هـ / 1128 . (1)

كما شهدت الخلافة الفاطمية عام 524 هـ / 1130 م أخطر حركة انقلابية قام بها الوزير الفاطمي أبو علي أحمد بن الأفضل بن بدر الجمالي (2) التي استهدفت القضاء على الخلافة الفاطمية ؛ فعندما قتل الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله وأصبح الحافظ لدين الله كفيلاً لطفل الخليفة الآمر الذي لم يولد بعد ، قام أبو علي أحمد بن الأفضل بعد أن استولى على الوزارة الفاطمية بمساعدة الجيش الفاطمي الذي كان يدين بالولاء لوالده الأفضل ، بالقبض فور تسلمه الوزارة على كفيل الخلافة الفاطمية الحافظ لدين الله وسجنه ، كما أنه أخذ يفتش عن طفل الآمر بأحكام الله المزعوم من أجل قتله جزاءً بما فعله والده بأخوته وأسرته غير أنه لم يتمكن من الوصول إليه ، فعمد إلى إلغاء الشعائر الفاطمية من الخطبة والأذان حيث أسقط آسم إسماعيل ، واسم الخليفة الفاطمي ، ودعا فقط للقائم المنتظر ، كما ضرب سكة جديدة ونقش آسمه عليها ، كما كتب عليها عبارة (الله الصمد ، الإمام محمد) كما اختار لنفسه دعاءً خاصاً يدعو به من على المنابر المصرية . (3)

استمر أبو علي في منصب الوزارة لأكثر من عام حتى تمكن غلمان الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله من قتله عام 526 هـ / 1132 م ، كما تمكنوا من إعادة الخليفة الحافظ إلى منصبه بعد أن أخرجوه من سجنه الذي وضعه فيه أبو علي بن الأفضل . (4)

---

(1) **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 629 – 630 ؛ **ابن ظافر** : أخبار الدول ، ص 92 ؛ **الكتبي** : عيون التواريخ ، 12 / 172 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 213 .

(2) **أبو علي أحمد بن الأفضل بن بدر الجمالي** : وهو أحمد بن الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالي ، وكان الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله أعتقل جميع أولاد الأفضل بعد أن تخلص منه عام 515 هـ ، وكان من ضمن هؤلاء أبو علي أحمد ؛ فلما قُتل الآمر بأحكام الله عام 524 هـ أخرجه الجند من الأعتقال ، وبايعوه ، فسار بهم إلى قصر الخلافة الفاطمية ، وقبض على الخليفة الحافظ ، واستقل بالأمر ورد على المصادرين أموالهم ، وأظهر مذهب الإمامية وتمسك بالأئمة الاثني عشر ، واستمر أبو علي في منصب الوزارة إلى أن وثب عليه رجل من الخاصة بالبستان الكبير بظاهر القاهرة في النصف من المحرم عام 526 هـ ، فقتله ، وكان ذلك بتدبير الحافظ . انظر : **ابن خلكان** : وفيات الأعيان ، 2 / 112 .

(3) **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 229 – 234 .

(4) **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 665 ؛ **ابن ظافر**: أخبار الدول ، ص 95 ؛ **ابن الوردي** : تأريخ ، 2 / 59 ؛ **الدواداري** : الدرر المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية ، ص 506 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونتيجة لما تعرضت له الخلافة الفاطمية على أيدي وزرائها قرر الخليفة الحافظ لدين الله أن يعهد بولاية العهد والوزارة معاً لولدهِ سليمان لكي يتخلص من مؤامرات ودسائس الوزراء ومضايقتهم له وتدخلهم السافر في أمور الحكم ، غير أن الحافظ لم يكن موفقاً في ذلك حيث أشعل نار العداء بين أبنائه الذين دخلوا في حروب طاحنة مع بعضهم البعض من أجل الوصول إلى هذا المنصب الرفيع ، الذي أصبح من نصيب الحسن بن الحافظ بعد انتصاره على أخيه حيدرة عام 528 هـ / 1134 م ، غير أن الحسن هو الآخر لم يحسن التصرف حيث بدأ يسعى لخلع أبيه الحافظ ، كما أقدم على قتل الكثير من أمراء دولته وصادر أموالهم وكان عمله هذا سبباً في إثارة مشاعر الجند ، فقاموا بثورة كبيرة للإطاحة بالخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله وولي عهدهِ ووزيره الحسن ، وأحاطوا الخلافة الفاطمية ممّا اضطر الحافظ إلى دس السم لولده الحسن ، من أجل أن يتخلص منه أولاً ، وليطفئ نار الثورة التي أشعلها ثانياً ، وذلك عام 529 هـ / 1135 م . **(1)**

وبهذه الصورة فقد ظلت الخلافة الفاطمية تعيش أيامها الأخيرة في جو مشبع بالمؤامرات والدسائس بحيث لا يتورع الوزير على خلع خليفته وسجنه ، ولا يتورع الابن عن التخطيط لخلع أبيه أو أخيه ، ولا يتورع الأب على قتل ابنه حفاظاً على خلافته ، وقد أجاد ابن الأثير في وصف حال الخلفاء الفاطميين مع وزرائهم ، بقوله : (وكان الوزراء بمصر لهم الحكم في البلاد ، والخلفاء معهم اسم لا معنى تحته) . **(2)**

2 - قيام الدولة الزنكية

بعد اغتيال أمير الموصل آق سنقر البرسقي في الثامن من ذي القعدة عام 520 هـ / 1126 م ، تولى اْبنه عز الدين مسعود إمارة الموصل ، الذي أسرع في دخول المدينة ليتولى إمارتها بعد إن بلغه نبأ اغتيال والده في مدينة حلب . **(3)**

---

(1) ابن القلانسي : ذيل تأريخ دمشق ، ص 242 ؛ **ابن ظافر** : أخبار الدول ، ص 96 – 97 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 236 – 240 ؛ **ابن تغري بردى** : النجوم الزاهرة ، 5 / 241 – 243 .

(2) الكامل ، 11 / 188 .

للمزيد من التفاصيل حول ازدياد سلطة الوزراء في العصر الفاطمي الثاني ، انظر : سرور : الدولة الفاطمية في مصر ، ص 113 – 126 ؛ شلبي : موسوعة التأريخ الإسلامي ، 5 / 157 – 162 .

(3) ابن القلانسي : ذيل تأريخ دمشق ، ص 216 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 10 / 633 – 634 : تأريخ الباهر في الدولة الأتابكية ، ص31 – 32 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية 1 / 154 ؛ **ابن خلكان** ، وفيات الأعيان ، 1 / 129 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غير أن عز الدين مسعود لم يستمر في حكم مدينـــة الموصـــل ســـوى عـــامٍ واحـدٍ فقط ، إذ توفي عام 521 هــ / 1127م ، فتولى حكم المدينة من بعده أخوه الصغير ، وأصبح مملوك آق سنقر البرسقي ، ويدعى (جاولي) وصياً على ابن سيده . ومن أجل أن يحصـــل جاولي على الشرعية أرسل إلى السلطان السلجوقي محمود (511 - 525 هـــ / 1117 - 1131 م) يطلب منه إقرار اًبن البرسقي على مدينة الموصل نظراً للجهود التي كان بذلها كل من أبيه وأخيه في خدمة السلاجقة من قبل ، كما أرسل وفداً من أعيان الموصل إلى بغداد من أجل هذا الغرض ؛ غير أن أعضاء الوفد لم يرضوا إن يتحكم جاولي بشؤون ولاية الموصل باسم ابن البرسقي الصغير بصفته الوصي عليه ، فضلا عن تصرفاته وطباعه التي لم يكونـــوا يرضون عنها ، لذلك ما أن وصل هذا الوفد إلى بغداد حتى بدأت المفاوضـــات مـــع بعـض رجالات السياسة هناك ، والتي انتهت بترشيح عماد الدين زنكي لولاية الموصل وتوجهوا بعد ذلك إلى منزل الوزير شرف الدين أنوشروان بن خالد (وزير السلطان الســـلجوقي محمـــود) وأعلموه حقيقة الأوضاع في الجزيرة الفراتية والشام ، وطمع الصليبيين فيهما يتطلب أن يستلم حكم المدينة والٍ قوي ، وشجاع ، وذو رأى من طراز الأمير آق سنقر البرسقي الـــذي كـــان يقف في وجه مطامع الصليبيين ، وختموا كلامهم قائلين إن هذا الرأي فقط لكي تعرف طبيعة الظروف الراهنة في هذه المنطقة ، وكي لا تتخذ إي أجراء قد يعـــود ضـــرره علـــى جميـــع المسلمين ، فنبوء بغضب الله (**عز وجل**) ولوم السلطان . **(1)**

سار الأمر كما خططَ له أعضاء الوفد إذ مال السلطان محمود إلى تولية عماد الـــدين زنكي إمارة الموصل لما علم من شهامته وتمكنه من أنجاز جميع المهام التي أوكلت إليه مـــن قبل ، فاصدر السلطان منشوراً بتولية عماد الدين زنكي إمارة الموصـــل والجزيـــرة الفراتيـــة وجميع ما يتمكن من فتحها من مدن بلاد الشام ، كما سلمه ولديه الأمير ألب أرسلان والأميـــر فَروخ شاه المعروف الخفاجي ليكون أتابكاً لهما (وفقاً للتقاليد السلجوقية السائدة آنذاك) . **(2)** ومنذ ذلك الحين سمي عماد الدين زنكي (أتابكاً) ، وأصبح كل من ولدي الســـلطان محمـــود تحت أشرافِه المباشر . **(3)**

---

(1) ابن الأثير: الباهر ، ص 34 - 35 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 155/1 .

(2) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 1 / 347 ؛ **الأصفهاني** : تأريخ دولة آل سلجوق ، ص 318 .

للمزيد من التفاصيل عن طبيعة العلاقات التي ربطت عماد الدين زنكي بكل مـــن الأميـــرين الســـلجوقيين انظر : **خليل** : عماد الدين زنكي ، ص 226 - 230 .

(3) خليل ، عماد الدين : عماد الدين زنكي ، ص 44 ؛ **الصلابي** : الدولة الزنكية ، ص 43 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبدخول عماد الدين زنكي مدينة الموصل عام 521 هـ / 1127 م أميرا عليها فقد أعلن رسمياً عن قيام دولة جديدة عرفت فيما بعد باسم الدولة الزنكية ، والتي سجلت في التأريخ الإسلامي صفحات مشرقة ، وخاصة فيما يتعلق بمصلحة الأمة الإسلامية العليا ومحاربة الصليبيين الذين أسسوا لهم العديد من الإمارات الصليبية على الأراضي الإسلامية في بلاد الشام حيث تمكنت هذه الدولة من استعادة الكثير من هذه الأراضي من قبضة الصليبيين ، والقضاء على أولى الإمارات الصليبية التي أسسها الصليبيون في بلاد الشام ألا وهي إمارة الرها الصليبية ، التي كانت تعد من أهم المراكز الصليبية بوصفها قاعدة إماراتهم الأربع في المشرق الإسلامي . **(1)** فقد تمكن عماد الدين زنكي من إسقاط هذه الإمارة بعد أن دخل مدينة الرها يوم السبت 26 جمادى الأخر عام 539 هـ / 1144 م . **(2)**

وقد قدم عماد الدين بقضائه على أكبر الإمارات الصليبية في بلاد الشام وأخطرها بعد مملكة بيت المقدس أكبر خدمة لمصلحة قضية الوحدة الإسلامية لا تضاهي إلا ما فعله ابنه الأمير نور الدين محمود (الملك العادل) ((541 – 569 هـ / 1146 – 1173 م)) في ضم مصر إلى الجبهة الإسلامية التي كانت تحارب الصليبيين ، فقد قضى عماد الدين على ذلك الوتد الذي كان يمتد شرقي الفرات حائلاً دون الاتصال المباشر بين الموصل وحلب وكما قطع أمل المتذبذبين من أرمن هذه النواحي في كيدهم لجيرانهم من المسلمين والتآمر عليهم . **(3)**

3 - ظهور نور الدين محمود ، وتوحيد الجبهة الإسلامية

استمر الأمير عماد الدين زنكي في محاربة الصليبيين ، وتحرير الأراضي الإسلامية من بين قبضتهم إلى أن اغتيل ليلة السادس من ربيع الأخر عام 541 هـ / 1146 م أثناء حصاره لقلعة جعبر ، حيث أنقض عليه وهو نائم عدة غلمان من مماليكه المقربين الذين كانوا يقومون على حراسته أثناء نومه . **(4)**

---

(1) خليل : عماد الدين زنكي ، ص 149 .

(2) ابن القلانسي : ذيل تأريخ دمشق ، ص 279 – 280 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 11 / 98 – 99 : الباهر ، ص 66 – 70 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 1 / 170 ؛ **الكتبي** : عيون التواريخ ، 12 / 385 .

(3) مؤنس : نور الدين محمود (سيرة مجاهد صادق) ، ص 176.

للمزيد من التفاصيل انظر : خليل : عماد الدين زنكي ؛ الصلابي : الدولة الزنكية .

(4) ابن القلانسي : ذيل تأريخ دمشق ، ص 284 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 11 / 110 : الباهر ، ص 74 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 1 / 181 – 182 ؛ **ابن واصل** : مفرج الكروب ، 1 / 99 – 100 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد أن اغتيل عماد الدين زنكي انقسمت دولته إلى قسمين ، شرقي ويحكمها آبنه الأكبر سيف الدين غازي ((541 – 544 هـ / 1146 م)) وعاصمتها مدينة الموصل ، وقسم غربي ويحكمها ولده الآخر نور الدين محمود (الملك العادل) وعاصمتها مدينة حلب . **(1)**

وكان الأمير نور الدين محمود قد لزم خدمة والده عماد الدين ، وشاركه في أغلب معاركه التي خاضها مما أكسبه صفات والده القيادية والعسكرية والتي كانت لها الدور البارز في إعادة الوحدة الإسلامية في بلاد الشام ، وإعادة مصر إلى حظيرة الخلافة العباسية . إذ يذكر العماد الأصفهاني عن دور الأمير نور الدين محمود في إعادة الوحدة الإسلامية بقوله : (هو الذي أعاد رونق الإسلام إلى بلاد الشام ، فاستفتح معاقلها وأستخلص عقايلها ، وكانت للفرنج في أيام غيره على بلاد الشام قطايع فقطعها وعلى رسومها ومنعها ونصره الله **[عز وجل]** عليهم مراراً حتى أسر ملوكهم وبدد سلوكهم وصان الثغور منهم وحماها عنهم واحيا ...... وهو الذي أعان على فتح مصر وأعمالها وأنشأ دولتها ورجالها) . **(2)**

وكان الأمير نور الدين محمود مع والده عماد الدين عندما اغتيل أمام أسوار قلعة جعبر فلما انسحب الجيش الزنكي من قلعة جعبر ، دخل نور الدين محمود مدينة حلب في يوم الاثنين 7 ربيع الأخر عام 541 هـ / 1146 م فعمل على ضبط أمورها الإدارية ، حيث رتب نوابه في المدينة وكذلك في قلعتها ، وقد ساعده رجال والده المخلصين في إحكام قبضته على مدينة حلب ، فاستقامت له الأمور فيها . **(3)**

وعلى الرغم من أن الأمير نور الدين محمود تمكن من تأسيس إمارة خاصة به في مدينة حلب إلا أنه ورث وضعاً معقداً أكثر من الوضع الذي ورثه أخوه سيف الدين غازي في الموصل والجزيرة الفراتية ، وذلك بحكم الموقع الجغرافي الذي تشغلُهُ قاعدة حكمه مدينة حلب ، فوجب عليه تحمل مسؤولية الجهاد ضد الصليبيين بعد أن أستفحل أمرهم في بلاد الشام

---

(1) ابن الأثير : الكامل ، 11 / 112– 113 : الباهر ، ص 84 – 86 ؛ **ابن العديم** : زبدة الحلب ، 2 / 281 ؛ **المعاضيدي** : الحياة السياسية ، ص 186 – 187 .

(2) البنداري : سنا البرق الشامي (وهو اختصار لكتاب البرق الشامي للعماد الكاتب الأصفهاني) ، ص16.

(3) ابن القلانسي : ذيل تأريخ دمشق ، ص 285 – 286 ؛ **ابن واصل** : مفرج الكروب ، 1 / 107 – 108 ؛ **ابن تغري بردى** : النجوم الزاهرة ، 5 / 278 – 279 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسيطروا على أجزاء واسعة من أراضيه ، حيث نجح الصليبيون في استعادة مدينة الرها إلى نفوذهم . (1) غير أن الأمير نور الدين محمود لم يسكت على ضياع مدينة الرها فبـادر فـور استقرار الأمور له في مدينة حلب بالمسير بقواته إلى الرها ، وتمكن من دخولها فـي ربيـع الثاني عام 541 هـ / 1146 م بعد أن هرب منها الصليبيون . (2)

أما المشكلة الثانية التي واجهت نور الدين محمود هي ضرورة ضم مدينـة دمشـق إلى حلب بعدما انتهج حكامها سياسة التواطؤ والتحالف مع الصـليبيين ضـد بـاقي القـوى الإسلامية في المنطقة ، فضلا عن نظرته في أن بقاء مدينة دمشق خارج سـيطرته سيشـكل العائق الأول أمام قيام الوحدة في بلاد الشام ، قبل أن يتفرغ بعدها إلى ضم كـل مـن بـلاد الجزيرة ومصر إلى نفوذه ، ويعيد بذلك توحيد العالم الإسلامي من جديد تحت قبـة الخلافـة العباسية . (3)

عمل الأمير نور الدين محمود على إكمال مشروع أبيه في ضم مدينة دمشـق إلـى جبهتهم غير أنه كان يفضل إخضاعها بالطرق الدبلوماسية ، ففي عـام 543 هـ / 1148 م مثلا حاول الأمير نور الدين محمود أن يقترب من حاكمها الأميـر مجيـر الـدين أبـق بـن جمال الدين محمد بن تاج الملوك بوري بن ظهير الدين طغتكين ، وأتابكه معين الدين أنـر وسكانها عن طريق مشاركتهم في الدفاع عن المدينة ضد الحصار الذي فرضـه الصـليبيون عليها ، كما أنه حاول توثيق علاقته بمعين الدين أنر الأتابك عن طريـق المصـاهرة عنـدما تزوج من آبنته . (4)

وعلى الرغم من كل تلك المحاولات السابقة إلا أن الأمير نور الدين لم يـنجح فـي ضم مدينة دمشق حتى عام 549 هـ / 1154 م . إذ سار بقواته في هذا العام صوب مدينـة دمشق وكان الأمير نور الدين قد وضع في حسبانه أنه لا يستطيع السيطرة عليها بالقوة فقط

---

(1) **التكريتي** : الأيوبيون في الشمال الشام والجزيرة (564 – 648 هـ) ، ص 53 .

(2) **ابن القلانسي** : ذيل تأريخ دمشق ، ص 288 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 11 / 114 ؛ **ابن العديم** : زبـدة الحلب ، 2 / 290 ؛ **ابن واصل** : مفرج الكروب ، 1 / 110 – 111؛ المعاضيدي : الحياة السياسية في بلاد الشام ، ص 187 – 188 .

(3) **باركر** : تأريخ الحروب الصليبية ، ص 156 ؛ **التكريتي** : الأيوبيون ، ص 53 .

(4) **ابن القلانسي** : ذيل تأريخ دمشق ، ص ص 288 ، 300 – 301 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 11 / 130 – 131 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 1 / 199 ؛ **ابن قاضي شهبة** : الكواكب الدرية ، ص 127 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لأن صاحبها مجير الدين أبق قد يراسل الصليبيين للدفاع عنها ، بل أنه قد يعمد إلى تسليمها لهم وإن يحكمها نيابةً عنهم ؛ لذلك عمد نور الدين إلى استخدام الحيلة لزرع بذور الشك في قلب مجير الدين أبق من نوايا قادته العسكريين أولاً ، وثنيه عن مراسلة الصليبيين ثانياً ، حيث عمد نور الدين إلى مراسلته ووصله بالهدايا ، واظهر له المودة حتى توثق منه ، كما أخذ نور الدين يحذره من غدر قادته العسكريين ويخوفه منهم . وفعلاً نجح نور الدين في أسلوبه هذا حيث عمل مجير الدين على التخلص من الأمراء ومقدمي الجيوش الواحد تلو الواحد . (1)

ونتيجة لذلك ضعف شأن مجير الدين أبق في مدينة دمشق فسهل هذا الضعف مهمة الأمير نور الدين محمود في فرض سيطرته على المدينة وضمها إلى نفوذه ، خاصة بعد إن راسل أحداثها الذين كانوا يلعبون دوراً كبيراً في رسم سياسة المدينة ، فما أن وصلت قوات نور الدين محمود إلى أسوار مدينة دمشق حتى ثار أحداث المدينة الذين كان نور الدين قد راسلهم ومدهم بالأموال ، ففتحوا له أبواب المدينة ، فدخلها نور الدين محمود بالأمان يوم الأحد 10 صفر عام 549 هـ / 1154 م ، ولم يكن أمام حاكمها مجير الدين أبق بعد أن احتمى بقلعة المدينة بعض الوقت سوى طلب الأمان من الأمير نور الدين ، فاقطعه نور الدين مدينة حمص وأعمالها . (2)

وقد علل بعض المؤرخون السبب الذي دفع الأمير نور الدين محمود إلى استخدام القوة في عام 549 هـ / 1154 م لضم مدينة دمشق إلى نفوذه بعد سنوات طويلة من العمل الدبلوماسي ، إلا وهو سقوط مدينة عسقلان بيد الصليبيين عام 548 هـ / 1153 م ، حيث لم يتمكن الأمير نور الدين من فعل أي شيء لمنع هذه الكارثة من الوقوع ، وذلك بسبب مدينة دمشق التي وقفت عائقاً بينه وبين إنقاذ مدينة عسقلان . (3)

---

(1) **ابن الأثير** : الباهر ، ص 106 – 107 ؛ **ابن واصل** : مفرج الكروب ، 1 / 127 – 128 .

(2) **ابن القلانسي** : ذيل تأريخ دمشق ، ص 327 – 328 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 11 / 198 ؛ الباهر ، ص 107 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 1 / 288 – 289 ؛ **ابن الوردي** : تاريخ ، 2 / 87 .

(3) **ابن الأثير** : الكامل ، 11 / 197 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 1 / 284 ؛ **ابن كثير** : البداية والنهاية ، 12 / 231 – 232 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

4 - العلاقات النورية - الفاطمية

كانت الدولة الفاطمية قد تحولت إلى دولة يسودها الفوضى والاضطراب منذ أواخر القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، بل وأشتد ضعفها واضطربت أمورها منذ أوائل القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي . (1) وأصبحت كما يقول ابن خلدون : (وكانت دولة العلويين [أي الفاطميين] بمصر قد اخلقت جدتها وذهب استفحالها واستبد وزراؤها على خلفائها ، فلم يكن الخلفاء يملكون معهم) . (2)

ونتيجة لهذا الضعف والانحلال الذي أصاب الخلافة الفاطمية في مصر ، وتكثيف الصليبيين لهجماتهم على مدينة عسقلان (أخر معاقل الفاطميين في بلاد الشام) لجأ الوزير الفاطمي ابن السلار (3) إلى محاولة الاتصال بالأمير نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي الذي بدأ نجمه يسطع في سماء بلاد الشام ، وفي مقارعته الصليبيين ، وتحرير الأراضي الإسلامية من قبضتهم ، من أجل شن عمليات عسكرية مشتركة ضد الصليبيين على أساس أن يتقدم الأمير نور الدين محمود بقواته من جهة الشمال ، في حين يقوم الأسطول الفاطمي (الذي لا يزال يحتفظ ببعض قوته) بمهاجمة المدن الشامية الساحلية ، التي أصبحت خاضعة للصليبيين . وقد توسط الأمير أسامة بن منقذ بين الجانبين بهذا الغرض ، غير أن الأمير نور الدين أوضح للسفارة الفاطمية برئاسة أسامة بن منقذ عندما قابلته في مدينة بصرى عام 545 هـ / 1150 م أنه لا يستطيع تقديم أية مساعدة في هذا المجال ، إذ إن مدينة دمشق تقف سداً منيعاً يحول دون تعاونه المشترك مع الفاطميين في تحقيق هذا الأمر . (4)

---

(1) **مؤنس** : نور الدين محمود ، ص 283 .

(2) تأريخ ابن خلدون ، 5 / 278 .

(3) **ابن السلار** : هو أبو الحسن على بن السلار ، والملقب بـ (الملك العادل سيف الدين) ، نشأ بالقصر الفاطمي بالقاهرة ، قبل إن تتنقل به الأحوال ويتولى عدة ولايات في الصعيد ؛ فلما أستوزر الخليفة الظافر بأمر الله نجم الدين أبا الفتح سليم بن محمد بن مصال ، عظم ذلك على ابن السلار فزحف بقواته على مدينة القاهرة ، فهرب منها ابن مصال ، فدخلها ابن السلار وتولى الوزارة فيها عام 544 هـ ، ولقب بالعادل أمير الجيوش . انظر : **ابن خلكان** : وفيات الأعيان ، 2 / 198 ؛ **الذهبي** : سير أعلام النبلاء ، 20 / 281 – 283.

(4) **ابن منقذ** : كتاب الأعتبار ، ص 10 ؛ **ابن شداد** : الأعلاق الخطيرة ، ص 260– 261 ؛ **سلطان** : الدور السياسي للعلماء المسلمين إبان الحروب الصليبية (490 – 690 هـ / 1096 – 1291 م) أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة الموصل ، 1999 م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد ذلك توقفت العلاقات بين الأمير نور الدين محمود والفاطميين ، وذلك بسبب انشغال الأول في محاربة الصليبيين ، وتحرير المزيد من الأراضي الإسلامية ، ومحاولة توسيع دائرة نفوذه في بلاد الشام . (1) أما الفاطميون فقد اضطربت أحوالهم السياسية إذ اغتيل الوزير لفاطمي ابن السلار وبعلم من الخليفة الظافر بأمر الله (544 – 549 هـ / 1149 – 1154 م) ، وبتدبير من أحد أقاربه ويدعى نصر بن عباس ، وكان ابن السلار قد جهز عباس آبن زوجته للمسير بالعساكر إلى عسقلان للدفاع عنها ضد هجمات الصليبيين المتكررة عليها ، فلما علم عباس باغتيال ابن السلار على يد ولده نصر عاد بالجيش الذي معه ودخل مدينة القاهرة في يوم الجمعة 7 محرم عام 548 هـ / 1153 م فخلع عليه الخليفة الظافر منصب الوزارة ولقبه بـ (الأفضل ركن الإسلام) . (2)

استغل الصليبيون فرصة الاضطرابات الداخلية للخلافة الفاطمية للاستيلاء على أخر قواعدهم في بلاد الشام ألا وهي مدينة عسقلان ، وكان الصليبيون في هذه الأثناء يحاصرون هذه المدينة فلما بلغهم خبر مقتل الوزير الفاطمي ابن السلار أخبروا الحامية الفاطمية الموجودة داخل المدينة بذلك ، فلما تيقنت الحامية صحة هذا الخبر قطعوا الرجاء من وصول المدد من مصر ، فضلا عن ازدياد هجمات الصليبيين عنفاً وشراسة ، ممّا أجبر الحامية الفاطمية إلى الاستسلام وطلب الأمان من الصليبيين الذين دخلوا عسقلان في جمادى الآخرة عام 548 هـ / 1153 م ، وسمحوا لسكانها المسلمين بالخروج منها سالمين . (3)

وهكذا فقد زال النفوذ الفاطمي بشكل تام ونهائي من بلاد الشام وجنوبي فلسطين حيث تمكن الصليبيون من إتمام بسط سيطرتهم على ساحل بلاد الشام وفلسطين بأجمعه من مدينة إسكندرونة في شمال بلاد الشام حتى مدينة غزة في جنوبه ، الأمر الذي حرم المسلمين من قاعدة بحرية هامة طالما استغلوها في مهاجمة الممتلكات الصليبية في فلسطين . (4)

وكان هدف الصليبيين من احتلال مدينة عسقلان قطع الطريق المؤدي إلى الديار

---

(1) انظر : **عباس** : تأريخ بلاد الشام ، ص 119 – 133 ؛ **مؤنس** : نور الدين محمود ، ص 183 – 254 ؛ **الصلابي** : الدولة الزنكية ، ص 447 – 533 .

(2) **ابن منقذ** : الاعتبار ، 18 – 19 ؛ **ابن القلانسي** : ذيل تأريخ دمشق ، ص 319 – 320 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 11 / 184 – 185 ؛ **ابن تغري بردى** : النجوم الزاهرة ، 5 / 295 .

(3) **ابن القلانسي** : ذيل تأريخ دمشق ، ص 321 – 322 ؛ **ابن شداد** : الأعلاق الخطيرة ، ص 261 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 271 .

(4) **عاشور** : الحركة الصليبية ، 1 / 519 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصرية أمام الأمير نور الدين محمود ، الذي بدأ يعمل على توحيد القوى الإسلامية في بلاد الشام تحت رأيته لمواجهة الصليبيين ، فضلا عن أطماع الصليبيين أنفسهم في الاستيلاء على مصر . (1)

في الوقت الذي بدأ الضعف والانهيار يدب في جسم الدولة الفاطمية في مصر نتيجة لاغتيال الخليفة الفاطمي الظافر بأمر الله على يد وزيره عباس وولده نصر ، والصراع الذي حدث بعد ذلك على منصب الوزارة بين عباس الصنهاجي وأبي الغارات طلائع بن رزيك (2) كان الأمير نور الدين محمود يبرز كقائد عسكري محنك ، حيث بدأ جهوده في إعادة الوحدة إلى بلاد الشام وتشكيل جبهة إسلامية موحدة لمواجهة الصليبيين ، وتحرير الأراضي الإسلامية من بين أيديهم وعلى وجه الخصوص صليبيي بيت المقدس ، فتمكن من ضم العديد من مدن وحصون بلاد الشام إلى نفوذه للاستفادة من إمكانيتها لمقارعة الصليبيين ، فضلا عن أنه تمكن من ضم مدينة دمشق عام 549 هـ / 1154 م ، كما تمكن من ضم العديد من المدن والحصون عام 550 هـ / 1155 م أمثال حماة وبعلبك ، كما أنه تمكن من فتح بعض الحصون التي كانت بيد الصليبيين أمثال حصن حارم وعزاز وبانياس وفي عام 552 هـ / 1157 م تمكن من ضم حصن شيزر إلى نفوذه . (3)

وفي الوقت الذي كان الأمير نور الدين محمود يخطط لسياسته الداخلية في بلاد الشام لم ينسَ أن يخطط لسياسته الخارجية ، فعلى الرغم من إن الأمير نور الدين محمود أسس له دولة مستقلة عن السلاجقة في بلاد الشام إلا أنه اعتمد نفس سياستهم الرامية إلى ضم مصر إلى نفوذه وإعادتها إلى حظيرة الخلافة العباسية ، غير إن الأمير نور الدين محمود لم يرتكب نفس الخطأ الذي وقع فيه السلاجقة من قبل ، حيث لم يعتمد في بداية الأمر على القوة العسكرية وحدها في تنفيذ ذلك قبل أن يجد له حليفاً من داخل الخلافة الفاطمية يساعده على تنفيذ هذا الأمر ، لذلك حاول التقرب من الفاطميين في مصر وكسب ودهم حيث دخل معهم في علاقات دبلوماسية على اعتبار أنهم الطرف الإسلامي الثاني الذي يعمل على محاربة الصليبيين في بلاد الشام .

---

(1) **باركر** : الحروب الصليبية ، ص 78 .

(2) انظر : **ابن منقذ** : الأعتبار ، ص 19 – 22 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 11 / 191 – 194 ؛ **ابن ظافر** : اخبار الدول ، ص 105 – 109 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 272 – 277 .

(3) **ابن القلانسي** : ذيل تأريخ دمشق ، ص 327 – 342 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 11 / 197 – 221 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 1 / 284 – 317 ؛ **ابن واصل** : مفرج الكروب ، 1 / 127 – 128 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كذلك حاول الأمير نور الدين محمود الاستفادة من الأسطول الفاطمي ؛ إذ أن نور الدين محمود لم يكن يمتلك أي قاعدة بحرية تسمح له بشن الهجمات على مدن الشام الساحلية والتي كانت بيد الصليبيين ، فضلا عن قطع خطوط الإمدادات عن الصليبيين والتي كانت في أغلبها تأتي عن طريق البحر . لذلك كله أرسل الأمير نور الدين محمود سفارة إلى الفاطميين في مصر عام 552 هـ / 1157 م ، كما أنه أرسل سفارة ثانية عام 553 هـ / 1158 م . فردت الدولة الفاطمية على هذه السفارة بان حمّلت السفير النوري جوابها ، كما حملوه الكثير من الأموال والهدايا والأسلحة وغيرها من الأشياء الثمينة ، ومواد عينية تقدر بنحو سبعين ألف دينار من أجل دعم جهود الأمير نور الدين في محاربة الصليبيين ، فلما وصلت هذه السفارة محملة بالهدايا والخلع لبس الأمير نور الدين محمود خلع الفاطميين . **(1)**

كما أن الوزير الفاطمي طلائع بن رزيك (الملك الصالح) أرسل في عام 553 هـ / 1158 م حملة عسكرية إلى غزة وعسقلان لمحاربة الصليبيين ، فتمكنت هذه الحملة من تحقيق بعض الانتصارات على الصليبيين حيث قتل وأسر أعداد منهم ، كما أنها تمكنت من تدمير عدة مراكب حربية تابعة للصليبيين كانت تحمل أعداداً من جنودهم واستولت على ما كانت تحمله من أموال ونفائس ، فلما عادت هذه الحملة مظفرة إلى مصر بالأسرى والأموال كتب الملك الصالح إلى أسامة بن منقذ الذي أصبح في خدمة الأمير نور الدين محمود كتاباً يعلمه بانتصاراته على الصليبيين . **(2)**

وفي عام 553 هـ / 1158 م عاد رسول الأمير نور الدين من مصر يحمل جواب الوزير الفاطمي طلائع بن رزيك على المراسلات التي تمت بينهما . كما أرسل طلائع مع رسول الأمير نور الدين رسولاً ، وكان هذا الرسول أحد مقدمي الأمراء الفاطميين وقد حمل معه الأموال المرسلة إلى الخزانة النورية ، فضلا عن أنواع من الثياب المصرية والخيول العربية الأصيلة ، وقد تعرضت هذه السفارة في طريقها إلى بلاد الشام لكمين ، كان قد نصبه الصليبيون لها ، إلا أنها تمكنت من القضاء على هذا الكمين حيث لم ينجُ من أفراده إلا عدد قليل منهم . **(3)**

---

(1) ابن القلانسي : ذيل تأريخ دمشق ، ص 338 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 282 – 284

(2) أبو شامة : كتاب الروضتين ، 1 / 326 – 327 .

(3) ابن القلانسي : ذيل تأريخ دمشق ، ص 353 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 1 / 328 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما يذكر المقريزي أن الأمير نور الدين محمود أرسل رسولاً في عام 554 هـ / 1159 م إلى طلائع بن رزيك يخبره بأنه متوجه لقتال الصليبيين ، ويشير عليه بإخراج العساكر من جهته لمحاربتهم أيضا ، فأدرك طلائع (الملك الصالح) على الفور صحة وصواب رأي الأمير نور الدين ، فشرع في تجهيز العساكر للإغارة على مدينة غزة ، كما أمر الأسطول الفاطمي بالتحرك فوراً لمساندة القوات البرية ، وقد تمكنت القوات الفاطمية من تحقيق أهدافها العسكرية من وراء هذه الغارة وعادت إلى مصر . **(1)**

أثارت سياسة طلائع بن رزيك (الملك الصالح) الخارجية والداخلية سخط الأمراء الفاطميين ، ومقدمي الجيوش ، وأعيان البلاد ، فضلا عن إثارة نساء قصر الخلافة من زواج العاضد لدين الله (555 - 567 هـ / 1160 - 1171 م) من ابنة طلائع بن رزيك ، فعمدت عمة العاضد إلى تدبير مؤامرة لقتله وذلك عن طريق تحريض بعض الأمراء الناقمين على سياسة طلائع بن رزيك وإغرائهم بالأموال ، وفعلا نجحت في ذلك حيث تم اغتيال الوزير الفاطمي في أثناء دخوله قصر الخلافة للسلام على الخليفة العاضد لدين الله في شهر رمضان عام 556 هـ / 1161 م . **(2)**

وبعد اغتيال طلائع بن رزيك تولى ابنه رزيك الوزارة حيث تلقب بـ (السيد الأجل مجد الإسلام الملك العادل الناصر أمير الجيوش) وذلك بعهد من أبيه طلائع بن رزيك قبيل وفاته ، وما أن استلم العادل رزيك حتى أخذ يقتل كل من ارتاب في إنه أشترك في تدبير اغتيال والده طلائع . وكان من ضمن من قتلهم رزيك بن طلائع عمة الخليفة العاضد لدين الله . **(3)**

إلا إن العادل رزيك لم يستمر طويلاً في منصب الوزارة إذ خرج عليه والي أبيه على الصعيد شاور بن مجير بن سوار بن عشائر بن شاس السعدي ، وكان طلائع قد أوصى اُبنه رزيك قبل وفاته بعدم تغير شاور بن مجير السعدي على ولاية الصعيد إلا أن العادل رزيك لم ينفذ وصية والده فقام عام 557 هـ / 1162 م بإقصاء شاور السعدي عن ولاية

---

(1) اتعاظ الحنفا ، 2 / 285 .

(2) **ابن الأثير** : الكامل ، 11 /274 - 275 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 289 - 290 ؛ **ابن تغري بردى** : النجوم الزاهرة 5 / 313 - 315 .

(3) **ابن ظافر** : اخبار الدول ، ص 112 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 294 ؛ **ابن تغري بردى** : النجوم الزاهرة ، 5 / 315 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصعيد ، إلا إن شاوراً لم يمتثل للأمر وجهر بالعصيان ، وجَهّزَ جيشاً للزحف على مدينة القاهرة لإزالة العادل رزيك عن منصب الوزارة . (1)

ويذكر ابن تغري بردى سبباً آخرَ لخروج شاور السعدي على الوزير الفاطمي العادل رزيك بقوله : (... إن رزيك لما وزر مكان والده طلائع سار على سيرة أبيه ، فلم يحسن ذلك ببال العاضد ، فأحب ذهابه أيضا ليستبد بالأمور من غير وزيره فدس إلى شاور ، فتحرك شاور ابن مجير السعدي من بلاد الصعيد ...) . (2)

سواء كان هذا الأمر بتدبير من الخليفة العاضد لدين الله أو بتدبير من والي الصعيد شاور السعدي ، فقد تمكنت القوات التي أعدها شاور من دخول القاهرة ، والقبض على الوزير الفاطمي رزيك بن طلائع بن رزيك وقتله ، فتولى الوزارة الفاطمية شاور السعدي في محرم عام 558 هـ / 1163 م ، وتلقب بأمير الجيوش ، وكما أنه استولى على جميع أموال بني رزيك . (3)

وعلى الرغم من الاضطرابات التي عصفت بالخلافة الفاطمية في هذا الوقت فقد حرص الفاطميون على إبقاء علاقتهم بالأمير نور الدين محمود جيدة وإن اقتصرت فقط على إرسال الأموال والخلع إليه ، ففي عام 555 هـ / 1160 م أرسل الخليفة الفاطمي بمناسبة جلوسه على عرش الخلافة الفاطمية الخلع إلى الأمير نور الدين محمود وكذلك أرسل إليه الوزير الفاطمي شاور بن مجير السعدي في عام 558 م / 1163 م خلعاً وأموالاً . (4)

ويبدو أن حرص الفاطميين على إبقاء علاقتهم جيدة بالأمير نور الدين محمود على الرغم من تردي أوضاعهم السياسية يرجع بالدرجة الأساس إلى تخوفهم من القوات الصليبية لمملكة بيت المقدس التي بدأت تتجه أطماعها إلى الديار المصرية بعد أن تمكنت من تصفية النفوذ الفاطمي نهائياً من بلاد الشام ، لذلك حرصوا على توثيق علاقتهم بالأمير نور الدين محمود .

غير أن الوزير الفاطمي الجديد شاور بن مجير السعدي لم يستمر في منصب الوزارة

---

(1) **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 295 – 296 .

(2) النجوم الزاهرة ، 5 / 346 .

(3) **ابن الأثير** : الكامل ، 11 / 290 – 291 ؛ **ابن ظافر** : أخبار الدول ، ص 113 ؛ **ابن خلدون** : تأريخ ، 5 / 279 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 297 .

(4) **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 289 ، 298 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سوى تسعة أشهر إذ ثار عليه أحد مقدمي الأمراء ويدعى أبا الأشبال ضرغام بن عـــامر بـــن سوار (1) ، وجرت بينهما عدة وقائع قتل خلالها اثنين من أبناء شاور السعدي همـــا (طـــي) و(سليمان الطاري) ، كما أسرَ ابناً ثالثاً له يدعى (الكامل) ، ممّا اضطر شاور السعدي بعد أن ساء موقفه إلى الهرب إلى بـــلاد الشـــام عـــام 558 هـــ / 1163 م لطلـــب المســـاعدة من الأمير نور الدين محمود ، في حين تولى ضرغام الوزارة الفاطمية وتلقب بـــ (الملـــك المنصور) ، غير أن هذا الوزير لم يلبث إن بغى بدوره ، وارتكـــب الكثيـــر مـــن المظـــالم وأعمال الاضطهاد حيث قتل الكثير من الأمراء ومقدمي الجيوش وأتباعهم ، وخاصـــة مـــن الذين كان يشك بأمرهم بأنهم لا يزالون على علاقة بالوزير الفاطمي المخلوع شاور بن مجير السعدي ، لتخلو له البلاد من غير منازع . (2)

كانت هذه المرحلة من أشد المراحل السياسية اضـــطراباً داخـــل الخلافـــة الفاطميـــة فقد تولى في عام واحد ، وهو عام 558 هـــ / 1163 م ثلاثة وزراء ، هم العادل رزيك بعهد من أبيه والذي قتل على يد شاور بن مجير السعدي ، الذي أطاح بوزارة العادل رزيك بعـــد أن قتله ، والذي هرب بدوره على يد ضرغام بن عامر ، وخيـــر مـــا يصـــف هـــذه الفتـــرة المقريزي بقوله : (فاختلفت الدولة بقتل رجالها وذهاب فرسانها) . (3)

وهكذا أحسَ الأميرُ نور الدين محمود والصليبيون بإمكانية التحرك للتدخل في شؤون الخلافة الفاطمية في مصر، ففي حين كان هدف نور الدين محمود من فـــرض نفـــوذه علـــى الديار المصرية خوفاً وحرصاً منه على حياة المسلمين وأموالهم وأراضيهم هناك من اطمـــاع الصليبيين فضلاً عن تحقيق الوحدة الإسلامية لكل من بلاد الشام ومصر، في حين كان هـــدف الصليبيين من فرض سيطرتهم على الديار المصرية للحصول على ثرواتها الاقتصادية فضلا قطع الطريق أمام الأمير نور الدين محمود الذي يسعى لقيام الوحدة الإسلامية بين كل من بلاد الشام ومصر .

---

(1) **أبا الأشبال ضرغام بن عامر بن سوار** : وهو أحد مقدمي الأمراء ، والملقب بـــ (فـــارس المســـلمين اللخمي المنذري) ، استطاع انتزاع الوزارة من شاور السعدي في شهر رمضان عام 558 هـــ ، غيـــر إن ضرغام لم يستمر طويلاً في الوزارة إذ استعان شاور السعدي بالأمير نور الدين محمود لإعادته إلى منصـــبه السابق ، فقتل ضرغام في يوم الجمعة 28 من شهر جمادى الآخرة ، وقيل في رجب عام 559 هـــ ، وكـــان قتله عند مشهد السيدة نفيسة (**رضي الله عنها**) . انظر : **ابن خلكان** : وفيات الأعيان ، 1 / 399 – 401.

(2) **ابن الأثير** : الكامل ، 11 / 291 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 298 – 299 .

(3) اتعاظ الحنفا ، 2 / 300 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

5 - الحملة النورية الأولى على مصر عام 559 هـ / 1164 م

لم يكن الأمير نور الدين محمود يفكر في التدخل في شؤون الخلافة الفاطمية الداخلية في مصر منذ أن تولى إمارة حلب بعد اغتيال والده الأمير عماد الدين زنكي عام 541 هـ / 1146 م وحتى عام 558 هـ / 1163 م ، ويعود السبب في ذلك إلى علاقته الجيدة بالدولة الفاطمية إذ تبادل نور الدين محمود والفاطميون في هذه المرحلة العديد من السفارات والرسل والهدايا والأموال والخلع ، فضلا عن أن الدولة الفاطمية دولة مستقلة ذات جيش كبير ، كما أنها تمتلك قدرات هائلة ومتنوعة ، يضاف إلى ذلك وجود شعب موالٍ لتلك الدولة . **(1)**

كما أن الوجود الصليبي في المنطقة زاد من صعوبة موقف الأمير نور الدين بشأن التدخل في شؤون مصر الداخلية إذ سيطر الصليبيون على عسقلان عام 548 هـ/ 1153 م التي كانت تقع على طريق مصر ، فضلا عن بناء الكثير من القلاع والحصون في هذه المنطقة ، كما كان على نور الدين أن يواجه وهو في طريقه إلى الديار المصرية ثلاث مدن خاضعة للسيطرة الصليبية هي الشوبك **(2)** والكرك **(3)** وقوة مملكة بيت المقدس . **(4)**

وعلى الرغم من ذلك فإن الأمير نور الدين رأى ضرورة التحرك باتجاه مصر لمواجهة أطماع الصليبيين المتزايدة فيها وخاصة في خمسينيات القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، إذ إن ملك بيت المقدس عموري الأول (557 - 570 هـ / 1162 - 1174 م) بدأ يفكر بصورة جدية باستثمار الأوضاع المضطربة التي سادت الخلافة الفاطمية في مصر في هذه الفترة لتحقيق حلم الصليبيين في ضم مصر . **(5)**

---

(1) عباس : تأريخ بلاد الشام ، ص 134 .

(2) الشوبك : قلعة حصينة في أطراف بلاد الشام ، تقع بين عمان وآيلة و القلزم (البحر الأحمر) . انظر : **ياقوت الحموي** : معجم البلدان ، 3 / 370 .

(3) الكرك : قلعة حصينة جداً في طرف بلاد الشام من نواحي البلقاء في جبالها بين آيلة وبحر القلزم (البحر الأحمر) وبيت المقدس . انظر : **ياقوت الحموي** : معجم البلدان ، 4 / 452 ؛ **ابن جبير** : رحلة ابن جبير ، ص 260 ؛ **الحميري** : الروض المعطار ، ص 493 .

(4) عباس : تأريخ بلاد الشام ، ص 134 .

(5) للمزيد من التفاصيل عن سياسة عموري الأول باتجاه مصر في هذه المرحلة انظر : عاشور : الحركة الصليبية ، 1 / 537 - 539 ؛ **وحيد** : مصر والغزو الصليبي ، ص 127 - 128 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لجأ نور الدين محمود للقيام بعدة حملات عسكرية قوية ضد الوجود الصليبي في بلاد الشام مستغلاً وفاة ملك بيت المقدس بلدوين الثالث عام 557 هـ / 1162 م ، وتنصيب أخيه عموري الأول الذي اتجهت أطماعه إلى الديار المصرية . **(1)** وقد بدأ نور الدين محمود أولى حملاته العسكرية بمهاجمة قلعة حارم ، فحاصرها وجد في قتالها إلا أنه لم يتمكن من فتحها لحصانتها أولاً ، ولكثرة من بها من فرسان الصليبيين ثانياً . **(2)**

أما السبب الرئيس والمباشر لتدخل الأمير نور الدين محمود في الشؤون الداخلية للخلافة الفاطمية في مصر هو وصول الوزير الفاطمي المخلوع شاور بن مجير السعدي إلى مدينة دمشق أواخر عام 558 هـ / 1163 م طالباً النجدة والمساعدة من أميرها نور الدين محمود ضد ضرغام الذي سلب منه منصبه قهراً ، ووعده مقابل ذلك بثلث دخل البلاد سنوياً بعد دفع رواتب الجند والعساكر ، وإن يكون نائباً عن الأمير نور الدين محمود بمصر إذا ساعده في التغلب على خصمه ، وإن يكون الأمير أسد الدين شيركوه مقيماً بعسكره بمصر ويتصرف مع شاور السعدي في شؤون البلاد ، وبأمر من الأمير نور الدين محمود . **(3)**

لم يوافق الأمير نور الدين على العروض التي قدمها الوزير الفاطمي المخلوع مباشرة بل بقى متردداً متريثاً من إرسال حملة عسكرية إلى مصر ، ويذكر ابن الأثير تردد نور الدين من إرسال هذه الحملة بقوله : (فبقى نور الدين يقدم إلى هذا العرض رجلاً ويؤخر أخرى ، فتارة يحمله رعاية لقصد شاور بابه ، وطلب الزيادة من الملك والتقوي على الفرنج ، وتارة يمنعه خطر الطريق ، وأن الفرنج فيه ، وتخوف أن شاور إن استقرت قاعدته ربما لا يفي) . **(4)**

غير أن تردد الأمير نور الدين محمود من إرسال حملة عسكرية إلى مصر لم يستمر طويلاً إذ أرسل أسد الدين شيركوه على رأس هذه الحملة إلى مصر في شهر جمادى الأخر عام 559 هـ / 1164 م بصحبة أبن أخيه الأمير صلاح الدين الأيوبي الذي كان يناهز

---

(1) عاشور : الحركة الصليبية ، 1 / 539 .

(2) ابن واصل : مفرج الكروب ، 1 / 134 .

(3) ابن ظافر : أخبار الدول ، ص 114 ؛ **البنداري** : مختصر سنا البرق الشامي ، ص 19 ؛ **ابن واصل** : مفرج الكروب ، 1 / 137 – 138 ؛ **ابن الوردي** : تأريخ ، 2 / 104 ؛ **إبراهيم الحنبلي** : شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، ص 26 .

(4) الكامل ، 11 / 298 – 299 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السابعة والعشرين من عمره . (1) في حين سار الأمير نور الدين محمود بقواته إلى بعض المدن الصليبية التي تلي مدينة دمشق ليمنع الصليبيين من التعرض للحملة العسكرية التي يقودها أسد الدين شيركوه والمتوجهة إلى الديار المصرية . (2)

ما أن علم الوزير الفاطمي ضرغام بالاستعدادات التي تجري في مدينة دمشق لتجهيز حملة عسكرية لمساعدة شاور السعدي وإعادته إلى منصبه حتى أحتاط للأمر واستنجد بعموري الأول ملك بيت المقدس إذ عقد معه اتفاقاً يقضي بمساعدته في صد الحملة التي أرسلها الأمير نور الدين محمود مقابل تعهده بدفع ضريبة سنوية يقررها الملك الصليبي بنفسه كما وافق على عقد معاهدة تصبح الديار المصرية بمقتضاها تابعة للصليبيين ، كما أجبرَ الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله على الموافقة والتوقيع على هذا الاتفاق . (3)

غير إن مهارة أسد الدين شيركوه وشجاعته قطعت على الوزير الفاطمي والملك الصليبي ما كانا يخططان له ، إذ تمكن من قطع المسافة التي تفصل مصر عن بلاد الشام في سرعة قياسية وقبل أن يستعد الصليبيون للتدخل العسكري في مصر ، وبالتالي قد انتهى الحلف الفاطمي – الصليبي قبل أن يبدأ ، وأصبح ضرغام لوحده في مواجهة أسد الدين شيركوه وقواته التي أصبحت داخل الأراضي المصرية ، فأرسل ضرغام قوة عسكرية غير ان أسد الدين تمكن من الانتصار عليها ؛ وفي أواخر جمادى الأخر عام 559 هـ / 1164 م جرت بين الطرفين وتحت أسوار مدينة القاهرة معركة أسفرت عن انتصار أسد الدين شيركوه وقواته بعد أن تخلى الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله والناس والجيش عن ضرغام الذي قُتِلَ أثناء محاولته الفرار من القاهرة بالقرب من مشهد السيدة نفيسة في رجب عام 559 هـ / 1164 م ، فدخل أسد الدين شيركوه مدينة القاهرة متوجاً بالنصر وأعاد شاور السعدي إلى منصبه في الوزارة ، في حين بقت قوات أسد الدين في معسكره خارج مدينة القاهرة . (4)

---

(1) **بهاء الدين ابن شداد** : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، أو المعروف بسيرة صلاح الدين ، ص 36 ؛ **ابن تغري بردى** : النجوم الزاهرة ، 5 / 347 .

(2) **ابن الأثير** : الكامل ، 11 / 299 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 1 / 357 ؛ **أبن واصل** : مفرج الكروب ، 138 ؛ **ابن قاضي شهبة** : الكواكب الدرية ، ص 164 .

(3) **عاشور** : الحركة الصليبية ، 1 / 540 ؛ **الصلابي** : الدولة الزنكية ، ص 560 .

(4) **ابن ظافر** : أخبار الدول ، ص 114 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 11 / 299 : الباهر ، ص 121 ؛ **ابن واصل** : مفرج الكروب ، 1 / 138 – 139 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فرح الخليفة الفاطمي العاضد بقدوم أسد الدين شيركوه ووزيره السابق شاور السعدي وانتصارهم على وزيره ضرغام الذي أساء السيرة معه ومع الأمراء على حدٍ سواء ، فخلع على شاور السعدي بخلع الوزارة وأجرى الضيافة للقائد النوري المحنك أسد الدين شيركوه الذي اتخذ من أرض الطبالة **(1)** التي بظاهر مدينة القاهرة معسكراً له ولقواته . **(2)**

غير أن شاور السعدي بعد أن ضمن عودته إلى منصب الوزارة عاد إلى طبيعته التي أتصف بها من المكر والخداع ؛ إذ يصفه ابن تغري بردى بأنه كان خبيثاً سفاكاً للدماء أساء معاملة الناس ، وتناسى وعوده المعسولة للأمير نور الدين محمود ، بل سرعان ما ظهرت منه أمارات الغدر بأسد الدين شيركوه . **(3)**

لم يصب أسد الدين شيركوه بالإحباط بعد أن علم أن الوزير الفاطمي شاور السعدي قد بدأ يتنصل من وعوده التي قطعها للأمير نور الدين محمود ، وأخذ يستعد لمحاربته فأرسل نوابه للسيطرة على مدينة بلبيس والأعمال الشرقية ، كما أرسل ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي لجمع كل ما يحتاجه جيشه من الغلات وأعلاف الخيول والدواب من مدينة بلبيس . **(4)**

لم يسع شاور السعدي بعد أن رأى صلابة موقف أسد الدين شيركوه وسيطرته على حكم بلبيس والأعمال الشرقية سوى طلب المساعدة من ملك بيت المقدس ، وكان ملك بيت المقدس عموري الأول يستعد للزحف على مصر ثانية . **(5)**

أسرع ملك بيت المقدس عموري الأول بالزحف إلى مصر على رأس جيشه للمرة الثانية في شهر رمضان عام 559 هـ / 1164 م وأتصل فور وصوله الأراضي المصرية

---

(1) أرض الطبالة : هي أرض بظاهر مدينة القاهرة ، وتعد من أحسن منتزهات القاهرة ، وقد عرفت بهذا الاسم لان الخليفة الفاطمي المستنصر بالله وهبها إلى إحدى مغنياته المسماة نسب الطبالة بعد أن غنّت له بيتين من الشعر تصف حال الخلافة العباسية بعد استيلاء البساسيري على بغداد عام 450 هـ / 1058 م وإقامة الخطبة الفاطمية فيها ، فعرفت بها . انظر : **ابن ميسر** : اخبار مصر ، 2 / 8 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 96 : الخطط المقريزية ، 2 / 125 .

(2) إبراهيم الحنبلي : شفاء القلوب ، ص 26 .

(3) النجوم الزاهرة ، 5 / 347 .

(4) ابن الأثير : الكامل ، 11 / 299 : الباهر ، ص 121؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 1 / 359 ؛ **ابن واصل** : مفرج الكروب ، 1 / 139 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 306 .

(5) ابن الأثير : الباهر ، ص 121 ؛ **ابن واصل** : مفرج الكروب ، 1 / 139 – 140 ؛ **الصلابي** : الدولة الزنكية ، ص 561 – 562 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالوزير الفاطمي شاور السعدي الذي خرج بقواته من مدينة القاهرة للانضمام لقوات ملك بيت المقدس للاشتراك معه في قتال أسد الدين شيركوه ، الذي لم يشأ أن يتجه صوب مدينة القاهرة بعد أن علم بقدوم الصليبيين بقيادة عموري الأول وإنما أختار أن يقوي مركـزه فـي مدينـة بلبيس ، وخاصة بعد إن حصل على بعض المساعدات من سكان هذه المنطقة ومـن عـرب كنانة بالتحديد . **(1)**

شرعت كل من القوات الصليبية بقيادة عموري الأول والقوات الفاطمية بقيادة شـاور بن مجير السعدي بمحاصرة قوات أسد الدين شيركوه في مدينة بلبيس ، والتي حصـنها أسـد الدين كما وشحنها بالمؤن الغذائية والآلات والأسلحة . **(2)**

بعد أن علم الأمير نور الدين محمود بخيانة الوزير الفاطمي شاور السعدي ، ورفضه لتنفيذ وعوده التي قطعها على نفسه في مدينة دمشق ، فضلا عـن تواطئـه مـع الصـليبيين لإخراج قوات أسد الدين شيركوه من الديار المصرية أدرك مـدى خطـورة موقـف قواتـه العسكرية هناك وخاصة أنها كانت بعيدة عن قواعده العسكرية وخطوط مواصلاتها وإمداداتها في بلاد الشام ، فضلا عن وجود الصليبيين متمركزين في مدينة بيت المقدس وجنوبي فلسطين وجميع الساحل الشامي الذي يحول دون إرسال مزيد من القوات والتعزيزات الإضافية إلـى قائده المحاصر في بلبيس أسد الدين شيركوه ، كما أن قوات أسد الدين شيركوه لم تكن تمتلـك قاعدة جماهيرية في مصر بالتالي لم يكن بمقدورها تجنيد مزيد من المقـاتلين ، ولكـي ينقـذ الأمير نور الدين محمود قواته من قبضة الحصار الصليبي – الفاطمي فقام بشن هجوم كاسـح على بعض ممتلكات الصليبيين في بلاد الشام ، كما تمكن من إلحاق هزيمة نكـراء بـالقوات الصليبية التي خرجت للدفاع عن ممتلكاتها من هجوم الأمير نور الدين محمـود فـي شـهر رمضان عام 559 هـ / 1164 م قتل خلالها أكثـر مـن عشـرة آلاف صـليبي ، فضـلا عن أعداد هائلة من الأسرى والذين كان على رأسهم أمير أنطاكية بوهيمند الثالث ، وأميـر طرابلس ريموند الثالث ، فضلا عن العديد من الأمراء الآخرين . **(3)** كما تمكن الأمير نور

---

(1) **ابن ظافر** : اخبار الدول ، ص 115 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 11 / 300 : البـاهر ، ص 121 ؛ **أبـو شامة** : كتاب الروضتين ، 1 / 359 ؛ **ابن واصل** : مفرج الكروب ، 1 / 140 .

(2) **ابن كثير** : البداية والنهاية ، 12 / 248 .

(3) **ابن الأثيـر** : الكامـل ، 11 / 301 – 304 : البـاهر ، ص 122 – 125 ؛ **البنـداري** : مختصـر سنا البرق الشامي ، ص 19 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 1 / 362 – 364 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدين محمود من فتح بانياس التي كانت تابعة لمملكة بيت المقدس الصليبية ، في شهر ذي الحجة عام 559 هـ / 1164 م وشحن قلعتها بالرجال والأسلحة ؛ كما فرض على أعمال طبرية الصليبية في كل سنة مقدار معين من الأموال . (1)

نجحت سياسة الأمير نور الدين محمود في فك الحصار عن قواته المحاصرة في مدينة بلبيس ، إذ ما أن سمع ملك بيت المقدس عموري الأول بالأنباء الواردة إليه من بلاد الشام وتعرض الصليبيين لهزيمة نكراء على يد الأمير نور الدين محمود بالقرب من حارم ، وأسره للعديد من الأمراء الصليبيين في هذه المعركة ، فضلا عن تعرض مملكته لضغط الأمير نور الدين محمود الذي أتجه من حارم إلى بانياس التي كانت تعد من أملاكه ، حتى قرر الدخول في مفاوضات مع أسد الدين شيركوه للجلاء المشترك عن الديار المصرية ، فقد أدرك عموري الأول أن حملته مقضي عليها بالفشل في ظل امتناع أسد الدين شيركوه في بلبيس ، وصموده في وجه الحصار الذي فرضه عليه كل من القوات الصليبية والفاطمية معاً ، والذي أستمر أكثر من ثلاثة أشهر ، وبالفعل فقد تم الاتفاق بين عموري الأول وأسد الدين شيركوه على الخروج من مصر بعد أن تعهد الوزير الفاطمي شاور بن مجير السعدي أن يدفع لأسد الدين شيركوه ثلاثين ألف دينار ، وفعلا خرج كل من الجيش الإسلامي بقيادة أسد الدين والجيش الصليبي بقيادة عموري الأول الذي كان متلهفاً أكثر لتنفيذ هذه الاتفاقية والعودة إلى مملكته في بيت المقدس للدفاع عنها ضد هجمات الأمير نور الدين محمود الشرسة عليها ، فتم الجلاء في شهر ذي الحجة عام 559 هـ / 1164 م ، وعاد عموري الأول إلى بيت المقدس ، بينما عاد أسد الدين شيركوه بقواته سالماً إلى مدينة دمشق ومعه الأموال التي أخذها من شاور السعدي . (2)

---

(1) **ابن الأثير** : الكامل ، 11 / 304 ؛ **أبو الفدا** : المختصر ، 3 / 41 ؛ **ابن الوردي** : تاريخ ، 2 / 105 ؛ **الذهبي** : دول الإسلام ، 2 / 292 .

(2) **ابن الأثير** : الكامل ، 11 / 304 : الباهر ، ص 121- 122 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 1 / 359 ؛ **ابن كثير** : البداية والنهاية ، 12 / 248 ؛ **ابن قاضي شهبة** : الكواكب الدرية ، ص 166 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

6- الحملة النورية الثانية على مصر عام 562 هـ / 1167 م

لم يكن أسد الدين شيركوه راغباً في العودة إلى بلاد الشام قبل أن يحقق الأهداف التي جاء من أجلها إلى الديار المصرية . (1) كما يذكر ابن تغري بردى أن أسد الدين شيركوه غادر مصر وهو في غاية القهر . (2) كما أنه لم يستطع بعد عودته إلى بلاد الشام أن ينسى مصر ، إذ يذكر ابن الأثير أن أسد الدين شيركوه بعد عودته من مصر بقي يتحدث عنها وعن أحوالها (وكان بعد عودته منها لا يزال يتحدث بها ويقصدها ، وكان عنده من الحرص على ذلك كثير) . (3)

ويذكر عاشور أن الأمر لو كان بيد أسد الدين شيركوه لعاد إلى مصر في عام 560 هـ / 1165 م أو عام 561 هـ / 1166 م غير أن الأمير نور الدين محمود خشى أن يقوم بمحاولة جديدة لضم مصر في هاتين السنتين خوفاً من تشتيت جهوده وتقسيم قواته في الوقت الذي كان الموقف في بلاد الشام يستدعي شيئاً من اليقظة ، والانتباه ، والحذر . (4)

أما السبب الرئيس والمباشر الذي دفع الأمير نور الدين محمود إلى إرسال حملة عسكرية جديدة إلى مصر عام 562 هـ / 1167 م هو أن الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله كتب إلى الأمير نور الدين محمود يستنجده على وزيره شاور السعدي الذي استبد بالأمور وسفك دماء المسلمين في مصر ، وكان نور الدين محمود حاقدا على الوزير الفاطمي شاور السعدي لكونه غدر بقائده أسد الدين شيركوه واستنجد عليه بالصليبيين ، فوافق الأمير نور الدين محمود على إرسال حملة جديدة إلى مصر . (5)

وهناك سبب آخر يذكره بهاء الدين بن شداد ، وهو أن أسد الدين شيركوه بقي بعد عودته إلى بلاد الشام عام 559 هـ / 1164 م يتحدث عن مصر وأحوالها فلما بلغ ذلك الوزير الفاطمي شاور السعدي خاف على سلطانه في مصر ، وخاصة أنه أدرك أن أسد الدين شيركوه قد طمع في ملك الديار المصرية وأنه حتماً سيقصدها من جديد ، فكتب إلى

---

(1) **ابن الأثير** : الكامل ، 11 / 300 – 301 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 1 / 359 ؛ **ابن واصل** : مفرج الكروب ، 1 / 140 – 141 ؛ **إبراهيم الحنبلي** : شفاء القلوب ، ص 27 – 28 .

(2) النجوم الزاهرة ، 5 / 348 .

(3) الكامل ، 11 / 324 .

(4) الحركة الصليبية ، 1 / 543 .

(5) **ابن تغري بردى** : النجوم الزاهرة ، 5 / 348 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصليبيين يدعوهم إلى المجيء إلى مصر لكي يمكنونه من ملك البلاد كلياً ، ويساعدونه في الدفاع عنها واستئصال أعدائه . فلما بلغ ذلك كل من الأمير نور الدين وقائده أسد الدين شيركوه أشتد خوفهم على مصر من أن يملكها الصليبيون فيستولوا بذلك على البلاد كلها . **(1)**

وسواء كانت الأسباب التي وقفت وراء إرسال الأمير نور الدين حملة عسكرية ثانية إلى مصر عام 562 هـ / 1167 م تتعلق بالوضع الداخلي للخلافة الفاطمية واتصال وزيرها بالصليبيين ، أو رغبة كل من الأمير نور الدين وأسد الدين في ضم مصر والاستفادة من جميع إمكانيتها لمحاربة الصليبيين في بلاد الشام ، فقد شرع الأمير نور الدين بتجهيز القوات اللازمة التي بلغ تعدادها إلفي فارس ، وأسندت قيادتها إلى أسد الدين شيركوه الذي أصبح مدركاً تماماً لأوضاع مصر الداخلية وذلك بفضل تجربته الأول عام 559 هـ / 1164 م ورغبته في العودة إليها من جديد ، كما لزم الأمير نور الدين محمود الأمير صلاح الدين الأيوبي بالمسير مع عمه أسد الدين شيركوه إلى الديار المصرية مرة أخرى . **(2)**

تحرك أسد الدين بقواته من مدينة دمشق في شهر ربيع الأول عام 562 هـ / 1167 م وبصحبته عدداً من الأمراء فضلا عن ابن أخيه صلاح الدين ، كما رافق هذه الحملة الأمير نور الدين محمود بقواته إلى إطراف بلاد الشام ، وخوفاً وحرصاً منه على هذه الحملة من تعرضها لكمين من قبل الصليبيين . **(3)**

وما أن سمع ملك بيت المقدس عموري الأول بمسير أسد الدين شيركوه إلى مصر حتى أرسل إلى الوزير الفاطمي شاور السعدي يخبره بمسير شيركوه إلى مصر ، فكتب إليه شاور السعدي يطلب منه المساعدة لصد قوات أسد الدين عن مصر مقابل الاستمرار بدفع الأموال المفروضة على مصر للصليبيين . **(4)**

رحب ملك بيت المقدس عموري الأول بدعوة الوزير الفاطمي شاور طمعاً في الاستيلاء على مصر ، وإبعاد الأمير نور الدين محمود وجيوشه عنها ، ويعلل ابن واصل الأسباب التي دفعت الصليبيين إلى قبول طلب شاور السعدي بقوله : (فأتوه على الصعب

---

(1) النوادر السلطانية ، ص 37 .

(2) بهاء الدين بن شداد : النوادر السلطانية ، ص 37 .

(3) بهاء الدين شداد : النوادر السلطانية ، ص 37 ؛ **ابن واصل** : مفرج الكروب ، 1 / 148 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 310 ؛ **ابن تغري بردى** : النجوم الزاهرة ، 5 / 348 .

(4) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، 2 / 310 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والذلول ، وحملهم على ذلك أمرين : احدهما الطمع في تملك الديار المصرية ، والثاني الخوف من تملك العساكر النورية لها ، وعلموا أن ملكها نور الدين – رحمه الله – واستضافتها إلى البلاد الشامية لم يبقَ لهم بالبيت المقدس والشام مقام ، وأنه يستأصلهم وتصير بلادهم في وسط بلاده) . (1)

وصلت قوات أسد الدين شيركوه بعد إن اجتازت الطريق المحفوف بالأخطار إلى برزخ السويس في شهر ربيع الأخر عام 562 هـ / 1167م . (2)

كما وصلت القوات الصليبية بقيادة عموري الأول إلى الأراضي المصرية ، فخرج شاور السعدي لاستقبالها ، والتقى بعموري الأول الذي أقام معسكره على الضفة الشرقية لنهر النيل على مسافة ميل واحد من أسوار القاهرة ، في حين كان أسد الدين شيركوه لا يزال مرابطاً على الضفة الغربية لنهر النيل . (3)

حاول عموري الأول أن يستغل وجود قوات الأمير نور الدين محمود في مصر للضغط على الفاطميين من أجل إن يقدموا له بعض الامتيازات في الديار المصرية ، فدخل في مفاوضات مع الوزير الفاطمي شاور السعدي تعهد خلالها الوزير الفاطمي بدفع أربعمائة ألف دينار مقابل أن يقوم عموري الأول بطرد أسد الدين شيركوه وقواته من جميع الأراضي المصرية على أن يدفع نصف المبلغ على الفور ثم يدفع النصف الأخر فيما بعد ، فوافق عموري الأول على مقترحات شاور السعدي ؛ ومن أجل أن يدعم هذا الاتفاق وإعطائه صيغة رسمية أرسل عموري الأول سفارة صليبية إلى قصر الخلافة الفاطمية لمقابلة الخليفة العاضد لدين الله للحصول منه على الموافقة الرسمية لهذا الأمر ، وفعلاً استقبل الخليفة الفاطمي أعضاء هذه السفارة استقبالاً حافلاً وتم التصديق على هذا الاتفاق بصورته النهائية . (4)

بعد أن علم أسد الدين شيركوه بشأن المباحثات بين الفاطميين والصليبيين أرسل إلى الوزير شاور السعدي يقول له : (بأني أحلف لك أني لا أقيم ببلاد مصر ولا يؤذيك أحد من

---

(1) مفرج الكروب ، 1 / 149 .

(2) **ابن الأثير** : الكامل ، 11 / 324 ؛ **البنداري** : مختصر سنا البرق الشامي ، ص 20 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 7 ؛ **ابن خلدون** : تاريخ ، 5 / 280 .

(3) **وليم الصوري** :تأريخ الحروب الصليبية ، 2 / 898 – 899 ؛ **الصلابي** : الدولة الزنكية ، ص 565 .

(4) **وليم الصوري** : تأريخ الحروب الصليبية ، 2 / 899 – 900 ؛ **إبراهيم الحنبلي** : شفاء القلوب ، ص 29 ؛ **عاشور** : الحركة الصليبية ، 1 / 545 ؛ **الصلابي** : الدولة الزنكية ، ص 565 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أصحابي ، وأكون أنا وأنت على الفرنج وننتهز فيهم فرصة قد أمكنت وما أظن أن يتفق للإسلام مثلها كثيراً) . (1)

غير أن شاور السعدي رفض المقترحات التي عرضها عليه أسد الدين شيركوه ، الذي أدرك أن شاور رفض مقترحاته واتفق مع الصليبيين لمحاربته لذلك فضل المسير بقواته إلى بلاد الصعيد ، فبلغوا مكاناً يعرف بـ (البابين) قرب الأشمونين في مدينة المنيا . فلحقت بهم القوات الصليبية والفاطمية فوصلت هذه المنطقة في 25 جمادى الأخر عام 562 هـ / 1167 م فعزم أسد الين شيركوه على لقائهم وقتالهم وإن تكون السيوف هي الحكم بينهم غير إنه في الوقت نفسه خاف أن تضعف نفوس جنده على الثبات في هذا الموقف الحرج والخطر ، وإن خسارتهم فيه أقرب منه إلى النصر نظرا لقلة أعدادهم وبعدهم عن بلادهم . فاستشار أصحابه فيما يفعل ، فأشاروا عليه بعبور نهر النيل إلى الجانب الشرقي والعودة إلى بلاد الشام ، وكانت حجتهم بذلك أنهم إذ انهزموا وهو أمر لا شك فيه فإلى أين نلتجئ في هذه الديار ، وممّا نطلب الحماية وكل من في هذه الديار أعداء لنا سواء أكان جندياً أم فلاحاً أم عامياً . (2)

ويعلل أبن الأثير موقف هؤلاء بقوله : (ويحق لعسكر عدتهم ألفا فارس قد بعدت ديارهم ونأى ناصرهم أن ترتاع من لقاء عشرات ألوف ، مع أن كل أهل البلاد عدو لهم) . (3)

إلا أن موقف عساكر أسد الدين شيركوه قد تغير حين أشار عليهم أحد مماليك الأمير نور الدين محمود ويدعى (شرف الدين بزغش) بالثبات والاستعداد للقتال ، حيث إنه أخبرهم أنه من يخاف القتال أو الجرح أو الأسر فلا يدخل في خدمة الملوك والأمراء بل يكون فلاحاً والنساء تخدمه في بيته ، وأقسم لهم إن عادوا إلى الأمير نور الدين محمود من غير غلبة وبلا عذر تعذرون به فأنه سوف يأخذ اقطاعتكم ويحاسبكم على جميع ما أخذتموه منه منذ أن دخلتم في خدمته إلى الوقت الحاضر ، بل ان الأمير نور الدين سوف يغضب منا غضباً شديداً ، ويقول لكم تقبلون أن تأخذوا أموال المسلمين وتفرون من أمام عدوهم وتسلمون

---

(1) **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 311 .

(2) **ابن الأثير** : الكامل ، 11 / 325 : الباهر ، ص 132 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 7- 8 ؛ **ابن واصل** : مفرج الكروب ، 1 / 150 ؛ **ابن قاضي شهبة** : الكواكب الدرية ، ص 169 - 170 .

(3) الباهر ، ص 132 - 134 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتسلمون دياراً مهمة مثل الديار المصرية لكي يتصرف بها كيفما يشاء . فتشجع جميع العساكر على الثبات ، واجتمعت كلمتهم على خوض القتال . (1)

كما برزت في هذه الظروف الحرجة عقلية أسد الدين شيركوه وخبرته كقائد عسكري محنك حيث وضع خطة عسكرية محكمة لمواجهة القوات الصليبية والفاطمية معاً ؛ وفعلا تمت المواجهة بين قوات أسد الدين شيركوه والقوات الصليبية والفاطمية كان النصر فيها لقوات أسد الدين وانهزم الصليبيون والفاطميون بعد أن فقدوا من قواتهم الكثير ، وكان هذا من أعجب ما يؤرخ إن ألفي فارس تهزم عساكر الفاطميين وصليبيين الساحل معاً وبهذه الصورة . (2)

ويرى ابن تغري بردى إن أسد الدين شيركوه لو استغل هذا الانتصار وسار خلف جموع الفاطميين والصليبيين الذين عادوا إلى القاهرة وهم يجرون أذيال الهزيمة ، لتمكن من فرض سيطرته على مدينة القاهرة . (3)

رأى أسد الدين شيركوه أنه من المستحيل السيطرة على مصر بهذه القوات القليلة فضلا عن ان قسم من قواته بقيادة ابن أخيه صلاح الدين محاصرة في مدينة الإسكندرية من قبل كل من الصليبيين والفاطميين ؛ لذلك فضل الدخول في مفاوضات مع كل من الصليبيين بشأن جلائه عن مصر ، تعهد خلالها شاور السعدي بدفع خمسين ألف دينار فضلا عن السماح له بأخذ جميع ما حصل عليه أسد الدين شيركوه من أموال وغنائم داخل الأراضي المصرية ، فوافق أسد الدين شيركوه على الجلاء عن مصر بشرط إن لا يبقى فيها أي صليبي ، وأن لا يفرضون سيطرتهم على أية بقعة منها حتى لو كانت قرية واحدة ، وكما أخذ أسد شيركوه من شاور السعدي تعهداً بان لا يعاقب المصريين الذين ساندوه . (4)

ويدل الشرط الأخير من الاتفاق الذي ابرم بين أسد الدين شيركوه وشاور السعدي وعموري الأول أن الحملات النورية المتتالية على مصر بقيادة أسد الدين شيركوه قد بدأت

---

(1) ابن الأثير : الكامل ، 11 / 325 : الباهر ، ص 133 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 8 .

(2) ابن الأثير : الكامل ، 11 / 325 – 326 : الباهر ، ص 133 – 133 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 8 – 9 ؛ **ابن واصل** : مفرج الكروب ، 1 / 150 – 151 .

(3) النجوم الزاهرة ، 5 / 349 .

(4) ابن ظافر : أخبار الدول ، ص 115 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 11 / 326 – 327 ؛ **أبو الفدا** : المختصر ، 3 / 43 – 44 ؛ **ابن خلدون** : تأريخ ، 5 / 280 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 314 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تجد لها قاعدة جماهيرية عريضة في مصر ، حيث رأى العامة في أسد الدين شيركوه بعد تكرار حملاته أنه منقذهم الوحيد من ظلم شاور بن مجير السعدي وتعسفه ، وخطر الصليبيين الذين يسعون لنهب ثروات البلاد الاقتصادية والسيطرة على مقدراتها .

ويذكر بهاء الدين بن شداد الأسباب التي دفعت الصليبيين إلى قَبول الصلح مع أسد الدين شيركوه ، والعودة إلى بلاد الشام ، هو ما قام به الأمير نور الدين محمود من تجهيز عساكره وشن هجمات كاسحة على أملاك الصليبيين في بلاد الشام وأخذه حصن المنيطرة **(1)** من أيديهم ، فلما علم الصليبيون بذلك خافوا على بلادهم من الأمير نور الدين محمود وقرروا العودة إليها . **(2)**

وفعلاً تمَّ تنفيذ هذا الاتفاق ، حيث انسحب بمقتضاه أسد الدين شيركوه وصلاح الدين من مدينة الإسكندرية التي كانوا قد سيطروا عليها بعد معركة البابين . **(3)** في شهر شوال عام 562 هـ / 1167 م وتوجها إلى بلاد الشام حيث وصلا مدينة دمشق في شهر ذي القعدة في حين تسلم الوزير الفاطمي شاور السعدي مدينة الإسكندرية . **(4)**

أما ملك بيت المقدس عموري الأول فأنه لم ينسحب من مصر إلا بعد أن ضمن له موطئ قدم فيها على اعتبار أنه أصبح حامي الخلافة الفاطمية في مصر ، حيث عقد اتفاقاً سرياً مع الوزير الفاطمي شاور السعدي ، الذي استبد بالأمور وحجر على الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله وحجب عنه الأمور كلها ، وقد تضمن الاتفاق الذي عقده عموري الأول مع شاور السعدي أن تقع مسؤولية حماية مدينة القاهرة على الصليبيين ، حيث أمر عموري الأول أن يبقى جزء من فرسانه لتولي حماية أبواب المدينة والدفاع عنها إذ ما قرر الأمير نور الدين محمود مهاجمتها من جديد ، وإن يكون للصليبيين من موارد مصر في كل عام مائة ألف دينار ، وإقامة مندوب دائم عن الملك عموري الأول في مدينة القاهرة ، وإن

---

(1) المنيطرة : حصن في بلاد الشام يقع بالقرب من مدينة طرابلس . انظر : **ياقوت الحموي :** معجم البلدان ، 5 / 217 .

(2) النوادر السلطانية ، ص 38 .

(3) ابن الأثير : الكامل ، 11 / 326 : الباهر ، ص 133 – 134 ؛ **البنداري :** مختصر سنا البرق الشامي ، ص 20 ؛ **أبو شامة :** كتاب الروضتين ، 2 / 9 ؛ **ابن واصل :** مفرج الكروب ، 1 / 151 .

(4) ابن الأثير : الكامل ، 11 / 327 : الباهر ، ص 134 ؛ **بهاء الدين بن شداد :** النوادر السلطانية ، ص 38 ؛ **أبو شامة :** كتاب الروضتين ، 2 / 9 ؛ **ابن واصل :** مفرج الكروب ، 1 / 152 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يشارك هذا المندوب في شؤون الحكم ، ومن سكن بالقاهرة من الصليبيين يبقى فيها . (1)

حاول الكامل شجاع بن الوزير الفاطمي شاور بن مجير السعدي رأب الصدع الذي حدث بين والده شاور السعدي والأمير نور الدين محمود إذ أرسل مع احد أكابر الأمراء الذي كان له صلة قرابة بالأمير صلاح الدين الأيوبي ، رسالة إلى الأمير نور الدين يعلن فيها ولاءَهُ ويسأله أن يعطيه فرصة لإصلاح الأوضاع في مصر ، ويوحد صفوف المصريين على طاعته . فوافق الأمير نور الدين محمود على ذلك ، وبقت العلاقة بين كل من الفاطميين والأمير نور الدين على هذه الحال إلى أن قصد الصليبيون الديار المصرية من أجل تملكها في عام 564 هـ / 1169 م . (2)

ويذكر ابن الفرات أن الوزير الفاطمي شاور السعدي كتب إلى الأمير نور الدين محمود كتاباً في عام 563 هـ / 1168م يشكره فيه على صرف أسد الدين شيركوه عن التعرض للديار المصرية عن طريق أقطاعه مدينة حمص وأعمالها ، وقد جاء في هذا الكتاب : (ورد كتاب أستدعي شكري وحمدي ، وأستخلص من الصفاء ما عندي ، واستفرغ في الثناء على مرسله جهدي ، وكأنما استمليت معاينة مما عندي ، واشتملت على حقائق قصدي ، وسررت للإسلام وأهله ، والدين الذي وعده إن يطلعه على الدين كله ، بأن يكون مثله ملكاً من ملوكه ، يرجع إليه في عقده وحله ، وتشير الأصابع ، وتعقد الخناصر ، على علو محله . والله يزيده بمكانه تثبيتا وقوة ، ويحقق على يديه مخايل النصر المرجوة ... وراء هذه المكاتبة من اهتمامي ما لا يعوقه عائق إلا انتظام العقد على الأمور المألوفة ، وتمام التوثقة باليمين المنصوصة الموصوفة ، مع أن قوله كيمينه ، وكتابه كصفحة يمينه ، والثقة به واقعة على كل حال ، والمحبة له توجب الاحتراس على الوداد ، ومن تطرق أسباب الاختلال) . (3)

غير أنه لا توجد في المصادر التاريخية أية أشارة على إن الأمير نور الدين محمود رد على هذا الكتاب الذي أرسله إليه الوزير الفاطمي شاور السعدي مما يجعلنا نعتقد إن

---

(1) **ابن ظافر** : اخبار الدول ، ص 115 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 11 / 326 : الباهر ، ص 134 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 9 ؛ **ابن واصل** : مفرج الكروب ، 1 / 152 .

(2) **ابن الأثير** : الكامل ، 11 / 327 : الباهر ، ص 134 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 10 ؛ **ابن واصل** : مفرج الكروب ، 1 / 152 .

(3) تأريخ ابن الفرات ، المجلد الرابع – الجزء الأول ، ص 5 – 6 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأمير نور الدين محمود بقي يراوده الشك من شاور السعدي ، والذي يتحمل مسؤولية أخفاق حملات أسد الدين شيركوه إلى مصر مرتين ، وفي كلا المرتين استعان بالصليبيين للتصدي لعساكره ، كما أنه كان يحمله مسؤولية تسليم مصر والمسلمين الذين فيها للصليبيين ، هذا بالضبط ما جعله يستعد لإرسال حملة عسكرية ثالثة إلى مصر حالما يتلقى أية رسالة استغاثة من مصر للتصدي للصليبيين وطردهم منها .

7 - الحملة النورية الثالثة على مصر عام 564 هـ / 1169 م

على الرغم من أن ملك بيت المقدس عموري الأول غادر الديار المصرية مضطراً عام 562 هـ / 1167 م إلا أن ذلك لا يعني تخليه عن حلمه في الاستيلاء على مصر ، إذ يذكر عدد من المؤرخين أن الصليبيين عندما حضروا إلى مصر في المرتين السابقتين أطلعوا على نقاط الضعف فيها ، وطمعوا في الاستيلاء عليها . **(1)** لذلك لم يعد في وسعهم إن يتخلوا عن فكرة الاستيلاء على مصر طمعاً في ثروتها أولاً ، وحماية لكيانهم في بلاد الشام ثانياً . **(2)**

كما أن الصليبيين بوجه عام وملك بيت المقدس عموري الأول بوجه خاص كانوا قد تخوفوا كثيراً من تحسن العلاقات بين الأمير نور الدين محمود والفاطميين في مصر لذلك نجد أن عموري الأول تخوف كثيراً من ان يجازف بعملية عسكرية في مصر حتى لا يدفع الفاطميين إلى طلب المساعدة من الأمير نور الدين محمود .

وعلى الرغم من أن عموري الأول كان معارضاً لفكرة التدخل العسكري في مصر في عام 564 هـ / 1169 م إلا أنه وتحت إلحاح فرسانه وأصحابه شرع في تجهيز العساكر وسار على كره منه ، وتوجهت القوات الصليبية إلى مدينة عسقلان في شهر المحرم عام 564هـ / 1168 م ودخلوا الأراضي المصرية . **(3)**

---

(1) البنداري : مختصر سنا البرق الشامي ، ص 39 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 32 ؛ **ابن واصل** : مفرج الكروب ، 1 / 155 ؛ **ابن تغري بردي** : النجوم الزاهرة ، 5 / 350 .

(2) ابن الأثير : الكامل ، 11 / 335 – 336 : الباهر ، ص 137 – 138 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 32 ؛ **ابن الفرات** : تاريخ ، مج4 – ج1 ، ص 19 – 20 .

(3) ابن الأثير : الكامل ، 11 / 336 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 33 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأثناء تقدم القوات الصليبية إلى مدينة بلبيس أرسل عموري الأول إلى طيء بن شاور السعدي الذي كان آنذاك يتولى حكم المدينة ، يطلب منه أن يختار موضعاً من مدينة بلبيس لكي يقيم معسكره فيه ، غير أن طيء بن شاور قال لرسول عموري الأول : (قل له ينزل على أسنة الرماح) . **(1)** فغضب عموري من هذا الجواب ، وقرر تدمير المدينة ، فحاصرها وتمكن من الاستيلاء عليها قهراً بالسيف يوم الثلاثاء 2 صفر عام 564 هـ / 1168 م ، ونهب جميع ما كان فيها من أموال ، وكما أنه سبى أهلها ، فضلا عن قتل الكثير منهم ، وكان من بين الأسرى عددٌ من أبناء شاور السعدي وأحفاده . **(2)**

وبعد أن وصلت الأخبار إلى الوزير الفاطمي شاور السعدي باستيلاء الصليبيين على مدينة بلبيس وما فعلوه بأهلها ، أمر أهالي مدينة مصر بالانتقال منها إلى مدينة القاهرة وحثهم على الخروج منها ، فترك الأهالي أموالهم وأثقالهم ونجوا بأنفسهم وأولادهم ، واضطرب الناس بسبب ذلك أشد الاضطراب ، كما ارتفعت الأسعار كثيراً بحيث وصلت أجرة الدابة من مدينة مصر إلى القاهرة أكثر من عشرين ديناراً ، ونزل الناس بمساجد مدينة القاهرة وحماماتها وملأوا الشوارع والأزقة ، وهم يترقبون هجوم الصليبيين عليهم ، ولم يكتفِ شاور بتهجير أهالي مدينة مصر بل أمر بإحراقها ، فاحترقت مدينة مصر في يوم الثلاثاء 9 صفر عام 564 هـ / 1168 م أي قبل يوم واحد من وصول الصليبيين إلى مدينة القاهرة ، وقد استمرت النار مشتعلة بمدينة القاهرة 54 يوماً . **(3)**

وعندما وصلت القوات الصليبية إلى القاهرة رأت ناراً تلتهم مدينة مصر أمر عموري الأول قواته بإقامة معسكرها بالقرب من أحد أبواب مدينة القاهرة ويدعى باب البرقية . **(4)** كما وصل الأسطول الصليبي إلى بحيرة المنزلة وتنيس غير أنه لم يستطع مواصلة تقدمه في نهر النيل جنوباً حيث القاهرة بسبب كثرة العقبات التي وضعها الفاطميون في مجرى نهر النيل . **(5)**

---

(1) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، 2 / 316 .

(2) ابن الأثير : الكامل ، 11 / 336 ؛ **أبو شامة** : الروضتين ، 2 / 33 ؛ **ابن واصل** : مفرج الكروب ، 1 / 157 .

(3) ابن الأثير : الكامل ، 11 / 336 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 33 ؛ **ابن واصل** : مفرج الكروب ، 1 / 157 ؛ **السبكي** : طبقات الشافعية الكبرى ، 7 / 19 .

(4) ابن ظافر : أخبار الدول ، ص 116 ؛ **ابن كثير** : البداية والنهاية ، ص 12 / 255 .

(5) وليم الصوري : تأريخ الحروب الصليبية ، 2 / 932 ؛ **عاشور** : الحركة الصليبية ، 1 / 551 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأمام هذه الصعوبات والأخطار التي واجهت الخلافة الفاطمية في مصر والتي لم يكن بمقدورها فعل أي شيء لمواجهة هذه الأخطار والتحديات سوى طلب المساعدة من الأمير نور الدين محمود ، حيث يجمع المؤرخون على أن الفاطميين أرسلوا نداء استغاثة إلى الأمير نور الدين محمود غير أنهم اختلفوا في الشخص الذي بعث هذا النداء ، أكان الوزير الفاطمي شاور السعدي أم الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله ؟ ففي حين يؤكد بعض المؤرخين أن شاور السعدي عندما رأى الصليبيين بقيادة عموري الأول قد استولوا على مدينة بلبيس ، وضربوا الحصار حول مدينة القاهرة ، كتب إلى الأمير نور الدين محمود يدعوه إلى إرسال المدد إليه من بلاد الشام لكي يستطيع مقاومة الصليبيين وطردهم من الأراضي المصرية ، كما أرسل مع كتبه ضفائر نساء القصر الفاطمي مجزوزة لكي يحث الأمير نور الدين محمود على الإسراع في إرسال النجدة إليه للدفاع عن نساء المسلمين في الديار المصرية ، فاستجاب الأمير نور الدين لهذا النداء وأرسل قائده أسد الدين شيركوه إلى مصر . **(1)**

غير أنه من الثابت عند البعض الآخر إن الذي أرسل نداء الاستغاثة إلى الأمير نور الدين هو الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله ، إذ أرسل الخليفة الفاطمي إلى الأمير نور الدين محمود عقب حريق مدينة مصر يستغيث به ، ويعرفه ضعف المسلمين هناك عن مقاومة الصليبيين وطردهم من أراضيهم ، كما أنه أرسل مع الكتب شعور نساء قصره ، وأرسل يقول للأمير نور الدين : هذه شعور نساء من أهل بيتي يستغثن بك لتنقذهن من القوات الصليبية فشرع الأمير نور الدين بعد أن وصلته كتب الخليفة الفاطمي وفي طياتها ضفائر النساء بتجهيز قائده أسد الدين شيركوه بالأموال والعساكر لإرسالهم إلى مصر للدفاع عن المسلمين هناك ، والعمل على طرد الصليبيين من جميع الديار المصرية . **(2)**

أما ابن الفرات فيذكر أن الوزير الفاطمي شاور السعدي عندما علم أن الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله قد كتب إلى الأمير نور الدين محمود كتب هو أيضا إلى الأمير نور الدين محمود يوضح له الأخطار التي تواجه مصر ، وما نزل بأهالي مدينتي القاهرة

---

(1) **البنداري** : مختصر سنا البرق الشامي ، ص 39 ؛ **بهاء الدين بن شداد** : النوادر السلطانية ، ص 39 ؛ **ابن واصل** : مفرج الكروب ، 1 / 158 ؛ **الذهبي** : دول الإسلام ، 2 / 294 .

(2) **ابن الأثير** : الكامل ، 11 / 336 – 337 : الباهر ، ص 138 ؛ **ابن الوردي** : تاريخ ، 2 / 115 ؛ **ابن كثير** : البداية والنهاية ، 12 / 255 ؛ **ابن قاضي شهبة** : الكواكب الدرية ، ص 176 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومصر من خوف وفزع من قدوم القوات الصليبية ، وقد سود كتابه ببعض قطرة الحبر دليلا على عظم المصيبة . (1)

أما الرواية الأخرى والتي ينفرد بذكرها المقريزي ، فتبدو أكثر دقة وصحة من الروايات السابقة ، إذ يذكر أن شاور السعدي عندما استلم رسالة من ملك بيت المقدس عموري الأول يقول فيها : (إن ابنك قال أيحسب مري [يقصد عموري] أن بلبيس جبنه يأكلها نعم بلبيس جبنه ، والقاهرة زبدة) . أدرك حرجة موقفه ، وتصميم عموري الأول على الاستيلاء على مدينة القاهرة ، ذهب إلى الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله وسأله مكاتبة الأمير نور الدين محمود، وطلب مساعدته لأن الصليبيين قد احتلوا بلبيس والمسلمون هنا لا يستطيعون صد الصليبيين عن مدينة القاهرة ، وأنه متى تأخر في إرسال النجدة وتقاعس عن نصرتهم فإن الصليبيين سوف يتمكنون من الاستيلاء على جميع الديار المصرية ، واسر جميع من فيها من المسلمين ، وإن يحثه على إرسال المدد على وجه السرعة ليتدارك الموقف قبل فوات الأوان ؛ كما أن شمس الخلافة كان قد اجتمع بالكامل بن شاور السعدي وقال له : (عندي أمر لا يمكنني أن أفضي به إليك إلا بعد أن تحلف لي أنك لا تطلع أباك عليه) . فحلف له الكامل بأن لا يخبر أباه بهذا الأمر ، فقال له شمس الخلافة : (إن أباك قد وطن نفسه على المصابرة ، وأخر أمره يسلم البلد إلى الفرنج ولا يكاتب نور الدين ، وهذا عين الفساد ، فاصعد أنت إلى العاضد وألزمه أن يكتب إلى نور الدين فليس لهذا الأمر غيره) . فوافق الكامل على هذا المقترح وذهب إلى الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله ، الذي كتب بدوره كتاباً وأرسله إلى الأمير نور الدين محمود ودون أن يطلع الوزير الفاطمي شاور على ما تضمنه الكتاب والعروض التي قدمها للأمير نور الدين محمود ، فوقع الاختلاف بين الخليفة العاضد ووزيره شاور ، وقد قال بعض المقربين من الخليفة لماذا لم تطلع وزيرك على ما تضمنه هذا الكتاب للأمير نور الدين محمود ؟ فأجابهم الخليفة الفاطمي بأنه يعرف أن شاور السعدي لا يوافقني على أي شيء أقدمه للأمير نور الدين محمود لكراهيته الشديدة للغز ، وأنا أعلم من أي باب أدخل عليه . كما حاول الخليفة الفاطمي توضيح موقفه ، وصحته لوزيره شاور حيث أرسل يقول له : (أين استدعائي الغز من المسلمين لنصرة الإسلام من استدعائك الفرنج للإعانة على المسلمين) . غير أن جواب الوزير الفاطمي جاء وقحاً ورائحة الخيانة تفوح منه ، إذ قال لرسول الخليفة : (قل لمولانا ، عني : أنت مغرور بالغز والله **[عز وجل]** لئن يثبت لهم رجل بديار مصر لا كانت عاقبته وخيمة

---

(1) تأريخ ابن الفرات ، مج 4 – ج 1 ، ص 26 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلا عليك) . غير أن جواب الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله كان شجاعاً ، حيث فضل مصالح الأمة الإسلامية حتى لو كان في ذلك تعارض مع مصالحه الخاصة ، بل أنه سيقبل أن يضحي بخلافته تحت وصاية الصليبيين إذ كان ذلك في سبيل مصالح الأمة العليا ، إذ كان جوابه (رضيت أن تكون إسلامية وأكون فداء المسلمين) . (1)

وتبدو هذه الرواية أقرب إلى الدقة من الروايات السابقة ، حيث تتفق مع مجريات الأحداث في الديار المصرية بعد انسحاب القوات الصليبية بقيادة عموري الأول من مصر ، والأسباب التي دعت إلى قتل الوزير الفاطمي شاور بن مجير السعدي ، فضلا عن أنه تظهر بوضوح شخصية الوزير الفاطمي شاور ومحاولة تسييس مصالح الأمة الإسلامية لتحقيق مصالحه الخاصة ، والاستعانة بأي طرف لتحقيق مصالحه وأهدافه الخاصة حتى لو كانوا أعداء الأمة الإسلامية أمثال الصليبيين .

حاول الوزير الفاطمي شاور السعدي أن يتدارك الموقف بعد ما تيقن عجز أهالي مدينة القاهرة عن مواجهة القوات الصليبية ، لذلك لجأ إلى سياسة الخداع والحيلة من أجل حمل الصليبيين على فك الحصار عن المدينة والانسحاب عن جميع الأراضي المصرية ، فبدأت المفاوضات بين الطرفين بأن أرسل شاور إلى الملك الصليبي عموري يذكر له مودته ومحبته القديمة ، وأن هواه معه ، وأنه على استعداد على تسليم البلاد له لولا خوفه من الأمير نور الدين محمود والخليفة العاضد لدين الله والمسلمين جميعاً ؟ كما طلب منه الموافقة على إتمام الصلح حتى لا يدفعه ذلك إلى تسليم البلاد للأمير نور الدين محمود . فوافق عموري الأول على إتمام الصلح . والذي انتهى بأن يتعهد شاور السعدي بدفع مليون دينار للملك عموري الأول على أن يدفع شاور السعدي مائة ألف دينار فوراً ، ويتعهد بتسديد باقي المبلغ في وقت لاحق . (2)

رحبت القوات الصليبية بعقد اتفاقية الصلح مع الوزير الفاطمي شاور السعدي بعد ما بدأت تفقد عزمها وإصرارها على الاستيلاء على مدينة القاهرة نتيجة الصعوبات التي واجهتها في الأراضي المصرية ، فقد نجح الفاطميون في إعاقة تقدم الأسطول الصليبي صوب القاهرة بعد أن وضعوا الكثير من العوائق في مجرى نهر النيل مما اضطر الأسطول الصليبي إلى التوقف في بحيرة المنزلة وتنيس ، كما أدرك الصليبيون أن الخلافة الفاطمية ستلجأ إلى

---

(1) اتعاظ الحنفا ، 2 / 317 .

(2) **ابن الأثير** : الكامل ، 11 / 337 : الباهر ، ص 138 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 33 ؛ **ابن واصل** : مفرج الكروب ، 1 / 158 ؛ **السبكي** : طبقات الشافعية الكبرى ، 7 / 19 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تسليم البلاد للأمير نور الدين محمود ليتولى مسؤولية الدفاع عنهـا ، لـذلك أجـابوا الـوزير الفاطمي بشأن الصلح كارهين . (1)

وعلى الرغم من أن القوات الصليبية قد رحبت بشروط الصلح مع شـاور السـعدي غير إن عموري الأول ظل ينظر إلى وعود شاور السـعدي بنظـرة الشـك وخاصـة أنـه كان قد تعرف على شخصيته الوزير الفاطمي من قبل ، ونكثه الوعود التي قطعها على نفسـه في أكثر من مناسبة ، إذ يذكر المقريزي أن عموري الأول قال لأصحابه : (لا أسـمع كـلام شاور ، فأنه غدار ، ولابد من كلام الخليفة العاضد) . (2) لذلك حاول شاور السـعدي أتمـام الصلح بأية طريقة حتى تقرر الصلح بينهم على أن يعجل شاور السعدي بدفع مائة ألف دينار وأن يحمل باقي المبلغ الذي تعهد بدفعه إلى عموري الأول مع جميـع الأمـوال المفروضـة على مصر في كل عام طبقاً للاتفاقية الموقعة بين الطرفين عام 562 هـــ / 1163 م مـع زيادة تبلغ عشرة ألف دينار ، وعشرة ألاف إردب (3) غلة على ما يقترح من أصنافها. (4)

غير إن الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله رأى في الاتفاقيـة التـي يسـعى لعقـدها وزيره شاور أن ثروات البلاد ستصبح بيد الصليبيين ، لذلك رأى أن يعطي جزءاً مـن ثـروة البلاد للأمير نور الدين محمود المسلم ، الذي يحارب الصليبيين فـي بـلاد الشـام ، ويـدافع عن مصالح الأمة الإسلامية العلياً ، خيراً له من أن يعطيها للصليبيين ، فأرسل إلـى الأميـر نور الدين محمود مرة أخرى يخبره بما لقى المسلمون من أذى وسوء الأحوال علـى أيـدي الصليبيين ، ويطلب منه إرسال قوة عسكرية كبيرة لنجدتهم على إن يكون ثلث دخل البـلاد للأمير نور الدين محمود ، وإن تكون أقطاعاتهم على الخليفة العاضد ، وأن يكون هذا الاقطاع خارجاً عن نصيب الأمير نور الدين محمود من دخل البلاد البالغ الثلث . (5)

---

(1) **ابن الأثير** : الكامل ، 11 / 337 : الباهر ، ص 138 ؛ **أبـو شـامة** : كتـاب الروضـتين ، 2 / 33 ؛ **ابن الفرات** : تاريخ ، مج 4 – ج 1 ، ص 25 ؛ **إبراهيم الحنبلي** : شفاء القلوب ، ص 33 .

(2) **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 320 .

(3) **الإردب** : مكيال يستعمل في مصر ، وهو يساوي 198 لتـر ، ويعـادل 150 كيلـوغرام مـن القمـح ، و120 كيلو غرام من الشعير ، و 140 كيلوغرام من الذرة . انظر : **هنتس** : المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري ، ص 85 – 86 .

(4) **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 320 .

(5) **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 33 ؛ **ابن واصل** : مفـرج الكـروب ، 1 / 158 ؛ **ابـن قاضـي شهبة** : الكواكب الدرية ، ص 176 ؛ **إبراهيم الحنبلي** : شفاء القلوب ، ص 34 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجد الأمير نور الدين محمود أن الوقت قد حان للاستفادة من إمكانيات مصر الاقتصادية والبشرية الهائلة لمحاربة الصليبيين ، وخاصة أنه حصل على ضمانات من الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله ، والذي يذكر عنه المقريزي أنه فضل مصالح أمته الإسلامية العليا على مصالحه الشخصية ، بل وأنه استعد أن يكون فداءً للمسلمين في سبيل مصالحهم العلياً على أن يكون خليفتهم في ظل الوصاية الصليبية . (1) لذلك أرسل إلى الأمير نور الدين محمود يخبره بوضع المسلمين الحرج في مصر ، ويطلب منه أن يكون قائده أسد الدين شيركوه المسؤول المباشر عن حماية الخلافة الفاطمية ، والأراضي المصرية من طمع الصليبيين الذين كانوا يسعون بشتى الطرق لمد نفوذهم إليها ، وذلك عن طريق إقامة أسد الدين شيركوه مع عساكره بصورة دائمة في مصر في حين يتولى الخليفة الفاطمي العاضد مسؤولية أقطاعهم الأراضي والرواتب الشهرية ، فضلا عن نصيب الأمير نور الدين محمود من دخل مصر السنوي والبالغ الثلث . (2)

كما وجد الأمير نور الدين أن الوزير الفاطمي شاور بن مجير السعدي قد أصبح غير مرغوب فيه من قبل الخلافة الفاطمية بصورة خاصة والشعب المصري بصورة عامة نتيجة لسياسته الخاطئة مع كل من الأمير نور الدين محمود وقائده أسد الدين شيركوه والصليبيين ، والتي جلبت الخراب والدمار للمسلمين في مصر ونهب ثرواتهم ، والتي وقعت فريسة سهلة بيد الصليبيين الذين أصبحوا مسؤولين عن حماية الخلافة الفاطمية في مصر طبقاً للاتفاقية الموقعة بين شاور وعموري الأول ملك بيت المقدس في مصر عام 562 هـ / 1167 م . (3) والتي كانت من الأسباب الرئيسة التي شجعت عموري الأول على غزو مصر عام 564 هـ / 1169 م . (4)

كما ضمن الأمير نور الدين محمود أنه اذا أرسل قواته مرة ثالثة إلى مصر وحاول الوزير الفاطمي شاور السعدي أن يستعين بالصليبيين كما حدث في المرتين السابقتين فإن المسلمين في مصر سوف يثورون بوجهه ، والذي كان مسؤولاً مباشراً عن سوء أحوالهم

---

(1) اتعاظ الحنفا ، 2 / 317 .

(2) **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 33 ؛ **ابن واصل** : مفرج الكروب ، 1 / 158 .

(3) **ابن ظافر** : اخبار الدول ، ص 115 ؛ **ابن الأثير** : الكامل ، 11 / 326 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 9 ؛ **ابن واصل** : مفرج الكروب ، 1 / 152 .

(4) **ابن الأثير** : الكامل ، 11 / 335 – 336 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 32 ؛ **ابن واصل** : مفرج الكروب ، 1 / 155 – 156 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاقتصادية والاجتماعية بسبب ما قام به من عقد الاتفاقيات السرية مع الصليبيين ، فضلا عن الإجراءات التي اتخذها شاور في عام 564 هـ / 1169 م أثناء تقدم القوات الصليبية بقيادة عموري الأول إلى مدينة القاهرة حيث أمر بتهجير أهالي مدينة مصر إلى مدينة القاهرة فزاد كله من غصب الناس وكرههم الشديد لشاور السعدي ، الذي حاول أخذ من أموالهم الخاصة لكي يعطيها للصليبيين من أجل بنود الصلح الذي عقده معهم . لذلك ضمن الأمير نور الدين محمود أن الناس سوف ينضمون تلقائياً لقواته إذ ما قرر شاور السعدي الاستعانة مرة أخرى بالقوات الصليبية لمحاربة قواته . **(1)**

كان الأمير نور الدين محمود مقيماً آنذاك في مدينة حلب لما وصله نداء الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله فخاف الأمير على المسلمين هناك من بطش القوات الصليبية فجهز جيشا بقيادة أسد الدين شيركوه ، وسار معه إلى مدينة دمشق فوصلها في شهر صفر عام 564 هـ / 1168 م ، ثم توجه معهم إلى رأس الماء **(2)** فأعطى الأمير نور الدين هناك لكل فارس ممن مع أسد الدين شيركوه عشرين ديناراً معونة له غير محسوبة من جامكيته **(3)** كما اختار أكفى أمرائه ومماليكه لمرافقة أسد الدين شيركوه إلى مصر . **(4)**

كما أمر نور الدين محمود الأمير صلاح الدين الأيوبي بالمسير مع عمه أسد الدين شيركوه إلى مصر ، حيث يذكر أن الأمير نور الدين أحب مسير صلاح الدين إلى مصر وفيه ذهاب ملكه ، في حين كره صلاح الدين مسيره إلى مصر وفيه سعادته وملكه . **(5)**

كما أرسل الأمير نور الدين محمود في هذه الإثناء مع الفقيه عيسى الهكاري **(6)**

---

(1) ابن الأثير : الكامل ، 11 / 337 ؛ **ابن الفرات** : تاريخ ، مج 4 – ج 1 ، ص 25 .

(2) رأس الماء : لم أجد لها تعريف .

(3) جامكيته : أي راتبه .

(4) ابن الأثير : الكامل ، 11 / 338 : الباهر ، ص 139 ؛ **ابن واصل** : مفرج الكروب ، 1 / 160 ؛ **ابن الفرات** : تاريخ ، مج 4 – ج 1 ، ص 27 .

(5) ابن الأثير : الكامل ، 11 / 338 : الباهر ، ص 139 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 35 ؛ **ابن واصل** : مفرج الكروب ، 1 / 159 – 160 .

(6) عيسى الهكاري : هو الفقيه أبو محمد عيسى بن محمد بن عيسى بن محمد بن أحمد بن يوسف ، ويرجع نسبه إلى الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، ويقال له الهكاري ، ويلقب بضياء الدين ، يعد من أحد اكبر الأمراء بالدولة الصلاحية ، وكان على قدر وافر من الذكاء حيث اعتمد عليه في إبدا الرأي والمشورة ، وكان أول أمره يشتغل بالفقه بالمدرسة الزجاجية بمدينة حلب ، ثم بعد ذلك اتصل بخدمة =====

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رسالتين إلى مصر الأولى ظاهرة إلى الوزير الفاطمي شاور السعدي يعلمه بأنه أرسل العساكر الشامية صوبه ، أما الرسالة الثانية فقد كانت سرية موجهة إلى الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله ، وكان الأمير نور الدين محمود قد طلب من الفقيه عيسى إن يأخذ من الخليفة الفاطمي اليمين على بعض الأشياء التي كان قد عينها له ، وإن يكتم هذا الأمر برمته عن شاور السعدي . (1)

وتعد هذه السفارة التي قام بها الفقيه عيسى الهكاري وبتكليف من الأمير نور الدين محمود إلى الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله آخر المحاولات الدبلوماسية قبيل توحيد مصر مع بلاد الشام عام 567 هـ / 1171 م . (2)

أكمل أسد الدين شيركوه وقواته المسير إلى الأراضي المصرية في منتصف ربيع الأول عام 564 هـ / 1168 م ، في الوقت الذي بقى الأمير نور الدين محمود في رأس الماء منتظراً قدوم البشائر من الديار المصرية بهزيمة الصليبيين . (3)

أما بالنسبة للقوات الصليبية فبعد أن بلغها تحرك الأمير نور الدين محمود بقواته إلى رأس الماء ، وإرساله قسماً من هذه القوات بقيادة قائده أسد الدين شيركوه باتجاه مصر خافوا كثيراً وخشوا من حدوث مواجهة عسكرية معهم ، لذلك قرروا الانسحاب من الديار المصرية . وفعلاً تم الانسحاب وعادوا إلى مملكة بيت المقدس الصليبية بخفي حنين يجرون أذيال الفشل بعد أن خاب أملهم في احتلال مصر . فلما سمع الأمير نور الدين محمود بانسحاب الصليبيين من جميع الديار المصرية فرح بذلك كثيراً ، وأمر بضرب البشائر في عموم بلاد الشام ، كما بث رسله في مختلف البلاد مبشرين بهذا الانسحاب ، وحفظ الأراضي المصرية من وقوعها بيد الصليبيين . (4)

=== أسد الدين شيركوه وتوجه معه إلى مصر ، فلما توفي أسد الدين في مصر أصبح مستشاراً لابن أخيه صلاح الدين بعد أن ساعده في تثبيت أقدامه في الوزارة الفاطمية خلفاً لعمه ، توفي يوم الثلاثاء 9 ذي القعدة عام 585 هـ ، ودفن بمدينة القدس . وكان يلبس زي الأجناد ويتعمم بعمائم الفقهاء . انظر ، **ابن خلكان** ، وفيات الأعيان ، 3 / 488 – 489 .

(1) **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 318 ؛ **أبو بدر** : الحروب الصليبية ، ص 332 .

(2) **سلطان** : الدور السياسي للعلماء المسلمين ، ص 128 .

(3) **ابن الأثير** : الكامل ، 11 / 338 : الباهر ، ص 139 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 81 .

(4) **ابن الأثير** : الكامل ، 11 / 338 – 339 : الباهر ، ص 139 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 35 ؛ **ابن واصل** : مفرج الكروب ، 1 / 160 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واصل أسد الدين شيركوه تقدمه نحو القاهرة ، ونزل بقواته بظاهر المدينة بين المقس (1) واللوق (2) في 4 ربيع الأخر عام 564 هـ / 1169 م فأجتمع بالخليفة الفاطمي الذي أبدى سروراً كبيراً لقدومه ، وخلع عليه بالخلع النفيسة ، فلبسها أسد الدين شيركوه وعاد إلى معسكره إلى ظاهر المدينة بعد إن فرغ من السلام على الخليفة الفاطمي ، الذي منح العساكر الشامية المرافقة لأسد الدين الكثير من العطايا ، فضلا عن أنه أمر بتوفير المؤن الغذائية الوفيرة والتي تليق بهم . (3)

كما أن أهالي مدينة القاهرة فرحوا كثيراً بقدوم أسد الدين شيركوه وقواته حيث خرج أعيان المدينة إلى معسكر أسد الدين شيركوه بظاهر المدينة للسلام عليه ، والاحتفال بقدومه والأشراف على راحة قواته ، ومعرفة ما يحتاجونه . (4)

أثار هذا الاستقبال الحافل لأسد الدين شيركوه وقواته من قبل الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله ووجهاء واعيان مدينة القاهرة حفيظة الوزير الفاطمي شاور السعدي غير أنه لم يستطع فعل شيء لمنع هذا الاستقبال بعد أن رأى كثرة عساكر أسد الدين شيركوه الذين معه في ظاهر مدينة القاهرة ، فضلا عن ميل الخليفة العاضد لدين الله . (5)

أخذ شاور السعدي يماطل في تنفيذ الوعود التي قطعها الخليفة العاضد لدين الله للأمير نور الدين محمود فما يتعلق بإقطاع الجند ورواتبهم ، فضلا عن إفراد ثلث دخل البلاد للأمير نور الدين على الرغم من أن شاور السعدي كان يذهب يومياً إلى معسكراً أسد الدين شيركوه بظاهر المدينة يعده ويمينه . (6)

---

(1) **المقس** : هي اسم الأرض التي كانت محصورة بين مدينة القاهرة ونهر النيل ، والتي كانت قبل الإسلام تسمى أم دنين . انظر : **ياقوت الحموي** ، معجم البلدان ، 5 / 175 .
(2) **اللوق** : وهي عبارة عن مجموعة من الأراضي الزراعية والبساتين ، المجاورة للمقس ، ومحصورة بين مدينة القاهرة ومجرى نهر النيل ، ولا يوجد فيها أي أثر لبناء قديم قط حيث كانت هذه الأراضي مغطاة بالمياه . انظر : **المقريزي** : الخطط المقريزية ، 2 / 117 .
(3) **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 38 ؛ **ابن واصل** : مفرج الكروب ، 1 / 161 .
(4) **ابن كثير** : البداية والنهاية ، 12 / 256 .
(5) **ابن الأثير** : الكامل ، 11 / 339 : الباهر ، ص 139 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 38 ؛ **ابن الفرات** : تاريخ ، مج 4 – ج 1 ، ص 29 .
(6) **ابن الأثير** : الكامل ، 11 / 339 : الباهر ، ص 139 – 140 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 /38 ؛ **ابن واصل** : مفرج الكروب ، 1 / 161 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما أن شاور السعدي كتب إلى الصليبيين يستدعيهم ، ويطلب منهم المجيء إلى مدينة دمياط عن طريق البحر والبر . فلمّا علم أعيان الدولة الفاطمية بما يخططه شاور السعدي ومحاولته استدعاء الصليبيين ذهبوا إلى معسكر أسد الدين شيركوه واجتمعوا به واخبروه إن شاور السعدي قد أفسد أحوال البلاد والعباد ، وكاتب الصليبيين من جديد ، وقد يكون هو سبب هلاك الإسلام . (1)

وعندما فشلت خطة شاور السعدي الأولى حيث لم يصل إليه أي رد من الصليبيين عزم على الغدر بأسد الدين شيركوه ، وذلك بإقامة وليمة على شرفه ومن معه من الأمراء وعند حضورهم إلى هذه الوليمة يأمر شاور بالقبض عليهم جميعاً ، أما باقي قواتهم فسوف يستخدمهم في حفظ البلاد وحمايتها من القوات الصليبية المرابطة بها ، غير أن آبنه الكامل شجاع حذره من تنفيذ هذه المؤامرة ، وأقسم له أن مضى في تنفيذيهاِ فسوف يكشفها لأسد الدين شيركوه ، فغضب عليه والده وأخبره إن فعل ذلك فسوف يقوم أسد الدين بقتلنا جميعاً ؟ فأجابه الكامل شجاع بأنه على حق ، ولكن نقتل ونحن مسلمون والبلاد إسلامية خير من إن نقتل وقد ملكها الصليبيون ، الذين ليس بينك وبين عودتهم إلا أن يسمعوا بالقبض على أسد الدين شيركوه ، وحينئذ لو مشى الخليفة العاضد بنفسه إلى الأمير نور الدين محمود طلباً للنصرة ، فأنه لم يرسل معه فارساً واحداً ، فيتمكن الصليبيون من الاستيلاء على الديار المصرية . فاقتنع شاور السعدي بصحة رأي آبنه الكامل ، وترك ما كان ينوي القيام به . (2)

أتفق الأمراء الذين كانوا مع أسد الدين شيركوه بعد أن علموا ما يخطط له شاور السعدي على ضرورة التخلص منه ، وفضلا عن أنه أخذ يماطل في تنفيذ الوعود التي قطعها الفاطميون على أنفسهم للأمير نور الدين ، وكان على رأس هؤلاء الأمراء صلاح الدين الأيوبي ، غير أنهم عندما أخبروا قائدهم أسد الدين شيركوه بما يخططون له نهاهم عن تنفيذ ذلك . (3)

وبعد أن تبين لأسد الدين شيركوه موقف الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله ، والذي أشار عليه أيضا بضرورة التخلص من شاور السعدي ، إذ إن الخليفة الفاطمي خرج متنكراً

---

(1) **ابن قاضي شهبة** : الكواكب الدرية ، ص 177 ؛ **ابن تغري بردى** : النجوم الزاهرة ، 5 / 351 .

(2) **ابن الأثير** : الكامل ، 11 / 339 : الباهر ، ص 140 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 38 ؛ **ابن واصل** : مفرج الكروب ، 1 /161 .

(3) **ابن الأثير** : الكامل ، 11 / 339 : الباهر ، ص 140 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 38 ؛ **أبو الفدا** : المختصر ، 3 / 45 ؛ **ابن قاضي شهبة** : الكواكب الدرية ، ص 178 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى معسكر أسد الدين شيركوه ، واجتمع به ، واتفق معه على بعض الأمور المهمة ، كما أمره بضرورة قتل وزيره الخائن . **(1)** جمع أسد الدين شيركوه أصحابه واستشارهم في أمر شاور السعدي ، فاتفقت آراء الأمراء على أنه لا يستقر الأمر في مصر مع بقاء شاور في منصبه لذلك أجمعوا أمرهم على إلقاء القبض على الوزير الفاطمي أثناء حضوره إلى معسكرهم . **(2)**

ولدى خروج الوزير الفاطمي شاور السعدي إلى معسكر أسد الدين شيركوه في ظاهر مدينة القاهرة للسلام عليه ، استقبله كل من الأمير صلاح الدين الأيوبي والأمير عز الدين جورديك في جماعة من العساكر ، فأخبروهُ أن أسد الدين شيركوه ذهب إلى زيارة قبر الإمام الشافعي ، فطلب منهم شاور السعدي المضي خلفهم ، فوافق كل من صلاح الدين وعز الدين على ذلك ، فساروا جميعاً لقصد أسد الدين شيركوه ، وفي الطريق قبض كل من صلاح الدين و عز الدين على شاور السعدي ، وأخذاهُ أسيراً إلى معسكر أسد الدين شيركوه حيث أنزل في خيمة منفردة ، كما عينوا عليه حراساً ، حيث لم يتمكنوا من قتله دون أخذ موافقة أسد الدين شيركوه ، الذي عاد إلى معسكره بعد أن علم بهذا الأمر حيث كان عليه إتمام ما قد فعله كل من الأمير صلاح الدين والأمير عز الدين جورديك . **(3)**

وعندما سمع الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله بهذا الأمر أرسل في الحال إلى أسد الدين شيركوه يطلب منه إرسال رأس وزيره شاور السعدي ، وتابع إرسال الرسل إليه بهذا الأمر حيث يذكر المقريزي أن الخليفة العاضد لدين الله أرسل يقول لأسد الدين شيركوه : (هذا غلامنا ولا خير فيه لك ولا لنا ، فامض حكم الله **[عز وجل]** فيه) . **(4)** كما أن التوقيع جاء من الخليفة الفاطمي على يد خادمه الخاص بأنه لأبد من أخذ رأسه جرياً على عادتهم في وزرائهم وفي تقرير قاعدة من قوى منهم على صاحبه تضرب عنقه . **(5)**

---

(1) ابن كثير : البداية والنهاية ، 12 / 256 ؛ **ابن الفرات** : تاريخ ، مج 4 – ج 1 ، ص 30 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 322 .

(2) بهاء الدين بن شداد : النوادر السلطانية ، ص 39 ؛ **ابن الفرات** : تاريخ ، مج 4 – ج 1 ، ص 31 .

(3) ابن الأثير : الكامل ، 11 / 340 : الباهر ، ص 140 ؛ **بهاء الدين بن شداد** : النوادر السلطانية ص 40 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 38 – 39 ؛ **ابن واصل** : مفرج الكروب ، 1 /162 – 163.

(4) اتعاظ الحنفا ، 2 / 322 .

(5) بهاء الدين بن شداد : النوادر السلطانية ، ص 40 ؛ **ابن واصل** : مفرج الكروب ، 1 / 163 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقتل شاور السعدي في يوم السبت 17 ربيع الأخر عام 564 هـ / 1169 م ، وحز رأسه وأرسل إلى الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله . **(1)**

وبمقتل الوزير الفاطمي شاور السعدي في عام 564 هـ / 1169 م تنطوي مرحلة هامة من مراحل الخلافة الفاطمية في مصر لتبدأ مرحلة جديدة ، والتي بدأت بتولي أسد الدين شيركوه ومن بعده ابن أخيه صلاح الدين منصب الوزارة الفاطمية ، وتنتهي بإلغاء الخلافة الفاطمية في الديار المصرية ، وإعادة الخطبة فيها للخلافة العباسية في عام 567 هـ / 1171 م .

8 - تولي أسد الدين شيركوه الوزارة الفاطمية

دخل أسد الدين شيركوه مدينة القاهرة يوم الاثنين 19 ربيع الأخر عام 564 هـ / 1169 م وبصحبته قواته وحاشيته ، غير أنه فوجئ أثناء دخوله المدينة بكثرة أعداد الناس الذين خرجوا لمشاهدته . **(2)**

وبعد أن نجح في تفريق الناس الذين تجمعوا حوله تابع طريقه صوب قصر الخلافة الفاطمية ، وأجتمع بالخليفة العاضد ، الذي خلع عليه خلع الوزارة ولقبه (الملك المنصور أمير الجيوش) ، وأنزله دار الوزارة **(3)** حيث كان ينزل شاور السعدي ، ومن قبله من الوزراء الفاطميين . **(4)**

---

(1) ابن الأثير : الكامل ، 11 / 340 : الباهر ، ص 140 ؛ **بهاء الدين بن شداد** : النوادر السلطانية ، ص 40 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 39 .

(2) ابن الأثير : الكامل ، 11 / 340 : الباهر ، ص 140 ؛ **ابن واصل** : مفرج الكروب ، 1 / 163 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 323 .

(3) دار الوزارة الفاطمية : أنشأ هذه الدار الوزير الفاطمي الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمال ، ولهذا كان يطلق عليه أيضا (الدار الأفضلية) ، وكانت هذه الدار بجوار القصر الفاطمي الكبير الشرقي تجاه رحبة باب العيد ، وأصبحت من أن أنشأها الأفضل منزل الوزراء الفاطميين وأرباب السيوف إلى أن زالت هذه الدولة على يد الأمير صلاح الدين ، الذي أستقر بها ومن تلاه من ملوك الدولة الأيوبية ، غير إن أسمها تغير في عهد هؤلاء حيث أصبحت تعرف بالدار السلطانية . انظر : **المقريزي** : الخطط المقريزية ، 1 / 438 - 439 .

(4) ابن الأثير : الكامل ، 11 / 340 : الباهر ، ص 140 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 43 ؛ **ابن الفرات** : تاريخ ، مج 4 - ج 1 ، ص 34 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 323 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعندما أجتمع أعيان الدولة الفاطمية في قصر الخلافة الفاطمية إلى جانب أمراء نور الدين محمود ، وكان أسد الدين شيركوه يتوسطهم ، وإلى جانبه ابن أخيه صلاح الدين والأمراء ثم موظفين الدولة فالكتاب ، وقد جلس مع هؤلاء الكتاب القاضي الفاضل (1) الذي كتب سجل تولية أسد الدين شيركوه الوزارة الفاطمية ، وخلافاً لمراسيم الخلافة الفاطمية حيث لم يكن من عادة رئيس ديوان الإنشاء أو نائبه أن يقرأ سجلات التولية التي يخطها ، إذ قام قاضي القضاة الجليس بن عبد القوي بقراءة سجل تولية أسد الدين شيركوه منصب الوزارة وبصوت عالٍ ، وعلى رؤوس الأشهاد . (2)

وبهذا السجل أصبح أسد الدين يمتلك من السلطة ما تخوله حكم جميع الأراضي المصرية حيث منحه الخليفة الفاطمي الكثير من الصلاحيات السياسية والإدارية . (3)

وقد كتب الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله بخط يده في طرة عهد الوزارة إلى أسد الدين شيركوه (هذا عهد لا عهد لوزير بمثله ، وتقلد أمانة رآك أمير المؤمنين أهلاً لحمله ؛ والحجة عليك عند الله **[عز وجل]** بما أوضحه لك من مراشد سبله . فخذ كتاب أمير المؤمنين بقوة ، واسحب ذيل الفخار بأن اعتزت خدمتك إلى نبوة النبوة . واتخذه للفوز سبيلاً (**وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا**) (4)) . (5)

---

(1) **القاضي الفاضل** : هو أبو علي عبد الرحيم بن القاضي الأشرف بهاء الدين أبي المجد بن القاضي السعيد أبي محمد الحسن بن الحسن بن احمد بن الفرج بن احمد اللخمي ، والمعروف بالقاضي الفاضل ، والملقب بمجير الدين ، العسقلاني المولد المصري الدار ، ويعد من أهم كتاب ذلك العصر ومن أبرز موظفي الدولة الفاطمية ، ثم أصبح وزيراً للسلطان الملك ناصر صلاح الدين ، توفي في مدينة القاهرة ليلة الأربعاء 7 ربيع الأخر عام 596 هـ ، ودفن هناك . انظر : **ابن خلكان** : وفيات الأعيان ، 2 / 76 – 78 ؛ **الزركلي** : الأعلام ، 3 / 346 .

(2) **أبو شامة** : الروضتين ، 2 / 74 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 323 .

(3) انظر نص هذا السجل في مجموعة الوثائق الفاطمية ووثائق الخلافة وولاية العهد والوزارة **لجمال الدين الشيال** ، ص 333 – 342 .

(4) **سورة النحل ، الآية** (91) .

(5) **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 43 – 44 . كما ورد ذكره في بعض المصادر التاريخية ولكن بصورة مختلفة قليلاً انظر : **ابن واصل** : مفرج الكروب ، 1 / 165 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 323 ؛ **ابن قاضي شهبة** : الكواكب الدرية ، ص 178 – 179 ؛ **إبراهيم الحنبلي** : شفاء القلوب ، ص 35 – 36 . وانظر أيضا إلى مجموعة الوثائق الفاطمية **لجمال الدين الشيال** ، ص 343 – 344 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويذكر المقريزي أن القاضي الفاضل كتب إلى الأمير نور الدين محمود كتاباً يطلب منه أن يبقي أسد الدين شيركوه في الديار المصرية لأنه سوف يفوض إليه أمر الوزارة والجيوش معاً ، كما كتب الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله علامته على هذا الكتاب بين سطريه الأولين بخطه (الله ربي) ، وكان مؤرخ في 17 ربيع الأخر عام 564 هـ / 1169 م . فلما وصل هذا الكتاب إلى الأمير نور الدين محمود أرسل جوابه في كتاب يعلن موافقته والامتثال لرغبة الخليفة العاضد لدين الله . **(1)**

سلك أسد الدين شيركوه بعد توليه الوزارة مع الخليفة العاضد لدين الله مسالك الأدب والاحترام والتقدير ، حتى إن الخليفة الفاطمي أعجب به أشد الإعجاب ، ومال إليه كثيراً . **(2)**

استطاع أسد الدين شيركوه بفضل حكمته وسياسته من أن يسيطر على زمام السلطة في مصر حيث استعمل قسماً من أصحابه ومن يثق بهم على بعض الأعمال المصرية ، كما اقطع البلاد لعساكره التي قدمت معه من بلاد الشام ، كما اعتمد على ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي في تدبير بعض الأمور نظراً لما يتمتع به من كفاءة ودراية ، وحسن سياسة . **(3)**

وبدأت مكانة أسد الدين شيركوه في مصر تزداد يوماً بعد يوم إذ يذكر المقريزي أن أسد الدين شيركوه لما أكب الناس عليه بالتواقيع قلق من كثرة ما يوقع ، وقال للخليفة العاضد لدين الله : (أظن مولانا استخدمني كاتباً) . **(4)**

وكان أسد الدين ذكياً وحكيماً ، حيث حاول معرفة أوضاع المصريين ، والاطلاع على أحوالهم ، كما حاول معرفة جميع ما يتعلق بالدولة صغيراً كان أم كبيراً ، وذلك عن طريق تعيين مستشارٍ له يكون على اطلاع تام على مجريات الأمور في الدولة الفاطمية ، إذ يذكر عدد من المؤرخين أن أسد الدين شيركوه ما أن تولى الوزارة حتى

---

(1) اتعاظ الحنفا ، 2 / 323 .

(2) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، 2 / 323 .

(3) بهاء الدين بن شداد : النوادر السلطانية ، ص 40 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 42 ؛ **ابن واصل** : مفرج الكروب ، 1 / 165 ؛ **ابن الفرات** : تاريخ ، مج 4 – ج 1 ، ص 48 ؛

Marshall W. Baldwyn : A History Of Crusades The Crusades , The University Of Wisconsin Press, Volume1, Part2 , The First Hundred Years , P 564 .

(4) اتعاظ الحنفا ، 2 / 324 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طلب من الخليفة الفاطمي كاتب إنشاء ، فأرسل إليه الخليفة القاضي الفاضل ، فأعجبه إتقانه وسمته ونصحه ، فاستكتبه . (1)

كما حاول أسد الدين شيركوه أن يكون لطيفاً في تعامله مع الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله ووفقاً للتقاليد المعمول بها في البلاط الفاطمي ، حيث كان أسد الدين شيركوه عندما يجتمع بالخليفة الفاطمي يتم هذا الاجتماع وفقاً لما كان يتبع في السابق وقبل قدوم أسد الدين شيركوه إلى مصر ، وتوليه الوزارة . (2)

كما يذكر ابن الفرات أن أسد الدين شيركوه لزم في تعامله مع أصحاب الخليفة الفاطمي كل أدب ، واحترام . (3)

وعندما بلغ الأمير نور الدين محمود سيطرة قائده أسد الدين شيركوه على الديار المصرية فرح بذلك أشد الفرح ، وشكر نعمة الله (**عز وجل**) على هذا النصر ، وقصده الشعراء بالتهنئة غير أن سرور الأمير نور الدين محمود لم يستمر طويلاً ، إذ سرعان ما بدا الشك يدب في قلبه تجاه قائده أسد الدين ، الذي أصبح المسيطر الوحيد على دفة الحكم في الأراضي المصرية ، وقد اقلق هذا الأمر نور الدين كثيراً إذ قد يدفعه ذلك إلى إعلان استقلاله وعصيانه بالديار المصرية عليه ، وهو الذي عمل جاهداً حتى تمكن من ضم الديار المصرية ، لذلك أخذ يفكر في طريقة لمعالجة الوضع ، فبدأ يكتب إلى الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله يلتمس منه أن يبعث إليه قائده المخلص أسد الدين شيركوه . (4)

وعلى الرغم من أن نور الدين محمود تخوف من قائده أسد الدين شيركوه الذي لم تصدر منه أية إشارة تدل على أنه يحاول الاستقلال بحكم مصر ، فقد بقي الأمير نور الدين محمود يعدُّهُ من أكفاء قادته العسكريين الذين يعتمد عليهم في محاربة الصليبيين ، وهذا ما تؤكده الرسالة التي أرسلها إلى الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله ، والتي يطلب فيها من الخليفة العاضد إرسال قائده المخلص أسد الدين إليه ، وقد جاء في نص هذه الرسالة ما يلي

---

(1) **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 44 ؛ **ابن كثير** : البداية والنهاية ، 12 / 256 .

(2) **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 323 – 324 .

(3) تأريخ ابن الفرات ، مج 4 – ج 1 ، ص 45 .

(4) **ابن كثير** : البداية والنهاية ، 12 / 256 ؛ **ابن الفرات** : تاريخ ، مج 4 – ج 1 ، ص 47 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 324 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(... وكان سهمه المسدد وحسامه المجرد ، وساعده المساعد ، وعضدُهُ المعاضد ، والجناح القوي الجناح ، واليمين الباطشة بالسلاح ، الباسطة بالصلاح ، ينوب عنه في دفع ما ينوب من الخطوب ، ويتقدم على عسكره في الحروب ، مليئا بكشف الكروب . فحين وافت الأمثلة مستجيشة جيوشه الإسلامية ، على طاغية الكفر الطارئة ، على البلاد المصرية ، سير الأسد ، وأعمل الساعد الأشد ، وامضي الغضب الذي لا يفل غراره ، واجري الجواد الذي يؤمن عثاره ، ولا يسبق غباره ...) . ويقول فيها أيضا (... وقد افتقر العبد إلى بعثته ، وأعوز عسكره يمين نقيته ، واشتد حزب الضلال على المسلمين لغيبته ، لأنه ما يزال يرى شياطين الضلال بشهابه الثاقب ، ويصمى مقل الشرك بسهمه النافذ الصائب) . **(1)**

غير أن الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله رفض إرسال أسد الدين شيركوه إلى الأمير نور الدين محمود ، لأنه يحتاج إليه أيضا ، حيث قام أسد الدين شيركوه بواجبه كوزير على أكمل وجه ، بحيث تحمل جميع أعباء الدولة الفاطمية من غير إن يغير على أصحاب الخليفة العاضد شيئاً من أحوالهم ، ولم تحسب عليه أية نقطة سلبية سوى أنه أقطع قسماً من البلاد المصرية لأصحابه . **(2)**

غير أن شكوك الأمير نور الدين قد تبددت إذ توفي قائده أسد الدين فجاءَةُ في مدينة القاهرة يوم السبت 22 جمادى الأخر عام 564 هـ / 1169 م . **(3)** وقيل يوم الأحد 23 جمادى الأخر 564 هـ / 1169 م ، ودفن في مدينة القاهرة ، ثم نقل جثمانه بعد فترة إلى المدينة المنورة ، حيث مسجد وقبر الحبيب المصطفى (**صلى الله عليه وسلم**) ، وبوصية سابقة منه . **(4)**

وبوفاة أسد الدين شيركوه عام 564 هـ / 1169 م تنطوي صفحة هامة من صفحات الخلافة الفاطمية في مصر اشتهرت بشدة الصراع بين الشاميين والصليبيين لغرض

---

(1) ابن الفرات : تاريخ ، مج 4 – ج 1 ، ص 48 ؛ **حمادة** : الوثائق السياسية والإدارية للعهود الفاطمية الأتابكية والأيوبية ، ص 200 .

(2) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، 2 / 324 .

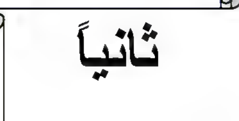
(3) ابن الأثير : الكامل ، 11 / 341 : الباهر ، ص 141 ؛ **بهاء الدين بن شداد** : النوادر السلطانية ، ص 40 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 47 ؛ **ابن واصل** : مفرج الكروب ، 1 / 168 .

(4) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 1 / 418 ؛ **ابن الفرات** : تأريخ ، مج 4 – ج 1 ، ص 53 – 54 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 324 – 325 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فرض سيطرتهم على الديار المصرية ، والتي انتهت بهزيمة الصـــليبيين ، ومقتـــل الـــوزير الفاطمي شاور ابن مجير السعدي ، وتولي أسد الدين شيركوه منصب الـــوزارة بتعـــين مـــن الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله ، ومن ثم وفاته لتبدأ الصفحة الأخيرة من صفحات الخلافـــة الفاطمية في مصر ، والتي بدأت بتولي الأمير صلاح الدين شيركوه منصب الوزارة الفاطميـــة في عام 564 هـ / 1169 م وتنتهي بإلغاء الخلافة الفاطمية عام 567 هـ / 1171 م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit



ثانياً

تولي صلاح الدين الأيوبي منصب الوزارة ونهاية الخلافة الفاطمية

1 - تولى صلاح الدين الأيوبي منصب الوزارة الفاطمية

عندما توفي أسد الدين شيركوه تنافست عدة شخصيات عسكرية مختلفة الاتجاهات للاستئثار بكرسي الوزارة ، ونشطت لذلك مدينة القاهرة بالاتصالات السرية والعلنية ، والتي استمرت ثلاثة أيام وانتهت باختيار الأمير صلاح الدين لمنصب الوزارة . (1)

إذ يذكر المقريزي أن أهل القصر الفاطمي وحواشي الخليفة العاضد لدين الله من الاستاذين وغيرهم انقسموا عقب وفاة أسد الدين شيركوه إلى فرقتين : الأولى التفت حول مؤتمن الخلافة صنيعة الملك جوهر ، أحد أهم الأستاذين المحنكين في القصر الفاطمي ومتولي زمام القصر والمشرف عليه ، وقد طالبت هذه الفرقة بالتخلص من نفوذ القوات النورية وذلك عن طريق إبعادهم عن مدينة القاهرة ، وحصر مهامها في الدفاع عن الأراضي المصرية ضد أي عدوان صليبي جديد مقابل أقطاعهم بعض الأراضي التي سوف يرابطون فيها ، إذ قالوا : (قد مات أسد الدين المهدد به في الشرق والغرب ولم يحدث إلا خير ، من الرأي أن نمسك مخلفته ونضيف إليها من جياد فرسان الغز ما تكون جملته ثلاثة ألاف فارس ونقدم عليهم بهاء الدين قراقوش (2) ، وننزلهم بالشرقية (3) ، ونجعلها بأجمعها إقطاعاً لهم

---

(1) **شكيل** : القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني العسقلاني (526 – 569 هـ) ص 117 .

(2) **بهاء الدين قراقوش** : هو أبو سعيد قرقوش بن عبد الله الأسدي ، الملقب ببهاء الدين ، قيل إنه خادم عند أسد الدين شيركوه فاعتقه ، فلما أستقل صلاح الدين الأيوبي بالديار المصرية جعله يتولى زمام القصر الفاطمي ، كما ناب عنه مدة بالديار المصرية ، حيث اعتمد عليه في تدبير أمورها وأحوالها ، كان صاحب همة عالية ، وهو الذي بنى السور المحيط بمدينة القاهرة ومصر وما بينهما ، كما بنى قلعة الجبل ، وبنى القناطر التي بالجيزة على طريق الأهرام ، كما عمّرَ رباطاً بالمقس ، وله أيضا وقوف كثيرة لا يعرف مصرفه ، وكان حسن المقاصد جميل النية ، وعندما فتح صلاح الدين مدينة عكا سلمها إليه ، فلما عاد الصليبيون واستولوا عليها وقع أسيراً بأيديهم ففدى نفسه كما يقال بعشرة آلاف دينار ، توفي في مدينة القاهرة في مستهل رجب عام 597 هـ ، ودفن في جبل المقطم ، وقراقوش لفظة تركية تعني بالعربي العقاب ، وهو الطائر المعروف . انظر : **ابن خلكان** : وفيات الأعيان ، 2 / 120.

(3) **الشرقية** : وهي كورة تقع شرقي مدينة القاهرة في الوجه القبلي ، وتعرف أيضا بالأطفيحية ، وهي عبارة عن سبع عشر قرية . انظر : **المقريزي** : الخطط المقريزية ، 1 / 72 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يسكنون بها ، فيصيرون بيننا وبين الفرنج الذين طمعوا في البلاد ، يقاتلون عن حرمهم وإقطاعاتهم ، ويرتب مولانا من أجناد الديار المصرية من ينتفع به ، ولا يقيم وزير تثقل وطأته ويشارك الخليفة في أمره ، بل يجعل صاحب وساطة بين الناس وبين الخليفة) . (1)

أما الفرقة الثانية والتي بقت مخلصة لذكرى أسد الدين شيركوه ، فقد رفضت هذا المقترح وأصرت على اختيار الأمير صلاح الدين الأيوبي لمنصب الوزارة ، وذلك لقرابته الشديدة لأسد الدين شيركوه ، حيث قالت : (لا وحق الله [سبحانه وتعالى] ، ما يكون وزير مولانا إلا ابن أخي وزيره الذي هو منه وإليه) كما أوضحت هذه الفرقة رأيها بأن صلاح الدين إذ بقى في مصر فسوف يقيم معه بهاء الدين قراقوش وغيره من الأمراء الشاميين الأقوياء . (2)

وهكذا تم اختيار صلاح الدين لمنصب الوزارة ، إذ يؤكد ابن الأثير أن السبب الذي حمل الخليفة العاضد على اختياره جاءت نتيجة لمشورة حاشيته وأصحابه ، إذ قالوا له : (ليس في الجماعة أضعف منه ، ولا أصغر سناً من يوسف [صلاح الدين] ، والرأي أن يولى ، فإنه لا يخرج من تحت حكمنا ، ثم نضع على العساكر من يستميلهم إلينا فيصير عندنا من الجنود من نمنع بهم البلاد ، ثم نأخذ يوسف أو نخرجه) . (3)

ويؤكد هذه الرواية أيضا ابن واصل فقد ذكر أن السبب المباشر الذي دفع الخليفة الفاطمي على اختيار صلاح الدين لإشغال منصب الوزارة ، فهو ضعف إمكانيات صلاح الدين الأيوبي العسكرية ، حيث كان العاضد يظن إن اختيار صلاح الدين لتولي منصب الوزارة الفاطمية وليس له عساكر ولا رجال تحت أمرته وحكمه لا يجسر على مخالفته في شيء ، وأنه يستطيع أن يضع على العساكر النورية من يستميلهم إلى جانبه ، فإذا نجح هذا ألأمر ، وصار معه قسمٌ من هذه العساكر فأنه سوف يمكن من إخراج الباقين وبذلك تعود البلاد إلى قبضته ، فضلا عن أنه سيمتلك قوة عسكرية كبيرة تمكنه من حماية البلاد من أطماع الصليبيين ، ومحاولات الأمير نور الدين محمود في التدخل في شؤونه الداخلية . (4)

إن جميع هذه الأسباب التي ذكرها المؤرخون تصيب الحقيقة في إحدى جوانبها بحيث

---

(1) اتعاظ الحنفا ، 2 / 326 .
(2) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، 2 / 326 .
(3) الكامل ، 11 / 343 – 344 .
(4) مفرج الكروب ، 1 / 168 – 169 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا يمكننا أن نفضل أحدى هذه الأسباب عن السببين الباقيين إلا أنه يمكن القول ومن خلال جمع هذه الأسباب مع بعضها البعض أن الأسباب التي دفعت الخليفة الفاطمي العاضد إلى تولية الأمير صلاح الدين لمنصب الوزارة خلفاً لعمه أسد الدين شيركوه ، هي رغبة الخليفة الفاطمي في مكافأة أسد الدين شيركوه على جهوده المتميزة في الدفاع عن الخلافة الفاطمية عن طريق إعطاء هذا المنصب الذي استحقه عن جدارة لابن أخيه صلاح الدين وخاصة بعد أن نصحه أتباعه بالفوائد الكبيرة التي تعود على الخلافة الفاطمية من وراء هذا التعين ، إذ إن صلاح الدين كان من أصغر الأمراء الشاميين سناً ومكانة ، وليس له عساكر ورجال مخلصون له كبقية الأمراء ، الأمر الذي يجعله غير قادرٍ على الانفراد بالوزارة والاستبداد بها وبذلك لا يكون بمقدوره أن يعصي أي أمر للخلافة الفاطمية ، أما عن باقي الأمراء الشاميين وعساكرهم فيمكن العمل على استمالتهم إلى جانب الخليفة الفاطمي وبذلك يتكون لديه قوة عسكرية خاصة به وتدين بالولاء له وتمكنه من الدفاع عن بلاده ضد أي عدوان خارجي سواء أكان هذا من جانب العدو الصليبي أم من جانب الأمير نور الدين محمود ، كما يسهل على الخليفة الفاطمي في أي وقت يشاء قتل وزيره صلاح الدين أو خلعه .

أرسل الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله إلى الأمير صلاح الدين في يوم الثلاثاء 25 جمادى الأخر عام 564 هـ / 1169 م يخبره بما قد عزم عليه ، غير أن صلاح الدين اعتذر إليه في بادئ الأمر عن تولي هذا المنصب الكبير حيث رأى أنه غير قادر على القيام بأعبائه ، غير أن الخليفة العاضد ألزمه بتولي هذا المنصب ، وأمره بالحضور إلى قصره ؛ فلما حضر صلاح الدين خلع عليه العاضد لدين الله خلع الوزارة . **(1)** كما ولقبه بـ (بالملك الناصر) . **(2)**

---

(1) كانت هذه الخلع عبارة عن عمامة بيضاء تنيسي بطرف ذهب ، وثوب أبيض دبيقي بطرازين ذهبياً ، وجبة بطراز ذهب ، وطيلسان بطراز مقور بطراز ذهب دقيق ، وعقد جوهر قيمته عشرة ألاف دينار وسيف قيمته خمسة ألاف دينار ، وفرس حجرة صفراء من مراكب العاضد قيمتها ثمانية ألاف دينار ، وعليها طوق ذهب وسرفسار ذهب مجوهر ، وفي عنقها مشدة بيضاء برأسها مائتا حبة جوهر ، وفي قوائمها الأربعة أربعة عقود جوهر ، وعلى رأسها قصبة ذهب في رأسها طلعة مجوهرة ، ومشدة بيضاء بأعلام ذهب ، حمل مع هذه الخلع بقج فيها أنواع الثياب ، وقيد معه أيضا عدة خيول ، وأشياء أخرى . انظر : **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 71 ؛ **ابن كثير** : البداية والنهاية ، 12 / 256 – 257 .

(2) **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 71 ؛ **السبكي** : طبقات الشافعية ، 7 / 18 – 19 ؛ **ابن كثير** : البداية والنهاية ، 12 / 256 – 257 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 326 – 327

Marshall W. Baldwyn : A History Of Crusades The Crusades , Vol 1 , Pa 2 , P 564 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد أن خلع على صلاح الدين بخلع الوزارة ، ونعت بـ (الملك الناصر) ، وقرأ منشور توليته الوزارة الفاطمية (1) دخل دار الوزارة ، التي كان يقيم بها عمه أسد الدين شيركوه قبل وفاته ، لم يلتفت إليه أحد من أولئك الأمراء الذين كانوا يطمعون في إشغال هذا المنصب ولم يعلنون تأييدهم له ، غير أن الفقيه عيسى الهكاري أستطاع إن يتدارك الموقف بعد أن تمكن من استمالة معظم الأمراء إلى جانب صلاح الدين الأيوبي ، ما عدا الأمير عين الدولة الياروقي الذي كان من أكابر الأمراء النورية وأكثرهم قوة ، الذي رفض الخدمة تحت صلاح الدين وفضل الرحيل عن مدينة القاهرة والعودة إلى بلاد الشام ، وفعلا عاد بقواته إلى الأمير نور الدين الذي أنكر عليه مفارقة قواته الشامية المرابطة في الديار المصرية . (2)

وبذلك أصبح صلاح الدين الأيوبي الوزير الفاطمي المعترف به من قبل الفاطميين والأمراء الشاميين على حداء سواء ، وبدأ عمله كوزير للخليفة الفاطمي العاضد لدين الله ولتبدأ مع توليه الوزارة قيام الدولة الأيوبية ، إذ كان تأريخ تولي صلاح الدين الوزارة التأريخ الفعلي لقيام الدولة الأيوبية ، في حين أخذت الدولة الفاطمية في الوهن والضعف والانحطاط إلى إن انقرضت نهائياً بعد هذا التأريخ بعامين . (3)

لم يكن لدى الأمير نور الدين محمود أي علم مسبق بشأن تعيين صلاح الدين الأيوبي في منصب الخلافة الفاطمية خلفاً لعمه أسد الدين شيركوه ، لذلك عد هذا الأمر تجاوزاً لصلاحياته ومن قبل احد قادته العسكريين المخلصين ألا وهو صلاح الدين ، الذي كان قد أجبر على تولي هذا المنصب ودون أن تتاح له الفرصة لمعرفة رأي الأمير نور الدين وأخذ موافقته بوصفِهِ قائده الأعلى ، ومما يؤكد هذا الأمر رواية ابن كثير ، فقد ذكر أن الأمير نور الدين كتب إلى صلاح الدين يعنفه على قبول الوزارة دون مرسومه وموافقته . (4)

كما تذكر بعض الروايات أن الأمير نور الدين محمود قد اتخذ عدة إجراءات تعسفية بحق صلاح الدين الأيوبي وعائلته بعد توليه الوزارة الفاطمية دون أخذ موافقته ، بأن تتبع أصحاب عمه أسد الدين شيركوه في بلاد الشام ، وكذلك أصحاب صلاح الدين ، والمؤيدين

---

(1) انظر نص المنشور في مجموعة الوثائق الفاطمية ووثائق الخلافة وولاية العهد والوزارة **لجمال الدين الشيال** ، ص 341 – 353 .

(2) **ابن الأثير** : الكامل ، 11 / 344 : الباهر ، ص 142 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 48 – 49 ؛ **ابن واصل** : مفرج الكروب ، 1 / 169 – 170 ؛ **ابن الوردي** : تاريخ ، 2 / 117 .

(3) **ابن واصل** : مفرج الكروب ، 1 / 171 ؛ **ابن الفرات** : تأريخ ، مج 4 – ج 1 ، ص 63 .

(4) البداية والنهاية ، 12 / 257 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

له ، وأمر بحل أقطاع كل من أسد الدين وابن أخيه صلاح الدين ، وأخذ مدينة حمص من نواب أسد الدين ، وجمع أهلهم وأمرهم بالرحيل إلى مصر ، لكي يثقل كاهل صلاح الدين بنفقات أهله وأقاربه ؛ كما كتب إلى الأمراء الشاميين المرابطين في مصر بضرورة العودة وترك البلاد لكي يسهل على الفاطميين في مصر قتل صلاح الدين إن أرادوا ذلك ، أو يعجز عن المقام في مصر وحدَهُ فيترك الوزارة ، وأكثر على صلاح الدين الشائعات ، وبدأ من الأمير نور الدين محمود أشياء لا تليق بالذكر ، وعنته بالمطالبات الكثيرة ومنها الأموال المخصصة له من أموال مصر ، وصار كثيراً ما يقول : ملك ابن أيوب ! . (1)

غير أن هذه الروايات تبدو ضعيفة وغير دقيقة ، إذ أن الإجراء الوحيد الذي اتخذه الأمير نور الدين محمود عندما عرف باستقرار أمر صلاح الدين الأيوبي في مصر أخذ مدينة حمص من نواب أسد الدين شيركوه . (2) ويبدو أن هذا الأجراء كان طبيعياً ، ومن حق الأمير نور الدين محمود بوصفه القائد الأعلى في بلاد الشام ، وبدليل أن هذا الأجراء لم يُثِرْ حفيظة صلاح الدين الذي بقت علاقته قوية ومتينة بقائده الأعلى نور الدين محمود ، إذ أن صلاح الدين عندما تولى الوزارة الفاطمية خلفاً لعمه أسد الدين شيركوه تولى حكم مصر ليس بوصفه حاكماً مستقلاً وإنما نائباً عن الأمير نور الدين محمود ، ولا يتصرف في شؤون البلاد والحكم إلا عن أمره ومشورته وكنائب عنه في الأمر ، وصارت الخطبة تقام في الديار المصرية للخليفة الفاطمي العاضد لدين الله ومن بعده للأمير نور الدين محمود ومن على جميع المنابر المصرية وفي عموم البلاد كلها ، وكذلك استمرت المراسلات بين الأمير نور الدين ونائبه على مصر صلاح الدين ، وكان الأمير نور الدين يخاطب صلاح الدين في هذه الكتب بالأمير الأسفهسلار (3) وكذلك يفعل مع جميع الأمراء بالديار المصرية في حين كان نور الدين محمود يكتب أسمه في هذه الكتب قبل علامته . (4)

---

(1) **ابن الفرات** : تاريخ ، مج 4 – ج 1 ، ص 66 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 328 .

(2) **بهاء الدين بن شداد** : النوادر السلطانية ، ص 41 ؛ **ابن خلكان** : وفيات الأعيان ، 3 / 487 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 78 ؛ **ابن الفرات** : تاريخ ، مج 4 – ج 1 ، ص 66 .

(3) **الأسفهسلار** : لفظ مركب من مقطعين (أسفه) وهو لفظ فارسي ومعناه (المقدم) وسلار ، وهو لفظ تركي ومعناه (العسكر) ، فيكون بذلك معنى اللفظ (مقدم العسكر) . انظر : **القلقشندي** : صبح الأعشى ، 6 / 7 – 8 .

(4) **ابن الأثير** : الباهر ، ص 142 – 143 ؛ **ابن خلكان** : وفيات الأعيان ، 3 / 488 ؛ **ابن قاضي شهبة** : الكواكب الدرية ، ص 182 ؛ **إبراهيم الحنبلي** : شفاء القلوب ، ص 67 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهكذا يمكن القول أن الأمير نور الدين محمود على الرغم من غضبه من قبول صلاح الدين الأيوبي منصب الوزارة الفاطمية دون مراجعته وأخذ موافقته أولاً ، إلا أنه أعلن موافقته وتأييده لقائده ونائبه صلاح الدين بعد أن عرف الظروف التي أحاطت بالأمير صلاح الدين وجعلته يقبل منصب الوزارة الفاطمية دون الرجوع إليه ، وأخذ الأمير نور الدين محمود يتصرف مع هذا الأمر بجدية وواقعية وخاصة أنه كان مدركاً تماماً لأطماع الصليبيين في الأراضي المصرية ، فضلا عن أنه كان يتوسم في صلاح الدين ما يجعله يمينه في مصر ، وخلفا لقائده أسد الدين شيركوه .

2 - مؤامرة مؤتمن الخلافة جوهر ، وواقعة السودان

وبعد تولى الأمير صلاح الدين الأيوبي الوزارة الفاطمية واجهته صعوبات وتحديات جمة عصفت بالديار المصرية ، حيث تآمرَ رجالات الدولة للإطاحة بوزارته والاستيلاء عليه وطرد جميع الأمراء والقوات النورية من الديار المصرية ، وأولى هذه المؤامرات مؤامرة مؤتمن الخلافة .

فعندما شرع صلاح الدين الأيوبي في إنقاص أقطاع الأمراء الفاطميين وكبار رجالات الدولة من أجل أعطاء قسم من هذه الأراضي لمن كان معه من العساكر الشامية التي بدأ عددها بالتزايد نتيجة وصول الإمدادات العسكرية الإضافية من بلاد الشام ثقل ذلك على رجال الدولة وحواشي الخليفة الفاطمي ، وكان على رأس هؤلاء مؤتمن الخلافة جوهر الذي كان آنذاك من أكابر خدام القصر والمتحكم فيه ، فاتفق مؤتمن الخلافة ومن كان معه من حواشي القصر ورجالاته على ضرورة محاربة نفوذ صلاح الدين المتزايد في مصر عن طريق مكاتبة الصليبيين وطلب النصرة منهم على صلاح الدين ومن كان معه من القوات النورية بحيث عندما يخرج صلاح الدين بعساكره للتصدي للقوات الصليبية يثورون هم عند ذلك بصعيد مصر ومعهم طوائف العساكر الفاطمية ويلقون القبض على من تبقى من فرقتي صلاح الدين العسكريتين (الأسدية ، والصلاحية) وبعد ذلك يسيرون في أثر قوات صلاح الدين التي خرجت لقتال الصليبيين فتدور عليها الدائرة وتصبح محصورة بين الصليبيين من جهة والفاطميين من جهة أخرى ، فيتمكنون بذلك من القضاء على جميع من كان معه من العساكر . (1)

---

(1) **ابن الأثير** : الكامل ، 11 / 345 – 346 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 86 ؛ **ابن الفرات** : تاريخ ، مج 4 – ج 1 ، ص 67 ؛ **إبراهيم الحنبلي** : شفاء القلوب ، ص 71 – 72 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد أن اتفق مؤتمن الخلافة مع بعض رجالات القصر الفاطمي على هــذه الخطــة جهزوا الكتاب وبعثوه مع رجل يثقون به ، وقد وضعوه في نعلي هذا الرجل حتــى لا يعثــر عليه أصحاب صلاح الدين ؛ غير أن الخطة لم تَسِرْ وفقاً لما خطــط لــه مــؤتمن الخلافــة ومن معه من رجالات القصر فعندما وصل رسولهم إلى منطقة مرعى البئــر البيضــاء تقــع بالقرب من مدينة بلبيس ، لقيه أحد أصحاب صلاح الدين الذي كان ينوي عبــور هــذا البئــر أيضا ، فارتاب من سوء حال هذا الرجل ومعَهُ نعلان جديدان فأدرك علــى الفــور أنهمــا لا تليقان به ، وأنهما لو كانا من ملابسه لكان قد تبين فيهما أثر الاستعمال ، فقبض عليه ، وأخذ النعلين اللذين كانا معه ، وجاء بهما إلى صلاح الدين ، فلما أمر صلاح الدين بفتقهمــا وجــد فيهما كتاب أهل القصر إلى الصليبيين ، ويرجون فيه الحصول علــى مســاعدتهم ونصــرتهم فأخذ صلاح الدين الكتاب وسأل عمّن كتبه ، فأجابه أصحابه أنه من خط كاتب يهودي فــأمر بإحضاره ليسأله عمّن حثه على كتابة هذا الكتاب ويعاقبه على موافقته فلما مثل اليهودي بــين يدي صلاح الدين خاف على نفسه من القتل فنطق بالشهادتين وأعلــن إســلامه ، وأوضــح لصلاح الدين أنه مجرد كاتب فقط ، وأن العقل المدبر لهذه المؤامرة هو مؤتمن الخلافة . فلــم يعاقب صلاح الدين اليهــودي ولم يقم بأي إجراء فوري بحق مؤتمن الخلافة . (1)

ومن الأرجح أن هدف صلاح الدين من عدم اتخاذ أي إجــراء حتــى يكــتم الأمــر ويعرف خطوة مؤتمن الخلافة التالية ، كذلك أراد معرفة حقيقيــة موقــف الخليفــة الفــاطمي العاضد لدين الله من هذه المكاتبة ، وهل كان له دور في إعداد هذه المؤامرة ، فضــلا عــن أنه لم يُرِدْ اقتحام قصر الخلافة الفاطمية وخاصة إن علاقته بالخليفة الفاطمي قد بدأت تتــوتر في هذه الاثناء نتيجة لإجراءاته التي أتخذها فيزيد هذا الاقتحام العلاقات سوءاً بــين الطــرفين فيعمل الخليفة الفاطمي على حماية مؤتمن الخلافة بكل ما يمتلكه مــن قــوة ووســائل ، كمــا أن صلاح الدين وضع في حسابه الرأي العام المصري الذي ربما سوف ينقلب ضده في حالــة اقتحامه قصر خليفتهم الفاطمي ويظهر بمظهر المعتدي ، لذلك كله اضطر إلى التريــث فــي إلقاء القبض على مؤتمن الخلافة ومعاقبته على هذه الخيانة العظمى إلى ين خروجه من قصر الخلافة الفاطمية ، وهذا ما يؤكده كيفية إلقاء القبض على مؤتمن الخلافة وقتله .

وكان مؤتمن الخلافة قد شعر أن الأمير صلاح الدين الأيوبي أصــبح علــى بشــأن مكاتبة الصليبيين فخشي على نفسه من القتل فامتنع عن الخروج مدة ولزم قصر الخلافة ولم

---

(1) **ابن الأثير** : الكامــل ، 11 / 345 – 346 ؛ **البنــداري** : مختصــر ســنا البــرق الشــامي ، ص 43 ؛ **ابن خلدون** : تاريخ ، 5 / 283 ؛ **ابن قاضي شهبة** : الكواكب الدرية ، ص 184 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يخرج منه قط ، وكان إذا اضطر إلى الخروج فإنه لم يبتعد عنها كثيراً ، وصـــلاح الـــدين لا يظهر شيئاً من الطلب على رغم أنه كان غاضباً جداً عليه ، فلما طال الأمـــر أغتـــر مـــؤتمن الخلافة بإعراض صلاح الدين عنه فخرج من قصر الخلافة الفاطمية إلى منظرة له يقال لـــه الحرقانية التي كانت تقع على ضفة نهر النيل بالقرب من مدينة قليوب للتنزه ، فلمـــا علـــم صلاح الدين بذلك أرسل جماعة من أصحابه في أثره ، فهاجموه وتمكنوا من قتله وأتوا برأسه إلى صلاح الدين في يوم الأربعاء 25 ذي القعدة عام 564 هـــ / 1169 م . **(1)**

وبعد إن نجح صلاح الدين في التخلص نهائياُ من مؤتمن الخلافـــة والخطـــر الـــذي يمثله أمر بعزل جميع من كان بالقصر الفاطمي من الخدم والحاشية ، وأمر بتعيين من ينوب عنهم ، واستعمل عليهم بهاء الدين قراقوش الأسدي خلفاً لمؤتمن الخلافة ، وأمـــره أن يطلعـــه على جميع ما يدور في قصر الخلافة من أمور سواء كانت صغيرة أم كبيرة ، وفعـــلا نجـــح بهاء الدين قراقوش في مهمته التي أوكلت إليه بحيث لم يكن يجري أمر في قصـــر الخلافـــة الفاطمية صغيراً كان أو كبيراً إلا بأمره وحكمه . **(2)**

وعلى الرغم من تخلص صلاح الدين الأيوبي من المؤامرات التي حاكها ضده مؤتمن الخلافة ومن معه من رجالات القصر الفاطمي وحاشيته إلا إن ذلـــك لـــم يجلـــب الاســـتقرار والهدوء إلى البلاد بل على العكس إذ أثار قتل مؤتمن الخلافة على يد أصحاب صلاح الـــدين الأيوبي عدداً من المشاكل المتراكمة ، وأشعل نار التمـــرد فـــي الـــبلاد ، وخاصـــة داخـــل المؤسسة العسكرية الفاطمية إذ غضب أحد أهم عناصر هذه المؤسسة ألا وهم الســـودان . **(3)** لمقتل مؤتمن الخلافة حميةً ، حيث كان يتعصب لهم ، فـــاظهروا مـــا كـــانوا يكتمونـــه مـــن كرههم الشديد للغز ، واجتمعوا على حرب صلاح الدين الأيوبي ، فحشدوا قواتهم التي بلغت ما يزيد على نحو خمسين ألفا ، كما أنضم إلى هذه القوات العديد من الأمراء الفاطميين الـــذين تأثرت مصالحهم بإجراءات صلاح الدين ، فزحفوا جميعاً باتجاه دار الوزارة لحـــرب الأجنـــاد الصلاحية . **(4)**

---

(1) ابن الأثيـــر : الكامـــل ، 11 / 346 ؛ **أبـــو شـــامة** : كتـــاب الروضـــتين ، 2 / 87 ؛ **ابـــن قاضـــي شهبة** : الكواكب الدرية ، ص 184 ؛ **إبراهيم الحنبلي** : شفاء القلوب ، ص 72 .

(2) ابن الأثير : الكامل ، 11 / 346 ؛ **أبو الفدا** : المختصر ، 3 / 48 ؛ **ابن الوردي** : تـــاريخ ، 2 / 118 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 329 .

(3) إذ يذكر **أبو شامة** عن سطوة هؤلاء بقوله : (... وكانوا أكثر من خمسين ألفاً ، وكانوا إذا قاموا علـــى وزير قتلوه ، واجتاحوه وأذلوه ، واستباحوه واستحلوه ...) . انظر : كتاب الروضتين ، 2 / 87 .

(4) ابن الأثير : الكامل ، 11 / 346 – 347 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 87 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أخذ صلاح الدين بالاستعداد للقتال بعد أن بلغه زحف السودان باتجاه دار الوزارة حيث طلب من قائده على الأجناد الصلاحية الأمير أبي الهيجاء بالاستعداد لقمع هذا التمرد ، كما استعد الأمير شمس الدولة توران شاه الأخ الأكبر لصلاح الدين ، والذي وصل مدينة القاهرة في يوم 3 ذي القعدة عام 564 هـ / 1169 م مع الجيش الذي أرسله الأمير نور الدين محمود لدعم موقف قواته هناك ضد أي عدوان عليها ، فلما فرغ صلاح الدين من تهيئة قواته ، والاستعداد لقمع هذا التمرد ، أتجه لملاقاة السودان ، فالتقى الطرفان فيما بين القصرين وفي هذه الأثناء انضمت بعض فرق الجيش الفاطمي الأخرى للسودان فدارت بين الطرفين معركة شرسة سقط خلالها عدد كبير من القتلى من كلا الطرفين وكاد السودان أن يهزموا قوات صلاح الدين ، لولا تمكن توران شاه من أسر احد مقدمي السودان وقتله ، فتخاذل بعدها السودان وتراجعوا إلى باب القصر الفاطمي المعروف بباب الذهب ، كما تمكن صلاح الدين من قتل عدد من الأمراء الفاطميين الذين اشتركوا في هذه الواقعة إلى جانب السودان ، فضلا عن أعداد كبيرة من الجند . **(1)**

وكان الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله يراقب سير المعركة من منظرته التي تشرف على ساحة القتال ، فلما رأى ما جرى للسودان من انكسار على أيدي القوات الشامية أمر جماعة من السودان كانوا عنده في القصر أن يرموا القوات الشامية بالنشاب والحجارة ففعلوا ذلك ، وكاد السودان بفضل هذه المساعدة من أن يهزموا القوات الشامية لولا تدخل توران شاه مجددا ، حيث أمر النفاطين بحرق منظرة قصر الخليفة العاضد لدين الله ، فلما استعد أحد النفاطين لرمي قارورة النفط ، انفتح باب تلك المنظرة وخرج منه أحد الأستاذين الخواص ويدعى زعيم الخلافة وقال : أمير المؤمنين يسلم على الأمير توران شاه ، ويقول له : دونكم والسودان الكلاب أخرجوهم من بلادكم . **(2)** وكان السودان يعتقدون أن الخليفة الفاطمي راضٍ عن أفعالهم وما يقومون به ، فلما سمعوا هذا الكلام خارت قواهم وضعفوا عن مواصلة القتال . **(3)**

---

(1) ابن الأثير : الكامل ، 11 / 347 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 87 ؛ **ابن الفرات** : تاريخ ، مج 4 – ج 1 ، ص 70 ؛ **المقريزي** ، اتعاظ الحنفا ، 2 / 329 .

(2) أبو شامة : كتاب الروضتين ، 2 / 88 ؛ **ابن الفرات** : تأريخ ، مج 4 – ج 1 ، ص 70 ؛ **ابن قاضي شهبة** : الكواكب الدرية ، ص 184 – 185 .

(3) أبو شامة : كتاب الروضتين ، 2 / 88 ؛ **ابن الفرات** : تأريخ ، مج 4 – ج 1 ، ص 70 ؛ **ابن قاضي شهبة** : الكواكب الدرية ، ص 185 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يكن هذا الأمر الوحيد الذي ساعد على أضعاف جبهة السودان وانهيار معنوياتهم إذ كان صلاح الدين الأيوبي قد أمر قسماً من جنده بحرق حارة السودان ، والتي كانت تقع خارج باب زويلة والمعروفة بحارة (المنصورة) فلما سمع السودان بحرق حارتهم ولوا الأدبار منهزمين في يوم السبت 28 ذي القعدة عام 564 هـ / 1169 م بعد أن ثبتوا يومين متتاليين فتبعت القوات الشامية فلول قواتهم المنهزمة تقتل وتأسر منهم ، كما أنها كانت تحرق جميع المناطق التي كان يعتصم بها السودان . **(1)**

وكانت لهذه الواقعة نتائج مهمة ساعدت صلاح الدين الأيوبي على تثبيت مركزه أكثر في الديار المصرية بعد أن تمكن من القضاء على كافة المعوقات التي قد تقف في طريقه مستقبلاً ، إذ تمكن توران شاه من القضاء على الأرمن ، الذين كانوا يُعدّون من أهم عناصر الجيش الفاطمي ، وكانت فرقتهم تأتي بعد السودان من حيث العدد والقوة ، حيث كانوا رماة متميزين ، وكانت رواتبهم من عند الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله ؛ بعد أن حاولوا مساعدة السودان في حربهم مع القوات الشامية ، فأمر توران شاه بحرق دار الأرمن التي كانت تقع بين القصرين ، فاحترقت على من بداخلها من الأرمن ، ولم ينجُ منهم أحدٌ عقاباً لهم لما قاموا به من مقاتلة القوات الشامية التي لم تكن تحمل نحوهم أي نية عدوانية . **(2)**

كما تمكن توران شاه من إبادة أغلب السودان ولم يبقَ منهم إلا الشريد والمختبئ في حين أمر صلاح الدين الأيوبي بمصادرة أموالهم وديارهم ، وتخريب حارة السودان (المنصورة) وإعفاء أثرها ، واتخذها بستاناً ، وأصبح أمر السودان بعد هذه الواقعة كأنه أمرٌ لم يكن قط . **(3)**

كما صادر صلاح الدين الأيوبي العديد من دور الأمراء الفاطميين الذين اشتركوا في هذه الواقعة ، كما صادر جميع دور الأرمن والسودان ، وأسكن فيها أصحابه خاصة الدور التي تقع داخل مدينة القاهرة . **(4)**

توترت العلاقات بين صلاح الدين الأيوبي والخليفة الفاطمي العاضد لدين الله ، إذ يذكر ابن الفرات أن صلاح الدين الأيوبي تردد في بداية الأمر في محاربة السودان احتراماً

---

(1) ابن الفرات : تأريخ ، مج 4 – ج 1 ، ص 70 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 329 .

(2) ابن الفرات : تأريخ ، مج 4 – ج 1 ، ص 70 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 329 .

(3) ابن الأثير : الكامل ، 11 / 347 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 87 .

(4) ابن الفرات : تأريخ ، مج 4 – ج 1 ، ص 72 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 330 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للخليفة الفاطمي العاضد لدين الله وهو ما سبب غضب أخيه توران شاه عليه الذي أصرَّ على محاربة هؤلاء المتمردين . (1) غير أن احترام وتقدير صلاح الدين الأيوبي للخليفة الفاطمي قد تغير كثيراً نتيجة سوء تصرف الخليفة العاضد لدين الله أثناء محاولته نصرة السودان على القوات الشامية مما دفع توران شاه إلى محاولة إحراق المنظرة التي كان يطل منها الخليفة العاضد على أرض المعركة ، مما أجبر العاضد لدين الله عن التراجع عن موقفه وأعلن تأييده مجدداً للقوات الشامية ، لكن صلاح الدين على ما يبدو لم يغفر للخليفة الفاطمي هذه التصرفات ؛ كما أن مركز صلاح الدين في مصر بعد هذه الواقعة أضحى أكثر قوةً ونفوذاً في حين أخذ أمر الخليفة العاضد لدين الله بالضعف والانحلال ولم يبقَ له من الأمر سوى ذكر اُسمه في الخطبة ، وكان سبب هذا الضعف والانحلال أن صلاح الدين أخذ يجرد الخليفة العاضد لدين الله من جميع وسائل القوة حيث شرع في طلب الأموال والخيول والرقيق وغير ذلك لكي يزيد من ضعفه وتجريده من أية وسيلة يحاول بها استعادة نفوذه فأتى بذلك على أموال الخليفة العاضد وخيله ورقيقه . (2) فغدا بذلك صلاح الدين سيد البلاد المصرية الوحيد والمطلق الصلاحية في جميع شؤونها الإدارية والسياسية والعسكرية والاقتصادية .

3 - الحملة الصليبية - البيزنطية المشتركة على مصر ، وحصار مدينة دمياط عام 565 هـ / 1169 م

ما أن تخلص صلاح الدين الأيوبي من المشاكل الداخلية في مصر حتى واجهته مشاكل جديدة أكثرة خطورة من سابقاتها ، إذ أثارت النجاحات التي حققتها القوات النورية وتمكنها من فرض سيطرتها المطلقة على الديار المصرية فزع الصليبيين وخوفهم ، حيث أحسوا أنهم أصبحوا بين شَقي الرحى ، فضلا عن سيطرة قوات الأمير نور الدين محمود على القواعد البحرية في شمالي مصر خاصة مدينتي دمياط والإسكندرية ، من شأنها أن تسلب من الصليبيين سيادتهم البحرية على الجزء الشرقي من حوض البحر المتوسط . (3)

وبعد أن وضع الصليبيون والبيزنطيون خطة مشتركة لتنفيذ عملية الغزو ، وكانت هذه الخطة تقضي بأن يأخذ الأسطول البيزنطي طريق البحر إلى مدينة دمياط ، في حين

---

(1) **ابن الفرات** : تأريخ ، مج 4 – ج 1 ، ص 70 .

(2) **ابن الفرات** : تاريخ ، مج 4 – ج 1 ، ص 71 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 330 .

(3) **عاشور** : مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، ص 21 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تأخذ القوات الصليبية طريق البر إلى دمياط . والتي حددت كنقطة لتجمع هاتين القوتين . (1)

سارت هذه القوات صوب هدفها ، والتي ظنت أنها سوف تكون قاعدتهم الرئيسة للاستيلاء على الديار المصرية (2) فوصلتها في مستهل شهر صفر عام 565 هـ / 1169 م بألف ومائة مركب بمختلف أحجامها ومسمياتها ، فضلا عن أعداد هائلة من الجند ، وقد شرعت هذه القوات فور وصولها إلى أطراف مدينة دمياط بفرض حصار على المدينة من جهتي البر والبحر . (3)

وعندما علم الوزير الفاطمي صلاح الدين بخبر نزول القوات الصليبية – البيزنطية على مدينة دمياط ، وفرضها حصاراً شديداً على أهالي المدينة أخذ بالاستعدادات لمواجهة هذا الموقف الخطير ، حيث أرسل ابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب في قسم من عساكره بعد أن أمدهم بالأموال والميرة والسلاح إلى مدينة دمياط ، كما أرسل قوات إضافية ثانية بقيادة خاله شهاب الدين الحارمي ، وأمدهم أيضا بالأموال والميرة والسلاح . (4)

كما أرسل صلاح الدين الأيوبي إلى قائده الأعلى في بلاد الشام ، الأمير نور الدين محمود يشكو إليه ممّا هو فيه من المخاوف ، ويخبره أنه إن تخلف عن مدينة دمياط فأن الصليبيين سوف يملكونها ، وأنه إن سار إليها بنفسه فإن الفاطميين سوف يخلعون الطاعة ويقصدون من يخالفهم من أهلي مدينة القاهرة وعساكرها وأموالها بالسوء ، ويسيرون في أثر القوات الشامية ، فتصير محصورة ما بين الصليبيين من أمام ، والفاطميين من خلف فلا تبقى لهم باقية ؟ فسير إليه الأمير نور الدين محمود العساكر الشامية أرسالا ، كلما تجهزت طائفة أرسلها ، فسارت إلى الديار المصرية يتلو بعضها بعضاً ، ولم يكتفِ الأمير نور الدين محمود بذلك بل سار بنفسه مع من تبقى لديه من عساكره إلى أملاك الصليبيين في بلاد الشام ، فأغار عليها ونهبها واستباحها ووصلت غاراته إلى مناطق لم تكن تبلغها من قبل قط ، وذلك لخلو هذه البلاد من مانع يعيق تقدمه في هذه الأملاك . (5)

---

(1) **أبو بدر** : الحروب الصليبية ، ص 345 .

(2) **ابن الأثير** : الكامل ، 11 / 351 .

(3) **ابن الفرات** : تأريخ ، مج 4 – ج 1 ، ص 83 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 330 .

(4) **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 91 – 93 ؛ **ابن تغري بردى** : النجوم الزاهرة ، 6 / 7 ؛ **إبراهيم الحنبلي** : شفاء القلوب ، ص 187.

(5) **ابن الأثير** : الكامل ، 11 / 351 – 352 : الباهر ، ص 143؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 /91.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي الحقيقة إن هدف الأمير نور الدين محمود من هذه الغارات كما يذكر ابن الفرات أنه أراد أن يشغل قلوب الصليبيين على أملاكهم وأراضيهم في بلاد الشام ، فيتحركوا للدفاع عنها ، وصد الهجمات النورية عليها ، ويتركوا أمر مدينة دمياط . (1)

وفعلاً فإن جهود كل من الأمير نور الدين محمود في بلاد الشام ونائبه في مصر صلاح الدين الأيوبي ، فضلا عن استبسال القوات الشامية مع أهالي دمياط في التصدي للحملة الصليبية – البيزنطية المشتركة على مصر قد آتت أكلها ، إذ انسحبت هذه القوات من دمياط في 21 ربيع الأول عام 564 هـ / 1169 م ، وبعد خمسين يوماً من الحصار المتواصل عليها (2) وقيل : واحد وخمسون يوماً (3) في حين يقدر ابن تغري بردى مدة بقائهم بنحو شهرين . (4)

ويعود فشل الحملة الصليبية – البيزنطية على دمياط إلى عدة عوامل تتعلق بالمسلمين والبيزنطيين والصليبيين معاً ، منها :

1 – تأخر ملك بيت المقدس عموري الأول في الهجوم على مدينة دمياط ثلاثة أيام بانتظار وصول الأسطول البيزنطي ، مما أعطى فرصة طيبة للمسلمين لتحصين المدينة وإمدادها بالرجال والسلاح .

2 – احجام القوات الصليبية عن إمداد القوات البيزنطية بالمؤن حين تعرضت للهجوم من قبل المسلمين .

3 – عدم وجود قيادة موحدة ، وافتقرت القيادتان الصليبية والبيزنطية إلى التنسيق فيما بينهما .

4 – سرعة إمداد صلاح الدين المدينة بالمؤن والسلاح ، مما رفع معنويات سكانها المحاصرين .

5 – تراخي القيادة البيزنطية في تطبيق القواعد العسكرية التي تكفل أمن سفنها .

---

(1) تأريخ ابن الفرات ، مج 4 – ج 1 ، ص 84 .

(2) **ابن الأثير** : الكامل ، 11 / 352 : الباهر ، ص 144 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 91 ؛ **أبو الفدا** : المختصر ، 3 / 48 ؛ **اليافعي** : مرآة الجنان ، 3 / 378 ؛ **الذهبي** : دول الإسلام ، 2 / 294

(3) **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 331 .

(4) النجوم الزاهرة ، 6 / 7 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

6 – انتشار المجاعة بين القوات المتحالفة .

7 – سوء اختيار توقيت خروج الحملة .

8 – سوء أختيار المكان الذي عسكرت فيه القوات المتحالفة .

9 – استبسال المسلمين في الدفاع عن مدينة دمياط .

10 – أستغلال المسلمين الجيد لفرصة هبوب الرياح الجنوبية لإشعال النار في الأسطول البيزنطي . **(1)**

كان انسحاب القوات الصليبية – البيزنطية من دمياط مذلاً ، إذ أجبرت على حرق جميع ما كان معها من ميرة وآلات الحرب والحصار وكل ما عجزت عن حمله بعد أن فقدت نحو ثلاثمائة مركب من مراكبها الحربية ، فضلا عن خسائرها البشرية الهائلة التي تكبدتها على أيدي القوات الشامية ، فضلا عن الوباء الفتاك الذي وقع في صفوف قواتها . **(2)**

وبعد انسحاب القوات الصليبية – البيزنطية من مدينة دمياط كتب صلاح الدين إلى الأمير نور الدين بالبشارة برحيل القوات الغازية عن ثغر دمياط . فكتب الأمير نور الدين إلى الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله يهنئه بذلك . فأرسل إليه الخليفة الفاطمي يطلب منه سحب الجنود الأتراك من جميع الديار المصرية خوفاُ من تصرفاتهم في المستقبل وأن يقتصر الأمر على صلاح الدين الأيوبي وبعض من خواصه ورجاله ، وكانت هذه محاولة من قبل الخليفة العاضد لأضعاف مركز صلاح الدين الأيوبي في الديار المصرية عبر تجريده من مماليكه الأتراك . فكتب إليه الأمير نور الدين كتاباً يتضمن مدح الجنود الأتراك والثناء عليهم وأنه ما أرسلهم إلى الديار المصرية ، واعتمد عليهم في الدفاع عنها إلا لعلمه بأن السفن الحربية الصليبية ليس لها إلا سهام الأتراك ، وإن الصليبيين لا يخافون إلا منهم ولولاهم لزاد طمعهم في البلاد الشامية والمصرية على حداء سواء . **(3)**

---

(1) للمزيد من التفاصيل عن عوامل فشل الحملة الصليبية – البيزنطية على دمياط انظر : الصلابي : صلاح الدين الأيوبي ، ص 184 – 187 .

(2) أبو شامة : كتاب الروضتين ، 2 / 93 ؛ **ابن الفرات** : تاريخ ، مج 4 – ج 1 ، ص 85 ؛ **ابن خلدون** : تاريخ ، 5 / 284 ؛ **ابن تغري بردى** : النجوم الزاهرة ، 6 / 7 .

(3) أبو شامة : كتاب الروضتين ، 2 / 94 ؛ **ابن الفرات** : تأريخ ، مج 4 – ج 1 ، ص 87 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 331 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعد فشل هذه الحملة تحسنت العلاقات بين صلاح الدين الأيوبي والخليفة الفاطمي العاضد لدين الله ، إذ أسهم الأخير وبشكل فعّال في التصدي لهذه الحملة المشتركة على دمياط ، وذلك عن طريق مساندة جهود صلاح الدين في التصدي لها في عدوانها على الأراضي المصرية ، ومواجهة هذا الحدث الجسيم ، الذي كان يمثل خطراً حقيقياً على مستقبل هذه البلاد ، والمسلمين الذين فيها ، حيث أمد الخليفة العاضد صلاح الدين الأيوبي في أثناء تصديه للقوات الصليبية – البيزنطية ، فضلا عن الثياب وأشياء أخرى ؛ وكانت نفقات صلاح الدين في هذه المواجهة قد بلغت مليون دينار . **(1)**

كما اعترف صلاح الدين بفضل الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله في مساعدته في التصدي للقوات الغازية ، حيث كان دائما يقول : (ما رأيت أكرم من العاضد أرسل إلي مدة مقام الفرنج [الصليبيين – البيزنطيين] على دمياط ألف ألف دينار مصرية سوى الثياب وغيرها) . **(2)**

وبهذه الصورة فقد تمكن الأمير صلاح الدين من التصدي للحملة الصليبية – البيزنطية المشتركة على الديار المصرية بفضل توحيد جهود جميع المسلمين ، فضلا عن وضع حد لأحلام الصليبيين وأطماعهم في الاستيلاء على الديار المصرية .

4 - محاولة الأمير نور الدين محمود إقامة الدعوة العباسية في مصر عام 565هـ / 1169 م

حاز صلاح الدين الأيوبي ثقة قائده الأعلى في بلاد الشام ، الأمير نور الدين محمود ورضاه ، خاصة بعد جهوده المتميزة التي كان قد بذلها لتثبيت سلطان سيده في جميع الديار المصرية ، والقضاء على كافة المعوقات والأخطار التي كانت تقف في سبيل ذلك .

رأى الأمير صلاح الدين الأيوبي بعد أن تمكن من القضاء على كافة العوائق التي تقف بوجهه أن الظروف أصبحت مناسبة لكي يطلب من الأمير نور الدين محمود إرسال والده نجم الدين أيوب إلى الديار المصرية ، لكي يتسنى له جمع شمل أسرته من جديد فيهنأ

---

(1) ابن الأثير : الكامل ، 11 / 352 : الباهر ، ص 144؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 92 ؛ **أبو الفدا** : المختصر ، 3 / 49 ؛ **اليافعي** : مرآة الجنان ، 3 / 378 .

(2) أبو شامة : كتاب الروضتين ، 2 / 92 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بقربهم ؛ وفعلا أرسل إلى الأمير نور الدين محمود يستأذنه بالسماح لوالده نجم الــدين أيــوب بالرحيل إلى مصر ، لكي يتم له السرور بلقائه ، وتكون قصته مشابهة لقصة سيدنا يوسف (**عليه السلام**) . فوافق نور الدين محمود على السماح لنجم الدين أيوب بمغــادرة بــلاد الشــام والتوجه إلى الديار المصرية . **(1)**

ولم تكن الموافقة بهذه السرعة فقط استجابة لطلب ولده صلاح الــدين ، وكمكافــأة لجهوده المتميزة على صعيد الساحة المصرية ، إذ يذكر كل من آبن الفرات والمقريــزي ، أن الخليفة العباسي المستنجد بالله (555 - 566 هــ / 1160 - 1170 م) قد بعث فــي هــذه الأثناء برسالة من بغداد إلى الأمير محمود في بلاد الشام يعاتبه فيها بشأن تأخير إقامة الدعوة العباسية في مصر . فكتب الأمير نور الدين بدوره إلى نائبه على مصر ، الأمير صلاح الدين يأمره بإقامة الخطبة العباسية في الأراضي المصرية لخلفاء بني العباس ، غيــر إن الأميــر صلاح الدين أعتذر عن تنفيذ ذلك ، وأخبره أن الحكمة السياسية تقضي بتأجيل أقامة الخطبــة للعباسيين بعض الوقت ، وحتى يحين الوقت المناسب لكي يتجنب العواقب الوخيمة جراء هــذا الأمر ويضمن نجاحها ، كما أخبره أيضا أن الشاهد يرى ما لا يراه الغائب . غير أن الأميــر نور الدين محمود تعرض لضغط شديد من جانب الخليفة العباسي ، إذ وردت إليه رسل أمير المؤمنين المستنجد بالله مرة أخرى تستحثه على أقامة الخطبة لبني العباس في الديار المصرية وأنه لابد من تنفيذ ذلك الأمر . فرأى الأمير نور الدين محمود أن هــذه المهمــة الخطيــرة لا يستطيع القيام بها إلا نجم الدين أيوب ، والد صلاح الدين ، وخاصة أن صلاح الدين كان قــد أرسل في طلبه من الأمير نور الدين ، وكان نجم الدين أيوب آنــذاك يتــولى قلعــة بعلبــك فأرسل إليه الأمير نور الدين ، فلما حضر نجم الدين شاوره بشأن هذا الأمر وأمــره بالتوجــه إلى الديار المصرية لكي يحسم هذه القضية مع ولده . **(2)** كما حمله رسالة جاء فيها (وهــذا أمر تجب المبادرة إليه لنحظى بهذه الفضيلة الجليلة ، والمنقبة النبيلة ، قبــل هجــوم المــوت وحضور الفوت ، لاسيما إمام الوقت متطلع إلى ذلك بكليته ، وهو عنده من أهم أمنيته) . **(3)**

وصل نجم الدين أيوب إلى مدينة القاهرة في 24 رجب عــام 565 هــــ / 1169 م فخرج صلاح الدين وجميع الأمــراء لاستقباله ، كما خــرج الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله

---

(1) بهاء الدين بن شداد : النوادر الســلطانية ، ص 56 ؛ **ابــن خلكــان** : وفيــات الأعيــان ، 3 / 487 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 99 ؛ **ابن الفرات** : تأريخ ، مج 4 - ج 1 ، ص 88 .

(2) تاريخ ابن الفرات ، مج 4 - ج1 ، ص 89 ؛ اتعاظ الحنفا ، 2 / 331 - 332

(3) أبو شامة : كتاب الروضتين ، 2 / 99 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لاستقباله أيضا عند باب الفتوح إكراماً لولده ، على الرغم مما جرى عليه العرف وحرصت عليه الرسوم الفاطمية من استعلاء الخليفة الفاطمي واحتجابه عن الناس لعدم ابتذاله بكثرة ظهوره أمامهم ، ولإكسابه مسحة من القداسة والتعظيم . **(1)** فكان ذلك أعجب يوم شهده الناس ، وبالغ الخليفة العاضد في احترامه لنجم الدين أيوب والإقبال عليه ، فخلع عليه الخلع ولقبه (الملك الأفضل) ، وحمل إليه من القصر الفاطمي الألطاف والهدايا والتحف . **(2)**

كان نجم الدين أيوب يحمل معه رسالة الأمير نور الدين محمود بشأن التعجل بإقامة الخطبة للعباسيين في الديار المصرية ، ولكن يبدو أن الأمير صلاح الدين بقى مصراً على موقفه الذي أبداه للأمير نور الدين محمود عندما أمره أول مرة بإقامة الدعوة العباسية في الأراضي المصرية ، ألا وهو التريث في ذلك إلى أن يحين الوقت المناسب لذلك ، وبعد أن يتمكن من تمهيد الطريق لقيام مثل هذه الدعوة بما يضمن نجاحها ، ويتجنب العواقب الوخيمة ولاسيما أن الأراضي المصرية كانت خاضعة لمدة طويلة للفاطميين ، حيث كانت مقرَ خلافتهم ومركزَ دولتهم ، وهذا بالضبط ما تقتضيه السياسية الراشدة في مثل هذا الأمر الجسيم والخطير . **(3)**

كما أن الظروف التي ألمت بالأمير نور الدين محمود في هذه المرحلة في بلاد الشام جعلته ينشغل ردحاً من الزمن عن مسألة أقامة الدعوة العباسية في الديار المصرية ، إذ ضربت بلاد الشام في شهر شوال عام 565هـ / 1169 م سلسلة من الزلازل المدمرة والمتتابعة ، التي لم يرَ الناس لها مثيلاً في ذلك العصر ، إذ عمت أكثر بلاد الشام والجزيرة الفراتية والموصل وأجزاء من العراق ، إلا إن أشدها كان في بلاد الشام إذ خربت أجزاء كبيرة من مدينة دمشق وبعلبك وحماة وشيزر وبعرين وحلب والكثير من مدن بلاد الشام وكانت أثار الزلازل مرعبة ممّا اجبر الأمير نور الدين محمود على المسير بقواته إلى هذه المدن لمعرفة حجم الدمار والخراب الذي لحق بها ، ويعين من يتولى إعمارها . **(4)** كما كتب إلى الخليفة العباسي المستنجد بالله يخبره بما أصاب مدن بلاد الشام من دمار بفعل الزلازل المدمرة التي ضربت هذه المنطقة وخاصة الخراب والدمار الذي لحق بمدينة حلب ، كما يحثه على إعطائه الأموال اللازمة لإصلاح أحوال وشؤون المسلمين في هذه المدن ، التي تُعد

---

(1) **الصلابي** : الدولة الزنكية ، ص 593 .

(2) **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 99 ؛ **ابن الفرات** : تاريخ ، مج 4 – ج 1 ، ص 89 – 90 .

(3) **ابن الفرات** : تاريخ ، مج 4 – ج 1 ، ص 89 .

(4) **ابن الأثير** : الكامل ، 11 / 354 – 355 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 100– 101 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثغور الإسلام والخطوط الدفاعية الأولى للتصدي للقوات الصليبية المغيرة على الأراضي الإسلامية . (1)

أما المسألة الثانية التي جعلت الأمير نور الدين ينشغل عن مسألة إقامة الدعوة العباسية في الديار المصرية فهي اضطراب أوضاع الموصل السياسية على أثر وفاة أخيه قطب الدين مودود أميرها ، واستبداد نائبه عليها فخر الدين عبد المسيح (2) بأمور الولاية وتحكمه في أولاد الأمير قطب الدين مودود ، فانف الأمير نور الدين من هذا الأمر ، وعظم عليه ذلك وقال : أنا أولى بتدبير أمر أولاد أخي وملكهم . فضلا عن أنه كان يبغض فخر الدين عبد المسيح لما يبلغه عنه من خشونة سياسيته ، وكان يلوم أخاه قطب الدين كثيراً على توليته لأموره في مدينة الموصل ، فخرج الأمير نور الدين بقواته إلى مدينة الموصل فوصلها في شهر جمادى الأول عام 566 هـ / 1171 م فبقى فيها 24 يوماً أقر خلالها أمور المدينة المضطربة ، وعاد بعد ذلك إلى بلاد الشام . (3)

5 - التمهيد لإلغاء الخلافة الفاطمية

كانت تولية صلاح الدين الأيوبي منصب الوزارة الفاطمية خلفاً لعمه أسد الدين شيركوه ، والقضاء على كافة الصعوبات والتحديات التي واجهته قبيل توليه الوزارة بداية النهاية للخلافة الفاطمية ، كما كانت هزيمة الحملة الصليبية – البيزنطية على مدينة دمياط عام 565 هـ / 1169 م الخطوة الأخرى نحو القضاء على هذه الخلافة المتداعية ، أما

---

(1) **ابن الفرات** : تاريخ ، مج 4 – ج 1 ، ص 96 – 97 .

(2) **فخر الدين عبد المسيح** : هو أبو الفرج عبد المسيح بن عبد الله ، من مماليك الأتابك عماد الدين زنكي ، نشأ في دولته ، ودولة بنيه من بعده ، وعندما فارق زين الدين علي كوجك بن بكتكين أمير قلعة الموصل ، عهد إليه الأمير قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي بتولي أمر قلعة الموصل ، فاهتم فخر الدين عبد المسيح بعمارة وتجديد القلعة ، فعلا شأنه وصارت الكلمة في البلاد إليه ، غير أن الأمير نور الدين محمود كان يبغضه فقصد مدينة الموصل بقواته بعد وفاة أخيه قطب الدين مودود عام 566 هـ وتسلمها ، وعند عودته إلى بلاد الشام أخذ فخر الدين عبد المسيح معه ، وغير أسمه وسماه (عبد الله) وأقطعه هناك إقطاعاً كبيراً ، وصار في خدمة الأمير نور الدين محمود . انظر : **ابن الفوطي** : تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب ج 4 – ق 3 ، ص 221 – 222 .

(3) **ابن الأثير**: الباهر ، ص 149 ، 152 – 153؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 104 – 105 ، 108 – 114 ؛ ابن الفرات : تاريخ ، مج 4 – ج 1 ، ص ص 98 – 99 ، 111 – 115 .

للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ، انظر : الصلابي : الدولة الزنكية ، ص 474 – 477 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخطوة الأخيرة ، التي تعد البداية الفعلية لنهاية الخلافة الفاطمية فهي استقبال والــده الأميــر نجم الدين أيوب الذي كان يحمل رسالة من الأمير نور الدين محمود تتضمن التعجيــل بإلغــاء الخلافة الفاطمية في الديار المصرية .

بدأ صلاح الدين الأيوبي أولى إجراءاته بتقليص النفوذ الفاطمي على مصر ، إذ عهــد إلى والده نجم الدين أيوب بولاية كل من الإسكندرية ودمياط والبحيرة ، فضلا عــن حكمــه في الخزائن بأسرها ، كما اقطع أخاه شمس الدولة توران شاه قوص وأسوان وعيذاب ، وكــان مقدار جبايتها في ذلك العام مائتي وستين ألف دينار . **(1)**

كما أمر صلاح الدين الخطباء بالدعاء للخليفة الفاطمي العاضد لدين الله فــي خطبــة الجمعة بــ (اللهم أصلح العاضد لدينك) . **(2)**

كما ولي القضاء القاضي المفضل أبو القاسم هبة الله بن الكامل قاضي القضاة وذلــك في شهر ذي الحجة عام 565 هــ / 1170 م ، كما عهد صلاح الدين إلــى الفقيــه عيســى الهكاري بقضاء مدينة القاهرة ، وابن كامل بقضاء مصر . **(3)**

وكان بمصر دار للشحنة تعرف بــ (دار المعونة) يحبس فيهــا كــل مــن يريــد حبسه ، فأمر صلاح الدين في عام 566 هــ / 1171 م بهدمها ، وأزالت ما كــان بهــا مــن الظلم ، وبنى في موضعها مدرسة للشافعية ، ولم يكن قبل ذلك بالديار المصرية مدرسة لأحــد الفقهاء لان الدولة الفاطمية لم تكن تسمح بذلك ؛ وكانت هذه المدرسة بجوار جامع (عمرو بن العاص) وقد عرفت أيضا (بالمدرسة الشريفة) ، وكانت هذه المدرسة أول مدرسة عمــرت بمصر لإلقاء العلم ، كما جعل دار الغزل ، التي كانت مجاورة للجامع أيضا ، مدرسة للمالكية وقد عرفت هذه المدرسة بــ (القمحية) . **(4)**

كما ولى القضاء القاضي صدر الدين عبد الملك بن درباس الهذباني الشافعــــي **(5)**

---

(1) أبو شامة : كتاب الروضتين ، 2 / 100 ؛ **ابن الفــرات** : تــاريخ ، مــج 4 – ج 1 ، ص 89 – 90 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 332 ؛ **ابن قاضي شهبة** : الكواكب الدرية ، ص 187 .

(2) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، 2 / 332 ؛ **إبراهيم الحنبلي** : شفاء القلوب ، ص 74 .

(3) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، 2 / 333 .

(4) ابن الأثير : الكامل ، 11 / 366 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 117 ؛ **ابن الفرات** : تاريخ ، مج 4 – ج 1 ، ص 90 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 333 .

(5) صدر الدين عبد الملك بن الهذباني الشافعي : هو أبو القاسم عبد الملك بن عيسى بن درباس الكردي==

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجعله أيضا يتولى القضاء في جميع الديار المصرية ، حيث خلع عليه بذلك يوم الجمعة 19 جمادى الأخر عام 566 هـ / 1171 م ، كما عزل جميع من كان بها من القضاة واستناب عنهم قضاة شافعية ومن حينئذ اشتهر المذهب الشافعي والمالكي بالديار المصرية وتناظر الناس بهما . (1)

وبعد أن استطاع صلاح الدين أن يعد جيشاً قوياً يستطيع به إن يواجه أي عدو سواء كان هذا العدو داخلياً أو خارجياً ، إذ ما أقدم على أي عمل خطير أو جسيم مثل إقامة الخطبة العباسية بالديار المصرية ، غير أنه كان مدركاً تماماً أنه لا يستطيع أن يقدم على مثل هذا الأمر قبل إن يحسب حساباً لعامة المسلمين في هذه الديار ويتأكد من أنهم سوف يقفون إلى جانبه إذ ما أقدم على مثل هذا الأمر ، وخاصة أنهم قد أعلنوا ولاءَهم وطاعتهم منذ وقت طويل للخلافة الفاطمية التي تمثل لهم حقبة هامة من تأريخ بلادهم ، لذلك فإن الأمير صلاح الدين حاول التريث والتدرج بمسألة إقامة الدعوة العباسية في الأراضي المصرية حتى لا يثير حفيظة المسلمين هناك ويثير سخطهم ممّا ينتج عنه ردود فعل عنيفة تجاه هذا الأمر ويشعل ثورة شعبية عارمة في عموم البلاد ، لذلك حاول كسب جانب المسلمين وذلك عن طريق الاهتمام بمصالحهم العامة ، فضلا عن اهتمامه الشخصي بتحقيق مصالح الأمة الإسلامية العليا ، مع المحافظة على أرواح المسلمين وممتلكاتهم وأموالهم وبلادهم من أي عدوان خارجي أو داخلي فتوجه في 23 شعبان عام 566 هـ / 1171 م إلى مدينة الإسكندرية ، التي كان لأهلها موقف مشرف في حصار قواته داخل هذه المدينة من قبل الصليبيين والفاطميين عام 562 هـ / 1167 م وكان هدف الأمير صلاح الدين من هذه الزيارة أن يطلع على أحوال هذه المدينة عن كثب . فأمر صلاح الدين بصلاح ما تهدم من أسوارها وأبراجها ، والاهتمام بأمور أهلها ؛ وبعد إن رتب أمورها وعمر ما تهدم منها عاد إلى مدينة القاهرة . (2)

كما اهتم صلاح الدين الأيوبي بإعادة الأمن والنظام في جميع الديار المصرية

=== ولد عام 516 هـ بإحدى أعمال الموصل ، وكان مشهوراً بالصلاح والغزو وطلب العلم ، وكان من أجل العلماء ، توفي في الخامس من شهر رجب عام 605 هـ. أنظر : **الذهبي** : سير أعلام النبلاء ، 21 / 475 – 476 .

(1) **ابن الأثير** : الكامل ، 11 / 366 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 118 ؛ **ابن كثير** : البداية والنهاية ، 12 / 362 ؛ **ابن الفرات** : تأريخ ، مج 4 – ج 1 ، ص 125 .

(2) **أبو شامة** : كتاب الروضتين ،2 / 118 ؛ **ابن كثير** : البداية والنهاية ، 12 / 362 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والضرب على أيدي الخارجين على القانون ومعاقبتهم . (1)

كما بسط صلاح الدين عدله في الديار المصرية ومنع ما كان بها من جـور وظلـم مفروض من قبل الأمراء والأجناد الفاطمية ، فمنعهم من التصرف بأي شيء فأستـاء هـؤلاء الأمراء و وتجرأوا بالحديث عما قام به صلاح الدين وأصحابه من الفعل في محو آثار الخلافة الفاطمية وإزالة رسومها ، وتقليص نفوذ الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله والاستعداد للـدعاء للخليفة العباسي . فلما ازداد عدد عساكر صلاح الدين من الأكراد ، ومـن لحـق بهـم مـن أصحابه وأقاربه ، ورأى أن أوتاد دولته قد تمكنت من البلاد ، عقد العزم على الـتخلص مـن هؤلاء الأمراء فاتفق مع أصحابه في أحد الليالي أن يمضي كل أمير بجنده في الليل إلى بـاب أحد الأمراء الفاطميين ويقف على بابه ، فإذا خرج الأمير الفاطمي كعادته في الصباح للخدمة يقبض عليه وتصادر جميع ممتلكاته من خزائن وذخائر وإقطاع وإسـطبل . وفعـلا سـارت الأمور كما خطط لها الأمير صلاح الدين وتم القـبض علـى جميـع الأمـراء الفـاطميين ومصادرة دورهم بجميع ما كانت تحتويه من أموال وخيول وعبيد وجوارٍ . (2)

ويذكر المقريزي أن الخطة التي وضعها صلاح الدين نفذت بدقة عاليـة : (... فلـم ينتشر الضوء حتى علت الأصوات ، وارتفقت الضجات ، وثار الصـياح مـن كـل جانـب وصار الأمراء الشاميون في سائر نعم أمراء مصر ، وأصبح الأمـراء المصـريون أسـرى معتقلين في أيدي أعاديهم . فآل أمرهم إلى أن صار الأمير منهم بواباً على الدار التـي كـان يسكنها ، وصار آخر منهم سائس فرس كان يركبها ، وصار أخر وكيل القبض في بلد كانـت إقطاعاً له ، ونحو ذلك من أنواع الهوان) . (3)

وعندما بلغ هذا الأمر الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله شق عليـه هـذا التصـرف من قبل الأمراء الشاميين ، وبعث إلى الأمير صلاح الدين يسأله عن سبب القبض على هؤلاء الأمراء ؛ فأجابه أن هؤلاء الأمراء كانوا عصاة لأمرك والمصلحة تقضي بقتلهـم ، وإقامـة غيرهم ممن يمتثل لأمرك . فاقتنع الخليفة العاضد بهـذا الجواب ، وبذلك تـم للأمير صلاح

---

(1) **ابن الأثير** : الكامل ، 11 / 366 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 118 ؛ **ابن خلدون** : تاريخ ، 5 / 284 ؛ **ابن الفرات** : تاريخ ، مج 4 – ج 1 ، ص 129 .

(2) **ابن الفرات** : تاريخ ، مج 4 – ج 1 ، ص 129 – 130؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 334 – 335 .

(3) اتعاظ الحنفا ، 2 / 334 – 335 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدين وفقاً لما خططه له . (1)

وأضحى مركز صلاح الدين أكثرة قوة ونفوذاً بعد أن تخلص من كل من كان يخشى غدره وخيانته من الأمراء الفاطميين ، وفرق أقطاعاتهم على جنده ، في حين تلاشى أمر الخليفة العاضد لدين الله في جميع الديار المصرية ، ولم تبقَ له فيها سوى الخطبة التي تقام له ومن بعده للأمير نور الدين محمود . (2)

وكان صلاح الدين قد استولى على جميع البلاد التي كانت ملكاً للخليفة العاضد ، كما منع عنه سائر موارده المالية بحيث لم يبق له شيء ، واستولى أيضا على جميع القصور الفاطمية التي كانت بمدينة القاهرة ، وسلمها إلى الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدي الذي تولى زمامها بعد مقتل مؤتمن الخلافة عام 564 هـ / 1169 م ، وصار له في القصر موضع مهم بحيث لا يدخل أي شيء إلى القصر ولا يخرج منه إلا بمرأى منه ومسمع ، كما ضيق الخناق على أهل القصر حتى قبض على جميع من فيه ، وصار الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله أشبه بالمعتقل لديه . (3)

كما أمر صلاح الدين بتغيير شعار الفاطميين ، وأبطال ذكر ألقاب الخليفة العاضد لدين الله في الخطبة ، بحيث أصبح الخطيب يدعو للإمام أبي محمد فقط ، فكانت العامة تظنه يدعو للخليفة أبي محمد العاضد لدين الله ، في حين كان يريد الإمام أبا محمد المستضيء بالله الخليفة العباسي (566 – 575 هـ / 1170 م) ، كما أعلن عن عزمه على إقامة الخطبة في الديار المصرية للخلفاء العباسيين . (4)

وبذلك يكون الأمير صلاح الدين قد مهدَ الطريق لإقامة الخطبة العباسية في الديار المصرية ، بحيث لم يبقَ له سوى ذكر اسم الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله بصراحة في الخطبة ، وهذا بالضبط ما حدث بعد عدة أيام ، حيث جنى ثمار عمله في بداية عام 567 هـ / 1171 م .

---

(1) **ابن الفرات** : تاريخ ابن الفرات ، مج 4 – ج 1 ، ص 129 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 335 .

(2) **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 120 ؛ **ابن الفرات** : تأريخ ، مج 4 – ج 1 ، ص 130 – 131 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 335 .

(3) **ابن الفرات** : تأريخ ، مج 4 – ج 1 ، ص 130 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 335 .

(4) **ابن الفرات** : تأريخ ، مج 4 – ج 1 ، ص 130 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 335 .

6 - نهاية الخلافة الفاطمية في مصر عام 567 هـ / 1171 م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على الرغم من أن صلاح الدين الأيوبي تمكن من تهيئة الأجـواء المناسـبة لإقامـة الخطبة العباسية بالديار المصرية إلا أنه بقيَ متردداً من مسـألة إنهـاء الخطبـة الفاطميـة فيها لعلمه بميل أغلب المصريين إلى جانب الخلافة الفاطمية وليس لجانب الخلافـة العباسـية التي انتهت صلتهم بها منذ ما يزيد على قرنين من الزمان ، إلا أن ابن الأثير يشير إلـى أن الأمير صلاح الدين كان يكره أن يقطع الخطبة للفاطميين ، ويقيمها للعباسيين خوفـاً مـن أن يقصده الأمير نور الدين محمود ويأخذ منه الديار المصرية ، بعد جهوده المضنية التي قضاها في سبيل تقوية مركزه فيها . فحاول صلاح الدين من تأخير إقامة الخطبة العباسية أن يكسـب الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله إلى جانبه إذ ما قرر الأمير نور الدين محمود مهاجمة الديار المصرية فيتقوى صلاح الدين عليه بالخليفة الفاطمي وعامة أهل مصر . **(1)**

غير أن هذه الرواية تبدو ضعيفة وغير دقيقة حيث تتعارض مع مجريـات الأحـداث في مسألة إقامة الخطبة العباسية بالديار المصرية ، فضلا عن أنها تحمل في طياتهـا تحامـل واضح من جانب ابن الأثير على شخصية صلاح الدين الأيوبي من حيث القـول أنـه فضـل المحافظة على الخلافة الفاطمية خشية من امتداد نفوذ الأمير نور الدين إلى الديار المصرية .

وعندما استتبت الأمور في مصر لصلاح الدين كتب إليه الأمير نور الـدين محمـود يأمره بقطع الخطبة الفاطمية ، وإقامة الخطبة العباسية . أعتذر إليه صلاح الدين عـن القيـام بهذا الأمر الخطير لتخوفه من وثوب أهل مصر ، وامتناعهم عن تقبل الأمر لمـيلهم الشـديد إلى الدولة الفاطمية . غير أن الأمير نور الدين محمود لم يقبل عذره ، وأرسل إليـه بوجـوب تنفيذ الأمر ، ويلزمه بتنفيذ ذلك مهما كانت النتائج . **(2)**

ويعلل ابن الفرات إصرار الأمير نور الدين محمود على إقامـة الخطبـة العباسـية وضغطه المستمر على نائبه بمصر الأمير صلاح الدين للقيام بتنفيـذ هذا الأمر ، هـو كثـرة المكاتبات التي كانت تصل إليه من بغداد من طرف الخليفـة العباسـي المسـتنجد بـالله أولاً ومن بعده ولده الخليفة المستضيء بأمر الله ثانياً ، تحثـه على إقامة هذه الخطبة في البـلاد

---

(1) الكامل ، 11 / 368 .

(2) **ابـن خلكـان** : وفيـات الأعيـان ، 3 / 489 ؛ **أبـو شـامة** : كتـاب الروضـتين ، 2 / 124 ؛ **ابن الفرات** : تأريخ ، مج 4 – ج 1 ، ص 162 ؛ **ابن تغري بردى** : النجوم الزاهرة ، 6 / 7 .

المصرية ، فضلا عن ميل الأمير نور الدين محمود لإقامة هذه الخطبة علـى يديـه ، وفـي أيامه ، لكي ينسب إليه هذا الأمر الشريف . **(1)**

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد إن عجز الأمير صلاح الدين من إقناع نور الدين محمود بشأن مسألة أبقاء الخطبة بالديار المصرية للفاطميين ، عقد العزم على إقامة الخطبة العباسية وقطع الخطبة الفاطمية ، فصادف أن مرض الخليفة العاضد لدين الله في هذا الوقت مرضاً شديداً بحيث عجز طبيبُهُ الخاص ابن السديد **(2)** عن مداواته ، وتخلف عن الحضور إليه . **(3)** فاستشار صلاح الدين أصحابَهُ وأمراءَهُ الذين في خدمته بشأن مسألة أقامة الخطبة العباسية على الأراضي المصرية ، وكيف يكون الابتداء بهذه الخطبة ؟ فأشار عليه قسم من الأمراء بالاقدام على إقامة هذه الخطبة . في حين حذره آخرون من خطورة الاقدام على مثل هذا الأمر الجسيم إلا أنهم أوضحوا له أنه لا يمكنه إلا الامتثال لما أمر به الأمير نور الدين . وكان قد دخل مصر رجل أعجمي يدعى (بالأمير العالم) ، فلما رأى تردد الأمراء الشاميين بشأن إقامة الخطبة العباسية ، وما هم فيه من الاحجام ، بحيث لم يتجاسر أحدٌ إن يخطب للعباسيين ، تطوع هو للقيام بهذه الخطوة الصعبة وقال لهم : أنا ابتدئ الخطبة للعباسيين . وبالفعل لما كانت أول جمعة من شهر محرم عام 567 هـ / 1171 م صعد الأمير العالم المنبر ، الذي كان بالجامع العتيق بمدينة القاهرة قبل أن يصعد إليه الخطيب ، ودعا للخليفة المستضيء بأمر الله العباسي ، فلم ينكر عليه احد ذلك . **(4)**

في حين كان أول من خطب للخليفة المستضيء بأمر الله العباسي من الخطباء المصريين أبو عبد الله بن الحسن بن أبي المضاء الدمشقي ، في جامع العتيق بمدينة القاهرة أيضا . وكان أبو عبد الله قد قدم به أبوه إلى مصر صغيراً ، فنشأ بها وقرأ الآداب ، ثم

---

(1) تأريخ ابن الفرات ، مج 4 – ج 1 ، ص 161 .

(2) ابن السديد : هو أبو المنصور عبد الله بن الشيخ السديد أبي الحسن علي ، وكان يلقب بشرف الدين غير أن لقب أبيه غلب عليه ، وصار يعرف بالشيخ السديد . كان عالماً بصناعة الطب خبيراً بأصولها وفروعها جيد المعالجة ، خدم الخلفاء الفاطميين ، وحظي باهتمامهم ، توفي في مدينة القاهرة عام 592 هـ . انظر : **ابن أبي أصيبعة** : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص 572 – 576 .

(3) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، 2 / 336 .

(4) ابن الأثير : الكامل ، 11 / 369 ؛ **ابن خلكان** : وفيات الأعيان ، 3 / 489 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 124 ؛ **ابن خلدون** : تأريخ ، 5 / 284 – 285 ؛ **ابن الفرات** : تاريخ ، مج 4 – ج 1 ، ص 162 – 163 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 337 ؛ **ابن قاضي شهبة** : الكواكب الدرية ، ص196 .

رحل لطلب العلم في مدينة دمشق وبغداد ، قبل أن يعود إلى مصر ، ويلتحق بخدمة الأمير صلاح الدين الأيوبي الذي ولاه الخطابة بمصر . **(1)**

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعندما أيقن الأمير صلاح الدين الأيوبي من استتباب الأمر له في الديار المصرية وعدم ظهور أي معارض لهذا الأمر ، أمر جميع الخطباء في مدينتي مصر والقاهرة بأن يقطعوا خطبة العاضد لدين الله ، وأن يخطبوا للخليفة المستضيء بأمر الله العباسي في الجمعة المقبلة . ففعلوا ذلك ، وتم هذا الانقلاب بهدوء وسكينة ، ودون أن تنتطح فيه عنزان ، وبعد ذلك كتب الأمير صلاح الدين الأيوبي إلى سائر الديار المصرية بإقامة الخطبة للخليفة العباسي المستضيء بأمر الله . ففعلوا ذلك . **(2)**

ويذكر المقريزي أن الأمير صلاح الدين الأيوبي بعد أن تمكن من إقامة الخطبة العباسية في الديار المصرية ، أمر باستعراض قواته العسكرية في مصر ، وفعلا جرى هذا الاستعراض العسكري في 8 محرم عام 567 هـ / 1171 م ، وبدأت مواكب عسكره تمر من إمامه موكباً بعد موكب ، وطلباً **(3)** بعد طلب ، وقد استمر هذا الاستعراض طوال النهار ، كان عدد الأمراء الحاضرين مائة وسبع وأربعين طلباً والغائب منهم عشرون طلباً ، أما عدد الجند فيقدر بنحو أربعة عشر ألف فارس . **(4)**

ويبدو إن هدف الأمير صلاح الدين الأيوبي من اختيار هذا الوقت بالذات لأجراء استعراض عسكري لقواته يرجع بالدرجة الأساس لأسباب دعائية بحتة ، بحيث يُشعر المصريين بأنه ماضٍ في طريق إقامة الخطبة في الديار المصرية للخلفاء العباسيين ، حتى لو تطلب ذلك استخدام القوة ، وخاصة أنه يمتلك قوات عسكرية قوية وكبيرة تمكنه من تحقيق ذلك .

أما بالنسبة لوفاة الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله فقد اختلفت الروايات بشأن ذلك وهل أنه كان على علم بقطع الخطبة عنه أم لا ؟ ففي حين تؤكد بعض الروايات أن مرض الخليفة العاضد لدين الله قد أشتد عليه في هذه الأثناء ففضل أهله وأصحابه أن يكتموا عليه

---

(1) أبو شامة : كتاب الروضتين ، 2 / 123 ؛ **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 337 .

(2) ابن الأثير : الكامل ، 11 / 369 ؛ **ابن خلكان** : وفيات الأعيان ، 3 / 489 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 124 ؛ **ابن الفرات** : تاريخ ، مج 4 – ج 1 ، ص 163 .

(3) الطلب بلغة الغز كما يذكر **المقريزي** الأمير المقدم ، الذي له علم معقود ، وبوق مضروب ، عدد جنده ما بين مائتي فارس إلى سبعين فارس ، اتعاظ الحنفا ، 2 / 337 .

(4) اتعاظ الحنفا ، 2 / 337 .

خبر قطع الخطبة عنه ، وإقامتها للخليفة العباسي ، وقالوا : إن عوفي من مرضه ، فإنه سوف يعلم بذلك بنفسه ، وإن توفي فلا ينبغي لنا إن ننغص عليه هذه الأيام التي بقت من أجله ؟

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فتوفي الخليفة العاضد يوم عاشوراء 10 محرم عام 567 هـ 1171 م ولم يعلم بقطع الخطبة عنه . (1)

في حين تذكر بعض الروايات أن الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله عندما علم بحذف آسمه من الخطبة قال : (لمن خطب ؟) قيل له : (لم يخطب لأحد مسمى) فقال العاضد لدين الله : (في الجمعة الأخرى يخطبون لرجل مسمى) . غير أن الخليفة الفاطمي مات قبل الجمعة الثانية . وقيلَ إن الخليفة العاضد لدين الله قد استولى عليه التفكير والهم حتى قتلَهُ ، وقيل إنه لما سمع بقطع الخطبة أهتم ، وقام ليدخل داره فتعثر وسقط ، فأقام متعللا خمسة أيام ومات ، وقيل إنه أمتص فص خاتمه وكان تحته سم فمات . فلما وصل خبر موته للأمير صلاح الدين ندم كثيراً على تعجله بقطع الخطبة عنه ، وقال : (لو علمنا أنه يموت في هذه الجمعة ما غصصناه برفع أُسمه من الخطبة) . فقال له القاضي الفاضل : (لو علم أنكم ما ترفعون أسمه من الخطبة لم يمت ؟) . إشارة إلى إن الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله قد أقدمَ على قتل نفسه . (2)

أمر صلاح الدين الأيوبي بإنشاء الكتب إلى أطراف البلاد بذكر وفاة الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله ، وإن الخطبة قد استقرت للخليفة العباسي المستضيء بأمر الله أمير المؤمنين ، كما أمر صلاح الدين في هذه الكتب بان لا يخوض أحدٌ بعد الآن بشأن العاضد لدين الله ولا يطعن فيه . كما كتب إلى الأمير نور الدين محمود يخبره بموت العاضد وإقامة الخطبة للخليفة العباسي المستضيء بأمر الله . (3)

وبعد إن توفي الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله أتخذ الأمير صلاح الدين الأيوبي عدة إجراءات في الديار المصرية كان الهدف منها القضاء نهائياً على كل ما تبقى من الخلافة الفاطمية ، وكان أول إجراء اتخذه الأمير صلاح الدين بعد وفاة العاضد لدين الله ، والذهاب إلى قصره معزياً ، رفض طلب ولد العاضد الأمير داود تنصيبه خليفة خلفاً لوالده العاضد ، حيث قال له : (أنا نائب الخلافة ، ووالدك لم يوصِ بأنك ولي عهده ؟) . (1)

---

(1) **ابن خلكان** : وفيات الأعيان ، 3 / 489 ؛ **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 124 ؛ **ابن الفرات** : تاريخ ، مج 4 – ج 1 ، ص 163 .

(2) **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 130. ويكرر هذه الرواية **ابن قاضي شهبة** في الكواكب الدرية ، ص 197 .

(3) **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، 2 / 338 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبذلك تمكن صلاح الدين من رفع آثار الفاطميين بالكامل من الديار المصرية ولم يتبق لهم بقية ، وانقضت دولتهم برمتها في هذه الديار بعد أن كانوا قد احتووا على هذه البلاد ، واستولوا على العباد على ما يزيد من قرنين من الزمن . **(2)**

وبعد أن قام الأمير صلاح الدين الأيوبي بإقامة الخطبة العباسية بالديار المصرية أرسل بالبشارة بإلغاء الخلافة الفاطمية إلى الأمير نور الدين محمود مع الكثير من الهدايا التي صادرها الأمير صلاح الدين من القصور الفاطمية . فلما وصلت هذه البشارة إلى الأمير نور الدين سر بذلك سروراً عظيماً ، وكتب بهذه البشارة إلى سائر البلاد والأطراف . **(3)**

وكان من جملة ما أرسله الأمير صلاح الدين من الديار المصرية إلى قائده في بلاد الشام الأمير نور الدين محمود ما جملته مائة ألف دينار ، فضلا عن تحف وطيب ، وعمامة الخليفة العباسي القائم بأمر الله ، وطيلسانه **(4)** التي كان البساسيري قد أرسلها إلى مصر بعد استيلائه على مدينة بغداد عام 450 هـ / 1058 م ؛ ويذكر أن الأمير نور الدين محمود عندما وصلته هذه الهدايا قال : (والله ما كان بنا حاجة إلى هذا ، وما وصل إلينا غير معشار ما أنفقنا على العساكر التي جهزناها لمصر ، وما فقدنا بفتح مصر والساحل) . **(5)**

وعندما وصلت البشارة إلى الأمير نور الدين محمود وسعد بها ، أمر كاتبه الشيخ عماد الدين الأصفهاني بإنشاء بشارتين ، تقرأ الأولى في سائر بلاد الإسلام بإقامة الخطبة العباسية في الديار المصرية ، وبشارة ثانية تقرأ بحضرة الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله وندبَ القاضي شهاب الدين أبا المعالي المطهر بن الشيخ شرف الدين بن أبي عصرون للقيام بهذه المهمة . **(6)**

وقد جاء بالبشارة الأولى : (أصدرنا هذه المكاتبة إلى جميع البلاد الإسلامية عامة بما فتح الله **[عز وجل]** على أيدينا رتاجه ، وأوضح لنا منهاجه ، وهو ما اعتمدنا من إقامة

---

(1) ابن الفرات : تأريخ ، مج 4 – ج 1 ، ص 164 .

(2) أبو شامة : كتاب الروضتين ، 2 / 126 ؛ **ابن الفرات** : تاريخ ، مج 4 – ج 1 ، ص 168 .

(3) ابن الفرات : تأريخ ، مج 4 – ج 1 ، ص 173 – 174 .

(4) طيلسان : نوع من الخمار يطرح على الرأس والكتفين . انظر : **مجيد** : أوضاع بلاد الشام ، ص 108.

(5) إبراهيم الحنبلي : شفاء القلوب ، ص 78 .

(6) أبو شامة : كتاب الروضتين ، 2 / 132 – 133 ؛ **المقريزي** : كتاب السلوك ، ج 1– ق 1 ، ص44 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدعوة الهادية العباسية ، بجميع المدن والبلاد والأقطار والأمصار المصرية والإسكندرية ومصر والقاهرة ، وسائر الأطراف الدانية والقاصية والبادية والحاضرة ؛ وانتهت إلى القريب والبعيد ، وإلى قوص وأسوان بأقصى الصعيد ؛ وهذا شرف لزماننا هذا وأهله ، نفتخر به على الأزمنة التي مضت من قبله ، ما برحت هممنا إلى مصر مصروفة وعلى افتتاحها موقوفة ، وعزائمنا في إقامة الهادية بها ماضية ، والأقدار في الأزل بقضاء آرائنا وإنجاز مواعدنا قاضية ، حتى ظفرنا بها بعد يأس الملوك منها ، وقدرنا عليها وقد عجزوا عنها ...) . (1)

وقد خرج القاضي شهاب الدين بن أبي عصرون إلى بغداد ، ولم يترك مدينة تقع على طريقه إلا ودخلها بهذه البشارة الجليلة القدر ، ولا قرية إلا وقرأ فيها هذا المنشور (العظيم الخطر والذكر) . (2) حتى وصل بغداد ، فخرج الناس إلى لقائه ، مقدرين لعظيم هذه البشارة ، كما نثرت عليه دنانير الإنعام ، وقد حظي بكل أنواع الكرم والإحسان حيث أقيمت له القباب والخيم ، كما أن أسواق بغداد قد زينت لهذا الاستقبال الحافل . (3)

وعندما وصلت هذه البشارة إلى ديوان الخلافة العباسية قوبلت بالإكرام والإعطاء والإنعام وكان وصولها مدينة بغداد يوم السبت 22 محرم عام 567 هـ / 1172 . فجلس الوزير العباسي عضد الدين بن رئيس الرؤساء في الديوان ، واستحضر أرباب المناصب العليا في الدولة العباسية ، فضلا عن الخواص والأمراء ، وأشار الوزير العباسي إلى كاتب الإنشاء بقراءة مكتوب (البشارة) الأمير نور الدين محمود ، فقرأ على الحاضرين وثنى على هذا المكتوب ؛ ثم بعد ذلك كتب الخليفة المستضيء بأمر الله كتاباً يتضمن الشكر لله (عز وجل) على ما أتاحه من عودة الحق إلى مستقره . (4)

كما أرسل صلاح الدين الأيوبي من الديار المصرية كتاباً إلى الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله للتهنئة بإقامة الخطبة له في الديار المصرية ، وكان هذا الكتاب من إنشاء القاضي الفاضل . (5)

---

(1) **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 132 – 134 .
(2) **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 133 ؛ **ابن الفرات** : تأريخ ، مج 4 – ج 1 ، ص 177 .
(3) **أبو شامة** : كتاب الروضتين ، 2 / 133 ؛ **ابن الفرات** : تأريخ ، مج 4 – ج 1 ، ص 177 ؛ **ابن قاضي شهبة** : الكواكب الدرية ، ص 203 – 204 .
(4) **ابن الفرات** : تأريخ ، مج 4 – ج1 ، ص 181 – 182 .
(5) **إبراهيم الحنبلي** : شفاء القلوب ، ص 79 – 80 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويذكر ابن خلكان أن الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله لما وصلته البشارة من الأمير نور الدين محمود بإقامة الخطبة له في الديار المصرية ، فحل ذلك عنده أعظم محل ، وأرسل إلى الأمير نور الدين محمود الخلع الكاملة مع عماد الدين صندل المقتفوي (1) تقديراً لمكانة الأمير نور الدين محمود ، وإكراماً له ، لان عماد الدين كان ذا مكانة كبيرة في الديار العباسية ، كما سيّر معَهُ خِلعاً للأمير صلاح الدين الأيوبي إلا أنها كانت أقل شأن من خلع الأمير نور الدين محمود كما سير الأعلام السود (شعار الخلافة العباسية) لتنصب على المنابر المصرية ، وكانت هذه أول هبة عباسية دخلت الأراضي المصرية بعد استيلاء الفاطميين عليها . (2)

وهكذا عادت الديار المصرية إلى حظيرة الخلافة العباسية بعد أن خرجت عن طاعتها ما يزيد عن نحو قرنين من الزمان ، وقد كان هدف السلاجقة منذ دخولهم بغداد إعادة مصر إلى حظيرة الخلافة العباسية ، فسعوا جاهدين لمحاربة النفوذ الفاطمي في العالم الإسلامي عموماً وفي مصر خصوصاً إلى أن تمكنوا من تحقيق هدفهم هذا على يد الأمير نور الدين محمود ونائبه على مصر الأمير صلاح الدين في عام 567 هـ / 1171 م .

وبذلك يكون الأمير صلاح الدين الأيوبي قد أسدل الستار على الفصل الأخير من العلاقات النورية – الفاطمية ، التي كانت تعد امتداداً لما كانت عليه العلاقة بين السلاجقة والفاطميين منذ دخولهم بغداد عام 447 هـ / 1055 م ، والتي كانت تمثل حقبة مهمة من حقبات التأريخ الإسلامي بكل ما تحمله هذهِ الحقبة من سلبياتها وايجابيتها ، والتي زادت من انقسام العالم الإسلامي على نفسه آنذاك ، ممّا أدى إلى تمزيق وحدة المسلمين ، والذي أسهم وبشكل فعّال في تسهيل مهمة القوات الصليبية الغازية خاصة في بلاد الشام ، وفي مدينة بيت المقدس بالذات ، واستقرار هؤلاء فترة طويلة من الزمان في هذه المنطقة على الرغم من أن القوى الإسلامية تحيط بها من جميع الجهات فيما عدا سواحل البحر المتوسط ، لذلك عمل نور الدين محمود على إعادة الوحدة للعالم الإسلامي ، وبالتحديد في هذه المنطقة الاستراتيجية ، وتوحيد هذه القوى عبر إلغاء الخلافة الفاطمية ، لكي يجمع المسلمين تحت ظل الخلافة العباسية ، التي ستصبح الخلافة الوحيدة التي يدين لها جميع المسلمين بولائهم الروحي .

---

(1) هكذا ورد الاسم في وفيات الأعيان لابن خلكان ، 3 / 490 .

(2) وفيات الأعيان ، 3 / 490 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit



All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملحق رقم (1)

جدول بأسماء الخلفاء الفاطميين ، وفترة حكمهم

ت	اسم الخليفة ولقبه	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي
1	عبيد الله أبو محمد (المهدي)	322 - 297	934 - 909
2	محمد أبو القاسم (القائم بأمر الله)	334 - 322	945 - 934
3	إسماعيل أبو طاهر (المنصور بنصر الله)	341 - 334	952 - 945
4	معد أبو تميم (المعز لدين الله)	365 - 341	975 - 952
5	نزار أبو منصور (العزيز بالله)	386 - 365	996 - 975
6	المنصور أبو علي (الحاكم بأمر الله)	411 - 386	1020 - 996
7	علي أبو الحسن (الظاهر لإعزاز دين الله)	427 - 411	1035 - 1020
8	معد أبو تميم (المستنصر بالله)	487 - 427	1094 - 1035
9	احمد أبو القاسم (المستعلي بالله)	495 - 487	1101 - 1094
10	المنصور أبو علي (الآمر بأحكام الله)	524 - 495	1130 - 1101
11	عبد المجيد أبو الميمون (الحافظ لدين الله)	544 - 524	1149 - 1130
12	إسماعيل أبو المنصور (الظافر بأمر الله)	549 - 544	1154 - 1149
14	عيسى أبو القاسم (الفائز بنصر الله)	555 - 549	1160 - 1154
15	عبد الله أبو محمد (العاضد لدين الله)	567 - 555	1171 - 1160

نقلا عن لينبول : الدول الإسلامية ، ق 1 ، و حسن إبراهيم حسن : تأريخ الدولة الفاطمية .

الملحق رقم (2)

نص عهد الخليفة الفاطمي للبساسيري

((من عبد الله ووليه معد أبي تميم الإمـام المستنصـر بـالله أميـر المـؤمنين إلـى صاحب الجيش [أي البساسيري] : سلام عليك ، فان أمير المؤمنين يحمد الله الذي لا إلـه إلا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هو ، ويسأل أن يصلي على جده محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين ، وعلى آلـه الطـاهرين وسلم تسليما .

أما بعد فالحمد الله الذي حببنا ذوي قربى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلـى قـوم يبتغون بمحبتنا إليه القربى ، ويؤتون بها أجر رسالته ليوفيهم الله **[عز وجل]** أجورهم ويزيدهم من فضله في العقبى ، منتهين إلى أمره سبحانه إذ قال : (**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**) . (1) فهم الواصلون بسبب ونسب لا ينقطعان أسبابا وأنسابا ، المتخذون جناب المتقين في جنات عدن جناباً (**إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (31) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (32) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (33)**) . (2) يحمده أمير المؤمنين أن جعل أفئدة من الناس تهـوى إليهم ، ونفذ في أقاصي البلاد مجردة بولائها عليهم ، ويسأله أن يصلى على محمـد **[صلى الله عليه وسلم]** جده خير علم للنجاة أقامة الله تعالى لهداية المهتدين ، وقطع بسيفه دابر الظـالمين المعتدين ، وعلى وصيه علي بن أبي طالب ووزيره في مغيبه ومحضره ، ونكـاس الفوارس في بدره وخيبره ، الناطق بالحكم على منبره ، وعلى الأئمـة مـن ذريتـه العالمين العابدين ذرية المناجى بقولـه : (**وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (217) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (218) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (219)**) . (3)

---

(1) سورة الشورى ، الآية (23) .

(2) سورة النبأ ، الآية (31 - 33) .

(3) سورة الشعراء ، الآية (217 - 219) .

ولما وجـدك أميـر المـؤمنين مـن السـابقين إلـى النـداء بشـعاره فـي ديـار العراق ، والمبرزين بفضيلة السبق على أوليائه في فضاء الآفاق ، المشمرين عن ساق الجـد فيما يجعل عرصاتها بفيض عدله مشرقة بأنجم السعود ، ويعيـد أعـواد منابرهـا بـذكر آل الرسول صلى الله عليه وسلم ناضرة العود ، مغسولة درجها من وطئ أقدام الأنجـاس بمـاء الإيمان ، مقصورة فروقها على الثناء منهـا علـى أهـل العـدل والإحسـان ، رأى أميـر المؤمنين – وبالله توفيقه – أن يطوقك طوق ولاية رجالها ، ويقيم على رأسك لمزية التقدمـة راية جمالها ، وينوط بك أمورها كلها ، ويكل إليك عقدها وحلهـا ، وهـو يوصـيك بتقـوى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الله [سبحانه وتعالى] التي بها يفوز المرء في مآبه ، وبجنتها يحتمي من أليم عذابـــه ، والنظـــر إلى الدنيا بالعين التي بها أولياء الله [عز وجل] الذين هم في جناته يتنافســـون ، تشـــبيها لهـــا بالجيفة المؤذية روائحها والكلاب عليها يتكابسون ، فاجمع نفسك تحفظاً من ضررها ، وشـــمر ثوبك تصوناً من وضرها ، واتخذ من شريعة جدنا محمد صلى الله عليه وسلم عوذة تعيذك من شرها ، فلكي تمتنع بركوبها من الغرق في بحرها . والصلاة الصلاة فكن في إقامة فرائضـــها وسننها جاهداً ، وللشيطان في الوفـــاء بحقوقهـــا مجاهـــداً ، قـــال النبـــي صـــلى الله عليـــه وسلم : (أقرب ما يكون العبد من الله إذا كان ساجداً) . وأعلم أن شريعة الإسلام هـــي ســـلم إلى دار السلام ، مراقيها أركانها فالزم المراقى ، تنجُ من هول المطلـــع إذا بلغـــت النفـــوس التراقي ، واجتنب ضلة المحارم ، وعقلة المظالم ، وانظر إلى أبناء الجنس الـــذين تسوســـهم وتروسهم ، المضمومة إليك جسومهم ونفوسهم ، أن تتلى بغيـــر مـــا كســـبوا مـــالا مـــنهم أو عوضاً ، أو تحدث في ما ضمنك الله تعالى من عهدتهم نقصاً ؛ إن المؤمن فـــي دنيـــاه لفـــي نومه محصولها اليقظة ، فليخش من سوء صنيع تحفظ عليه الحفظـــة ، والله تعـــالى يســـددك لخير ما يحفظه الحافظون على عباده العاملين ، الخير لخير مـــا يؤملـــون ، المتوجـــه إلـــيهم فحوى قوله سبحانه : (**وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (10) كِرَامًا كَاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (12)**) . (1) . هذا عهد أمير المؤمنين إليك بولاية الرجال بشيراً بين يدي ما يتلوه عنـــد مـــا يأذن الله سبحانه به من فتح الأعمال ، ودليلا على نصر الله جل جلاله تجرداً لحسامه

---

(1) سورة الانفطار ، الآية (10 - 12) .

وعنواناً لكتاب من يد اصطناع وليه تفيض ختامه ، تأذن به إليك عاجلاً ، وأرسله طـــلا مـــن سماء إنعامه يتبعه وابلا ، إلى أن يأتيك من تقليده ما تلقى به إليك المساعد تقليـــدها وتصـــدق معه لك الأماني مواعيدها ، فالمدرج به إلى ذروة المجد أمكن مكاناً ، وأثبت أركاناً ، وأقـــوى أساساً ، وأزكى غرساً ؛ فأعلم جمل وصايا أمير المؤمنين إليـــك وإقامـــة حجـــة الله تعـــالى عليك ، واعمل بها عمل الموفقين في المقال والفعال ، والمشفقين من خشية ربهم ما لك عـــالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . وكتب في صـــفر ســـنة ثمان وأربعين وأربعمائة . **(1)**

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(1) الشيرازي : سيرة المؤيد في الدين ، ص 122 - 124 .

الملحق رقم (3)

جدول بأسماء السلاطين السلاجقة الكبار ، وفترة حكمهم

ت	اسم السلطان ولقبه	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي
1	ركن الدين أبو طالب (طغرلبك)	455 - 432	1063 - 1040
2	عضد الدين أبو شجاع (ألب أرسلان)	465 - 455	1073 - 1063
3	جلال الدين أبو الفتح (ملكشاه الأول)	485 - 465	1092 - 1073
4	ناصر الدين محمود بن ملكشاه	487 - 485	1094 - 1092

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

5	ركن الدين أبو المظفر بن ملكشاه (بركياروق)	487 - 498	1094 - 1104
6	جلال الدولة بن بركياروق (ملكشاه الثاني)	498	1104 - 1105
7	غياث الدين أبو شجاع محمد بن ملكشاه	498 - 511	1105 - 1117
8	معز الدين أبو الحارث بن ملكشاه (سنجر)	511 - 552	1117 - 1158

نقلا عن زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التأريخ الإسلامي ، و لينبول : الدول الإسلامية ، ق 1 .

الملحق رقم (4)

جدول بأسماء سلاجقة الشام ، وفترة حكمهم

ت	اسم الأمير ولقبه	التأريخ الهجري	التأريخ الميلادي
1	أبو سعد تتش بن ألب أرسلان (تاج الدولة تتش)	471 - 488	1078 - 1095
2	رضوان بن تتش (فخر الملوك) مدينة حلب	488 - 507	1095 - 1113
3	أبو نصر دقاق بن تتش (شمس الملوك) مدينة دمشق	488 - 497	1095 - 1103
4	ألب أرسلان الأخرس بن رضوان (تاج الدولة) مدينة حلب	507 - 508	1113 - 1114
5	سلطانشاه بن رضوان(تحت وصاية بدر الدين لؤلؤ) مدينة حلب	508 - 511	1114 - 1117

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نقلا عن زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التأريخ الإسلامي .

الخرائط

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخارطة رقم (1)

شمال بلاد الشام ، ومنطقة الجزيرة الفراتية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

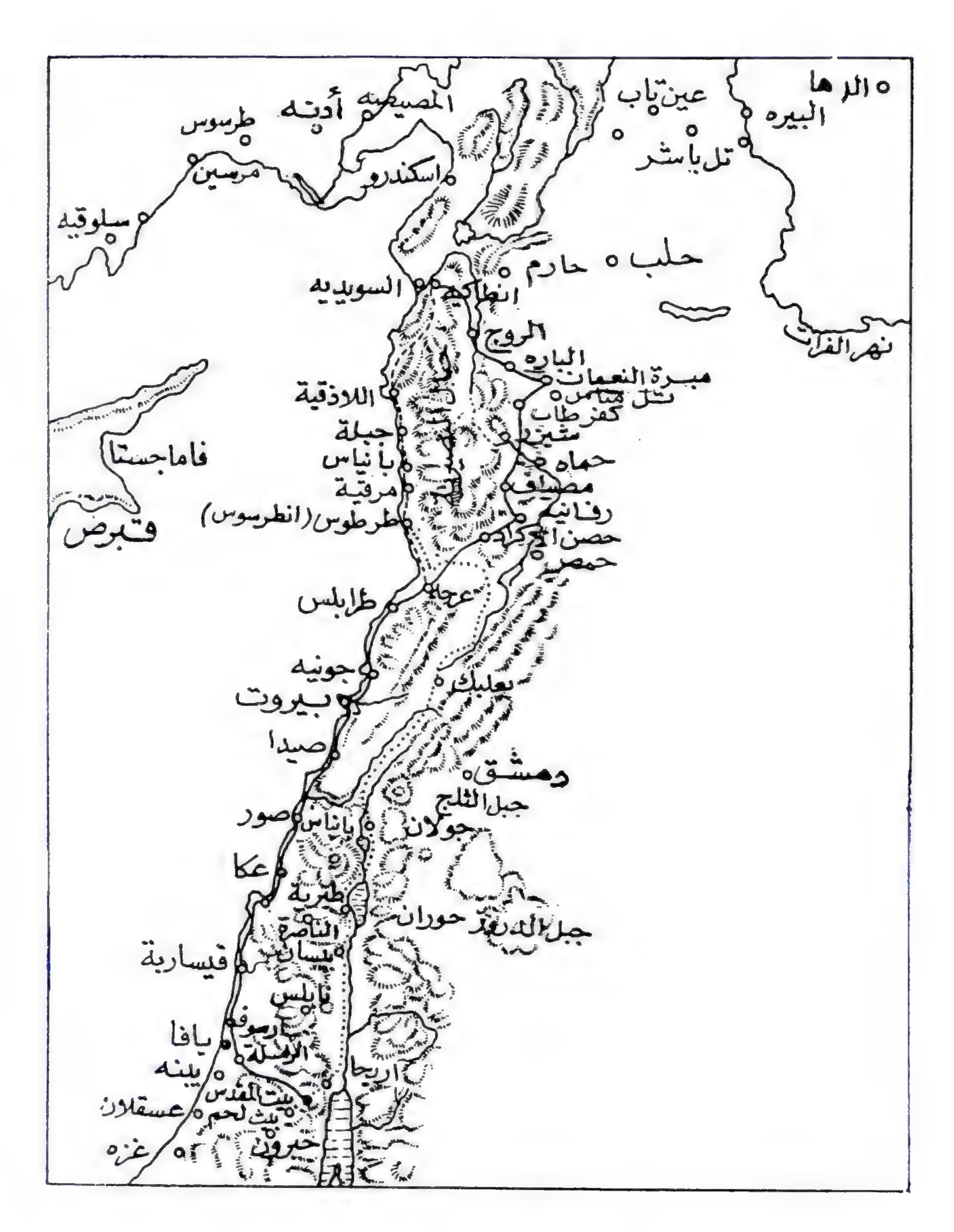


نقلا عن سخنيني: طغتكين أتابك دمشق

الخارطة رقم (2)

بلاد الشام زمن الحملة الصليبية الأولى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

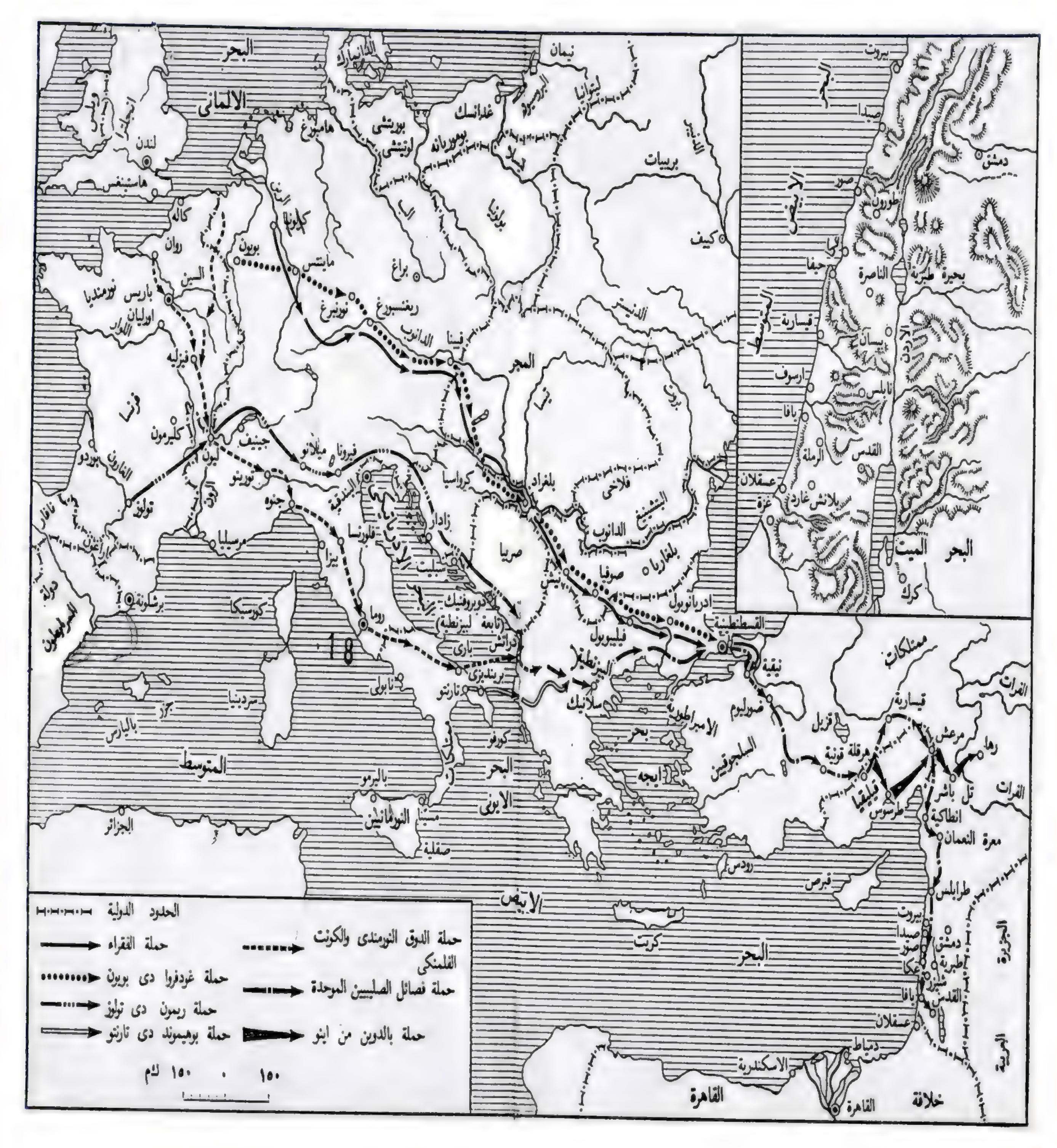


نقلا عن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية

الخارطة رقم (3)

خط سير الحملة الصليبية الأولى نحو بلاد الشام

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

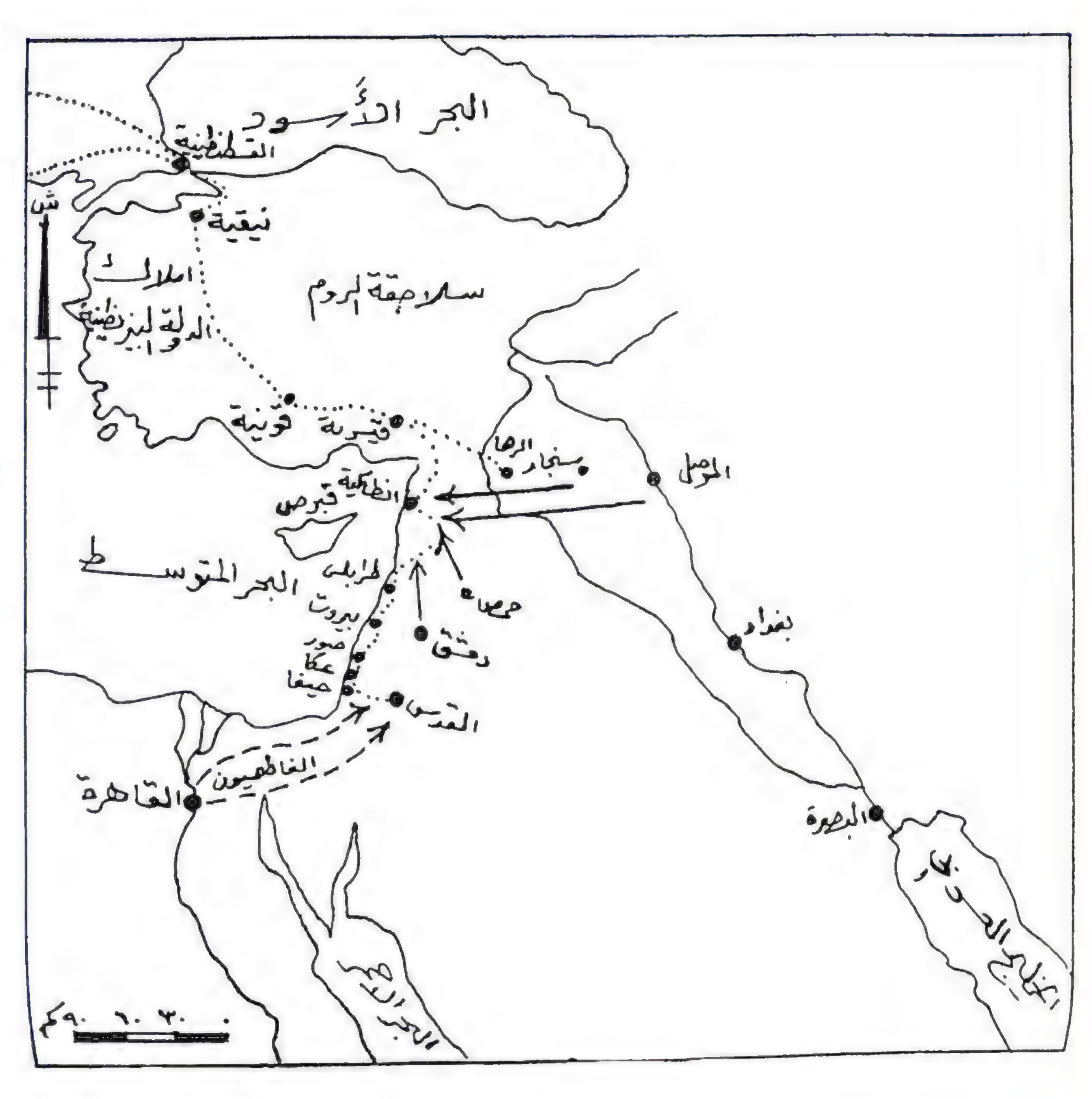


نقلا عن زابوروف : الصليبيون في الشرق

الخارطة رقم (4)

مسير الحملة الصليبية الأولى وموقف العالم الإسلامي منها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit



سير جيوش السلاجقة لحصار الصليبيين في مدينة أنطاكية

سير جيوش الفاطميين لحصار مدينة بيت المقدس

سير جيوش الصليبيين من مدينة نيقية إلى مدينة بين المقدس

نقلا عن الحموشي : القدس في القرن الخامس للهجرة / الحادي عشر الميلادي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

استمارة مستخلصات أطاريح الدراسات العليا للجامعات العراقية

رقم الاستمارة	843		
الجامعة	الكلية	القسم	الفرع
الموصل	الآداب	التاريخ	
عنوان الرسالة	تاريخ تسجيل الرسالة	طبيعة البحث	الجهة المستفيدة
العلاقات السلجوقية – الفاطمية ((447 – 567 هـ / 1055 – 1171 م)) ((دراسة سياسية))	18 / 9 / 2007 م	أكاديمي	للتطبيق فقط

أسم الطالب	العمر	الجنس	جهة الانتساب	تاريخ القبول	قناة القبول
محمد علي حميد	26سنة	ذكر	غير موظف	2 / 11 / 2006 م	مباشر

أسم المشرف	الدرجة العلمية	العمر	الجنس	جهة الانتساب
ميسون هاشم مجيد	دكتوراه	57 سنة	أنثى	جامعة الموصل / كلية الآداب

الجهة المانحـة للشهـادة : جامعة الموصل / كلية الاداب

تاريخ الحصول على الشهادة :1996
تاريخ آخر ترقيـة علميـة : 15 / 11 / 1999

تاريخ صدور الأمر الجامعي (للطالب)	الشهادة	الاختصاص العام	الاختصاص الدقيق
	ماجستير	تاريخ اسلامي	تاريخ عباسي متأخر

الكلمات المفتاحية : العلاقات السلجوقية ، الفاطمية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المستخلص بلغة الرسالة

إن العلاقات العدائية التي كانت تربط الخلفاء العباسيين في العراق بالخلفاء الفاطميين في مصر هي الأساس التي بنيت عليها العلاقات السلجوقية – الفاطمية في بدايات القرن 5 هـ / 11 م والتي امتازت منذ البدء بالعداء الشديد والصريح بحيث سعى كل طرف للانقضاض على خصمه والقضاء عليه إن أمكن ذلك . كما إن العلاقات السلجوقية – الفاطمية العدائية امتازت بالجدية والندية حيث بدأت المؤامرات تحاك منذ دخول السلاجقة بغداد ، حيث استغل الفاطميون ذلك للقضاء على الخلافة العباسية والسلاجقة معاً ، وذلك عن طريق تأييد القائد التركي المتمرد البساسيري وكانت هذه الخطوة رداً على تصريحات السلطان السلجوقي طغرلبك ، والذي أعلن عن نيته في عام 447 هـ / 1055 م في الذهاب إلى مصر للقضاء على الخلافة الفاطمية فيها . وبلغت هذه العلاقات في عهد السلطان السلجوقي ملكشاه قمة العدائية والتطرف حيث تمكن هذا السلطان من إحكام قبضته على جميع مناطق نفوذه في العالم الإسلامي ، بل وحتى المناطق التي كانت خاضعة للنفوذ الفاطمي وخاصة في بلاد الشام . وعلى الرغم من الضعف الذي أصاب الدولة السلجوقية بعد وفاة السلطان ملكشاه وتقسيم أملاك هذه الدولة فيما بين أمراء هذا الدولة ، فإن الفاطميين لم يتمكنوا من استعادة نفوذهم الضائع في هذه المنطقة ، لذلك فإنهم وجدوا في دخول الصليبيين إلى بلاد الشام عام 490 هـ / 1097 م فرصة مؤتية للانقضاض على خصمهم المتمثل بالأتراك السلاجقة لذلك حاولوا عقد تحالفاً عسكرياً مع الصليبيين ، الذين استغلوا هذا الأمر لتحقيق أهدافهم ، وبالفعل تمكنوا من تحقيق ذلك واستولوا على مناطق هامة من بلاد الشام . وبدأت العلاقات السلجوقية – الفاطمية بالتحسن ، وبصورة أدق علاقة الأتابكيات التي تأسست على أنقاض أملاك الدولة السلجوقية بعد إن شعر المسلمين في كل من مصر وبلاد الشام بأنهم أمام تحدي خطير يهدد وجودهم في هذه المنطقة الحيوية والتي تقع في قلب العالم الإسلامي ، لذلك بدأت جهودهم بالتوحد في سبيل مواجهة التحديات الخطيرة والمتمثلة بالصليبيين . وعلى الرغم من إن الأمير نور الدين محمود تحسنت علاقته بالفاطميين إلا إن ظروف تلك المرحلة كانت تحتم عليه العمل على أعادة الوحدة للعالم الإسلامي وبالتحديد في هذه المنطقة الإستراتيجية ، وتوحيد هذه القوى عبر إلغاء الخلافة الفاطمية لكي يجمع المسلمين تحت ظل الخلافة العباسية ، التي ستصبح الخلافة الوحيدة التي يدين لها جميع المسلمون بولائهم الروحي . وبالفعل نجح قائده الأمير صلاح الدين الأيوبي في تهيئة الأجواء المناسبة للغاء الخلافة الفاطمية في عام 567 هـ / 1171 م . وبذلك يكون قد تحق ما عجز السلاجقة عن تحقيقه منذ دخولهم مدينة بغداد عام 447 هـ / 1055 م .

مسؤول الدراسات العليا

د. عبد الستار فاضل خضر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخلاصة

إن العلاقات العدائية التي كانت تربط الخلفاء العباسيين في العراق بالخلفاء الفاطميين في مصر هي الأساس التي بنيت عليها العلاقات السلجوقية – الفاطمية في بدايات القرن 5 هـ / 11 م والتي امتازت منذ البدء بالعداء الشديد والصريح بحيث سعى كل طرف للانقضاض على خصمه والقضاء عليه إن أمكن ذلك .

كما إن العلاقات السلجوقية – الفاطمية العدائية امتازت بالجدية والندية حيث بدأت المؤامرات تحاك منذ دخول السلاجقة بغداد ، حيث استغل الفاطميون ذلك للقضاء على الخلافة العباسية والسلاجقة معاً ، وذلك عن طريق تأييد القائد التركي المتمرد البساسيري وكانت هذه الخطوة رداً على تصريحات السلطان السلجوقي طغرلبك ، والذي أعلن عن نيته في عام 447 هـ / 1055 م في الذهاب إلى مصر للقضاء على الخلافة الفاطمية فيها .

وبلغت هذه العلاقات في عهد السلطان السلجوقي ملكشاه قمة العدائية والتطرف حيث تمكن هذا السلطان من إحكام قبضته على جميع مناطق نفوذه في العالم الإسلامي ، بل وحتى المناطق التي كانت خاضعة للنفوذ الفاطمي وخاصة في بلاد الشام .

وعلى الرغم من الضعف الذي أصاب الدولة السلجوقية بعد وفاة السلطان ملكشاه وتقسيم أملاك هذه الدولة فيما بين أمراء هذا الدولة ، فإن الفاطميين لم يتمكنوا من استعادة نفوذهم الضائع في هذه المنطقة ، لذلك فإنهم وجدوا في دخول الصليبيين إلى بلاد الشام عام 490 هـ / 1097 م فرصة مؤتية للانقضاض على خصمهم المتمثل بالأتراك السلاجقة لذلك حاولوا عقد تحالفاً عسكرياً مع الصليبيين ، الذين استغلوا هذا الأمر لتحقيق أهدافهم ، وبالفعل تمكنوا من تحقيق ذلك واستولوا على مناطق هامة من بلاد الشام .

وبدأت العلاقات السلجوقية – الفاطمية بالتحسن ، وبصورة أدق علاقة الأتابكيات التي تأسست على أنقاض أملاك الدولة السلجوقية بعد إن شعر المسلمين في كل من مصر وبلاد الشام بأنهم أمام تحدي خطير يهدد وجودهم في هذه المنطقة الحيوية والتي تقع في قلب العالم الإسلامي ، لذلك بدأت جهودهم بالتوحد في سبيل مواجهة التحديات الخطيرة والمتمثلة بالصليبيين .

وعلى الرغم من إن الأمير نور الدين محمود تحسنت علاقته بالفاطميين إلا إن ظروف تلك المرحلة كانت تحتم عليه العمل على أعادة الوحدة للعالم الإسلامي وبالتحديد في هذه المنطقة الإستراتيجية ، وتوحيد هذه القوى عبر إلغاء الخلافة الفاطمية لكي يجمع المسلمين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تحت ظل الخلافة العباسية ، التي ستصبح الخلافة الوحيدة التي يدين لهـا جميـع المسـلمون بولائهم الروحي . وبالفعل نجح قائده الأمير صلاح الدين الأيوبي في تهيئة الأجواء المناسـبة للغاء الخلافة الفاطمية في عام 567 هـ / 1171 م . وبذلك يكون قد تحق ما عجز السلاجقة عن تحقيقه منذ دخولهم مدينة بغداد عام 447 هـ / 1055 م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Abstract

The hostile which were connecting the Abbasid caliphs in Iraq with the Fatimis' in Egypt was the base that underlined the relations between the Fatimis and the Saljiqa early in (5 : A.H. / 11 A.D.). These relations were characterized by severe and explicit hostility; such that each part was striving to swoop down his opponent and getting rid of him as far as possible.

Fatimi-Saljoqi relations were also characterized by earnestness and equivalence since conspiracies started to be hatched after the Saljoqi arrival to Baghdad. The Fatimis have exploited this to eliminate the Abassid and the Saljooki Succession together, through supporting the insurgent Turkish leader (Albasasiri). This step was in response for the statements of the Saljoqi Sutan (Taghril Beg) who announced his intention in 447 A.H. / 1055 A.D. to march to Egypt to wipe out the Fatimi caliphate there.

During the reign of Saljooki Sultan (Malikshah); these relations have reached the peak of hostility and extremism, Since this Sultan was able to seize tightly not only all the Islamic regions under his power, but also under the fatimi power especially in Greater Syria.

Though the saljoki state has suffered from weakness after death of the Saljoqi Sultan (Malikshah) and the division of state properties among its princes; the fatimis were not able to recover their lost influence on this region.

Therefore, they considered the entry of crusaders into greater in 490 / 1097 as a good opportunity to get rid of their opponent that was

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

represented by the Saljooqi Turkish. Thus, they held a military coalition with the crusaders who - in turn - exploited this to fulfill their objectives. Eventually, they were able to achieve them and seized important regions of greater Syria.

Them the Fatimi – Saljooqi relations began to get better, and more accurately the Attabics relations which were founded on the remaining properties of the Saljooqi state, after Muslims in Egypt and great Syria felt that they were facing a serious challenge threatens their very existence in this vital region that was located in the heart of the Islamic world. Therefore; they started unifying their efforts to confront the serious challenges represented by Crusaders.

Though prince Nourdeen Mahmood's relations with Fatimis were improving; but the circumstances then had obliged him to reunite the Islamic world in this region in particular as well as unifying these powers via the abolition of the Fatimi Califate to gather muslims under the Abbasid caliphate which to become the only caliphate whom all Muslims are indebted to by their mental loyalty. Actually, one of his leaders (Salahudeen Alayoobi) has succeeded in creating suitable circumstances to abolish the Fatimi caliphate in 567 A.H./ 1171 A.D., and there by he achieved what the Saljooqis didn't since entering Baghdad in 447 A.H./ 1055 A.D.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit



All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثبتْ المصادر والمراجع

أولاً - المخطوطات

الحموي ، أبو الفضل محمد بن علي (ت 631 هـ / 1233 م)

1 – التاريخ المنصوري تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان ، مخطوطة مصـورة عنـى بنشرها ووضع فهارسه بطرس غريازنيويج ، أكاديمية العلوم للاتحاد السوفيتي ، دار النشر للآداب الشرقية (موسكو – 1963 م) المكتبة المركزية – جامعة الموصل ، قاعة الكتب النادرة

ثانياً - المصادر العربية والمعربة

ابن الأبار ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القُضاعي (ت 658 هـ / 1260 م)

2 – كتاب الحلة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس ، الطبعة الأولى ، الشركة العربية للطباعة والنشر (القاهرة – 1963 م)

إبراهيم الحنبلي ، أحمد بن إبراهيم (ت 876 هـ / 1471 م)

3 – شفاء القلوب فـي مناقـب بنـي أيـوب ، تحقيـق نـاظم رشـيد ، دار الحريـة للطباعـة (بغداد – 1978 م)

ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت 630 هـ / 1232 م)

4 – التأريخ الباهر في الدولة الأتابكية (بالموصل) ، تحقيق عبد القادر احمد طليمات ، دار الكتب الحديثة (القاهرة – 1963 م)

5 – الكامل في التأريخ ، دار بيروت للطباعة والنشر (بيروت – 1966 م)

6 – اللباب في تهذيب الأنساب ، مكتبة المثنى (بغداد – د / ت)

ابن أبي دينار ، أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم القيرواني (ت 1092 هـ / 1681 م)

7 – المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس ، تحقيق محمد شمام ، الطبعـة الثالثـة ، المكتبـة العتيقـة (تونس – 1967 م)

الإدريسي ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسيني (من علماء القرن السادس الهجري)

8 – نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة – 1994 م)

الأربلي ، عبد الرحمن سنبط قينتو (ت 717 هـ / 1317 م)

9 – خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك ، تصحيح مكي السيد جاسم ، مكتبة المثنى (بغداد – د / ت)

ابن أبي أصيبعة ، أبو العباس احمد بن القاسم الخزرجي (668 هـ / 1269 م)

10 – عيون الأنباء في طبقات الأطبـاء ، تحقيـق نـزار رضـا ، منشـورات مكتبـة الحيـاة (بيروت– 1965م)

الأنطاكي ، يحيى بن سعيد (ت 485 هـ / 1066 م)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

11 – صلة كتاب سعيد بن بطريق المسمى التأريخ المجمـــوع علـــى التحقيـــق و التصـــديق ، أو المعروف بتأريخ يحيى بن سعيد ، مطبعة الآباء اليسوعيين (بيروت – 1905 م)

ابن اياس ، أبو البركات محمد بن احمد (ت 930 هـ / 1523 م)

12 – كتاب تأريخ مصر المعروف ببدائع الزهور في وقائع الدهور ، مطبعة الكبـــرى الأميريـــة (القاهرة – 1882 م)

أيليا برشينايا (ت 438 هـ / 1046 م)

13 – تاريخ أيليا برشينايا ، ترجمة وتعليق يوسف حبي ، مطبوعـــات مجمـــع اللغـــة الســـريانية (بغداد – 1975م)

ابن بدران ، الشيخ عبد القادر بدران (ت 1346 هـ / 1927 م)

14 – تهذيب تأريخ دمشق الكبير ، الطبعة الثانية ، دار المسيرة (بيروت – 1979 م)

ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي (ت 779 هـ / 1377 م)

15 – رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، تعليق محمد السعيد محمد الزيني ، المكتبة التوفيقية (القاهرة – د / ت)

البغدادي ، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي (ت 429 هـ / 1037 م)

16 – الفرق بين الفرق ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الطلائع (القاهرة – د / ت)

البكري الأندلسي ، أبو عبيد الله عبد العزيز (ت 487 هـ 1094 م)

17 – معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا ، الطبعـــة الأولـــى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة (القاهرة – 1945 – 1951 م)

18 – المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب (وهو جزء من كتاب المســـالك والممالـــك) ، دار الكتاب الإسلامي (القاهرة – د / ت)

البلاذري ، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (ت 279 هـ / 892 م)

19 – فتوح البلدان ، تعليق عبد القادر محمد علي ، الطبعة الأولى ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية (بيروت – 2000 م)

البنداري ، الفتح بن علي (ت 643 هـ / 1245 م)

20 – سنا البرق الشامي (وهو اختصار لكتاب البرق الشامي للعماد الكاتب الأصفهاني) ، تحقيق فتحية النبراوي ، مكتبة الخانجي (القاهرة – 1979 م)

البيروني ، أبو ريحان أحمد بن محمد (ت 440 هـ / 1048 م)

21 – الآثار الباقية عن القرون الخالية ، تحقيق س .أدورد ، مكتبة المثنى (بغداد– 1933 م)

ابن تغري بردى ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت 874 هـ / 1469 م)

22 – النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، وزارة الثقافة والإرشـــاد القـــومي ، المؤسســـة المصرية العامة للتأليف والترجمة (القاهرة – د / ت)

الجبرتي ، عبد الرحمن (ت 1241 هـ / 1825 م)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

23 – عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، تحقيق حسن محمد جوهر وعبد الفتاح السرنجاوي والسيد إبراهيم سالم ، الطبعة الأولى ، لجنة البيان العربي (القاهرة – 1958 م)

ابن جبير ، أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني (ت 614 هـ / 1217 م)

24 – رحلة ابن جبير ، دار صادر (بيروت – 1964 م)

ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد البغدادي (ت 597 هـ / 1200 م)

25 – المنتظم في تأريخ الملوك والأمم ، الدار الوطنية (بغداد – 1990 م)

26 – المصباح المضيء في خلافة المستضيء ، تحقيق ناجية عبد الله إبراهيم ، مطبعة الأوقاف (بغداد – 1976 م)

ابن حزم الأندلسي ، أبو محمد علي بن احمد الظاهري (ت 456 هـ / 1054 م)

27 – الفصل في الملل والأهواء والنحل ، تحقيق أبي عبد الرحمن عادل بن سعد ، الطبعة الأولى ، دار ابن الهيثم (القاهرة – 2005 م)

الجوهري ، إسماعيل بن حماد ، (ت 393 هـ / 1002 م)

28 – الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق احمد عبد الغفور عطار ، الطبعة الثانية ، دار العلم للملايين (بيروت – 1984 م)

الحسيني ، صدر الدين أبو الحسن علي بن ناصر (ت بعد 622 هـ / 1225 م)

29 – زبدة التواريخ أخبار الأمراء والملوك السلجوقية ، تحقيق محمد نور الدين ، الطبعة الثانية ، دار اقرأ (بيروت – 1986 م)

الحميري ، محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (من علماء القرن الثامن الهجري)

30 – الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، الطبعة الثانية ، مؤسسة ناصر الثقافية (بيروت – 1980 م)

الحنبلي ، ابن الفلاح عبد الحي بن العماد (ت 1089 هـ / 1678 م)

31 – شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ، دار الأفاق الجديدة (بيروت – د / ت)

الحنبلي ، مجير الدين أبو اليمن القاضي (ت 890 هـ / 1485 م)

32 – الأنس الجليل بتأريخ القدس والخليل ، تقديم محمد بحر العلوم ، منشورات المطبعة الحيدرية (النجف – 1968 م)

الخطيب البغدادي ، الحافظ أبو بكر احمد بن علي (ت 463 هـ / 1070 م)

33 – تأريخ بغداد أو مدينة السلام ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى (بيروت – 1997 م)

الخطيب الغرناطي ، لسان الدين بن الخطيب (ت 776 هـ / 1374 م)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

34 – تأريخ المغرب العربي في العصر الوسيط (القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام) ، تحقيق وتعليق احمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني ، دار الكتاب (الدار البيضاء – 1964 م)

الخطيب الموصلي ، ياسين خير الله العمري (ت 1237 هـ / 1821 م)

35 – غاية المرام في تأريخ محاسن بغداد دار السلام ، مطبعة دار البصري (بغداد– 1968م)

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المغربي (ت 808 هـ / 1406 م)

36 – تأريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر (بيروت 1979 م) .

37 – مقدمة ابن خلدون ، تحقيق سعيد محمود عقيل ، الطبعة الأولى ، دار الجيل (بيروت – 2005 م) .

ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين احمد محمد بن أبي البكر (ت 681 هـ / 1282 م)

38 – وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي (بيروت – 1997 م) .

ابن دحية ، أبو الخطاب عمر بن أبي علي حسن (ت بعد 633 هـ / 1235 م)

39 – النبراس في تأريخ خلفاء بني العباس ، تصحيح وتعليق عباس العزاوي ، مطبعة المعارف (بغداد – 1946 م) .

الدميري ، كمال الدين (ت 808 هـ / 1405 م)

40 – من حياة الحيوان الكبرى ، مطبعة السعادة (القاهرة – 1911 م) .

الدواداري ، أبو بكر عبد الله بن أيبك (ت 732 هـ / 1331 م)

41 – كنز الدرر وجامع الغرر ، الجزء السادس بعنوان (الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية) ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار بالقاهرة (القاهرة – 1961 م) .

الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت 748 هـ / 1347 م)

42 – تأريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، الطبعة الثالثة ، دار الكتاب العربي (بيروت – 1998 م) .

43 – دول الإسلام ، مؤسسة الأعلى للمطبوعات (بيروت – 1985 م) .

44 – سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي ، الطبعة الثالثة ، مؤسسة الرسالة (بيروت – 1986 م) .

45 – العبر في خبر من غبر ، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية (بيروت – 1985 م) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الراوندي ، محمد بن علي بن سليمان (ت 652 هـ / 1254 م)

46 – راحة الصدور وآية السرور في تأريخ الدولة السلجوقية ، ترجمة إبراهيم أمين الشواربي وآخرين ، دار القلم (القاهرة – 1960 م) .

الرقيق القيرواني ، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم (ت بعد 417 هـ / 1026 م)

47 – تأريخ إفريقية والمغرب ، تحقيق المنجي الكعبي ، مطبعة الوسط (تونس – 1967 م) .

ابن الأزرق ، أحمد بن يوسف بن علي الفارقي (ت 577 هـ / 1181 م)

48 – تأريخ الفارقي ، تحقيق بدوي عبد اللطيف عوض ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية (القاهرة – 1959 م) .

الأزهري ، أبو المنصور محمد بن احمد (ت370 هـ / 980 م)

49 – تهذيب اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ومحمد علي البجاوي ، الدار المصرية للتأليف والترجمة (القاهرة – د / ت) .

سبط بن الجوزي ، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي (ت 654 هـ / 1256 م)

50 – مرآة الزمان في تأريخ الأعيان الحقبة 345 هـ – 447 هـ ، تحقيق جنان جليل محمد الهموندي ، الدار الوطنية (بغداد – 1990 م) .

51 – مرآة الزمان في تأريخ الأعيان (الحوادث الخاصة بتأريخ السلاجقة بين السنوات 1056 – 1086 م) ، مراجعة وتعليق علي سويم ، مطبعة الجمعية التأريخية التركية (أنقرة – 1968 م) .

السبكي ، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي (ت 771 هـ / 1369 م)

52 – طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو ، الطبعة الأولى ، مطبعة عيسى البابي الحلبي (القاهرة – 1964 م)

السمعاني ، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت 562 هـ / 1166 م)

53 – الأنساب ، تحقيق عبد الله عمر البارودي ، الطبعة الأولى ، دار الجنان (بيروت – 1988 م)

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911 هـ / 1505 م)

54 – تأريخ الخلفاء ، تحقيق إبراهيم صالح ، الطبعة الأولى ، دار صادر (بيروت – 1997م)

55 – حُسن المحاضرة في تأريخ مصر والقاهرة ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، الطبعة الأولى ، دار أحياء الكتب العربية (القاهرة – 1967 م) .

أبو شامة ، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي (ت 665 هـ / 1267 م)

56 – كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، تعليق إبراهيم شمس الدين ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية (بيروت – 2002 م) .

الشارتري ، فوشيه (ت بعد 521 هـ / 1127 م)

57 – تأريخ الحملة إلى القدس ، ترجمة زياد جميل العسلي ، الطبعة الأولى ، دار الشروق (عمان – 1990 م) .

ابن شداد ، بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم (ت 632 هـ / 1234 م)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

58 – النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، أو المعروف بسيرة صلاح الدين ، تحقيق جمال الدين الشيال ، الطبعة الأولى ، الدار المصرية للتأليف والترجمة (القاهرة – 1962 م) .

ابن شداد ، عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي الحلبي (ت 684 هـ / 1459 م)

59 – الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة (تأريخ لبنان والأردن وفلسطين) ، تحقيق سامي الدهان ، المطبعة الكاثوليكية (بيروت – 1963 م) .

الشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت 548 هـ / 1153 م)

60 – الملل والنحل ، تصحيح وتعليق أحمد فهمي محمد ، الطبعة السابعة ، دار الكتب العلمية (بيروت – 2007 م) .

الشيرازي ، هبة الله بن موسى بن داود الشيرازي (ت 470 هـ / 1077 م)

61 – سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة (ترجمة حياته بقلمه) ، تقديم وتحقيق محمد كامل حسين ، دار الكاتب المصري (القاهرة – 1949 م) .

الصفدي ، صلاح الدين بن آيبك (ت 764 هـ / 1363 م)

62 – أمراء دمشق في الإسلام ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبعة الترقي (دمشق – 1955 م) .

63 – الوافي بالوفيات ، الجزء الأول ، اعتناء هلموت ريتر (د/ ت – 1962 م) ، الجزء 11 ، تحقيق شكري فيصل ، فرايز شتانيز (ڤيبسادن – 1981 م) .

الأصفهاني ، عماد الدين محمد بن محمد بن حامد (ت 597 هـ / 1200 م)

64 – تأريخ دولة آل سلجوق ، تقديم يحيى مراد ، الطبعة الأولى ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية (بيروت – 2004 م) .

الصوري ، وليم (ت 581 هـ / 1185 م)

65 – تأريخ الحروب الصليبية الأعمال المنجزة فيما وراء البحار ، ترجمة سهيل زكار ، دار الفكر (بيروت – 2003 م) .

ابن الصيرفي المصري ، أمين الدين أبي القاسم علي بن منجب (ت 542 هـ / 1147 م)

66 – الإشارة إلى من نال الوزارة ، تحقيق وتعليق عبد الله مخلص ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي الخاص بالعاديات الشرقية بالقاهرة (القاهرة – 1924 م) .

ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا (ت 709 هـ / 1309 م)

67 – تأريخ الدول الإسلامية أو المعروف بكتاب الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، دار صادر (بيروت – 1960 م) .

ابن ظافر ، جمال الدين علي بن ظافر الأسدي (ت 613 هـ / 1216 م)

68 – أخبار الدول المنقطعة (دراسة تحليلية للقسم الخاص بالفاطميين) ، تقديم وتحقيق أندريه فريه ، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة (القاهرة – 1972م)

ابن العبري ، غريغوريوس الملطي (ت 685 هـ / 1286 م)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

69 – تأريخ مختصر الدول ، تحقيق الأب انطون صالحاني اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية (بيروت – 1958 م) .

ابن العديم ، كمال الدين أبو القاسم عمر بن احمد بن هبة الله (ت 660 هـ / 1261 م)

70 – بغية الطلب في تاريخ حلب (التراجم الخاصة بتأريخ السلاجقة) ، اعتنى بنشره وعلق عليه علي سويم ، مطبعة الجمعية التاريخية التركية (أنقرة – 1976 م) .

71 – زبدة الحلب من تأريخ حلب ، تحقيق سامي الدهان ، المطبعة الكاثوليكية (بيروت – 1951 م) .

ابن عذاري المراكشي (ت بعد 712 هـ / 1312 م)

72 – كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ومراجعة ج . س . كولان ، إ . ليفر برفنسال، الطبعة الثانية ، دار الثقافة (بيروت – 1980 م) .

ابن عساكر ، ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت 571 هـ / 1175 م)

73 – تأريخ دمشق الكبير ، تحقيق أبي عبد الله علي عاشور الجنوبي ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي (بيروت – 2001 م) .

العسقلاني ، احمد بن علي بن حجر (ت 852 هـ / 1448 م)

74 – رفع الإصر عن قضاة مصر ، تحقيق حامد عبد المجيد ومحمد المهدي أبي سنة ومحمد إسماعيل الصاوي ، مراجعة إبراهيم الأبياري ، المطبعة الأميرية (القاهرة – 1957 م) .

العصامي المكي ، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك (ت 1111 هـ / 1699 م)

75 – سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، المطبعة السلفية (القاهرة – 1960 م)

ابن العمراني ، محمد بن علي بن محمد (ت 580 هـ / 1184 م)

76 – الإنباء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق قاسم السامرائي ، نشريات المعهد الهولندي للآثار المصرية والبحوث العربية (لايدن – 1973 م)

ابن عنبة ، جمال الدين احمد بن علي الحسني (ت 828 هـ / 1424 م)

77 – عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ، تصحيح محمد حسن آل الطالقاني ، الطبعة الثانية ، المطبعة الحيدرية (النجف – 1961 م)

أبو الفدا ، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن جعفر (ت 732 هـ / 1331 م)

78 – المختصر في أخبار البشر ، الطبعة الأولى ، المطبعة الحسينية المصرية (القاهرة – د / ت)

ابن الفرات ، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات (ت 807 هـ / 1404 م)

79 – تأريخ ابن الفرات ، تحرير حسن محمد الشماع ، مطبعة حداد (البصرة – 1967 م)

ابن الفوطي ، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن تاج الدين (ت 723 هـ / 1323 م)

80 – تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب ، تحقيق مصطفى جواد ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم (د / م – 1967 م)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن قاضي شهبة ، بدر الدين (ت 874 هـ / 1469 م)

81 – الكواكب الدرية في السيرة النورية (تأريخ السلطان نور الدين محمود بن زنكي) ، تحقيق محمد زايد ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب الجديد (بيروت – 1971 م)

القرطبي ، عريب بن سعد (ت 366 هـ / 976 م)

82 – صلة تأريخ الطبري ، تحقيق أبي الفضل إبراهيم ، دار المعارف (القاهرة – د / ت)

القرماني ، أبو العباس أحمد بن يوسف بن احمد الدمشقي (ت 1019 هـ / 1610 م)

83 – كتاب أخبار الدول وآثار الأول في التأريخ ، عالم الكتب (بيروت – د / ت)

القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت 682 هـ / 1283 م)

84 – آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر (بيروت – 1960 م)

ابن القلانسي ، أبو يعلي حمزة (ت 555 هـ / 1160 م)

85 – تأريخ أبي يعلي حمزة بن القلانسي أو المعروف بذيل تأريخ دمشق ، مطبعة الآباء اليسوعيين (بيروت – 1908 م)

القلقشندي ، أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله (ت 821 هـ / 1418 م)

86 – صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة و الطباعة والنشر (القاهرة – د / ت)

87 – مآثر الأناقة في معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، عالم الكتب (بيروت – 1964م)

88 – نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، الطبعة الأولى ، الشركة العربية للطباعة والنشر (القاهرة – 1959 م)

ابن الكازروني ، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي (ت 697 هـ / 1297 م)

89 – مختصر التأريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس ، تحقيق مصطفى جواد ، وضع فهارسه وأشرف على طبعه سالم الآلوسي ، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة (بغداد – 1970 م)

الكتبي ، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر (ت 764 هـ / 1363 م)

90 – عيون التواريخ ، الجزء 12 ، تحقيق فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود ، دار الحرية للطباعة والنشر (بغداد – 1977 م)

ابن كثير ، أبو الفدا الحافظ إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت 774 هـ / 1373 م)

91 – البداية والنهاية ، الطبعة الثانية ، مكتبة المعارف (بيروت – 1977 م)

الكندي ، محمد بن يوسف الكندي (أختلف المؤرخون في سنة وفاته)

92 – ولاة مصر ، تحقيق حسين نصار ، دار صادر (بيروت – د / ت)

مرتضى ، نظمي زاده أفندي (ت 1136 هـ / 1723 م)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

93 – كلشن خلفا ، ترجمة موسى كاظم نورس ، مطبعة الآداب (النجف – 1971 م)

المقدسي ، محمد بن محمد أحمد البناء (البشاري) (ت 375 هـ 985 م)

94 – أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مطبعة بريل (ليدن – 1906 م)

المقري التلمساني ، أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى (ت 1041 هـ / 1631 م)

95 – نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، الطبعة الأولى ، دار صادر(بيروت– 1997م)

المقريزي ، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي (ت 845 هـ / 1441 م)

96 – اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق محمد عبد القادر احمد عطا ، الطبعة الأولى ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية (بيروت – 2001 م)

97 – إغاثة الأمة بكشف الغمة ، قام بنشره محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة – 1940 م)

98 – كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، تصحيح وتعليق محمد مصطفى زيادة ، الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة – 1956 م)

99 – المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة – د / ت)

ابن منظور ، جمال الدين محمد (ت 711 هـ / 1311 م)

100 – لسان العرب ، تقديم الشيخ عبد الله العلايلي ، تصنيف يوسف خياط ، دار لسان العرب (بيروت – د / ت)

ابن منقذ ، مؤيد الدولة أسامة أبو مظفر الكناني الشيزري (ت 584 هـ / 1188 م)

101 – كتاب الاعتبار ، تحرير فليب حتي ، مطبعة جامعة برنستون (الولايات المتحدة الأمريكية – 1930 م)

مؤلف مجهول

102 – العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، الجزء الأول – القسم الأول ، تحقيق نبيلة عبد المنعم داود ، مطبعة النعمان (النجف – 1972 م) ؛ الجزء الرابع – القسم الثاني ، تحقيق عمر السعيدي ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق (دمشق – 1973 م)

مؤلف مجهول

103 – أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ترجمة حسن حبشي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة – 1958 م)

الميداني ، أبو الفضل احمد بن محمد بن احمد بن إبراهيم (ت 518 هـ / 1124 م)

104 – مجمع الأمثال ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الثانية ، المكتبة التجارية الكبرى (القاهرة – 1959 م)

ابن ميسر ، محمد بن علي بن يوسف (ت 677 هـ / 1278 م)

105 – أخبار مصر ، تحقيق هنري ماسيه ، المعهد العلمي الفرنسي (القاهرة – 1919 م)

الناصري ، أبو العباس أحمد بن خالد (ت 1315 هـ / 1897 م)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

106 – الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق وتعليق جعفر الناصري و محمد الناصري ، دار الكتاب (الدار البيضاء – 1954 م)

النوبختي ، أبو محمد الحسن بن موسى (ت بعد 317 هـ / 929 م)
107 – كتاب فرق الشيعة ، عنى بتصحيحه هـ . ريتر ، مطبعة الدولة (استانبول – 1931 م)

ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق (ت 380 هـ 990 م)
108 – الفِهرست ، تعليق وتقديم يوسف علي طويل ، وضع فهارسه أحمد شمس الدين ، الطبعة الثانية ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية (بيروت – 2002 م)

ابن النظام محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله الحسيني اليزدي (ت 743 هـ / 1342م)
109 – العراضة في الحكاية السلجوقية ، ترجمة وتحقيق عبد النعيم محمد حسنين وحسين أمين ، مطبعة جامعة بغداد (بغداد – 1979 م)

القاضي نعمان ، أبو حنفية النعمان بن محمد بن منصور التميمي (ت 363 هـ / 974 م)
110 – افتتاح الدعوة ، تحقيق فرحات الدشراوي ، الشركة التونسية للتوزيع (تونس – 1975 م) .

111 – كتاب المجالس والمسايرات ، تحقيق الحبيب الفقي وإبراهيم شبوح ، ومحمد اليعلاوي ، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية (تونس – 1978 م)

الهمذاني ، محمد بن عبد الملك (ت 521 هـ / 1208 م)
112 – تكملة تأريخ الطبري ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار المعارف (القاهرة – د / ت)

ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم (ت 697 هـ / 1298 م)
113 – مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق جمال الدين الشيال ، مطبعة جامعة فؤاد الأول (القاهرة – 1953 م)

ابن الوردي ، زين الدين عمر (ت 749 هـ / 1348 م)
114 – تتمة المختصر في أخبار البشر أو المعروف بتأريخ ابن الوردي ، تحقيق احمد رفعت البدراوي ، الطبعة الأولى ، دار المعرفة (بيروت – 1970 م)

اليافعي ، أبو محمد عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان (ت 768 هـ / 1366 م)
115 – مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، الطبعة الثانية ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بيروت – 1970 م)

ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي البغدادي (ت 626 هـ / 1228 م)
116 – معجم البلدان ، دار إحياء التراث العربي (بيروت – د / ت)

ثالثاً - المراجع العربية والمعربة

بارتولد ، لام

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

117 – تأريخ الترك في آسيا الوسطى ، ترجمة وتحقيق أحمد سعيد سليمان ، د مط ، (القاهرة – 1958 م)

باركر ، ارنست

118 – الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني ، الطبعة الثالثة ، دار النهضة العربية (بيروت – 1967 م)

أبو بدر ، شاكر احمد

119 – الحروب الصليبية والأسرة الزنكية ، الجامعة اللبنانية كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم الدراسات العليا (بيروت – د / ت)

بك ، الشيخ محمد الخضري

120 – محاضرات تأريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) ، المكتبة التجارية الكبرى (القاهرة – 1970 م)

تأمر ، عارف

121 – القائم والمنصور الفاطميان أمام ثورة الخوارج ، الطبعة الأولى ، منشورات دار الأفاق الجديدة (بيروت – 1982 م)

122 – المعز لدين الله الفاطمي واضع أسس الوحدة العربية الكبرى ، الطبعة الأولى ، منشورات دار الأفاق الجديدة (بيروت – 1982 م)

التكريتي ، محمود ياسين احمد

123 – الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة 564 – 648 هـ / 1168 – 1250 م ، دار الرشيد للنشر (بغداد – 1981 م)

جوليان ، شارل أندري

124 – تأريخ إفريقيا الشمالية (تونس – الجزائر – المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830 م) ، ترجمة محمد مزالي والبشير بن سلامة ، الدار التونسية (تونس – 1978م)

الجميلي ، رشيد عبد الله

125 – إمارة الموصل في العصر السلجوقي (489 – 521 هـ) ، الطبعة الأولى مطبعة واوفسيت الحديثي (بغداد – 1980 م)

الجنزوري ، علية عبد السميع

126 – الحروب الصليبية (المقدمات السياسية) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة – 1999م)

حتي ، فليب

127 – تأريخ العرب مطول ، الطبعة الثانية ، دار الكشاف للنشر والطباعة و التوزيع (د / م – 1953 م)

حسن ، حسن إبراهيم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

128 – تأريخ الإسلام (السياسي ، الديني ، الثقافي ، الاجتماعي) ، الطبعة الخامسة عشر ، دار الجيل (بيروت – 2001 م)
129 – تأريخ الدولة الفاطمية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة – 1958 م)
130 – تأريخ الدولة الفاطمية في المغرب ، ومصر ، وسورية ، وبلاد العرب ، الطبعة الثالثة ، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة – 1964 م)
131 – المعز لدين الله ، الطبعة الثانية ، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة – 1963 م)

حسن ، علي إبراهيم
132 – مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي إلى الفتح العثماني ، الطبعة الخامسة ، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة – 1964 م)

حسين ، محمد كامل
133 – ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة ، الطبعة الأولى ، دار الكاتب المصري (القاهرة – 1949م)

حسنين ، عبد النعيم محمد
134 – دولة السلاجقة ، مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة – 1975 م)
135 – سلاجقة إيران والعراق ، الطبعة الثانية ، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة – 1970م)

حلمي ، احمد كمال الدين
136 – السلاجقة في التأريخ والحضارة ، الطبعة الأولى ، مطبعة الحرية (بيروت – 1975 م)

حلمي ، مصطفى
137 – نظام الخلافة في الفكر الإسلامي ، دار الأنصار (القاهرة – د / ت)

حمادة ، محمد ماهر
138 – الوثائق السياسية والإدارية للعهود الفاطمية والأتابكية والأيوبية (دراسة ونصوص) ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة (بيروت – 1980 م)

الحميدة ، سالم محمد
139 – الحروب الصليبية (عهد الانقسامات الداخلية) ، الطبعة الأولى ، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد – 1990 م)

الخالدي ، فاضل
140 – الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق خلال القرن الخامس الهجري ، الطبعة الأولى ، مطبعة الإيمان (بغداد – 1969 م)

خليل ، عماد الدين
141 – الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام (465 – 812 هـ / 1072 – 1409 م) ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة (بيروت – 1980 م)
142 – عماد الدين زنكي ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة (بيروت – 1982 م)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدوسكي ، إدريس محمد حسن
143 – همدان من الفتح الإسلامي إلى سقوطها بيد المغول(22 – 618 هـ / 642 – 1221 م) ، الطبعة الأولى ، مطبعة حجي هاشم (اربيل – 2007 م)

رايس ، تاماراتالبوت
144 – السلاجقة (تأريخهم وحضارتهم) ، ترجمة لطفي الخوري وإبراهيم الداقوقي ، مراجعة عبد الحميد العلوجي ، مطبعة الإرشاد (بغداد – 1968 م)

رنسيمان ، ستفن
145 – تأريخ الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني ، الطبعة الثانية ، دار الثقافة (بيروت – 1981 م)

زابوروف ، ميخائيل
146 – الصليبيون في الشرق ، ترجمة الياس شاهين ، دار التقدم (موسكو – 1986 م)

زامباور ، ادوارد فون
147 – معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التأريخ الإسلامي ، نقله وأشرف عليه زكي محمد حسن بك وحسن أحمد محمود وغيرهما ، مطبعة جامعة فؤاد الأول (القاهرة – 1951 م)

زركلي ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس
148 – الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) ، الطبعة الرابعة ، دار العلم للملايين (بيروت – 1979 م)

زكار ، سهيل
149 – مدخل إلى تأريخ الحروب الصليبية ، دار الفكر (دمشق – 1973 م)

الزيلعي ، أحمد عمر
150 – مكة وعلاقاتها الخارجية (301 – 487 هـ) ، الطبعة الأولى ، مطابع جامعة الرياض (الرياض – 1981 م)

السامرائي ، خليل إبراهيم
151 – تأريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي (132 – 656 هـ / 479 – 1258 م) ، الطبعة الثانية ، دار الكتب للطباعة والنشر جامعة الموصل (الموصل – 2001 م)

سالم عبد العزيز
152 – طرابلس الشام في التأريخ الإسلامي ، مطابع رمسيس (الإسكندرية – 1967 م)

سخنيني ، عصام
153– طغتكين أتابك دمشق 488 – 522 هـ / 1095 – 1128 م (صفحة من تاريخ الصراع مع الفرنج) ، منشورات جامعة البترا الخاصة عمادة البحث العلمي (عمان – 2003 م)

سرور ، محمد جمال الدين
154 – الدولة الفاطمية في مصر (سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة في عهدها) ، دار الفكر العربي (القاهرة – 1966 م)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

155 – سياسة الفاطميين الخارجية ، دار الفكر العربي (القاهرة – 1967 م)
156 – مصر في عصر الدولة الفاطمية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة – 1960 م)
157 – النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق في القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر العربي (القاهرة – 1964 م)
158 – النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ، الطبعة الثانية ، دار الفكر العربي (القاهرة – 1957 م)

أبو سعيد ، حامد غنيم

159 – الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية ، الطبعة الثانية ، دار الثقافة للطباعة والنشر (القاهرة – 1984 م)

سلطان ، طارق فتحي سلطان

160 – التأريخ الإسلامي في العصر العباسي (334 – 656 هـ / 945 – 1258 م) ، الطبعة الأولى ، مطبعة محمد (الموصل – 2006 م)

شكيل ، هادية دجاني

161 – الصراع الإسلامي – الفرنجي على فلسطين في القرون الوسطى ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية (بيروت – 1994 م)
162 – القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني العسقلاني (526 – 596 هـ / 1131 – 1199 م) ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية (بيروت – 1999 م)

الشيال ، جمال الدين

163 – تأريخ مصر الإسلامية ، الجزء الأول (من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي) ، دار المعارف (الإسكندرية – 1967 م)
164 – مجموعة الوثائق الفاطمية ووثائق الخلافة وولاية العهد والوزارة ، الطبعة الأولى ، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة – 2002 م)

الصلابي ، علي محمد

165 – الدولة الزنكية ، الطبعة الأولى ، دار المعرفة (بيروت – 2007 م)
166 – دولة السلاجقة ، الطبعة الأولى ، مؤسسة اقرأ (القاهرة – 2006 م)
167 – صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس ، الطبعة الأولى ، دار المعرفة (بيروت – 2008 م)

عاشور ، سعيد عبد الفتاح

168 – تأريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، دار النهضة العربية (بيروت – 1972 م)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

169 – الحركة الصليبية (صـفحة مشـرقة فـي تـأريخ الجهـاد الإسـلامي فـي العصـور الوسطى) ، الطبعة الخامسة ، مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة – 1999 م)
170 – مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، دار النهضة العربية (بيروت – 1972 م)

العبادي ، أحمد مختار

171 – تأريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام ، جامعة بيروت العربية (بيروت – 1972م)
172 – في تأريخ المغرب والأندلس ، دار النهضة العربية (بيروت – 1978 م)

العبادي ، عبد الحميد

173 – الدولة الإسلامية تأريخها وحضارتها ، دار نهضة مصر (القاهرة – د / ت)
174 – تأريخ المغرب العربي ، منشأة المعارف (الإسكندرية – 1979 م)

عباس ، إحسان

175 – تأريخ بلاد الشام في عهد الأتابكة والأيوبيين (490 هـ – 650 هـ) ، مطبعة جامعة الأردن (عمان – 1998 م)

عبد المولى ، محمد احمد

176 – بنو مرداس الكلابيون فـي حلـب وشـمال الشـام وسياسـتهم الخارجيـة مـع دولتـي الفـواطم والـروم (415 – 472 هـ / 1025 – 1080 م) دار المعرفـة الجامعيـة (الإسكندرية – 1985 م)

العقاد ، عباس محمود

177 – فاطمة الزهراء والفاطميون ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب العربي (بيروت – 1967 م)

عنان ، محمد عبد الله

178 – الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ، الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة – 1959 م)
179 – مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية ، الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة – 1969 م)

غالب ، مصطفى

180 – تأريخ الدعوة الإسماعيلية ، الطبعة الثالثة ، دار الأندلس (د / م – 1979 م)

قاسم ، قاسم عبده

181 – ماهية الحروب الصليبية ، مطابع السياسة (الكويت – 1990 م)

كاهن ، كلود

182 – تأريخ العرب والشعوب الإسلامية منـذ ظهـور الإسـلام حتـى بدايـة الإمبراطوريـة العثمانية ، ترجمة بدر الدين قاسم ، الطبعة الأولى ، دار الحقيقة (بيروت – 1972)

الكناني ، مصطفى حسن محمد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

183 – العلاقات بين جنـوة والفـاطميين فـي الشـرق الأدنـى (1095 – 1171 م / 488 – 567 هـ) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة – 1981 م)

لاندو ، روم

184 – الإسـلام والعـرب ، ترجمـة منيـر البعلبكـي ، الطبعـة الأولـى ، دار الملايـين (بيروت – 1962 م)

لويس ، برنارد

185 – أصول الإسماعيلية ، ترجمة خليل أحمد جلو وجاسم محمد الرجب ، تقديم عبـد العزيـز الدوري ، دار الكتاب العربي (القاهرة – د / ت)

لينبول ، ستانلي

186 – الدول الإسلامية ، تصحيح بارتولد ، و خليل أدهم ، ترجمـة محمـد صـبحي ، تعليـق محمد احمد الدهمان ، مكتبة الدراسات الإسلامية (دمشق – د / ت)

187 – سيرة القـاهرة ، ترجمـة حسـن إبـراهيم حسـن ، وعلـي إبـراهيم حسـن ، وإدوار حليم ، الطبعة الخامسة ، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة – 1950 م)

مشرفة ، عطية مصطفى

188 – نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين (358 – 567 هـ / 968 – 1711 م) ، الطبعة الثانية ، دار الفكر العربي (القاهرة – د / ت)

المطوي ، محمد العروسي

189 – الحروب الصليبية في الشرق والغرب ، دار الغرب الإسلامي (بيروت – 1982 م)

مقبل ، فهمي توفيق

190 – الفاطميون والصليبيون ، الدار الجامعية للطباعة والنشر (بيروت – 1980 م)

المعاضيدي ، خاشع

191 – تـأريخ الـدويلات العربيـة والإسـلامية فـي العصـر العباسـي (فـي المشـرق والمغرب) ، الطبعة الأولى ، مطبعة واوفسيت الحديثي (بغداد – 1979 م)

192 – الحياة السياسية في بلاد الشام خلال العصر الفاطمي (359 – 567 هـ / 969 – 1171 م) ، الطبعة الأولى ، دار الحرية للطباعة (بغداد – 1976 م)

193 – دولة بني عقيل في الموصل (380– 489 هـ) ، الطبعـة الأولـى ، مطبعـة شـفيق (بغداد – 1968 م)

194 – الوطن العربي والغزو الصليبي ، مطبعة مديرية دار الكتـب للطباعـة والنشـر جامعـة الموصل (الموصل – 1981 م)

المناوي ، محمد حمدي

195 – الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ، دار المعارف (القاهرة – 1970 م)

مؤنس ، حسين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

196 – نور الدين محمود سيرة مجاهد صادق (قصة بناء الوحدة العربية الإسلامية لإخراج الصليبيين من الوطن العربي في القرن السادس الهجري) ، الشركة العربية للطباعة والنشر (القاهرة – 1959 م)

النجار ، محمد رجب

197 – الشطار والعيارين في التراث العربي ، الطبعة الثانية ، مطبعة ذات السلاسل (د / م – 1989 م)

النخيلي ، درويش

198 – فتح الفاطميين للشام في مرحلته الأولى من 358 هـ إلى 362 هـ (دراسة في المصادر والمراجع) ، مؤسسة الثقافة الجامعية (الإسكندرية – 1979م)

النشار ، علي سامي

199 – نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، الجزء الثاني (نشأة التشيع وتطوره) ، الطبعة السابعة ، دار ابن الأثير للطباعة والنشر في جامعة الموصل (الموصل – 1977 م)

هنتس ، فالتر

200 – المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري ، ترجمة كامل العسلي ، منشورات الجامعة الأردنية (عمان – 1970 م)

اليوسف ، عبد القادر احمد

201 – العلاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر ، منشورات المكتبة العصرية (بيروت – 1969 م)

رابعاً - الرسائل الجامعية

البرهاوي ، محمد خالد عبد

202 – علاقة العلماء بالخلافة العباسية في عصر السيطرة السلجوقية 447 هـ / 1055 م – 552 هـ / 1157 م ، أطروحة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة الموصل ، 2002 م .

البكر ، راغب حامد عبد الله

203 – أسرة بني منقذ ودورها السياسي والحضاري في بلاد الشام ومصر خلال القرنين الخامس والسادس الهجري / الحادي عشر والثاني عشر الميلادي ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة الموصل ، 1989 م

204 – الحروب الصليبية بدايات الاستعمار الأوربي ، أطروحة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة الموصل ، 1983 م

الحموشي ، فارس محمود ذنون

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

205 – القدس في القرن الخامس للهجرة / الحادي عشر للميلاد دراسة سياسية حضارية ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة الموصل ، 1999 م

الزيباري ، محمد صالح طيب صادق

206 – سلاجقة الروم في آسيا الصغرى دراسة في الجوانب السياسية (470 – 634 هـ / 1077 – 1237 م) ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة صلاح الدين ، 1999 م

الزيدي ، مصعب حمادي نجم

207 – الاستيطان الصليبي في بلاد الشام مملكة بيت المقدس أنموذجا (492 – 583 هـ / 1099 – 1187 م) ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة الموصل ، 2005 م

سلطان ، سلطان جبر

208 – إمارة آل طغتكين في الشام ، دراسة في تأريخها السياسي والحضاري ، أطروحة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة صلاح الدين ، 1992 م

209 – الدور السياسي للعلماء المسلمين إبان الحروب الصليبية (490 – 690 هـ / 1096 – 1291 م) ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة الموصل ، 1999 م

القزاز ، عبد السلام محمد يونس

210 – الخليفة العباسي القائم بأمر الله (422 – 467 هـ / 1030 – 1074 م) ، أطروحة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة الموصل ، 1988 م

مجيد ، ميسون هاشم

211 – أوضاع بلاد الشام العامة قبيل الحروب الصليبية (460 – 490 هـ / 1067 – 1097 م) ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة الموصل ، 1996 م

النعيمي ، نزار محمد قادر

212 – الخلافة العباسية في ظل التسلط البويهي (334 – 447 هـ / 945 – 1055 م) ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة الموصل ، 1994 م

وحيد ، أكرم عبد الرزاق عبود

213 – مصر والغزو الصليبي دراسة سياسية (490 – 567 هـ / 1096 – 1171 م) ، أطروحة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة الموصل ، 2002 م

خامساً - الموسوعات

214 – دائرة المعارف الإسلامية ، إعداد وتحرير إبراهيم زكي خورشيد ، واحمد الشنتناوي ، وعبد الحميد يونس ، مطبعة الشعب (القاهرة – د / ت)

215– موسوعة التأريخ الإسلامي ، أحمد شلبي ، الطبعة الثامنة ، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة – 1990 م)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سادساً - الدوريات

احمد ، إبراهيم خليل

216 – كربوقا صاحب الموصل ودوره في مقاومة الصليبيين ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد الخامس ، سنة 1977 م

بيات ، فاضل مهدي

217 – السياسية السلجوقية في العراق ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد الثامن عشر ، سنة 1981 م

العابد ، صالح

218 – الحروب الصليبية دوافعها وبواعثها الممهدة ، مجلة المورد ، العدد الرابع ، سنة 1987 م

عبيد ، طه خضر

219 – دور الأحداث في العراق وبلاد الشام في القرنين 2 – 4 الهجري / 8 – 9 الميلادي ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، الجزء الثاني – المجلد الثاني والخمسون ، سنة 2005 م

الفقي ، عصام الدين عبد الرؤوف

220 – الحياة السياسية في بلاد الجبل ويزد في عهد الكاكوية الديالمة ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد الثامن عشر ، سنة 1981 م

ماجد ، عبد المنعم

221 – سياسة الفاطميين في الخليج العربي مستمدة من السجلات المستنصرية (وثائق فاطمية معاصرة) ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد الثاني عشر ، سنة 1980 م

مصطفى ، شاكر

222 – دخول الترك الغز إلى الشام في النصف الثاني من القرن الحادي عشر ، مجلة كلية الآداب والتربية – جامعة الكويت ، العدد الخامس ، سنة 1974 م

223 – طغتكين رأس الأسرة البورية ، ومؤسس النظام الأتابكي ، مجلة كلية الآداب والتربية – جامعة الكويت ، العدد الثاني ، سنة 1972 م

ناجي ، عبد الجبار

224 – ثورة البساسيري في بغداد (447 – 451 هـ / 1055 – 1059 م) ، مجلة كلية الآداب – جامعة البصرة ، العدد الخامس ، السنة الرابعة 1971 م

نوري ، عبد القادر

225 – موقف أتابكية دمشق من الغزو الصليبي لبلاد الشام ، مجلة آداب الرافدين ، العدد الحادي عشر ، سنة 1979 م

سابعاً - المصادر والمراجع الأجنبية غير المعربة

الجويني ، علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد بن محمد (ت 658 هـ 1259 م)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

226 – تاريخ جهانكشاى ، تصحيح محمد بن عبد الوهاب قزويني ، مطبعة بريل درليدن ازبـــلاد هلاند سيد سنة 1355 هجري مطابق سنة 1937مسيحي

مستوفي قزويني ، حمد الله بن أبي بكر بن احمد بن نصر (730 هـ / 1329 م)
227 – تأريخ كزيدة ، باهتمام عبد الحسين بوائي ، مؤسسة جاب انتشار أمير كبير

228 - The Encyclopaedia Of Islam , New Edition , London - 1960 .

229 - The New Encyclopaedia Britannica , Volume 16 , Knowledge in depth , 1943 - 1973

230 - Marshall W. Baldwin : A History Of The Crusades , Volume 1 , Part 2 , The First Hundred Years , The University Of Wisconsin .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit